المقدمة

الحَمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ، حَمداً يُوافِي نِعَمَهُ، ويُكافِئُ مَزيدَهُ، سُبحَانَكَ اللَّهمَّ وبِحَمدِكَ، لا نُحصِي ثَنَاءً عَلَيكَ، أنتَ كَمَا أثنَيتَ عَلَىٰ نفسِكَ، فَلَكَ الحَمدُ حتَّىٰ تَرضَىٰ، الحَمدُ للهِ الذِي هَدَانَا إِلَىٰ دِينِ الإسلَامِ، وفَضَّلَ دِينَنا عَلَىٰ سَائرِ الأديَانِ، في الدُّنيَا ويَومَ العَرضِ عَلَىٰ اللهِ ـ جلَّ فِي عُلَاهُ.

والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، فَاتِحِ بَابِ العِلمِ، وعَينِ اليَقينِ، حَبيبِ ربِّ العالَمينَ وخَاتَمِ الأنبِيَاءِ والمُرسَلِينَ، مَولانَا مُحَمَّدٍ المُصطَفَىٰ الأَمِينِ، أفضَل مَن عَرَفَ اللهَ وخَشِيَهُ واتَّقَاه[1]، وعَلَىٰ آلِهِ الأصفِيَاءِ، وأصحَابِهِ الأتقيَاءِ، وتابِعِيهِم بإحسَانٍ إِلَىٰ يَومِ التَّنَادِ؛ فَهُم دُعَاةُ الخَلقِ إِلَىٰ الخَلَّاقِ بالحِكمَةِ والموعظة الحسنةِ، بالهمَّة والتحمُّل في سبيله تعالىٰ، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾[2].

أمَّا بَعدُ: فكُنَّا قد تحدَّثنا بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ في الرِّسَالَةِ الثَّامِنَةِ "بجُزئهَا الأوَّلِ"، عَن أهلِ العِلمِ، ثُمَّ تحدَّثنَا "بجُزئهَا الثَّانِي" عَن أهلِ التَّقوىٰ، وقُلنَا فِيهَا: أنَّ مَراتِبَ كَمَالِ التَّقوىٰ سِتٌّ، وذَكَرنَا فِيها ثلاثَ مَرَاتِبَ: أَوَّلُهَا: القَصدُ، وثَانِيهَا: تَزكِيةُ النَّفسِ، وثَالِثُها: التَّخلِيَةُ مِنَ المَآثِمِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وهَا هُوَ "الجُزءُ

(١) لقولِ رسولِ الله ﷺ: «أَمَا واللهِ إني لأَخشَاكُم للهِ، وَأَتقَاكُم لهُ» رواهُ البخاريُّ في صحيحه: في كتاب النكاح ـ باب التَّرغيبُ في النِّكاحِ، رقم: ٥٠٦٣، وفي روايةٍ لَه أيضاً في كتابِ الإيمانِ ـ بابٌ قولُ النبيِّ ﷺ: «أنا أعلمكم بالله»، رقم: ٢٠، قال: «إنَّ أَتقَاكُم وَأَعلَمَكُم بِالله أنا».

(٢) سورة البينة.

الثَّالِثُ"، يَتحدَّثُ بِتوفِيقِ اللهِ وكَرَمِهِ ﷻ: عَن المَرتبَةِ الرَّابِعَةِ العُظمَى مِن مَراتِبِ التَّقوىٰ ألَا وَهِيَ: العَمَلُ بالمبرَّاتِ أَو الطَّاعاتِ، "المُتضمِّنَةِ لِلأركَانَ الخَمسَةِ فِي الإِسلَامِ مِن تَوحِيدٍ وأحكَامٍ": كَمَا قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾(١)، أَي: أنَّه تعالىٰ مَا خَلَقَهُم إلَّا لِغَايةٍ كَمَاليَّةٍ أَلَا وَهِيَ: العِبَادَةُ الخَالِصَةُ لِوجهِهِ ﷻ لِنكُونَ عَلَىٰ الإِيمَانِ الخَالِصِ، والدِّينِ الكَامِلِ الصَّالِحِ.

أيُّهَا الأخُ الكَرِيمُ: قالَ ـ جَلَّ ذِكرُه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾(٢)، قَالَ العَلَّامَةُ ابنُ كَثِيرٍ ؒ فِي "تَفسِيرِهِ": أي: مَهمَا أمَرَكُم به فَافعَلُوهُ، ومَهمَا نَهَاكُم عنه فَاجتَنِبُوهُ، فَإنَّهُ إنَّمَا يأمُر بخيرٍ، وإنَّمَا ينهَىٰ عَن شَرٍّ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، أي: اتَّقُوهُ في امتِثَالِ أوَامِرِهِ، وتَركِ زَوَاجِرِهِ، فَإنَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ لِمَن عَصَاهُ، وخَالَفَ أمرَه وأبَاه، وارتكَبَ مَا عَنه زَجَرَهُ ونَهَاهُ(٣).

وهَذا شَامِلٌ لِأصولِ الدِّينِ وفُرُوعِهِ، ظَاهِرِه وبَاطِنِه، وأنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ يَتعيَّنُ عَلَىٰ العِبَادِ الأخذُ بِهِ واتِّبَاعُه، ولا تَحِلُّ مُخَالَفَتُهُ، وأنَّ نَصَّ الرَّسُولِ ﷺ عَلَىٰ حُكمِ الشَّيءِ كَنَصِّ اللهِ تعالىٰ، لا رُخصَةَ لأحدٍ ولا عُذرَ لَهُ فِي تَركِهِ، ولا يَجُوزُ تَقدِيمُ قَولِ أحدٍ عَلَىٰ قَولِهِ.

ثمَّ أمَرَ بتَقوَاه الَّتِي بِهَا عِمَارَةُ القُلوبِ والأروَاحِ والدُّنيَا والآخِرَةِ، وبِهَا السَّعادةُ الدَّائمَةُ والفَوزُ العَظِيمُ، وبإضَاعَتِها الشَّقَاءُ الأبَدِيُّ والعَذَابُ السَّرمَدِيُّ(٤).

---

(١) سورة الذاريات.

(٢) سورة الحشر.

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/٣٣٦ ـ ٣٣٧).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدّي: (ص٨١٣).

وفِي الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ وجُوبِ الأخذِ بالسُّنَنِ الصَّحِيحَةِ فِي كُلِّ الأمُورِ، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾[1]، وكَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «القُرآنُ صَعبٌ مُستَصعَبٌ عَلَىٰ مَن كَرِهَهُ، وهُو: الحَكم، فَمَنِ استَمسَكَ بِحَدِيثِي وفَهِمَهُ وحَفِظَهُ جَاءَ مَعَ القُرآنِ، ومَن تَهاوَنَ بِالقُرآنِ وحَدِيثِي فقد خَسِرَ الدُّنيا والآخِرَة، أُمِرَت أُمَّتِي أنْ يَأخذوا بِقَولِي، ويُطِيعُوا أمْرِي، ويتَّبعُوا سُنَّتِي، فَمَن رَضِيَ بِقَولِي فَقَدْ رَضيَ بالقران، قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾»[2].

وَفِي رِوَايةٍ أُخرَىٰ: «القُرآنُ صَعبٌ مُستَصعَبٌ عَلَىٰ مَن كَرِهَهُ، مُيَسَّرٌ عَلَىٰ مَن اتَّبَعَهُ، وهُوَ: الحَكمُ، وحَدِيثِي صَعبٌ مُستَصعَبٌ، وهُو: الحَكمُ، فَمَنِ استَمسَكَ بِحَدِيثِي وفَهِمَهُ وحَفِظَهُ جَاءَ مَعَ القُرآنِ، ومَن تَهاوَنَ بِالقُرآنِ وبِحَدِيثِي خَسِرَ الدُّنيا والآخِرَة»[3].

وفِي أُخرَىٰ: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئاً علىٰ أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ من حَدِيثِي فيقول: بَينَنَا وَبَينَكُم كِتَابُ الله ﷻ فما وَجَدنَا فيه من حَلالٍ استَحلَلنَاهُ وما وَجَدنَا فيه من حَرَامٍ حَرَّمنَاهُ، أَلا وَإنَّ ما حَرَّمَ رسولُ الله ﷺ مِثلُ ما حَرَّمَ اللهُ»[4].

(١) سورة البقرة.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (٢/١٨٩)، تفسير القرطبي: (١٨/١٢)، وانظر الكتاب الموسوم بـ: حجية السُّنة: للعلامة الدكتور عبد الغني عبد الخالق ؒ، (ص: ٣١٠).
(٣) أخرجه علي بن حسام الدين في كنز العمال، (١/٢٧٥)، وقال: رواهُ أبو نعيم.
(٤) سنن أبي داود: كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة، رقم: (٤٦٠٥)، سنن الترمذي: كتاب العلم ـ باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله، رقم: (٢٦٦٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجه: المقدمة ـ باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ علىٰ من عارضه، رقم: (١٣)، واللفظ له، مسند أحمد: رقم: (١٧١٠٨)، (١٧١٢٨).

عَن أَبِي مُوسَىٰ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ ما بَعَثَنِي الله بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أتىٰ قَومَهُ، فقال: يا قَومِ إني رأيت الجَيشَ بِعَينَيَّ وَإِنِّي أنا النَّذِيرُ العُريَانُ(١) فَالنَّجَاءَ(٢)، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ من قَومِهِ فَأَدلَجُوا(٣) فَانطَلَقُوا على مُهلَتِهِم، وَكَذَّبَت طَائِفَةٌ منهم فَأَصبَحُوا مَكَانَهُم، فَصَبَّحَهُم الجَيشُ فَأَهلَكَهُم وَاجتَاحَهُم(٤)، فَذَلِكَ مَثَلُ من أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ ما جِئتُ بِهِ، وَمَثَلُ من عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ»، مُتَّفَقٌ عليه(٥).

قالَ الخَطِيبُ فِي "الكِفَايَة": فَإِنَّ اللهَ ﷻ أنقَذَ الخَلقَ من نائرةِ(٦) الجهلِ، وخلَّصَ الوَرَىٰ مِن زَخَارفِ الضَّلالَةِ بالكِتَابِ النَّاطقِ والوَحي الصَّادِقِ المُنزَّلَينِ عَلَىٰ سَيِّدِ الوَرَىٰ نَبيِّنا محمَّدٍ المصطَفَىٰ ﷺ، ثُمَّ أوجَبَ النَّجَاةَ من النَّار وأبعد عن منزلِ الذلِّ والخسارِ لمن أطاعَه في امتثالِ ما أمرَ، والكفِّ عمَّا عنه نهىٰ وزجرَ، فقالَ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(٥٢)(٧)، وطاعةُ اللهِ في طاعةِ رسولِه، وطاعةُ رسولِهِ في اتِّباعِ سُنَنِهِ، إذ هِيَ النُّورُ البَهِيُّ، والأمرُ

---

(١) النذير: هو الذي ينذر قومه العدو فيستعدون له، وكانت عادة النذير أن يخلع ثوبه ويشير به إلىٰ قومه، وهو عريان، إيذاناً بشدة الخطر.

(٢) أي: اسلكوا طريق النجاة قبل أن يدهمكم العدو.

(٣) بادروا بالسير.

(٤) استأصلهم بالهلاك؛ لأنهم لم يسمعوا إنذار النذير.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: ٧٢٨٣، صحيح مسلم: كتاب الفضائل ـ باب شفقته ﷺ، علىٰ أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، رقم: ٢٠٩، ٢٢٨٦.

(٦) النَّائرةُ: الحِقدُ والعَداوَة، وقال الليث: النَّائرةُ الكائنةُ تقع بين القَوم، وقال غيرُه: بينهم نائرةٌ أي: عَداوَة. انظر: تاج العروس: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزَّبيدي الملقب بـ"مرتضىٰ": (ت١٢٠٥هـ)، (٣٢٦/١٤).

(٧) سورة النور.

الجَلِيُّ، والحُجَّةُ الواضِحةُ، والمَحَجَّةُ اللّائحَةُ، من تمسَّكَ بها اهتَدىٰ، ومن عدلَ عنها ضلَ وغوَىٰ(١).

وقالَ أكملُ الرُّسلِ ﷺ مخبراً عَن رَبِّه ﷻ: «مَن عَادَىٰ لِي وَلِيّاً(٢) فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الذي يَسمَعُ بِهِ(٣)، وَبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ بِهِ(٤)، وَيَدَهُ الَّتِي يَبطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتِي يَمشِي بِهَا(٥)، وَإِن سَأَلَنِي لأُعطِيَنَّهُ وَلَئِن استَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ(٦)، وَمَا تَرَدَّدتُ عَن شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَن نَفسِ المُؤمِنِ يَكرَهُ المَوتَ وَأَنَا أَكرَهُ مَسَاءَتَهُ»(٧)

أي: ما ردَّدتُ رسُلِي في شيءٍ أنا فَاعِلُهُ كَترديدِي إيَّاهُم في نَفسِ المؤمِن «يَكرَهُ المَوتَ»؛ لِما فيه من الألَمِ العظيمِ «وَأَنَا أَكرَهُ مَسَاءَتَهُ». قال الإمامُ الجنيد بن

(١) الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي، (ص٢).
(٢) وإنَّما قال: «من عادىٰ لي ولياً»، ولم يقل: ولياً لي، تفخيماً لشأن العداوة، لأنَّ في الأوَّل إيذاناً بأن عداوة وليٍّ كأنها عداوة الله تعالَىٰ، بخلاف الثاني، ينظر: فيض الباري: لمحمد أنور الكشميري: (ت١٣٥٢هـ)، (٧/٥١٤).
(٣) فلا يسمع إلا ما يرضي ربه تعالَىٰ، كقرآن وذكر ودعاء.
(٤) فلا يبصر إلا في طاعة الله تعالَىٰ وما يرضيه، كنظره في عجائب المخلوقات، ومصحف، وكتب علم. ينظر: التاج الجامع للأصول: للشيخ منصور علي ناصف ﵀.
(٥) فلا يحركها إلا في طاعة الله وما يرضِيه. وزاد الطبراني في المعجَم الكبير: (٨/٢٠٦): «وَلِسَانَهُ الذي يَنطِقُ بِهِ وَقَلبَهُ الذي يَعقِلُ بِهِ».
(٦) فإذا صار الشخص عبدا لله في كل أحواله: في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته كان عبداً ربانياً أينما طلبه وجده، وأينما سأله أعطاه، وفي روايةٍ: "ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة"؛ قال زين الدين، عبد الرؤوف، محمد علي بن زين العابدين الحدادي المناوي: (ت١٠٣١هـ) في الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، (ص١٠٤): رواهُ أبو نعيم والحاكم والديلمي وابن عساكر.
(٧) صحيح البخاري: كتاب الرقاق ـ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

محمدٍ رضي الله عنه: الكراهةُ هنا لمَا يَلقَىٰ المُؤمنُ مِنَ الموتِ وصعوبتِه، وليس المعنىٰ إنِّي أكرهُ لَه الموتَ؛ لأنَّ الموتَ يوردُه إلىٰ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ومغفرتِه(١).

قَالَ صَاحِبُ "إرشَادِ السَّارِي": وفِي ذَلِكَ دِلالَةٌ عَلَىٰ شَرَفِ الأَولِيَاءِ ورِفعَةِ منزِلَتِهم، حَتَّىٰ لَو تَأَتَّىٰ أنَّه تعالىٰ لا يُذِيقُهُم المَوتَ الَّذِي حتَّمَه عَلَىٰ عِبَادِه لَفَعَلَ؛ ولِهَذَا المَعنَىٰ ورَدَ لَفظُ التَّردُّدِ، كَمَا أنَّ العَبدَ إذَا كَانَ لَهُ أَمرٌ لَا بُدَّ لَهُ أن يَفعَلَهُ بِحَبِيبِه لكِنَّهُ يؤلِمُهُ، فإن نَظَرَ إلىٰ أَلَمِه.. انكَفَّ عَنِ الفِعلِ، وإن نَظَرَ إِلَىٰ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَه مِنهُ أن يفعلَه لمنفعتِه.. أقدَمَ عَلَيهِ، فيعبِّر عَن هذِهِ الحَالَةِ في قَلبِه بالتَّردُّدِ، فَخَاطَبَ اللهُ الخَلقَ بِذلِكَ عَلَىٰ حَسبِ مَا يَعرفُونَ، ودَلَّهُم بِهِ عَلَىٰ شَرَفِ الوَلِيِّ عِندَهُ ورِفعَةِ دَرَجَتِهِ. انتَهَىٰ(٢)، فَتَأَمَّل.

قُلتُ: أجمَلُ مَا فِي الدُّنيَا هُو المَوتُ؛ لأنَّه رحلَةٌ سَرِيعَةٌ إلَىٰ رَحمَةِ اللهِ وجنَّتِهِ، وفِيهَا رضوانُ اللهِ ومُشَاهَدتُه، لِقَولِه تعالىٰ: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤﴾(٣)، ولِقولِه ﷺ: «المَوتُ تُحفَةُ المُؤمِنِ»(٤)، وأمَّا لَفظُ التَّردُّدِ «وَمَا

(١) فتح الباري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: (ت٨٥٢هـ)، (١١/٣٤٦).

(٢) إرشاد الساري، بشرح صحيح البخاري: للعلّامة أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: (ت ٩٢٣ هـ)، (٩/٢٩٠). قال ابن حجر العسقلاني في "الفتح" (١١/٣٤٦): قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء: في هذا الحديث عِظَمُ قدر الولي، لكونه خرج عن تدبيره إلىٰ تدبير ربِّه، وعن انتصاره لنفسه إلىٰ انتصار الله له، وعن حوله وقوته بصدق توكُّله، قال: ويؤخذ منه أن لا يحكم لإنسان آذىٰ وليا ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده بأنَّه سلم من انتقام الله، فقد تكون مصيبته في غير ذلك ممَّا هو أشدُّ عليه، كالمصيبة في الدِّين مثلاً.

(٣) سورة البقرة.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب: (٤/٢٣٨)، رقم: ٦٧١٥، قال العجلوني في كشف الخفاء: (٢/٣٨٣): رواهُ الديلمي عن جابر رضي الله عنه بزيادة: «والدِّرهم والدِّينار مع المنافقِ، وهما زاده إلىٰ النار»، ورواهُ عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «الموت غنيمة، والمعصية مصيبة، والفقر راحة، والغنىٰ عقوبة، والتَّائب من الذنب كمن لا ذنب له».

تَرَدَّدتُ» فَهُوَ بَينَ الأمرِ المُحتَّمِ، وهُو الفَنَاءُ والمَوتُ، لأنَّ الحَبِيبَ لا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ ١٨﴾[١]، وَلَكِن جَعلَ اللهُ البَلاءَ فِيه التَّكفِيرُ للسَّيِّئات، ومَضاعَفَةُ الحَسَنَاتِ، ورَفعُ الدَّرجَاتِ؛ لأنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ، مَعَ عِظَمِ البَلاءِ[٢]، فَقَد سُئِلَ أكمَلُ الرُّسِلِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «الأَنبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمثَلُ فَالأَمثَلُ، فَيُبتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِن كَانَ دِينُهُ صُلباً، اشتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِن كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ[٣]، فَمَا يَبرَحُ البَلاءُ بِالعَبدِ حتَّى يَترُكَهُ يَمشِي عَلَى الأَرضِ مَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ[٤]»[٥]، حتَّى إذا بقىٰ عليه شيءٌ.. شدَّدَ عليه السَّكرات؛ حتَّى يلقىٰ اللهَ وليسَ عليه خطيئةٌ تُذكرُ؛ لقوله ﷺ مخبراً عن ربِّه ﷻ: «إنِّي لا أُخرِجُ أحَداً مِنَ الدُّنيا، وأنَا أُرِيدُ أن أَرحَمَهُ، حتَّى أُوفِيهِ بِكُلِّ خَطِيئَةٍ كَانَ عَمِلَهَا سَقَماً فِي جَسَدِهِ، ومُصِيبَةً فِي أهلِهِ وَوَلَدِهِ، وضِيقاً فِي مَعَاشِهِ، وإقتَاراً فِي رِزقِهِ، حتَّى أبلُغَ مِنه مَثَاقِيلَ الذَّرِّ، فَإِن بَقَى عَلَيهِ شَيءٌ شَدَّدتُ عَلَيه المَوتَ حتَّى يُفضِيَ إليَّ كَيَومِ وَلَدَتهُ أُمُّهُ»[٦].

---

(١) سورة المائدة.

(٢) كما قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مع عِظَمِ البَلاءِ، وَإِنَّ الله إذا أَحَبَّ قوماً ابتَلاهُم فَمَن رضىٰ فَلَهُ الرِّضا، وَمَن سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»، سنن الترمذيِّ: كتاب الزهد ـ باب ما جاء في الصَّبر على البلاء، رقم: ٢٣٩٦، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) دينه صلباً: أي قوياً، وفي دينه رقة: أي ضعف.

(٤) فأعظم الناس بلاءً الرسل، فالأنبياء، فمن يليهم في الدرجة والقرب من الله تعالَىٰ ـ كالأولياءِ والخيار من الناس، والأتقياء ليعظم أجرهم.

(٥) مسند أحمد، رقم: ١٤٨١، ١٤٩٤، ١٥٥٥، ١٦٠٧، سنن الترمذي: كتاب الزهد ـ باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، رقم: ٢٣٩٨، سنن ابن ماجه: كتاب الفتن ـ باب الصبر علىٰ البلاء، رقم: ٤٠٢٣، سنن الدارمي: كتاب الرقاق ـ باب في أشد الناس بلاء، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح". و«الأَمثَلُ فَالأَمثَلُ»: في "النهاية": أي الأشرف فالأشرف، والأعلىٰ فالأعلىٰ في الرتبة والمنزلة. يقال: هذا أمثل من هذا، أي أفضل وأدنىٰ إلىٰ الخير. ينظر: المسند: (٢/٢٢٧).

(٦) التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة: للإمام القرطبي: (١/٣٨)، شرح الصدور، بشرح=

"أي أخِي" لو يَعلَمُ المُحِبُّ مَا في المَرَضِ والبَلَاءِ مِنَ الحَسَنَاتِ والدَّرجاتِ لتمَنَّىٰ أن يستَمرَّ علَيه هَذا[١]، "والصَّالِحونَ يتلذَّذُونَ بالبَلاءِ"، فإن عافَاهُم اللهُ شَكرُوه، وإنِ ابتَلاهُم صَبَروا وسَألُوه العَافِيةَ، ونسألُه ﷻ العَفوَ والعَافِيةَ والمُعافَاة الدائمَةَ في الدُّنيا والآخرة[٢]، ووَرَدَ أنَّ بلالاً رضي الله عنه قال عِندَ موتِه: «وَافَرحَاه غَدَاً نَلقَىٰ الأحِبَّةَ مُحَمَّداً وحِزبَه»[٣].

"أي أخي": اعلَم أنَّ عَظيمَ العَمَلِ بالطَّاعَاتِ، قَولُه ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ عَلَىٰ خَمسٍ، شَهادَةِ أن لا إلَهَ إلا الله وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإقَامِ الصَّلاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَومِ رَمَضَانَ». مُتَّفَقٌ علَيهِ[٤]، وفي لفظِ مسلمٍ: «إنَّ الإسلامَ

= حال الموتىٰ والقبور: لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي: (ت٩١١هـ)، (ص٣٦).

(١) لقول رسول الله ﷺ: «يَوَدُّ أَهلُ العَافِيَةِ يوم القِيَامَةِ حين يُعطَىٰ أَهلُ البَلاءِ الثَّوَابَ لو أن جُلُودَهُم كانت قُرِضَت في الدُّنيا بِالمَقَارِيضِ». سنن الترمذي: كتاب الزهد، رقم ٢٤٠٢، قال عبد العظيم بن عبد القوي المنذري في التَّرغيب والتَّرهيب، (١٧٥/٤): رواهُ الترمذي، وابن أبي الدُّنيا، من رواية عبد الرحمن بن مغرا، وبقية رواته ثقات، وقال الترمذي: حديث غريب، ورواهُ الطبراني في "الكبير"، عن ابن مسعود موقوفاً عليه، وفيه رجل لم يسم.

(٢) قال أهلُ العلمِ: المرض منه ثواب، لا يمنع سؤال الله العفو والعافية، كما في الخبر عن ابن عمر قال: لم يَكُن رسول الله ﷺ يَدَعُ هَؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ حين يُمسِي وَحِينَ يُصبِحُ: «اللَّهم إني أَسأَلُكَ العَافِيَةَ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ، اللَّهم إني أَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ في دِينِي وَدُنيَايَ وَأَهلِي وَمَالِي، اللَّهم استُر عَورَتِي، وقال عُثمَانُ: عَورَاتِي وَآمِن رَوعَاتِي، اللَّهم احفَظنِي من بَينِ يَدَيَّ وَمِن خَلفِي وَعَن يَمِينِي وَعَن شِمَالِي وَمِن فَوقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَن أُغتَالَ من تَحتِي»، قال أبو داود: قال وكيع: يعني الخسف، سنن أبي داود: كتاب الأدب ـ باب ما يقول إذا أصبح، رقم: ٥٠٧٤. وهو حديث صحيح. ينظر: عون المعبود علىٰ سنن أبي داود: لشمس الحق الدَّيانوي (ت١٣٢٩هـ)، (ص٢١٦٧): وهو من تأليفه حقيقةً، ونسبه إلىٰ أخيه محمد أشرف كما في نزهة الخواطر لعبد الحي الحسني: (١٧٩/٨).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٣٥٩/١).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب بني الإسلام علىٰ خمس، رقم: ٨، صحيح مسلم:=

بُنِيَ علىٰ خمسٍ، شَهَادَةِ أن لا إِلَهَ إلا الله، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيت»(١).

والحديثُ مِن جَوامِعِ كَلِمهِ ﷺ المُشَارُ إلَيها بقولِه: «أُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، واختُصِرَ لِيَ الكَلَامُ اختِصَاراً»(٢)، وفي روايةٍ: «بُعِثتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ»(٣).

ومِن معاني جوامعِ الكَلِم: هي القواعدُ الكلِّيَّةُ الجامعةُ للفروعِ الجزئيَّة، أو الكلماتُ اليسيرةُ الجامعةُ للحِكَمِ الغزيرةِ والمعانِي الكثيرةِ(٤)؛ لذا فقد جاءَ النَّص الشَّريفُ في غايةِ الحُسنِ وفي نهايةِ درجاتِ الفصاحةِ والبلاغة، وذلِك: أنَّ البناءَ لا يكونُ إلَّا في المحسُوساتِ، واستعمَلَه في المعقولاتِ مجَازاً بالاستعارَة، وتقريرُه: أن يقالَ: شبَّه دينَ الإسلامِ بحِصنٍ مَبني علىٰ أقومِ الدَّعائم وأعظمِ الأركانِ بجامعِ الرَّصانَة والصِّيانة في كلٍّ منهما، فإنَّ الحِصنَ الرَّصينَ يصونُ ويمنعُ عن

= كتاب الإيمان ـ باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم: ١١٣.

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم: ١١٤.

(٢) قال العجلوني في كشف الخفاء: رواهُ العسكري عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلاً، ورواهُ النسائي عن ابن عباس بلفظ: أعطيت... وله شاهد في "الصحيح".

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير ـ باب قول النبي ﷺ: "نصرت بالرعب مسيرة شهر"، رقم: ٢٩٧٧، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ١١٦٨، ورواهُ الديلمي بلا سند عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه بلفظ: «أُعطيتُ جوامعَ الكلمِ واختُصِرَ ليَ الكلامُ اختِصَارا"، وفي خبر آخر، رواهُ الإمام أحمد: «أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ، وَعَلِمتُ كَم خَزَنَةُ النَّارِ وَحَمَلَةُ العَرشِ، وَتُجُوِّزَ بي، وَعُوفِيتُ، وَعُوفِيَت أمتي، فَاسمَعُوا وَأَطِيعُوا ما دُمتُ فِيكُم، فإذا ذُهِبَ بي فَعَلَيكُم بِكِتَابِ الله، أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ»، قال أحمد محمد شاكر: إسناده حسن، بالإسناد قبله. ينظر: المسند: (٦/١٧٧)، رقم: ٦٦٠٦.

(٤) قال الإمام البخاري: بلغني أن جوامع الكلم هو أن الله تعَالَىٰ يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين أو نحو ذلك. ينظر: الكواكب الدَّراري في شرح البخاري: لشمس الدين محمد بن يوسف الكرماني: (ت٧٨٦هـ)، (٦/٤٥٤).

الوُقوْعِ فِي أيدِي الأعدَاءِ، كمَا أنَّ الدِّينَ المَتينَ يصونُ ويمنَعُ مِنَ الوقُوعِ في نَارِ المُخالفاتِ في الدُّنيا، والسُّقوط في نارِ جهنَّم في الآخِرَة[(١)].

"قُلنَا": المَرتَبَةُ العُظمَىٰ مِن مراتب التَّقوىٰ: هي الأمُور الخمسةُ: لأنَّ الإسلامَ غيرُ منحصرٍ في هذهِ الأشياء الخمسة؛ لأنَّ الفرائضَ والوَاجباتِ التي يتعيَّن الإذعان لهَا والعملُ بِها والسُّنن والمندوبَاتِ، كالمقرِّباتِ والمحبُوباتِ الَّتي حضَّ علَيها الشَّارع ﷺ وندبَ الأمَّة إليها وهي كثيرةٌ، وكلُّها داخلة في الأعمال التي هي داخلة بمفهوم الإسلامِ، غيرَ أنَّ أعظمَها وأهمَّها وأعلاهَا هذه الخمسة، ويدُلُّ علىٰ ذلك أحاديثُ أخرىٰ، فمنها: قوله ﷺ: «الإِيمَانُ بِضعٌ وَسَبعُونَ[(٢)] شُعبَةً، أَفضَلُهَا لا إِلَهَ إلا الله، وَأَوضَعُهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَن الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعبَةٌ[(٣)] مِن الإِيمَانِ»[(٤)].

ومنها: حديثُ جبريلَ المشهورُ عندمَا سَئلَ رسولَ الله ﷺ عَنِ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ.

---

(١) انظر إلىٰ الكتاب الموسوم المسمىٰ: ضوء الشمس في قوله ﷺ: بني الإسلام علىٰ خمس، للعلامة الشيخ محمد أبي الهدىٰ الصيادي: (ت: ١٣٢٨هـ)، (١/١٢ ـ ١٤).

(٢) وفي رواية مسلم في كتاب الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون بشك، والبضعة والبضع بكسر أولهما، وفتحه في العدد، ما بين الثلاث والعشر، وقيل: البضع سبع، وقيل: من ثلاث إلىٰ تسع، والشعبة: القطعة من الشيء، والمراد بها هنا: الخصلة من أمور الدين. التاج الجامع للأصول: (١/٢٧).

(٣) والحياء: لباس جميل، وهو خلق يبعث علىٰ ترك القبيح وفعل المليح.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب أمور الإيمان، رقم: ٩، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، رقم: ١٥١، سنن أبي داود: كتاب السنة ـ باب في رد الإرجاء، رقم: ٤٦٧٦، سنن الترمذي: كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، رقم: ٢٦١٤، سنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه ـ باب ذكر شعب الإيمان، رقم: ٥٠٠٥.

ومِنها: قولُه تعالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[١].

قال العلَّامةُ الآلوسِيُّ في "تَفسيرِه": والآيَةُ كمَا تَرىٰ مشتملةٌ علىٰ خمسَ عشرةَ خصلة، وترجعُ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

فالخَمسَةُ الأُولَىٰ مِنها تتعلَّقُ بالكمَالاتِ الإنسانيَّةِ الَّتِي هيَ مِن قَبيلِ صحَّةِ الاعتقادِ، وآخرها، قوله: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وافتتَحها بالإيمانِ باللهِ واليوم الآخرِ؛ لأنَّهما إشارة إلىٰ المبدأ والمعاد اللَّذَينِ هما المَشرقُ والمَغربُ في الحقيقةِ، فيلتئِم مع ما نَفاه أوَّلاً غاية الالتئام.

والسِّتَّةُ الَّتي بعدَها: تتعلَّقُ بالكَمَالاتِ النَّفسِيَّة الَّتِي هِيَ مِن قَبِيلِ حسنِ مُعاشرةِ العِبادِ، وأوَّلُها: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ وأخرُها: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾.

والأَربعةُ الأخِيرةُ: تَتعَلَّقُ بالكَمَالاتِ الإنسَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِن قَبِيلِ تَهذِيبِ النَّفسِ، وَأوَّلُهَا: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وآخِرُهَا: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾.

"ولَعَمرِي مَن عَمِلَ بِهَذهِ الآيَةِ.. فَقَدِ استَكمَلَ الإيمَانَ ونَالَ أقصَىٰ مَرَاتبَ الإيقانِ". انتهىٰ[٢].

(١) سورة البقرة.
(٢) روح المعاني: (٤٨/٢).

اللَّهمَّ أنتَ العالمُ بسرائرِنا فأصلِحها ، وأنت العالمُ بحوائجِنا فاقضِها ، وأنت العالمُ بذنوبِنا فاغفرها ، وأنتَ العالمُ بعيوبِنا فاسترُها ، لا ترَنَا حيثُ نهيتَنا ولا تفقِدنا حيثُ أمرتَنا ، لا تجعلنَا من الغافِلينَ ، اللَّهمَّ ألهِمنَا رُشدَنَا وأعِذنَا مِن شَرِّ أنفسِنا ، وأشغِلنَا بِكَ عمَّن سواكَ ، اقطع عنَّا كلَّ قاطعٍ يقطعُنا عنكَ ، ألهمنَا ذكركَ وشكركَ وحسنَ عبادتِكَ ، لا إلهَ إلَّا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ ، ما شاء اللهُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العَليِّ العَظِيمِ .



رُكْن التَّوحيد

"أي أخي": قالَ أكملُ الرُّسلِ ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ عَلَىٰ خَمسٍ»، فَقد جعلَ الشَّارِعُ الحَكِيمُ ﷺ، أوَّل واحدةٍ منها أساساً وباقِيها أركَاناً، فكمَا أنَّ البِناءَ لا يقومُ إلَّا علىٰ أساسٍ، كذلِكَ الصلاةُ، والزكاةُ، والصومُ، والحجُّ، لا تصحُّ، بَل لا تنفعُ، إلَّا بَعدَ وجودِ الأساسِ، وهو: الشَّهادتانِ: فَهمَا أصلُ الأصولِ الَّتِي مَن حُرِمَها فهو مِن رحمةِ اللهِ محرومٌ، قالَ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢﴾[1].

ومعنىٰ "لا إله إلَّا اللهُ" نَفيُ الأُلوهيَّة عمَّا سِوىٰ اللهِ وإثباتُهَا لَهُ وحدَهُ.

"والأُلوهِيَّةُ": استِحقاقُ صفاتِ الكَمالِ كلِّها فلا مَعبودَ إلَّا الله، ولا خالقَ ولا رَازِقَ إلَّا الله، ولا مُعطيَ ولا مانع إلَّا الله، ولا ضارَّ ولا نافِع إلَّا الله، وهكذا في جميع المُلك والمَلكوت، لا يملك أحدٌ مِثقالَ ذَرَّةٍ في السَّماواتِ ولا في الأرضِ، كما قالَ تعالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝٢٢﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ۝٣﴾[3].

(١) سورة المائدة.
(٢) سورة سبأ.
(٣) سورة الفرقان.

ولو أَمكن أن يكون له سُبحانَه شريكٌ في الألوهيَّة لوجَب أن يتَّصفَ ذلكَ الشريكُ بصفاتِ الألوهيةِ: من نَفاذ القُدرةِ، وشُمولِ العلمِ والإرادةِ، ولأدَّىٰ ذلكَ إلىٰ اختلافِ الإراداتِ، فيُريدُ أحدُ الإلهَين مثلاً وجودَ شيءٍ ويُريد الآخر عدمَه، ومُحالٌ أن يحصلَ المُرادان معاً؛ لاستِحالةِ اجتماعِ الضِّدَّين، كذلِك أن لا يحصلَ شيء منهُما، إذ يُؤدي ذلك إلىٰ فسادِ العالم وعدمِ وجودِ شيء فيه وهو باطلٌ، ولم يَبقَ إلَّا أن يحصلَ مرادُ أحدِهما فقط، وذلك دليلٌ علىٰ نَفاذِ قُدرتِه واستِحقاقِه الألوهيَّةَ، فدلَّ ذلك بطريقِ العقلِ علىٰ امتِناع الشَّريك في الألوهية، كمَا قالَ تعَالَىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[٢].

و"الشَّهادةُ" هي: الرُّكن الأوَّل، والأساسُ الَّتي تُبنىٰ علَيها العبادةُ، وهي: المانعةُ من الخلودِ في الجحيم؛ لمَا روىٰ الشَّيخان عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: «يَخرُجُ مِن النَّارِ[٣] مَن قَالَ لا إِلَهَ إلا اللهُ[٤]، وَفِي قَلبِهِ وَزنُ شَعِيرَةٍ[٥] مِن

(١) سورة الأنبياء.
(٢) سورة المؤمنون.
(٣) أي: بشفاعة من يأذن الله لهم بالشفاعة، أو برحمة الله تعَالَىٰ.
(٤) مع قرينتها: "محمد رسول الله" ﷺ.
(٥) الشعيرة: حبة الشعير. والبرة: حبة البر، وهو القمح. والذرة: أصغر النمل. وقال ابن بطال: قال ابن المهلب: الذرة أقل الموزونات وهي في الحديث التصديق الذي لا يجوز أن يدخله النقص وما في البرة والشعيرة من الزيادة على الذرة، فإنما هي زيادة من الأعمال يكمل التصديق بها وليست زيادة في نفس التصديق. فإن قيل: لِما أضاف هذه الأجزاء التي في الشعيرة، والبرة الزائدة إلىٰ القلب دل أنها زائدة من التصديق لا من الأعمال؟ والجواب: إنه لما كان الإيمان التام إنما هو قول وعمل، والعمل لا يكون إلا بنية وإخلاص من القلب، جاز أن ينسب العمل إلىٰ القلب؛ إذ تمامه بتصديق القلب، وقد عبر عن هذه الأجزاء من الأعمال مرة بالخير ومرة بالإيمان، وكل شائع سائغ.=

خَيرٍ ، وَيَخرُجُ مِن النَّارِ مَن قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَفِي قَلبِهِ وَزنُ بُرَّةٍ مِن خيرٍ ، وَيَخرُجُ مِن النَّارِ مَن قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَفِي قَلبِهِ وَزنُ ذَرَّةٍ مِن خَيرٍ»(١).

ورحمَ اللهُ الإمامَ الشَّافعيَّ حيثُ قال:

إن كُنتَ تَغدُو فِي الذنوبِ جَلِيدَا ❁ وَتَخَافُ فِي يَومِ المَعَادِ وَعِيدَا
فَلَقَد أَتَاكَ مِنَ المُهَيمِنِ عَفوُهُ ❁ وَأَفَاضَ مِن نِعَمٍ عَلَيكَ مَزِيداً
لا تَيأَسَن مِن لُطفِ رَبِّك فِي الحَشَا ❁ فِي بَطنِ أمِّكَ مُضغَةً وَوَلِيدَا
لَو شَاءَ أن تُصلَىٰ جَهَنَّمَ خالِداً ❁ مَا كَانَ أَلهَمَ قَلبَكَ التَّوحِيدَا

فهي: أي: "الشَّهادةُ": البِدَايةُ لكلِّ مسلِمٍ بالنُّطقِ والتَّصدِيق: كمَا قالَ تعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴿١٩﴾﴾(٢)، لذا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يدعُو قَائلاً: «لا إِلَهَ إِلَّا أنتَ سُبحَانَكَ اللَّهمَّ أَستَغفِرُكَ لِذَنبِي وَأَسأَلُكَ رَحمَتَكَ، اللَّهمَّ زِدنِي عِلماً وَلا تُزغ قَلبِي بَعدَ إِذ هَدَيتَنِي، وَهَب لِي مِن لَدُنكَ رَحمَةً إِنَّكَ أنتَ الوَهَّابُ»(٣).

= وقال غير المهلب: ويحتمل أن تكون الذرة وأختاها التي في القلب ثلاثتها من نفس التصديق؛ لأن قول لا إله إلا اللهُ لا يتم إلا بتصديق القلب، والناس يتفاضلون في التصديق إذ يجوز عليه الزيادة بزيادة العلم والمعاينة، أما زيادته بزيادة العلم؛ فلقوله تعَالَىٰ: ﴿أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗا ﴿١٢٤﴾﴾ (سورة التوبة)، وأما زيادته بزيادة المعاينة؛ فلقوله تعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴿٢٦٠﴾﴾ (سورة البقرة)، و﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ (سورة التكاثر) حيث جعل مزية على علم اليقين. ينظر: شرح الكرماني: (١/٤٠٦).

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٤، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ٤٧٧.

(٢) سورة محمد ﷺ.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الأدب ـ باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل، رقم: ٥٠٦١. وسنن النسائي الكبرىٰ: كتاب عمل اليوم والليلة، (٩/٣١٩)، رقم: ١٠٦٣٥، وصحيح ابن حِبَّان: (١٢/٣٤١)،=

روىٰ ابنُ جريرٍ الطبريُّ في "تفسيره"، وابنُ أبي حاتِم، أنَّ قولَه: «شَهَادَةِ أن لا إِلَهَ إلا اللهُ» يقتضي أن يَكونَ الشَّاهِدُ عَالِماً بأنَّ: «لا إِلَهَ إلا اللهُ»، كمَا قالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، وقالَ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾[(١)]، فهي لكلِّ مؤمنٍ في عَمَلِهِ وترقِّيهِ، وهِيَ الأساسُ لكلِّ سَائرٍ إلىٰ اللهِ ﷻ، إلىٰ مَقامِ الإحسانِ واليقينِ: كما قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ۝١٤﴾[(٢)].

والمعنىٰ: حصولُ العلمِ لموسىٰ ﵇ بوحدانيَّةِ اللهِ تعَالَىٰ، ثمَّ فرَّعَ علىٰ ذلك الأمرَ بعبادتِه، والعبادةُ تجمعُ معنىٰ العملِ الدالِّ علىٰ التعظيمِ من قولٍ وفعلٍ وإخلاصٍ بالقلبِ.

ووجه التَّفريعِ: أنَّ انفراده تعالىٰ بالإلَٰهيَّة يقتضي استحقاقَه أن يُعبدَ ﷻ[(٣)].

قالَ العلَّامةُ الرَّازي: يدلُّ ذلكَ علىٰ أنَّ علمَ الأصولِ مقدَّمٌ علىٰ علمِ الفروعِ، لأنَّ التوحيدَ من علمِ الأصولِ، والعبادةَ من علمِ الفروعِ[(٤)].

والمعنىٰ: قدَّمَ ذكر التَّوحيد علىٰ الأمرِ بالعبادةِ، وذلك لأنَّ التوحيدَ أحقُّ بالتقدُّمِ لأنَّه الأساسُ الذي تُبنىٰ عليه العبادةُ؛ فإنَّ غير المُوحِّدِ لا تصحُّ له عبادةٌ كما لا يَخفىٰ.

= رقم: ٥٥٣١، والمستدرك: (٧٢٤/١)، رقم: ٢٠٢٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(١) سورة الزخرف.

(٢) سورة طه.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: (ت: ١٢٨٤هـ)، (١٠٦/١٦).

(٤) تفسير الرازي: (١٩/٢٢).

وما أحسنَ قولَ القائلِ[١]:

أيُّهَا المُقتَدِي لتَطلُبَ عِلمَاً ❁ كلُّ عِلمٍ عبدٌ لِعلمِ الكَلامِ

تَطلُبُ الفِقهَ كَي تُصَحِّحَ حُكمَاً ❁ ثمَّ أغفَلتَ مُنزِلَ الأحكَامِ

فالتَّوحِيدُ: أصلُ أصولِ البرِّ، وعمدةُ أنواعِه، وذلِكَ أنَّهُ يَتوقَّفُ عليه الإخبات لله ربِّ العالمين، الذي هو أعظم الأخلاق الجالبةِ للسَّعادَة، وهو أصل التَّدبير المحمودِ الذي به يحصلُ للإنسَان التَّوجُّه التَّامُّ تلقاءَ الغيبِ، ويعدُّ نفسَه للُّحوقِ به بالوجهِ المُقَدَّسِ، وقَد نبَّه سيدُنا رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ عِظَمِ أمرِه، وكونِ منزلَتِه من أنواعِ البرِّ بمنزلَةِ القلبِ من الجَسَدِ، إذا صَلَحَ.. صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه، وإذا فَسَدَ.. فَسَدَ الجَسَدُ كلُّه، كمَا قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضغَةً[٢]، إِذَا صَلَحَت[٣] صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا، وَهِيَ القَلبُ[٤]»، متفق عليه[٥].

---

(١) هو أبو عبد الله بن مجاهد المتكلم. ينظر: تبيين كذب المفتري: (ص٥٧١).

(٢) هو في اللغة قدر ما يمضغ، وعبر بها عن مقدار القلب، فإنه صغير في الرؤية، مع أن صلاح سائر البدن وفساده تابع له.

(٣) بفتح اللام، وهو الأفصح، وحكىٰ الفراء فيه الضم أيضاً، وهو ضد الفساد، واتفقوا علىٰ أن اللام تضم في الماضي إذا صار الصلاح له هيئة لازمة لشرف ونحوه.

(٤) فإن نسبة القلب إلىٰ سائر الجسد كنسبة الأمير إلىٰ المأمور، وهو الأصل، والأعضاء كالفروع له، وهو معدن العلوم والمعارف والأخلاق والملكات، وهو بعد فنائه في اللذات، والهوىٰ يسمىٰ نفساً. ينظر: فيض الباري: (١/١٥٤)، وتكملة فتح الملهم: للعلامة محمد تقي العثماني، (٧/٥٧٩).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ــ باب فضل من استبرأ لدينه، رقم: ٥٢، صحيح مسلم: كتاب المساقاة ــ باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم: ٤٠٧٠، سنن ابن ماجه: كتاب الفتن ــ باب الوقوف عند الشبهات، رقم: ٣٩٨٤، سنن الدارمي: كتاب البيوع ــ باب في الحلال بين والحرام بين، رقم: ٢٥٣١، وفي مسند أحمد: من حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ بلفظ: «إِنَّ فِي=

عن أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيرَة رضي الله عنهما أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلا الله وَالله أَكبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ(١) فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَأَنَا أَكبَرُ. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا الله وَحدَهُ قَالَ: يَقُولُ الله: لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَحدِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا الله وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ قَالَ الله: لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَحدِي لا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا الله لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمدُ قَالَ الله: لا إِلَهَ إِلا أَنَا لِيَ المُلكُ وَلِيَ الحَمدُ. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا الله وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِالله قَالَ: لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِي. وَكَانَ يَقُولُ مَن قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَم تَطعَمهُ النَّارُ(٢)»(٣).

وعَن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه عَن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «مَن شَهِدَ أَن لا إِلَهَ إِلا الله وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبدُ الله وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ(٤) أَلقَاهَا إِلَىٰ مَريَمَ وَرُوحٌ(٥) مِنهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ،

= الإِنسَانِ مُضغَةً إِذَا سَلِمَت وَصَحَّت سَلِمَ سَائِرُ الجَسَدِ وَصَحَّ وَإِذَا سَقِمَت سَقِمَ سَائِرُ الجَسَدِ وَفَسَدَ أَلا وَهِيَ القَلبُ»، رقم: ١٨٣٢٥.

(١) صدقه ربه وقال أي وقال الرب بيانا لتصديقه أي قرره بأن قال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وهذا أبلغ من أن يقول صدقت.

(٢) قال الطيبي: أي لم تأكله، استعار الطعم للإحراق مبالغة.

(٣) سنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب ما يقول العبد إذا مرض، رقم: ٣٤٣٠ سنن ابن ماجه: كتاب الأدب ـ باب فضل لا إله إلا الله، رقم: ٣٧٩٤، صحيح ابن حِبَّان: (١٣١/٣)، رقم: ٨٥١، المستدرك: (٤٦/١)، رقم: ٨، وصححاه، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وفي رواية: «مَن رُزِقَهُنَّ عِندَ مَوتِهِ لَم تَمَسَّهُ النَّارُ»، أي: من أعطاه الله تعالَىٰ هذه الكلمات عند الموت ووفقه لها لم تمسه النار بل يدخل الجنة ابتداءً مع الأبرار، وفي روايةٍ: «مَا مِن نَفسٍ تَمُوتُ تَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا الله، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرجِعُ ذَلِكَ إِلَىٰ قَلبِ مُوقِنٍ إِلا غَفَرَ الله لَهَا». اللَّهمَّ اجعلنا ممَّن رزقته إيَّاهن. ينظر: شروح سنن ابن ماجه، للسيوطي، والسندي، والدهلوي، والبوصيري، والكنكوهي، والنعماني، قدم له وحققه: رائد بن صبري ابن أبي علفة: (١٣٧٦/٢ ـ ١٣٧٧).

(٤) هي: قوله كن فيكون.

(٥) رحمة من عنده.

أَدخَلَهُ الله ـ ﷻ ـ الجَنَّةَ[١] عَلَىٰ مَا كَانَ مِن عَمَلٍ» ، مُتَّفَقٌ عليهِ[٢].

قالَ الإمامُ النَّووي: هذا حديثٌ عظيمُ المَوقِع ، وهو أجمعُ أو مِن أجمعِ الأحاديثِ المُشتملةِ علىٰ العقائدِ ، فإنَّه ﷺ جمعَ فيهِ ما يخرجُ عن جميعِ مِلَلِ الكفرِ علىٰ اختلافِ عقائدِهِم وتباعدها ، فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف علىٰ ما يُبايِنُ به جميعهم[٣].

"أي عزيزي": إنَّ معانِي هذِه الكلمة الشَّريفة ، هي: شهادةُ أنَّ ما سِوىٰ اللهِ ليسَ بإِلهٍ ، وأنَّ إلَهيةَ ما سواه أبطلُ الباطلِ ، وإثباتُها أظلمُ الظُّلم ، فلا يستحقُّ العبادةَ سِواه ، كما لا تصلح الإلَهيةُ لِغيره ، فتضَمَّنَت نفيَ الإلَهيةِ عمَّا سِواه ، وإثباتها لَه وحدَه لا شريكَ لَه ، وذلكَ يستلزِم الأمرَ باتِّخاذِه إلهاً وحدَه ، والنَّهيَ عن اتِّخاذِ غيره معَه إلهاً ، وهذَا يفهمُه المخاطبُ في النَّفي والإثباتِ ، فإنَّ هذا أمرٌ منه ونَهي ، وقد دَخَلَ في الإلَهيَّةِ جميعُ أنواعِ العبادةِ الصَّادرةِ عن تألُّهِ القلبِ للهِ بالحبِّ والخضوعِ له وحدَه لا شريكَ لَه ـ جلَّ جلاله وعمَّ نواله.

ومعنَىٰ التَّوحيد: تنزِيهُ اللهِ ﷻ عَنِ الحدوثِ والشَّبيهِ والنَّظِيرِ ، فَهو القدُّوسُ فِي ذاتِه ، وصِفَاتِه ، وأفعَالِه ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[٤] ، فهو

---

(١) أي فمن مات علىٰ هذه العقيدة فهو من أهل الجنة ، إلا أنه إن كان فاعلاً للواجبات بعيداً عن المحرمات دخل الجنة بدون عذاب ، وإلا فأمره إلىٰ الله تعَالَىٰ ، إن شاء عذبه بقدر تقصيره وأدخله الجنة ، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب قوله تعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ ، رقم: ٣٤٣٥ ، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعاً ، رقم: ١٣٩.

(٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم: لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف النووي: (ت: ٦٧٦هـ) ، (١/٢٢٧).

(٤) سورة الشورىٰ.

الأزليُّ الأبديُّ: الأوَّلُ بِلا بِداية، والآخرُ بِلا نهاية، كما قالَ ـ جلَّ ثنَاؤه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[(١)]، وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهمَّ أَنتَ الأَوَّلُ فَليسَ قَبلَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الآخِرُ فَليسَ بَعدَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الظَّاهِرُ فَلَيسَ فَوقَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ البَاطِنُ فَلَيسَ دُونَكَ شَيءٌ»[(٢)].

فقوله ﷺ: «وَأَنتَ البَاطِنُ فَلَيسَ دُونَكَ شَيءٌ»، أي: ليس أقرب منك شيءٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ۝٨٥﴾[(٣)]، أي: علماً، وقدرةً، ورؤيةً.

روى البَيهَقيُّ عن مقاتلَ بنِ حيَّان رضي الله عنه قال: بلغنَا في قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كلِّ شيء، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بعد كلِّ شيء، ﴿وَٱلظَّاهِرُ﴾ فوقَ كلِّ شيء، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ أقربُ من كلِّ شيء[(٤)].

فسبحانَ الباطنُ جل وعلا المحتجِبُ عَن أبصارِ الخلائقِ وأوهامِهم، فلا يُدرِكُه بصَرٌ، ولا يُحيطُ بِه وَهمٌ؛ فَهُو العالمُ بكلِّ مَا بَطَن جل جلاله وعمَّ نواله.

قالَ الإمامُ الجنيدُ رضي الله عنه: نفَى القِدمَ عَن كلِّ أوَّلٍ بأوَّليَّتِه، ونفَى البقاءَ عن كلِّ

(١) سورة الحديد.
(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٦٨٢٧، سنن أبي داود: كتاب الأدب ـ باب ما يقال عند النوم، رقم: ٥٠٥١، سنن ابن ماجه: كتاب الدعاء ـ باب ما يدعو به إذا أوىٰ إلىٰ فراشه، رقم: ٣٨٧٣.
(٣) سورة الواقعة.
(٤) أخرجه أحمد بن الحسين بن علي البَيهَقِي: (ت: ٤٥٨هـ) في الأسماء والصفات: عن مقاتل بن حيان، كما في الدر المنثور: (٨/٤٨)، وكما في روح المعاني: (٢٧/١٦٧). وقيل: هو "الأول" قبل كل شيء بلا ابتداء، كان هو ولم يكن شيء موجوداً و"الآخر" بعد فناء كل شيء، بلا انتهاء تفنىٰ الأشياء ويبقىٰ هو، و"الظاهر" الغالب العالي علىٰ كل شيء و"الباطن" العالم بكل شيء، هذا معنىٰ قول ابن عباس. ينظر: تفسير البغوي: (٨/٢٩).

آخرٍ بآخريَّتهِ، واضطرَّ الخلقُ إلىٰ الإقرارِ بربوبيَّته بظاهريَّتِه، وحجبَ الأفهامَ عن إدراكِ كُنهِهِ بإرادته بباطنيَّتِه[(١)].

وقالَ أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبِي طالبٍ ﵁ وكرَّمَ الله وجهَه: إنَّ ربِّي ﷻ هُوَ الأَوَّلُ لَم يَبدُ مِمَّا، وَلَا مُمَازَجُ مَع ما، وَلَا حَالٌّ وَهما، وَلَا شَبَحٌ يُتَقَصَّىٰ، وَلَا مَحجُوبٌ فَيُحوَىٰ، وَلَا كَانَ بَعدَ أَن لَم يَكُن فَيُقَالُ: حَادِثٌ، بَل جَلَّ أَن يُكَيَّفَ المُكَيِّفُ لِلأَشيَاءِ كَيفَ كَانَ، بَل لَم يَزَل وَلَا يَزُولُ لِاختِلَافِ الأَزمَانِ، وَلَا لِتَقَلُّبِ شَانٍ بَعدَ شَانٍ، وَكَيفَ يُوصَفُ بِالأَشبَاحِ، وَكَيفَ يُنعَتُ بِالألسُنِ الفِصَاحِ، مَن لَم يَكُن فِي الأَشيَاءِ فَيُقَالُ: بَائِنٌ، وَلَم يَبِن عَنهَا فَيُقَالُ: كَائِنٌ، بَل هُوَ بِلَا كَيفِيَّةٍ، وَهُوَ أَقرَبُ مِن حَبَلِ الوَرِيدِ، وَأَبعَدُ فِي الشَّبَهِ مِن كُلِّ بَعِيدٍ، لَا يَخفَىٰ عَلَيهِ مِن عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحظَةٍ، وَلَا كُرُورُ لَفظَةٍ، وَلَا ازدِلَافُ ربوَةٍ، وَلَا انبِسَاطُ خُطوَةٍ، فِي غَسَقِ لَيلٍ دَاجٍ، وَلَا إدلَاجٍ لَا يَتَغَشَّىٰ عَلَيهِ القَمَرُ المُنِيرُ، وَلَا انبِسَاطُ الشَّمسِ ذَاتِ النُّورِ، بِضَوئِهَا فِي الكُرُورِ، وَلَا إِقبَالُ لَيلٍ مُقبِلٍ، وَلَا إِدبَارُ نَهَارٍ مُدبِرٍ، إِلَّا وَهُوَ مُحِيطٌ بِمَا يُرِيدُ مِن تَكوِينِهِ، فَهُوَ العَالِمُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَكُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَكُلِّ نَهَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَالأَمَدُ إِلَىٰ الخَلقِ مَضرُوبٌ، وَالحَدُّ إِلَىٰ غَيرِهِ مَنسُوبٌ، لَم يَخلُقِ الأَشيَاءَ مِن أُصُولٍ أَوَّلِيَّةٍ، وَلَا بِأَوَائِلٍ كَانَت قَبلَهُ بَدِيَّةً، بَل خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ خَلقَهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحسَنَ صُورَتَهُ، تَوَحَّدَ فِي عُلُوِّهِ، فَلَيسَ لِشَيءٍ مِنهُ امتِنَاعٌ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيءٍ مِن خَلقِهِ انتِفَاعٌ، إِجَابَتُهُ لِلدَّاعِينَ سَرِيعَةٌ، وَالمَلَائِكَةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ لَهُ مُطِيعَةٌ، علمُهُ بِالأَموَاتِ البَائِدِينَ كَعِلمِهِ بِالأَحيَاءِ المُتَقَلِّبِينَ، وَعِلمُهُ بِمَا فِي

(١) ينظر: عرائس البيان في حقائق القرآن: لأبي محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي (ت: ٦٠٦هـ)، (٣/٣٩٢)، ودفع شُبه من شَبَّهَ وتَمرَّد ونسب ذلك إلىٰ السيد الجليل الإمام أحمد: لأبي بكر بن محمَّد الحصُني الدمشقي: (ت: ٨٢٩هـ)، (ص٦٠).

السَّمَوَاتِ العُلَىٰ كَعِلمِهِ بِمَا فِي الأَرضِ السُّفلَىٰ، وَعِلمُهُ بِكُلِّ شَيءٍ، لَا تُحَيِّرُهُ الأَصوَاتُ، وَلَا تَشغَلُهُ اللُّغَاتُ، سَمِيعٌ لِلأَصوَاتِ المُختَلِفَةِ، بِلَا جَوَارِحٍ لَهُ مُؤتَلِفَةٍ، مُدبِرٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ بِالأُمُورِ، حَيٌّ قَيُّومٌ.

سُبحَانَهُ كَلَّمَ مُوسَىٰ تَكليماً بِلَا جَوَارِحٍ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا شَفَةٍ وَلَا لَهَوَاتٍ، سُبحَانَهُ وَتعالىٰ عَن تَكيِيفِ الصِّفَاتِ، مَن زَعَمَ أَنَّ إِلَهَنَا مَحدُودٌ، فَقَد جَهَلَ الخَالِقَ المَعبُودَ، وَمَن ذَكَرَ أَنَّ الأَمَاكِنَ بِهِ تُحِيطُ، لَزِمَتهُ الحِيرَةُ وَالتَّخلِيطُ، بَل هُوَ المُحِيطُ بِكُلِّ مَكَانٍ، فَإِن كُنتَ صَادِقاً أَيُّهَا المُتَكَلِّفُ لِوَصفِ الرَّحمَنِ، بِخِلَافِ التَّنزِيلِ وَالبُرهَانِ، فَصِف لِي جِبرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسرَافِيلَ هَيهَاتَ أَتعجَزُ عَن صِفَةِ مَخلُوقٍ مِثلِكَ، وَتَصِفُ الخَالِقَ المَعبُودَ؟! فَكَيفَ مَن لَم تَأخُذهُ سِنَةٌ وَلَا نَومٌ؟، الذي لَهُ مَا فِي الأَرَضِينَ وَالسَّمَوَاتِ وَمَا بَينَهُمَا وَهُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ؟! "(١).

وأمَّا التوحيدُ، فهو: أوَّلُ دعوةِ الرُّسلِ عليهم السلام، وأوَّلُ منازلِ الطريق، وأوَّلُ مقامٍ يقومُ فيه السَّالكُ، والعَارفُ باللهِ تعالىٰ في مقامِ المحبَّةِ الإلَهيَّةِ ـ تجريداً، وتفريداً ـ في التَّوحيدِ.

"فالتَّوحيدُ"(٢): هو الإقرارُ، وقطعُ الأندادِ، وتجريدُ الذَّاتِ الإلَهيَّةِ عن كلِّ مَا يُتَصوَّرُ فِي الأفهَامِ، ويتخيَّلُ فِي الأوهَامِ والأذهَانِ، كمَا قَال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٩﴾(٣)، وقالَ ـ جلَّ شَأنُه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) حلية الأولياء: (٧٣/١).

(٢) التوحيد: أي الشرعي: وهو إفرادُ المعبود بالعبادةِ مع اعتقادِ وحدته والتصديقِ بها، ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً. والاعتقاد هنا: هو الجزم المطابق للحقِّ، إمَّا بكشفٍ، أو دَليلٍ تفصيلي، أو إجمَاليٍّ، أو تَقليدٍ لعارفٍ. ينظر: حاشية أحمد الصاوي علىٰ جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني (ت ١٠٤١هـ)، (١٨ ـ ٢٠).

(٣) سورة محمد ﷺ.

ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[١].

"والتَّجريدُ": هو الإخلاصُ، وقطعُ الأسبابِ عَن الفؤادِ، واتخاذُ السَّببِ ظاهِراً شرعِياً، والتعلُّقُ بالمسبِّبِ هُو اللهُ وحدَه؛ قالَ تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[٢]، وقالَ ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴿٣﴾ ﴾[٣]، نبَّه الحقُّ ـ جلَّ شَأنه ـ عَلىٰ لُزومِ الإخلاصِ فِيهِ، وبشَّر بعدَ الإخلاصِ بمضَاعَفتِه وقبولِه، وكلُّ هَذا انطَوىٰ فِي الإخلاصِ، إذ الأعمالُ بغيرِ الإخلاصِ كلُّها ظُلمَةٌ، وبِهَا تَتَنَوَّرُ، وبذلِك ارتفَعَت هِمَمُ العارفينَ في الأعمالِ إلَىٰ الإخلاصِ.

قالَ الإمامُ أحمدُ الرفاعيُّ ﷺ: عليكُم بتجريدِ التَّوحيدِ وهُو: فقدَانُ رؤيَةِ ما سِواهُ لوحدَانيَّته، إن قُلتَ: يا اللهُ فقد ذكرتَه باسمِه الأعظَمِ[٤].

"والتَّفريدُ": هُو الانقطاعُ أو الفرارُ مِمَّا سوَىٰ اللهِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، بالإيمانِ السَّليمِ، والسَّيرِ عَلىٰ النَّهجِ القويمِ، وهو سَيرُ العارفينَ الموحِّدينَ، فَمَن صَحَّ فرارُه إلىٰ اللهِ، صَحَّ قَرارُه معَ الله، قَالَ تعالَىٰ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[٥].

قال الإمامُ النَّوريُّ ﷺ: فالتَّوحيدُ تنزيهُ الحقِّ عن دونه، والمعرفةُ إثباتُ الحقِّ بصفاتِه العُليَا وأسمائهِ الحسنىٰ، والإيمانُ عقدُ القلبِ بنفي جميعِ ما تَوَلَّهت

(١) سورة الشورىٰ.
(٢) سورة غافر.
(٣) سورة الزمر.
(٤) البرهان المؤيد: للإمام أحمد الرفاعي الحسيني: (ت٥٧٨هـ)، (ص٤٨).
(٥) سورة الذاريات.

القُلوبُ إليهِ من المَضارِّ والمنافعِ سِواه ﷻ والإسلامُ التَّسليمُ في الأمورِ كلِّها سِراً وعلانيَّةً؛ وهذهِ الأسرارُ كائنةٌ في أسرارِ الموحِّدينَ؛ ولا تصحُّ المعرفةُ إلا بالتَّوحيدِ، ولا يصحُّ الإيمانُ إلا بالمعرفةِ، ولا يصحُّ الإسلامُ إلا بالإيمانِ؛ فمَن لا تَوحيدَ لَه.. لا معرفةَ لَه، ومَن لا معرفةَ لَه.. لا إيمانَ لَه، ومَن لا إيمانَ لَه.. لا إسلامَ لَه، ومَن لا إسلامَ لَه.. لا ينفعُه ما سِواه من الأعمالِ والأفعالِ(١).

وسُئلَ الإمامُ الجنَيدُ رضي الله عنه عنِ التَّوحيدِ، فقالَ: إفرادُ الموحِّدِ بتحقيقِ وحدانيَّتِهِ، وكمال أحديَّتِهِ، أنَّه الواحدُ الذي لم يلِد، ولم يولَد، ينفي الأضدادَ، والأندادَ، والأشباهَ، بلا تشبيهٍ، ولا تكييفٍ، ولا تصويرٍ، ولا تمثيلٍ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾(٢)، (٣)، ثُمَّ قَال رضي الله عنه: مَتىٰ يتَّصلُ مَن لا شَبيهَ لَه ولا نَظيرَ لَه، بمَن لَه شبِيهٌ ونظيرٌ؟ هيهاتَ، هذا ظنٌّ عجيبٌ إلا بِمَا لَطَفَ اللَّطيفُ، من حيث لا دركَ، ولا وهمَ، ولا إحاطةَ إلا إشارة اليقين، وتحقيق الإيمان(٤)، اللَّهم؛ يا لطيفُ يا واسعُ يا عليمُ، يا الله.

قالَ الإمامُ الرفاعيُّ رضي الله عنه: وقد جمعَ إمَامُنا الشافعيُّ رضي الله عنه جميعَ مَا قيلَ في التَّوحيدِ بقولِه: مَنِ انتهضَ لمعرفَةِ مدبِّرهِ فانتَهَىٰ إلىٰ موجودٍ ينتهِي إلَيهِ فكرُهُ.. فهُو مُشبِّهٌ، وإنِ اطمَأنَّ إلىٰ العَدَمِ الصِّرفِ.. فهو مُعطِّلٌ، وإنِ اطمَأنَّ لموجودٍ، واعترفَ بالعجزِ عن إدراكِهِ.. فهُو موحِّدٌ(٥).

---

(١) مقامات القلوب: لأبي الحسين النوري، خراساني الأصل،: (ت٢٩٥هـ)، (ص٤).

(٢) سورة الشورىٰ.

(٣) الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: ٤٦٥هـ): (٢/٤٦٣)، الاستقامة: لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: (ت٧٢٨هـ)، (١/١٤٦).

(٤) الرسالة القشيرية: (١/٢٧ ـ ٢٨)، الاستقامة: (١/١٤٦، ١٨٤).

(٥) البرهان المؤيد: (ص١٦).

وسُئلَ الإمامُ التَّستُريُّ ﵁ عَن ذاتِ اللهِ تعالَى، فقَالَ: ذَاتُ اللهِ مَوصُوفَةٌ بِالعِلمِ، غَيرُ مُدرَكَةٍ بِالإِحَاطَةِ، وَلَا مَرئِيَّةٍ بِالأَبصَارِ فِي دَارِ الدُّنيَا، وَهِيَ مَوجُودَةٌ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ، مِن غَيرِ حَدٍّ وَلَا إِحَاطَةٍ وَلَا حُلُولٍ، وَتَرَاهُ العُيُونُ فِي العُقبَىٰ، ظَاهِرًا فِي مُلكِهِ وَقُدرَتِهِ، وَقَد حَجَبَ الخَلقَ عَن مَعرِفَةِ كُنهِ ذَاتِهِ، وَدَلَّهُم عَلَيهِ بِآيَاتِهِ، فَالقُلُوبُ تَعرِفُهُ، وَالعُقُولُ لَا تُدرِكُهُ، يَنظُرُ إِلَيهِ المُؤمِنُ بِالأَبصَارِ، مِن غَيرِ إِحَاطَةٍ وَلَا إِدرَاكِ نِهَايَةٍ(١).

وسُئل الإمامُ أبو عليٍّ الروذباري ﵁ عن التَّوحيدِ، فقالَ: التَّوحيدُ استقامةُ القلبِ بإثباتِ مفارقةِ التَّعطيلِ، وإنكارِ التَّشبيهِ، والتَّوحيدُ في كلمةٍ واحدةٍ: كلُّ ما صَوَّرَتهُ الأوهامُ والأفكارُ، فالله سبحانه بخلافِه، لقولِه تعالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾. اهـ(٢).

الله الله؛ يا مَن حارت عُقولُ العقلاءِ في كُنهِ ذاتِهِ ـ جلَّ مجدُه وعمَّ نوالُه، ولا إلهَ غيرُه.

"أي أخِي": اعلَم: أنَّ مَن أقرَّ للهِ بالوحدَانيَّةِ، ولَم يؤمِن برِسالةِ سيِّدِنا محمّدٍ ﷺ فهو كافرٌ بلا مُنازِعٍ في شريعةِ الإسلامِ، كمَا قالَ جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾(٣)، وقالَ ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ١٣﴾(٤)، والمعنىٰ: ومن لَم يؤمِن باللهِ ورسولِه معاً، فإنَّا اعتدنا له

(١) الرسالة القشيرية: (٢/٤٦٤ ـ ٤٦٥)، شرح العقيدة الطحاوية: لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ)، (ص: ٢٤٠).
(٢) الرسالة القشيرية: (١/٢٧)، الاستقامة: (١/١٨٠ ـ ١٨١).
(٣) سورة الأنفال.
(٤) سورة الفتح.

وهيَّأنا لَه ناراً وسعيراً ؛ لأنَّه من عدادِ الكفَّارِ ، لقولِه تعالَىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[(١)]، والمَعنَىٰ: أنَّ إطاعَةَ اللهِ والرَّسولِ واحدةٌ ، فإنَّ إطاعةَ الرَّسولِ مِن حَيثُ هو رَسولُ اللهِ ﷺ إنَّمَا هِيَ إطاعةُ اللهِ تعالىٰ لا غير ، ومِن ثَمَّ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَىٰ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَن يَأبَىٰ ؟ قَالَ: «مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَن عَصَانِي فَقَد أَبَىٰ»[(٢)] ، حيثُ جعلَ الشَّارعُ الحكيمُ دخولَ الجنَّةِ فرض إطاعتِه ، كمَا قالَ ﷺ: «مَن أَطَاعَنِي فَقَد أَطَاعَ الله ، وَمَن عَصَانِي فَقَد عَصَىٰ الله ، وَمَن أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَد أَطَاعَنِي ، وَمَن عَصَىٰ أَمِيرِي فَقَد عَصَانِي»[(٣)] ، قالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[(٤)] ، وقالَ ﷺ: «أُمِرتُ[(٥)] أَن أُقَاتِلَ النَاسَ[(٦)] حتَّىٰ يَشهَدُوا أن لا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ ، فإذا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَموَالَهُم إلا بِحَقِّ الإِسلامِ وَحِسَابُهُم علىٰ اللهِ» ، متفق عليه[(٧)] .

(١) سورة آل عمران.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، رقم: ٧٢٨٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأحكام ـ باب قول الله تعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴿٥٩﴾﴾ (سورة النساء) ، رقم: ٧١٣٧ ، صحيح مسلم: كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ، رقم: ٤٧٢٤ ، و٤٧٢٦ ، مسند أحمد: (١٤٧/٧) ، رقم: ٧٣٣٠ ، سنن النسائي: كتاب البيعة ـ الترغيب في طاعة الإمام ، رقم: ٤١٩٣ .

(٤) سورة آل عمران.

(٥) أي أمرني ربي.

(٦) أي: المشركين وعبدة الأوثان.

(٧) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴿٥﴾﴾ سورة التوبة ، رقم: ٢٥ ، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الأمر بقتال الناس حتَّىٰ يقولوا لا إله=

وقالَ أكمَلُ الرُّسلِ ﷺ: «ذَاقَ طَعمَ الإِيمَانِ، من رضي بِاللهِ[١] رَبّاً، وَبِالإِسلامِ دِيناً[٢]، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً[٣]»[٤].

قَالَ القَاضِي عِياض رحمه الله: أي: صَحَّ إيمَانُهُ، واطمأنَّت بِهِ نَفسُهُ، وخَامَرَ باطنه؛ لأنَّ رضاه بالمذكورات، دليل لثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته، ومخالطة بشاشة قلبه، لأنَّ من رضي أمراً سهل به، فكذا المؤمن، إذا دخل قلبه الإيمان، سهَّل عليه طاعات الله تعَالَىٰ ولذت له[٥].

قال العلَّامةُ عليُّ القَارِي رحمه الله: والمَقصُودُ مِن الرِّضَاءِ: الانقِيَادُ البَاطِنِيُّ والظاهريُّ، والكَمَالُ: أن يَكُونَ صَابِراً عَلَىٰ بَلائهِ، وشَاكِراً عَلَىٰ نعمَائهِ، ورَاضِياً بقَدَرِهِ وقَضَائهِ، ومنعِهِ وإعَطَائهِ، وأن يَعمَل بِجَمِيعِ شَرائعِ الإسلامِ بامتِثَالِ الأَوامِرِ واجتنَابِ الزَّواجِرِ، وأن يَتَّبعَ الحَبِيبَ حَقَّ مُتَابَعَتِهِ فِي سنَنِهِ وآدابِهِ وأخلاقِهِ ومعَاشَرَتِهِ، والزُّهدِ في الدُّنيا، والتوجُّهِ الكلِّيِّ إلىٰ العُقبَىٰ. انتهىٰ[٦].

لذا، فَقد قَرنَ الشَّهادةَ برسالتِهِ ﷺ بالشَّهادَةِ بوحدانِيَّةِ اللهِ تعَالَىٰ، لأنَّهُ لا يتمُّ

= إلا الله محمد رسول الله...، رقم: ١٢٨.

(١) معنىٰ رضيت بالشيء: قنعت به، واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره، فمعنىٰ الحديث: لم يطلب غير الله تعَالَىٰ، ولم يسعَ في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته: فقد خلصت حلاوة الإيمان إلىٰ قلبه، وذاق طعمه. ينظر: فتح الملهم: (١/٥٥٩).

(٢) أي: أتدين بأحكامه دون غيره من الأديان.

(٣) أي: بجميع ما أرسل به وبلغه إلينا من الأمور الاعتقادية وغيرها.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ، رسولاً، فهو مؤمن، رقم: ١٥٠، سنن الترمذي: كتاب الإيمان، رقم: ٢٦٢٣، مسند أحمد: رقم: ١٧٧٨، و١٧٧٩.

(٥) ينظر: شرح النووي علىٰ صحيح مسلم: (٢/٢).

(٦) مرقاة المفاتيح: لعلي بن سلطان محمد القاري: (ت: ١٠١٤هـ)، (١/١٤٤).

الإيمانُ والإسلامُ إلا بالتَّصديقِ والإقرارِ بهمَا جمِيعاً، ولذلكَ كانَت الشَّهادتانِ الشَّريفتانِ في حكمِ شيءٍ واحدٍ، ولهذهِ الحكمةِ عدَّهُما ﷺ ركناً واحداً من الأركانِ الخمسةِ، وذكرَ بعدهُما الأربعةَ الأركانَ الباقيةَ؛ الصلاةَ، والزكاةَ، والصَّومَ، والحجَّ.

"أي أخِي": فَمَعنَىٰ "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ": أن تَعتَقِدَ أنَّ اللهَ أرسلَ النبيَّ الأُمِّيَّ، العَربيَّ القُرَشِيَّ الهَاشِمِيَّ، مَولَانَا مُحَمَّداً ﷺ إلَىٰ كَافَّةِ الجِنِّ والإِنسِ، وأيَّدَهُ بالوَحي، وألزَمَ الخَلقَ طَاعَتَه فِيمَا أمرَ بِه ونهَىٰ عنه، وتَصديقَه فيمَا أخبَرَ بِه، ومنعَ كمالَ شَهَادَةِ التوحيدِ بلا إلهَ إلا اللهُ مَا لَم تَقترن بها شهادةُ الرسالةِ لسيدنا محمَّدٍ ﷺ؛ قالَ تعالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ۝٨٠﴾[(١)]، وَفِي هَذَا كَمَالُ شَرَفِ النَّبيِّ الكَرِيمِ ﷺ مِمَّا لَا يَستَطِيعُ ضَبطَه الأُدَباءُ الظُّرَفاءُ، فَقَد جَعَلَ اللهُ طَاعَتَهُ عَينَ طاعَتِه، فَهُوَ الخَلِيفَةُ حَقِيقَةً، وجَمِيعُ الرُّسُلِ والأنبِيَاءِ والأولِيَاءِ تبَعَاً لَهُ.

قَالَ مُقَاتِلُ: فِي هَذِهِ الآيَةِ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «مَن أحَبَّنِي فقَد أحبَّ اللهَ، ومَن أطَاعَنِي فقَد أطاعَ اللهَ»[(٢)]، وفِي أُخرَىٰ، عَن أَنَسٍ قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ «يا بُنَيَّ إن قَدَرتَ أَن تُصبِحَ وَتُمسِيَ لَيسَ فِي قَلبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافعَل» ثُمَّ قَالَ لِي: «يا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِن سُنَّتِي وَمَن أَحيَا سُنَّتِي فَقَد أَحَبَّنِي وَمَن أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ»[(٣)]، وفي أخرَىٰ: «من أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَد أَحَبَّنِي[(٤)]، وَمَن أَحَبَّنِي فَقَد أَحَبَّ الله،

(١) سورة النساء.
(٢) تفسير مقاتل: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي: (ت: ١٥٠هـ)، (٢٤٤/١).
(٣) سنن الترمذي: كتاب العلم ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنن واجتناب البدع، رقم: ٢٦٧٨.
(٤) لما أوتيه من كرم الشيم، وعلو الهمم. قال السهروردي: اقتضىٰ هذا الخبر وما أشبهه من الأخبار الكثيرة في الحث علىٰ حب أهل البيت، والتحذير من بغضهم، وتحريم بغضهم، ووجوب حبهم، وفي توثيق عرىٰ الإيمان، عن الحرالي: أن خواص العلماء يجدون لأجل اختصاصهم بهذا الإيمان=

وَمَن أَبغَضَ عَلِيّاً فَقَد أَبغَضَنِي، وَمَن أَبغَضَنِي فَقَد أَبغَضَ الله»[(١)].

أمَّا الإيمَانُ الكَامِلُ الذي عَلَيهِ أَهلُ اليَقِينِ وكَمَال التَّقوىٰ[(٢)]؛ فعَن أَنَسِ بن مَالِك رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤمِنُ أحَدُكُم حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ[(٣)] مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ[(٤)] وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ»، مُتَّفَقٌ عليَهِ[(٥)].

= حلاوة ومحبة خاصة لنبيهم، وتقديما له في قلوبهم، حتَّىٰ يجد إيثاره علىٰ أنفسهم وأهليهم. ينظر: فيض القدير: (٦/٤٧).

(١) المعجم الكبير: (٢٣/٣٨٠)، وقال الهيثمي: في مجمع الزوائد (٩/١٣٢): رواهُ الطبراني وإسناده حسن.

(٢) وكمال التقوىٰ، مراتبها ثلاثة: "تقوىٰ الأوامر"، "وتقوىٰ التعظيم"، "وتقوىٰ الآداب"؛ أما تقوىٰ الأوامر: فقوله تعالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾، سورة الحشر، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ۝١٨﴾ سورة الحشر. أما تقوىٰ التعظيم: فقوله تعالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ۝٣٢﴾ سورة الحج. وأما تقوىٰ الآداب: فقوله تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ سورة الحجرات.

(٣) أي: عنده من كل الناس، أي: لا يكمل إيمانُ شخصٍ حتَّىٰ يقدم ما يرضىٰ الله ورسوله علىٰ ما يرضي عشيرته الأقربين، وليس المراد بالمحبَّة الحنانُ والشَّفقةُ كمحبَّة الأولاد، ولا محبة العشق كمحبة العاشق، فإن هاتين ليستا بالاختيار، وإنما المراد بالمحبة لازمها، وهو امتثال أمر المحبوب، فإن من أحب إنساناً سارع في هواه. فتنبه.

(٤) قال الكرماني: إنما خص الولد والوالد بالذكر لكونهما أعز خلق الله ﷻ علىٰ الرجل غالباً، وربما يكون أعز من نفس الرجل علىٰ الرجل، فذكرهما إنما هو علىٰ سبيل التمثيل، فكأنه قال: حتَّىٰ أكون أحب إليه من أعزته، ويعلم أيضاً منه حكم غير الأعزة؛ لأنه يلزم في غيرهم بالطريق الأولىٰ، أو اكتفىٰ بما ذكر في سائر النصوص الدالة علىٰ وجوب كونه أحب من نفسه أيضاً، كالرواية التي بعده. شرح الكرماني: (١/٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب حب الرسول ﷺ، من الإيمان، رقم: ١٥؛ صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان علىٰ من لم يحبه هذه المحبة، رقم: ١٦٧.

قال الإمامُ القُرطبيُّ رحمه الله: كلُّ مَن آمنَ بالنبيِّ ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلو عن وجدانِ شيءٍ من تلكَ المحبَّةِ الراجحةِ، غير أنَّهم متفاوتونَ، فمنهُم من أخذَ من تلكَ المرتبةِ بالحظِّ الأوفَىٰ، ومنهُم من أخذَ منها بالحظِّ الأدنَىٰ، كمَن كانَ مستغرِقاً في الشَّهواتِ، محجوباً في الغَفَلاتِ أكثر الأوقاتِ؛ لكنَّ الكثيرَ منهم إذا ذُكِرَ النبيُّ ﷺ اشتاقَ إلىٰ رؤيتِه، بحيثُ يؤثرُها علىٰ أهلِه وولَدِه ومالِه ووالِدِه، ويبذلُ نفسَه في الأمورِ الخطيرةِ، ويجدُ رجحانَ ذلِك في نفسِه وجدَاناً لا تردُّدَ فيهِ، وقد شوهِدَ مِن هذَا الجنسِ من يؤثرُ زيارةَ قبرِه ورؤيةَ مواضعَ آثارِه علىٰ جميعِ ما ذُكِرَ، لِمَا وقرَ في قلوبِهم من محبَّتِه، غيرَ أنَّ ذلكَ سريعٌ بتوالِي الغفَلاتِ واللهُ المستعانُ(١).

وقالَ الإمامُ الزَّرقانِيُّ رحمه الله(٢): فكلُّ مسلِمٍ في قَلبِه محبَّةُ اللهِ ورسولِه لا يدخلُ الإسلامَ إلا بِهَا، ولكنَّ الناسَ متفاوتونَ في محبَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، بحسبِ استحضارِ ما وصَلَ إليهِم مِن جِهَتِهِ من وجوهِ النَّفعِ الشَّاملِ لخيرِ الدَّارَينِ، وبحَسبِ الغفلةِ عَن ذلِك، ولا شكَّ أنَّ حظَّ الصَّحابةِ رضي الله عنهم في هذا المعنَىٰ أتمُّ، لأنَّ هذا ثمرة المعرفةِ، وهُم بها أعلَم.

وَعَن أَنَسٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفسِهِ(٣)»(٤).

---

(١) ينظر: فتح الباري: (١/٦٠)، ومرقاة المفاتيح: (١/١٤٠).

(٢) ينظر: فتح الملهم: (١/٥٩١).

(٣) كما يحب لنفسه: فلا يكمل إيمان شخص حتَّىٰ يحب للمسلمين مثل ما يحب لنفسه من الصحة واليسار والتوفيق ونحوها.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: ١٣، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن من خصال الخير أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، رقم: ١٦٨، ١٦٩، سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥١٥، سنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه ـ باب علامة الإيمان، رقم: ٥٠١٦، ٥٠١٧.

قوله ﷺ: «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم»، أي: إيماناً كاملاً، «حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ»، أي: المسلم، «ما يُحِبُّ لِنَفسِهِ»، أي: مثل جميع ما يحبُّه لنفسه.

قال "النَّوويُّ": قَالَ العُلَمَاءُ ﵏: مَعناهُ لَا يُؤمِنُ الإِيمَانَ التَّامَّ، وَإِلَّا فَأَصلُ الإِيمَانِ يَحصُلُ لِمَن لَم يَكُن بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَالمُرَادُ: يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالأَشيَاءِ المُبَاحَاتِ، وَيَدُلُّ عَلَيهِ مَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ فِي هَذَا الحَدِيثِ «حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِنَ الخَيرِ مَا يُحِبَّ لِنَفسِهِ».

قَالَ الشَّيخُ أَبُو عَمرٍو بنُ الصَّلَاحِ: وَهَذَا قَد يُعَدُّ مِنَ الصَّعبِ المُمتَنِعِ، وَلَيسَ كَذَلِكَ، إِذ مَعنَاهُ: لَا يَكمُلُ إِيمَانُ أَحَدِكُم حتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ فِي الإِسلَامِ، مِثلَ مَا يُحِبَّ لِنَفسِهِ، وَالقِيَامُ بِذَلِك يَحصُلُ بِأَن يُحِبَّ لَهُ حُصُولَ مِثلِ ذَلِكَ مِن جِهَةٍ لَا يُزَاحِمُهُ فِيهَا، بِحَيثُ لَا تَنقُصُ النِّعمَةُ عَلَىٰ أَخِيهِ شَيئاً مِنَ النِّعمَةِ عَلَيهِ، وهذا سهلٌ علىٰ القلب السَّليم وإنَّما يَعسُرُ عَلَىٰ القَلبِ الدَّغِلِ عَافَانَا اللهُ وَإِخوَانَنَا أَجمَعِينَ[1]، فتأمَّل.

قلتُ: النَّاسُ في هَذَا علىٰ ثَلاثةِ أصنَافٍ:

الصِنف الأوَّلُ: المؤمنُ، وهو الذي يتمنَّىٰ لإخوانِه ما يَتمنَّىٰ لنَفسِه.

الصِّنفُ الثَّانِي: الوليُّ الصَّالِحُ، وهو الذي يتمنَّىٰ لإخوانِه أكثرَ مِمَا يتَمَنَّىٰ لنفسِه؛ لقولِه تعَالَىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾[2]، وكانَ شَيخِي وأستَاذِي مصطَفَىٰ كمالُ الدِّين

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم: للإمام النووي (١/٢٩٢)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لأبي العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، (٧/٢٦١، ٢٦٢).

(٢) سورة الحشر.

ـ طيَّبَ اللهُ روحَهُ، وذِكرَه، وثَرَاهُ ـ يَدعُو اللهَ قائلاً: اللَّهمَّ إن أَرَدتَ أن تُعذِّبَ أحبَابِي فَعذِّبنِي مَكَانَهُم.

الصِنفُ الثَالثُ: مريضُ القلبِ، البعيدُ عنِ اللهِ ﷻ؛ لقولِه تعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[(١)]، ولا يتمُّ ذلكَ إلا بتركِ الحسَدِ، والغلِّ، والحِقدِ، والغشِّ، والتَّمنِّي لنفسِه أكثرَ من إخوانِه المسلمينَ.

وَعَنهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ[(٢)] حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا[(٣)]، وَأَن يُحِبَّ المَرءَ لا يُحِبُّهُ إلا لله تعالىٰ[(٤)]، وَأَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ[(٥)] في الكُفرِ كما يَكرَهُ أَن يُقذَفَ في النَّارِ»[(٦)].

وعَنهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنصَارِ[(٧)]، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغضُ الأَنصَارِ»[(٨)].

---

(١) سورة القصص.
(٢) أي: ذاق طعم الإيمان الكامل.
(٣) أي: فيؤثر ما يرضيهما علىٰ كل شيء.
(٤) أي: أن تكون محبته للمسلم لله تعَالَىٰ لأنه عبد الله.
(٥) أي: يصير كافراً، كما يكره الوقوع في النار.
(٦) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب حلاوة الإيمان، رقم: ١٦، ورواهُ في كتاب الإكراه ـ باب من اختار الضرب والقتل والهوان علىٰ الكفر، رقم: ٦٩٤١، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، رقم: ٤٣، سنن الترمذي: كتاب الإيمان، رقم: ٢٦٢٤، سنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه ـ باب علامة الإيمان، رقم: ٥٠١٩.
(٧) هُم أهل المدينة، فعلامة الإيمان الكامل محبتهم ولا يبغضهم إلا منافق.
(٨) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم: ١٧، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعليّ ﷺ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم=

وعَن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال[١]: وَالذي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[٢]، إنَّه لَعَهدُ النَّبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: أن لا يُحِبَّنِي إلا مُؤمِنٌ، ولا يُبغِضَنِي إلا مُنَافِقٌ[٣].

وعن عبد الله بنِ عَمرو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ[٤]، وَالمُهَاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَىٰ الله عَنهُ»، رواهُ الخَمسَةُ[٥]، وَزَادَ التِّرمِذِيُّ وَالنَّسَائيُّ: «وَالمُؤمِنُ مَن أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِم وَأَموالِهِم[٦]».

وَعَنهُ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبي ﷺ أَيُّ الإسلامِ خَيرٌ[٧]؟ قال: «تُطعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقرَأُ السَّلامَ، علىٰ مَن عَرَفتَ وَمَن لم تَعرِف[٨]»[٩].

= من علامات النفاق، رقم: ٢٣٢، سنن النسائي الكبرىٰ: كتاب المناقب ـ الترغيب في حب الأنصار رضي الله عنهم، رقم ٨٣٣١.

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، رقم: ٢٣٢، سنن الترمذي: كتاب المناقب ـ باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم: ٣٧٤٥، سنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه ـ باب علامة المنافق، رقم: ٥٠٢٥.

(٢) خلق النفس.

(٣) إنه لقول النبي ﷺ لي: لا يحبك يا علي إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، وذلك لأنه ابن عم النبي ﷺ الشقيق، وزوج بنته فاطمة البتول، وأبو السبطين النيرين، وهؤلاء هم خواص أهل البيت الأطهار ـ عليهم السلام والرضوان.

(٤) فكامل الإسلام لا يؤذي أحداً لا بلسانه ولا بيده.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم: ١٠و١١، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب بيان تفضل الإسلام، وأي أموره أفضل، رقم: ٤٢ و٦٦، سنن أبي داود: كتاب الجهاد ـ باب في الهجرة هل انقطعت، رقم: ٢٤٨١، سنن الترمذي: كتاب الإيمان، رقم: ٢٥٠٤، سنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه ـ باب أي الإسلام أفضل، رقم: ٤٩٩٩.

(٦) وكامل الإيمان من كان الناس منه في أمان.

(٧) أي: خصاله أكثر ثواباً.

(٨) لأنَّ نفعهما يعود علىٰ الخلق وبهما ينتشر الأمان في الأرض.

(٩) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم: ١٢، صحيح مسلم:=

وعَن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ(١)» قُلنَا: لِمَن؟ قَالَ: «لله(٢) وَلِكِتَابِهِ(٣) وَلِرَسُولِهِ(٤) ولأئمة المُسلِمِينَ(٥) وَعَامَّتِهِم(٦)»(٧).

وعَن أبي هُرَيرَة ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَكمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَاناً أَحسَنُهُم خُلُقاً(٨) وَخِيَارُكُم خِيَارُكُم لِنِسَائِهِم خُلُقاً(٩)»(١٠).

= كتاب الإيمان ـ باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، رقم: ١٥٩، سنن أبي داود: كتاب الأدب ـ باب في إفشاء السلام، رقم: ٥١٩٤، سنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه ـ باب أي الإسلام خير، رقم: ٥٠٠٠.

(١) أي: مداره على النصيحة كحديث: "الحج عرفة".

(٢) بالإيمان به، والقيام بواجب شكره ﷻ وحمل الناس على ذلك.

(٣) بتعلمه والعمل به وإرشاد الناس إلى ذلك.

(٤) باتباعه ونصره في كل شيء ﷺ.

(٥) ولاتهم باحترامهم وإطاعة أمرهم فيما يرضي الله ورسوله؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾.

(٦) بإرشادهم إلى ما فيه سعدهم في الدُّنيا والآخرة، فمن كان بهذه الصفات كان خليفة الله في أرضه.

(٧) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ بَاب قَولِ النبي ﷺ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ لله وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَعَامَّتِهِم" وَقَوله تعَالَى: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ٩١﴾. (سورة التوبة)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ بَاب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَة، رقم: ٥٥، سنن أبي داود: كتاب الأدب باب في النصيحة، رقم: ٤٩٤٤، سنن الترمذي: كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في النصيحة، رقم: ١٩٢٥، سنن النسائي: كتاب البيعة ـ باب النصيحة للإمام، رقم: ٤٢٠٢.

(٨) حسن الخلق في ثلاث: بشاشة الوجه، وكف الأذى، وبذل الندى، وقد فاز صاحب الخلق الحسن بخيري الدُّنيا والآخرة.

(٩) أي: أرحمهم وألطفهم بأهله، ولا يهم الإنسان إلا درهما لمعاشه، أو راحة لجسمه، أو حسنة لمعاده.

(١٠) سنن أبي داود: كتاب السنة ـ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٦٨٢، سنن الترمذي: كتاب الرضاع ـ باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم: ١١٦٢، وقال: حديث حسن صحيح.

وعَنهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ مِن حُسنِ إِسلامِ المَرءِ تَركَهُ مالا يَعنِيهِ(١)»(٢).

وعن أبي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا رَأَيتُم الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ المَسجِدَ(٣) فاشهدوا له بِالإِيمَانِ، فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴿١٨﴾﴾(٤)»(٥).

وعن أبي أُمَامَةَ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «من أَحَبَّ للَه(٦)، وَأَبغَضَ لله(٧)، وَأَعطَىٰ للهِ(٨)، وَمَنَعَ للهِ(٩)، فَقَد استَكمَلَ الإِيمَانَ»(١٠).

---

(١) أي: ابتعاده عن ما لا حاجة له فيه.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الزهد، رقم: ٢٣١٨، سنن ابن ماجه: كتاب الفتن ـ باب كف اللسان في الفتنة، رقم: ٢٣١٧.

(٣) وفي لفظ: يعتاد المساجد، أي: يتردد إليها لعبادة الله تعَالَىٰ.

(٤) سورة التوبة.

(٥) سنن الترمذي: كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: ٢٦١٧، وقال: حديث حسن غريب، سنن ابن ماجه: كتاب المساجد ـ باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، رقم: ٨٠٢، سنن الدارمي: كتاب الصلاة ـ باب المحافظة علىٰ الصلوات، رقم: ١٢٢٣، مسند أحمد: رقم: ١١٥٩٣، ١١٦٦٥، وانظر: إلىٰ أوصاف الإيمان الكامل؛ في كتاب: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول: (١/٢٦، ٢٨).

(٦) (أحب لله): أي لأجله ولوجهه الكريم ـ مخلصا لا لميل قلبه ولا لهواه.

(٧) (أبغض لله): لا لإيذاء من أبغضه له، بل لكفره وعصيانه.

(٨) (أعطىٰ لله): أي لثوابه ورضاه، لا لنحو رياء.

(٩) (ومنع لله): أي لأمر الله كأن لم يصرف الزكاة لكافر لخسته، ولا لهاشمي لشرفه؛ بل لمنع الله لهما منها.

(١٠) سنن أبي داود: كتاب السنة ـ باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٦٨١، بإسناد صحيح، المعجم الكبير: (٨/١٣٤)، رقم: ٧٦١٣، وصححه الحاكم في "المستدرك": (٢/١٦٤)، رقم: ٢٧٤٢، ولفظه عند الترمذي، رقم: ٢٥٢١، والحاكم: «من أَعطَىٰ لله وَمَنَعَ لله وَأَحَبَّ لله وَأَبغَضَ لله وَأَنكَحَ لله فَقَد استَكمَلَ إِيمَانَهُ». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

اللهُمَّ ؛ أعطنا إيماناً صادقاً ، ويقيناً ليسَ بَعدَه كفرٌ ، ورحمةً نَنَالُ بها شرفَ كرامتِك في الدُّنيا والآخرةِ ، اللهُمَ ؛ إنَّا نسألُك الفوزَ في القضاءِ ، ثمَّ اللَّقاءَ ، ونُزُلَ الشُّهداءِ ، وعيشَ السُّعداءِ ، ومرافقةَ الأنبياءِ ، والنَّصرَ على الأعداءِ ، اللهُمَّ تداركنَا بلطفِكَ يا لطيفُ يا واسعُ يا عليمُ يا اللهُ يا مُعينُ .

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إبرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبرَاهِيمَ ، وَبَارِك عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكتَ عَلَى إبرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبرَاهِيمَ ، في العَالَمينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجيدٌ .

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[1] ، ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[2] .



(١) سورة البقرة .
(٢) سورة الصافات .

ركن الصَّلاة

"الرُّكن الثَّاني": الصَّلاةُ، فهي: عِمادُ الدِّينِ[(١)]، وعصامُ اليقينِ[(٢)]، ورأسُ القُرباتِ[(٣)]، وغُرَّةُ الطَّاعاتِ[(٤)]، وأجَلُّ مَبانِي الإسلامِ الخمسِ بعد الشَّهادتينِ، ومَحَلُّها مِنَ الدِّينِ مَحلَّ الرأسِ من الجَسدِ، فكمَا أنَّه لا حياة لِمن لا رأسَ لَه.. فكذلكَ لا دينَ لمن لا صلاةَ لهُ، كمَا قالَ أكملُ الرُّسلِ ﷺ: «من حَافَظَ عليهَا.. كانَت لَه نُوراً وَبُرهَاناً وَنَجَاةً يومَ القِيَامَةِ، وَمَن لَم يُحَافِظ عَلَيهَا.. لَم يَكُن لَهُ نُورٌ وَلَا بُرهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ وَكَانَ يَومَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرعَونَ وَهَامَانَ وأُبَيَّ بنِ خَلَفٍ»[(٥)].

(١) قال موسىٰ محمد علي في تحقيقه لكتاب أسرار الصلاة ومهماتها للإمام الغزالي (ص٦٨): جزء من حديث أخرجه البَيهَقِي في "الشعب" بسند ضعيف من حديث عمر، قال الحاكم: عكرمة لم يسمع من عمر، قال: وأراه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح، فقال في "مشكل الوسيط": إنه غير معروف، وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري في "كتاب الصلاة" عن حبيب بن سليم عن بلال بن يحيىٰ قال جاء رجل إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يسأل عن الصلاة فقال: «الصلاة عمود الدين»، وهو مرسل ورجاله ثقات.

(٢) وعصام القربة بالكسر: رباطها وسيرها الذي يحمل به، واليقين عند أهل الحقيقة: رؤية العيان بقوة الإيمان، لا بالحجة والبرهان، وقيل: مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار.

(٣) أعظم ما يتقرب به المتقربون إلىٰ الله ﷻ.

(٤) منزلتها في الطاعات الإلَهية منزلة الغرة من ناصية الفرس، أشار به إلىٰ شرفها وعظمتها.

(٥) مسند أحمد: (١٦٩/٢)، رقم: ٦٥٧٦، صحيح ابن حِبَّان: (٣٢٩/٤)، رقم: ١٤٦٧، شعب الإيمان: (٤٦/٣)، رقم: ٢٨٢٣، سنن الدارمي: كتاب السير ـ باب في المحافظة علىٰ الصلاة، (٣٩٠/٢)، رقم: ٢٧٢١، مسند عبد بن حميد: لأبي محمد عبد بن حميد بن نصر: (ت٢٤٩هـ)،=

وقد فرضَها الله تعالىٰ علىٰ هذهِ الأمَّةِ، بقولِه: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ[(١)] إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾[(٢)]، أي: مكتوباً مفروضاً في وقتِهِ، فدلَّ ذلك علىٰ فرضيَّتِها.

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: «فُرِضَت علَىٰ النَّبيِّ ﷺ لَيلَةَ أُسرِيَ بِهِ الصَّلَوَاتُ خَمسِينَ، ثُمَّ نُقِصَت حتَّىٰ جُعِلَت خَمساً، ثُمَّ نُودِيَ يا مُحمَّد إنَّه لا يُبَدَّلُ القَولُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لك بِهَذِهِ الخَمسِ خَمسِينَ»[(٣)].

وقالَ تعالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴿١١٤﴾﴾[(٤)]، أي: الصَّلوات المفروضة؛ "فالطَّرفُ الأوَّلُ" الصُّبحُ، "والطَّرفُ الثَّانِي" الظهرُ والعصرُ، "والزُّلَفُ من اللَّيلِ" المغربُ والعشاءُ[(٥)]، ويتناولُ ذلكَ قيامُ اللَّيلِ[(٦)]، فإنَّ المرادَ بهذِهِ الآيةِ استغراقُ الأوقاتِ بالعبادةِ فرضاً ونفلاً[(٧)].

وقالَ تبارك وتعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

= (١٣٩/١)، رقم: ٣٥٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٢٩٢/١): رواهُ أحمد والطبراني في "الكبير والأوسط" ورجال أحمد ثقات.

(١) أقيموا، أمرٌ، وهو للوجوب، فيفيد فرضيتها.

(٢) سورة النساء.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصلاة ـ باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء؟، رقم: ٣٤٩، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السماوات، وفرض الصلوات، رقم: ٤٠٩، سنن النسائي: كتاب الصلاة ـ باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين، رقم: ٤٤٩، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب كم فرض الله علىٰ عباده من الصلوات؟، رقم: ٢١٣.

(٤) سورة هود.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد الغرناطي الكلبي: (ت: ٧٤١هـ)، (١١٣/٢).

(٦) فإنها مما تُزلِف العبدَ وتقربه إلىٰ الله تعالىٰ.

(٧) تفسير القرطبي: (١٠٩/٩).

وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[١]، قالَ ابنُ عباس رضي الله عنهما: إنَّ الآيةَ جامعةٌ للصلواتِ الخمسِ ومواقيتِها؛ ﴿تُمْسُونَ﴾ صلاة المغرب والعشاء، ﴿تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الفجر، ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر، ﴿تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر[٢]، فالمعنىٰ: فصلُّوا للهِ في هذهِ الأوقات.

وقالَ أكملُ الرسلِ ﷺ: «خَمسُ صَلَوَاتٍ افتَرَضَهُنَّ اللهُ تعالىٰ؛ مَن أَحسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَه علىٰ اللهِ عَهدٌ أَن يَغفِرَ له[٣]، وَمَن لم يَفعَل فَلَيسَ له علىٰ اللهِ عَهدٌ إن شَاءَ غَفَرَ لَه، وَإِن شَاءَ عَذَّبَهُ»[٤].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّنِي جِبرِيلُ عليه السلام عِندَ البَيتِ مَرَّتَينِ، فَصَلَّىٰ بِيَ الظُّهرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمسُ وَكَانَت قَدرَ الشِّرَاكِ، وَصَلَّىٰ بِيَ العَصرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثلَهُ، وَصَلَّىٰ بِيَ يَعنِي: المَغرِبَ حِينَ أَفطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّىٰ بِيَ العِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّىٰ بِيَ الفَجرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَىٰ الصَّائِمِ، فَلَمَّا كَانَ الغَدُ صَلَّىٰ بِيَ الظُّهرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثلَهُ، وَصَلَّىٰ بِي العَصرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثلَيهِ، وَصَلَّىٰ بِيَ المَغرِبَ حِينَ أَفطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّىٰ بِيَ العِشَاءَ إِلَىٰ ثُلُثِ اللَّيلِ، وَصَلَّىٰ بِيَ الفَجرَ فَأَسفَرَ» ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، هَذَا وَقتُ الأَنبِيَاءِ مِن قَبلِكَ، وَالوَقتُ مَا بَينَ هَذَينِ الوَقتَينِ»[٥].

---

(١) سورة الروم.

(٢) تفسير البيضاوي: (٤/٣٣١).

(٣) أي كان له عند الله وعد بالغفران.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب في المحافظة علىٰ وقت الصلوات، رقم: ٤٢٥، سنن النسائي: كتاب الصلاة ـ باب المحافظة علىٰ الصلوات الخمس، رقم: ٤٦١، سنن ابن ماجه: رقم: ١٤٠١، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. ينظر: المسند: رقم: ٢٢٥٩٢، و٢٢٦٠٣، و٢٢٦٥١.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ بابٌ في المواقيت، رقم: ٣٩٣، سنن الترمذي: أبواب الصلاة ـ=

وقال أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبِي طالبٍ رضي الله عنه، وكرَّمَ اللهُ وجهَهُ: «صلُّوا بالنَّاسِ الظُّهرَ حتَّىٰ تَفيءَ الشَّمسُ من مَربَضِ العَنزِ[١]، وَصَلُّوا بهم العَصرَ والشَّمسُ بيضاءُ حيَّةٌ في عِضوٍ من النَّهارِ حين يُسَارُ فيها فرسَخانِ، وَصَلُّوا بهم المَغرِبَ حين يُفطِرُ الصَّائِمُ وَيَدفَعُ الحَاجُّ[٢]، وَصَلُّوا بِهِمُ العِشَاءَ حين يَتَوَارَىٰ الشَّفَقُ إلىٰ ثُلُثِ اللَّيلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الغداةَ[٣] والرَّجُلُ يَعرِفُ وَجهَ صاحبِهِ، وَصَلُّوا بهم صلاة أضعفِهِم ولا تكونوا فَتَّانينَ»[٤].

وهي: أشرفُ العباداتِ بعد التَّوحيدِ، كمَا في حديثِ أبي سعيدٍ: «إنَّ اللهَ عز وجل لا يَفتَرِضُ شَيئاً أفضلَ مِنَ التَّوحِيدِ والصَّلاةِ، ولَو كَانَ شَيءٌ أفضلُ مِنهُ لافتَرَضَهُ علَىٰ ملائكَتِهِ: مِنهُم رَاكِعٌ ومِنهُم سَاجِدٌ»[٥]، لذَا سألَ إبراهيمُ عليه السلام ربَّه أن يَجعلَه وذُرِّيَّته مُقيمِي الصَّلاةَ حيثُ قالَ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠﴾[٦].

وقالَ تعالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ۝٣﴾[٧].

= بَابُ مَا جَاءَ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، رقم: ١٤٩، قال الترمذي: حَدِيثُ ابن عَبَّاسٍ حديث حسن. وقال مُحَمَّدٌ: أَصَحُّ شَيءٍ فِي المَوَاقِيت حديثُ جابرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

(١) تفيء: أي: تصل في ميلها جهة الغرب إلىٰ أن يكون لها فيء، أي: ظل من حائط المِربض علىٰ قدر طوله، وذلك حيث يكون ظل كل شيء مثله.

(٢) يدفع الحاج: أي يفيض من عرفات، أي: عند غروب الشمس.

(٣) الغداة: أي: صلاة الفجر.

(٤) نهج البلاغة: وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا علي ـ عليه السلام والرضوان: (٨٢/٣).

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب: (١٦٥/١)، رقم: ٦١٠.

(٦) سورة إبراهيم.

(٧) سورة البقرة.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، حقيقةُ الإيمانِ: هُو التَّصديقُ التَّامُّ بمَا أخبرَت به الرُّسلُ، المتضمِّنُ لانقيادِ الجوارحِ، وليسَ الشأنُ في الإيمانِ بالأشياءِ المشاهدة بالحسِّ، فإنَّه لا يتَميَّزُ بِهِ المسلمُ مِن الكافرِ، إنَّما الشأنُ فِي الإيمانِ بالغيبِ، الذي لَم نَرَهُ ولَم نُشاهدهُ، وإنَّما نؤمنُ بِه لِخبرِ اللهِ وخبرِ رسولِه، فهذَا الإيمانُ الذي يُميَّزُ بِه المسلمُ من الكافرِ؛ لأنَّه تصديقٌ مجردٌ للهِ ورسُلِه، فالمؤمنُ يؤمنُ بكلِّ ما أخبرَ اللهُ بِهِ، أو أخبرَ به رسولُه، سواءٌ شاهدَه أو لَم يشاهدهُ، وسواءٌ فهِمَهُ وعقلَه أو لم يهتدِ إليهِ عقلُه وفهمُه، بخلافِ الزنادقةِ المكذِّبينَ للأمورِ الغَيبيَّةِ؛ لأنَّ عقولَهم القاصرةَ المقصرةَ لَم تَهتدِ إليهَا فكذَّبُوا بمَا لَم يحيطوا بعلمِه، ففسَدت عقولُهم، ومرجَت أحلامُهم، وزَكت عقولُ المؤمنينَ المصدِّقينَ المهتدينَ بهدَىٰ اللهِ.

ويدخلُ في الإيمانِ بالغيبِ، الإيمانُ بجميعِ ما أخبرَ اللهُ به من الغيوبِ الماضيةِ والمستقبليَّةِ، وأحوالِ الآخرةِ، وحقائقِ أوصافِ اللهِ.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ولَم يقُل: يفعلونَ الصَّلاةَ، أو يأتونَ بالصلاةِ؛ لأنَّه لا يكفي فيهَا مجرَّدُ الإتيانِ بصورتِها الظاهرةِ، فإقامةُ الصلاةِ، إقامتُها ظاهِراً بإتمامِ أركانِها وواجِباتِها وشروطِها، وإقامَتها باطناً بإقامةِ روحِهَا، وهو حضورُ القلبِ فيها، وتدبَّر مَا يقولُه ويفعلُه منها، فهذهِ الصَّلاةُ هي التِي قالَ اللهُ فيهَا: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴿٤٥﴾﴾[١]، وهي التي يترتَّبُ عليهَا الثوابُ، فلا ثوابَ للإنسانِ من صلاتِه، إلا ما عَقِل مِنها، ويدخُل في الصَّلاةِ فرائضُها ونوافلُها[٢].

﴿تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ والفحشَاءُ: كلُّ مَا استعظَمَ واستَفحَشَ منَ المعاصِي

(١) سورة العنكبوت.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (ص٢٦ ـ ٢٧).

التِي تشتهيها النُّفوسُ.

والمنكرُ: كلُّ معصيةٍ تنكرُهَا العقولُ والفطرُ.

ووجهُ كونُ الصلاةِ تنهَىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ: أنَّ العبدَ المقيمَ لهَا، المتمِّمَ لأركانِها وشروطِها وخشوعِها؛ يستنيرُ قلبُه، ويتطهَّرُ فؤادُه، ويزدادُ إيمانُه، وتقوىٰ رغبتُه في الخيرِ، وتقلُّ أو تُعدمُ رغبتُه في الشرِّ، فبالضرورةِ مداومتُها والمحافظةُ عليهَا علىٰ هَذا الوجهِ، تنهَىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ، فهذا من أعظمِ مقاصدِها وثمراتِها، فتأمَّل.

وثَمَّ في الصَّلاةِ مقصودٌ أعظمُ مِن هَذا وأكبَرُ، وهو ما اشتمَلت عليهِ من ذكرِ اللهِ، بالقلبِ واللِّسانِ والبدنِ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ إنَّمَا خلقَ الخلقَ لعبادتِه، وأفضلُ عبادةٍ تقعُ منهُم الصلاة، وفيها من عبودياتِ الجوارحِ كلِّها، ما لَيس في غيرِها، ولهَذا قال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾(١).

قال "صاحبُ المواهبِ": اعلَم أنَّ بالصَّلاةِ يحصلُ تحقيقُ العبوديةِ، وأداءُ حقِّ الربوبيةِ، وسائرُ العباداتِ وسائلُ إلىٰ تحقيقِ سرِّ الصلاةِ، وقد جمع اللهُ تعالىٰ للمصلِّينَ في كلِّ ركعةٍ ما فرَّقَ علىٰ أهلِ السمواتِ، فلله ملائكةٌ في الركوعِ منذُ خلقَهُم اللهُ تعالىٰ لا يرفعونَ من الركوعِ إلىٰ يومِ القيامةِ، وهكذا السُّجودُ والقيامُ والقعودُ، واجتمعَ فيها أيضاً مِنَ العبادَاتِ مَا لَم يجتَمع في غيرهَا منها: الطَّهارةُ، والصَّمتُ، واستقبالُ القبلةِ، والاستفتاحُ بالتكبيرِ، والقراءةُ، والقيامُ، والركوعُ، والسُّجودُ، والتَّسبيحُ في الركوعِ، والدُّعاءُ في السُّجودِ إلىٰ غيرِ ذلكَ، فهيَ مجموعُ عباداتٍ عديدةٍ؛ لأنَّ الذكرَ بمجرَّدِهِ عبادةٌ، والقراءةَ بمجرَّدِهَا عبادةٌ، وكذا كلُّ فردٍ

---

(١) المصدر السابق: (ص٦٠٢ ـ ٦٠٣).

فرد، وقد أمرَ اللهُ تعالىٰ نبيَّهُ بالصَّلاةِ في قولِه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٤٥﴾﴾(١)، وقالَ تعَالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴿١٣٢﴾﴾(٢)، وفِي ذلِكَ إشارةٌ إلَىٰ أنَّ فِي الصَّلاةِ تَكلِيفاً للنُّفوسِ شاقّاً عليها؛ لأنَّها تأتي في أوقات ملاذِ العبادِ وأشغالِهم، فيطالبُهم بالخروجِ عَن ذلكَ كلِّه إلَىٰ القيامِ بينَ يدَيهِ، والفراغُ عمَّا سوىٰ الله تعَالَىٰ؛ فلِذلِكَ قالَ تعَالَىٰ: ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، ومِمَّا يدلُّ عَلَىٰ أنَّ في القِيَامِ بالصَّلاةِ تكاليف العبوديَّةِ، وأنَّ القيامَ بِهَا عَلَىٰ خلافِ ما تقتضيهِ البشريَّةُ؛ قولُه تعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾(٣)، فجعَلَ الصَّبرَ والصَّلاةَ مُقترنَين؛ إشارةً إلَىٰ أنَّه يحتاج في الصَّلاةِ إلَىٰ الصَّبرِ: صَبرُ ملازمةِ أوقاتِها، وصبرٌ علَىٰ القيامِ بمسنُوناتِها وواجباتِها، وصبرٌ يمنعُ القلوبَ فيهَا عن غفَلاتِها، ولذلكَ قالَ تعالىٰ بَعدَ ذلِكَ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ فأفرَدَ الصَّلاةَ بالذِّكرِ، ولَم يفردِ الصَّبرَ إذ لَو كانَ كذلِكَ لقالَ وإنَّه لكبيرٌ؛ فذلِكَ يدلُّ علَىٰ ما قُلنَا، أو لأنَّ الصبرَ والصلاةَ مقترنانِ متلازمانِ فكانَ أحدُهما هو عينُ الآخرِ، كما قالَ تعالىٰ فِي الآيةِ الأخرَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴿٦٢﴾﴾(٤). اهـ(٥).

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ أوَّلَ مَا يحاسَبُ بِهِ العَبدُ صَلاتُهُ، فَإن صَلحَت صَلاتُهُ.. صَلحَ سَائرُ عَمَلِهِ، وإن فَسَدَت صَلاتُهُ.. فَسَدَ سَائرُ عَمَلِهِ»(٦).

(١) سورة العنكبوت.
(٢) سورة طه.
(٣) سورة البقرة.
(٤) سورة التوبة.
(٥) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: للقسطلاني: (٢/٢١٣ ـ ٢١٤).
(٦) الأحاديث المختارة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي: (ت: ٦٤٣هـ)، (١٤٥/٧)، قال عبد الملك بن عبد الله بن دهيش: إسناده حسن لشواهده.

وَرَوىٰ أَصحَابُ السُّنَنِ ، عَن أَبِي هُرَيرَة ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبدُ يَومَ القِيَامَةِ مِن عَمَلِهِ صَلاتُهُ[(١)] ، فَإِن صَلُحَت فَقَد أَفلَحَ وَأَنجَحَ ، وَإِن فَسَدَت فَقَد خَابَ وَخَسِرَ ، فَإِن انتَقَصَ مِن فَرِيضَتِهِ شَيءٌ ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انظُرُوا ، هَل لِعَبدِي مِن تَطَوُّعٍ ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انتَقَصَ مِن الفَرِيضَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ»[(٢)] .

وإنَّ ممَّا يُتمُّ النَّقصَ في فرضِ الصلاةِ ، بكمالِه وقبولِه ـ بفضلِ اللهِ ورحمتِه ، هي السننُ الراتِبةُ لَها وغيرُ الرَّاتبةِ ، وهَا هي التالية ذكراً:

قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن ثَابَرَ عَلَىٰ ثِنتَي عَشرَةَ رَكعَةً مِن السُّنَّةِ ، بَنَىٰ الله لَهُ بَيتاً فِي الجَنَّةِ: أَربَع رَكَعَاتٍ قَبلَ الظُّهرِ ، وَرَكعَتَينِ بَعدَهَا ، وَرَكعَتَينِ بَعدَ المَغرِبِ ، وَرَكعَتَينِ بَعدَ العِشَاءِ ، وَرَكعَتَينِ قَبلَ الفَجر»[(٣)] .

(١) لا يعارضه حديث: أول ما يقضىٰ بين الناس يوم القيامة في الدماء ، فإن هذا في حقوق الخلق مع بعضهم ، وما هنا في حقوق الله تعَالَىٰ ، ولم يرد ما يفيد تقديم أحدهما . ويمكن أن يكون قوله في الحديث الصحيح: أول ما يقضىٰ ، ولفظ حديث الباب: أول ما يحاسب ، فيمكن أن يكون المحاسبة أولاً في الصلاة ، ويكون القضاء أولا في الدماء .

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب قول النبي ﷺ: «كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه» ، رقم: ٨٦٤ ، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، رقم: ٤١٣ ، وقال: حسن غريب ، سنن النسائي: كتاب الصلاة ـ باب المحاسبة علىٰ الصلاة ، رقم: ٤٦٦ ، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، رقم: ١٤٢٦ ، مسند أحمد: (٩/٢٢٧) ، رقم: ٩٤٦٢ .

(٣) سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء فيمن صلىٰ في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة ، رقم: ٤١٤ ، سنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار ـ باب ثواب من صلىٰ في اليوم والليلة ثنتي عشرة ركعة سوىٰ المكتوبة ، وذكر اختلاف الناقلين فيه لخبر أمِّ حبيبة في ذلك ، والاختلاف علىٰ عطاء ، رقم: ١٧٩٥ ، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في ثنتي عشرة ركعة من السنة ، رقم: ١١٤٠ ، وهو حديث صحيح . =

وعنِ ابنِ عمرَ قَالَ: «صَلَّيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: رَكعَتَينِ قَبلَ الظُّهرِ، وَرَكعَتَينِ بَعدَهَا»، متفق عليه(١).

وعَن أُمِّ حَبِيبَةَ زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ، تَقُولُ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «من حَافَظَ علىٰ أَربَعِ رَكَعَاتٍ قبل الظُّهرِ وَأَربَعٍ بَعدَهَا حَرَّمَهُ الله علىٰ النَّارِ»(٢).

وعَن عَلِيٍّ رضي الله عنه، قالَ: «كان النَّبيُّ ﷺ، يُصَلِّي قبل العَصرِ أَربَعَ رَكَعَاتٍ، يَفصِلُ بَينَهُنَّ بِالتَّسلِيمِ علىٰ المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَمَن تَبِعَهُم من المُسلِمِينَ وَالمُؤمِنِينَ»(٣).

وعنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ الله امرَأً صَلَّىٰ قَبلَ العَصرِ أَربَعاً»(٤)؛ فدخل برحمة الله وجنَّته، بدعائه ﷺ.

= والسنن التابعة للفرائض، تسمَّىٰ تطوعاً ونافلةً وسنةً ومندوباً ومستحباً وهو ما رجح الشرع فعله ورغب فيه، ولم يعاقب علىٰ تركه، وهو قسمان مؤكد وهو ما واظب عليه النبي ﷺ، وغير مؤكد، وهو ما تركه أحياناً، وحكمة الرواتب: تكميل ما نقص من الفرائض إن حصل، وإلا فزيادة الثواب والقرب من الله تعَالَىٰ. التاج الجامع للأصول: (١/٢٠٨).

(١) صحيح البخاري: كتاب الجمعة ـ باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها، رقم: ٩٣٧، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن، رقم: ١٦٩٥.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب الأربع قبل الظهر وبعدها، رقم: ١٢٦٩، سنن الترمذي: كتاب الصلاة، رقم: ٤٢٨، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(٣) سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم: ٤٢٩، وقال: وفي البَاب: عن ابن عُمَرَ، وَعَبدِ الله بن عَمرٍو. وقال: حَدِيثُ عَلِيٍّ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب الصلاة قبل العصر، رقم: ١٢٧١، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم: ٤٣٠، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي، (٢/٥١٨، ٥١٩): قوله: (هذا حديث حسن غريب) كذا في النسخ الموجودة؛ بتقديم لفظ "حسن" علىٰ لفظ "غريب". وقال العراقي: جرت عادة المصنف=

وعَن عَلِيٍّ ﵁، وَكرَّم اللهُ وجهَهُ: «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُصَلِّي قبلَ العَصرِ رَكعَتَينِ»[(١)].

وعن أنسٍ ﵁ قالَ: «كُنَّا نُصَلِّي عَلَىٰ عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ رَكعَتَينِ بَعدَ غُرُوبِ الشَّمسِ قَبلَ المَغرِبِ، فَقِيلَ: أَكَانَ رسولُ اللهِ ﷺ صَلَّاهُمَا؟ قالَ: كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَم يَأمُرنَا ولَم يَنهَنا»[(٢)].

وعنِ ابنِ عباسٍ ﵄ قالَ: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي بَعدَ المَغرِبِ رَكعَتَينِ»[(٣)].

وعن عمَّار بنِ ياسرٍ ﵄ أنَّ النَّبيَّ ﷺ صَلَّىٰ بعدَ المغربِ ستَّ ركعاتٍ، وقالَ: «مَن صَلَّىٰ بَعدَ المَغرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ غُفِرَت لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِن كَانَت مِثلَ زَبَدِ البَحرِ»[(٤)].

وعن حُذَيفَةَ ﵁ قال: «صَلَّيتُ مع النَّبيِّ ﷺ المَغرِبَ، فلمَّا قَضَىٰ الصَّلَاةَ

= أن يقدم الوصف بالحسن علىٰ الغرابة، وقدم هنا غريب علىٰ حسن؛ والظاهر أنه يقدم الوصف الغالب علىٰ الحديث؛ فإن غلب عليه الحسن قدمه، وإن غلبت عليه الغرابة قدمها. وهذا الحديث بهذا اللفظ لا يعرف إلا من هذا الوجه، وانتفت فيه وجوه المتابعات، والشواهد؛ فغلب عليه وصف الغرابة. انتهىٰ كذا في قوت المغتذي فيظهر من كلام العراقي هذا: أنه كان في النسخة الموجودة عنده هذا "غريب حسن" بتقديم لفظ "غريب" علىٰ لفظ "حسن" وحديث بن عمر هذا: قال الحافظ في "التلخيص" بعد ذكره: رواهُ أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن حِبَّان وصححه؛ وكذا شيخه بن خزيمة من حديث ابن عمر، وفيه محمد بن مهران، وفيهم قال؛ لكن وثقه ابن حِبَّان. انتهىٰ.

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ــ باب الصلاة قبل العصر، رقم: ١٢٧٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به ــ باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، رقم: ١٩٣٥.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجمعة ــ باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها، رقم: ٩٣٧، سنن النسائي: كتاب الإمامة ــ باب الصلاة بعد الظهر، رقم: ٨٧٣.

(٤) المعجم الأوسط: (١٩٢/٧)، رقم: ٧٢٤٦، المعجم الصغير: (١٢٧/٢)، رقم: ٩٠٠.

قام يصَلِّي، فلم يَزَل يصلِّي حتَّىٰ صَلَّى العِشَاءَ ثُمَّ خَرَجَ»(١).

وعن عُبَيدٍ رضي الله عنه مولَى النَّبيِّ ﷺ قالَ: «سُئِلَ؛ أَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأمُرُ بِصَلَاةٍ بَعدَ المَكتُوبَةِ أو سِوَىٰ المَكتُوبَةِ، قَالَ: نَعَم، بَينَ المَغرِبِ وَالعِشَاءِ»(٢).

وعن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كان يُصَلِّي مَا بينَ المَغرِبِ وَالعِشَاءِ وَيَقُولُ: «هِيَ نَاشِئَةُ اللَّيلِ» رواهُ ابنُ أَبِي شَيبَةَ(٣)، وعَنهُ في تَفسيرِ قولهِ تعَالَىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴿١٦﴾﴾(٤)، قَالَ: يصلُّونَ ما بينَ المغربِ والعشاءِ(٥). وعَنهُ أيضاً فِي تفسيرِ قولِهِ تعَالَىٰ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾(٦)، أَنَّهُ قالَ: "نَزَلت فيمن كانَ يصلِّي مَا بَينَ العشاءِ والمغربِ"(٧).

وعن محمدِ بنِ المُنكَدِرِ ـ مُرسلاً ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «من صَلَّى مَا بَينَ المَغرِبِ وَالعِشَاءِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ الأَوَّابِينَ»(٨).

---

(١) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.. والحديث رواهُ الترمذي (٥/٦٦٠)، رقم: ٣٧٨١، في المناقب، وقال: حسن غريب. والنسائي، رقم: ١٩٣و ٢٦٠٠ في فضائل الصحابة، وابن خزيمة: (٢/٢٠٧)، رقم: ١١٩٤. ينظر: المسند: (١٦/٥٩١ ـ ٥٩٢)، رقم: ٢٣٢٢٢ و٢٣٣٢٨.

(٢) قال حمزة أحمد الزين: إسناده ضعيف، لجهالة الراوي عن عبيد، وأورده الهيثمي: (٢/٢٢٩)، وقال: مداره على رجل لم يسمه. ينظر: المسند: (١٧/٦٦)، رقم: ٢٣٥٤٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: (٢/١٥)، رقم: ٥٩٢٦.

(٤) سورة السجدة.

(٥) نسبه محمد بن علي بن محمد الشوكاني: (ت١٢٥٥هـ)، في نيل الأوطار: (٣/٦٧) لابن مردويه في "تفسيره"، ونقل إن العراقي قال عنه: إسناده جيد.

(٦) سورة الذاريات.

(٧) صححه الحافظ العراقي كما في نيل الأوطار: (٣/٦٧).

(٨) الزهد والرقائق: لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ) (ص٤٤٥)، قال الشوكاني في نيل الأوطار: (٣/٦٧): "وهذا وإن كان مرسلاً لا يعارضه ما في الصحيح من قوله ﷺ: «صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال»؛ فإنه لا مانع أن يكون كل من الصلاتين صلاة الأوابين.

وعن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ: «صَلَّيتُ مع رسول اللهِ ﷺ رَكعَتَينِ قبل الظُّهرِ، وَرَكعَتَينِ بَعدَ الظُّهرِ، وَرَكعَتَينِ بَعدَ الجُمُعَةِ، وَرَكعَتَينِ بَعدَ المَغرِبِ، وَرَكعَتَينِ بَعدَ العِشَاءِ»، متفق عليه[١].

وعن عَائِشَة رضي الله عنها عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «رَكعَتَا الفَجرِ خَيرٌ مِنَ الدُّنيا وَمَا فِيها[٢]»[٣].

وعن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَرَأَ في رَكعَتَي الفَجرِ: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤]، رواه مسلم والنسائي وأبو داود، وابن ماجه، وفي أُخرَىٰ في الصحيح: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ يخَفِّفُ الرَّكعَتَينِ اللَّتَينِ قَبلَ صَلاةِ الصُّبحِ»[٥]، لينشَطَ لمَا بعدَهُمَا، والمبادرة إلىٰ حلِّ عُقَدِ الشَّيطانِ؛ لِقولِه ﷺ:

(١) صحيح البخاري: كتاب التهجد ـ باب ما جاء في التطوع مثنىٰ مثنىٰ، رقم: ١١٦٥، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن، رقم: ١٦٩٥.

(٢) أي: سنة الفجر قبل الفرض خير من الدُّنيا، فنعيمهما في الجنة خير من نعيم الدُّنيا لو ملكها الإنسان، أو ثوابها أكثر من ثواب الدُّنيا لو ملكها وتصدق بها، وإذا كان هذا في سنة الفجر، فما بالك بفرضه! فتأمل.

(٣) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم: ١٦٨٥.

(٤) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم: ١٦٨٧، سنن النسائي: كتاب الافتتاح ـ باب القراءة في ركعتي الفجر بـ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم: ١٢٥٦، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب في تخفيفها ـ أي ركعتي الفجر ـ رقم: ١٢٥٦، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء فِيمَا يقرأ في الركعتين قبل الفجر، رقم: ١١٤٨.

(٥) صحيح البخاري: كتاب التهجد ـ باب ما يقرأ في ركعتي الفجر، رقم: ١١٧١، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما،=

«فَحُلُّوا عُقَدَ الشَّيطَانُ وَلَو بِرَكعَتَينِ»[(١)].

وكانَ ﷺ يطيلُ القراءة فِي ركعَتَي فرضِ الفجرِ علىٰ العُمومِ[(٢)].

وعَن أبي هُرَيرَة قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُم رَكعَتَي الفَجرِ فَليَضطَجع[(٣)] علىٰ يَمينِهِ»[(٤)].

وعن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا صلَّىٰ أَحَدُكُم الجُمُعَةَ فَليُصَلِّ بَعدَهَا أَربَعاً»[(٥)].

= والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم: ١٦٨١.

(١) صحيح ابن خزيمة: لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري: (ت: ٣١١هـ)، (٢/١٧٥)، رقم: ١١٣٢.

(٢) أنَّه ﷺ كان يطيل في الصبح أكثر من العصرين، ففهم أنه كان يقرأ في الصلوات كمقتضىٰ الحال، ولكن كان التطويل في الصبح أكثر لانتظار النائم فإنه وقت نوم، ويليه الظهر، فالعشاء، فالعصر، فتندب قراءة طوال المفصلة في الصبح والظهر بتطويل الصبح قليلاً، وقراءة أوساط المفصلة في العشاء والعصر، وقصارها في المغرب.

(٣) فَليَضطَجع: وهو للقبلة، وليذكر الموت وما بعده، ثم يعتدل، ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم سبعاً، ويتلو البسملة تسع عشرة مرة، ثم يقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة، ورد في حديث: أن من واظب عليها بين سنة الصبح وفرضه؛ أتته الدُّنيا وهي راغمة. فتنبه جداً.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب الاضطجاع بعدها، رقم: ١٢٦١، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر، رقم: ٤٢٠، وقال: حَدِيثُ أبي هُرَيرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ من هذا الوَجهِ، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الضجعة بعد الوتر، وبعد ركعتي الفجر، رقم: ١١٩٩.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الجمعة ـ باب الصلاة بعد الجمعة، رقم: ٢٠٣٣، سنن النسائي: كتاب الجمعة ـ باب عدد الصلاة بعد الجمعة في المسجد، رقم: ١٤٢٧، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب الصلاة بعد الجمعة، رقم: ١١٣١، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الصلاة بعد الجمعة، رقم: ١١٣٣، مسند أحمد: (٩/٤٨٦)، رقم: ١٠٤١٢، و١٠٤٣٣.

وعن أبي هُرَيرَة ﷺ: «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُصَلِّي قبل الجُمُعَةِ رَكعَتَين وَبَعدَهَا رَكعَتَينِ»[(١)].

وعَنِ ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال: «كان النَّبيُّ ﷺ يَركَعُ قبل الجُمُعَةِ أَربعاً، وَبَعدَهَا أَربَعاً لا يَفصِلُ بَينَهُنَّ»[(٢)].

وعن عبدِ اللهِ بنِ مُغَفَّلٍ المُزَنِيِّ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «بينَ كُلِّ أَذَانَينِ صَلاةٌ»، قَالَهَا ثَلاثاً قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «لِمَن شَاءَ»[(٣)].

"أي عزيزي" قُلنَا: يُسألُ العبدُ أوَّلاً عن الصَّلاةِ: دلالةٌ عَلَى أنَّهَا المدرَجُ الثَّانِي[(٤)] بعدَ التَّوحيد، وقد شرَّفَهَا اللهُ تعالى بقولِه سبحانَه: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾[(٥)]، والصَّلاةُ هِي: العبَادَةُ الخالصةُ لوجهِ اللهِ تعَالَى، وشرَّفَهَا بنسبَتِها إليه، بقولِه ﷻ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾، ولقوله ﷻ: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴿٤٥﴾ ﴾[(٦)]، أي: ولَذكرُ اللهِ لعبدِه الذي يذكرُهُ في الصَّلاةِ، وخارجَ الصَّلاةِ أكبرُ مِن ذكرِ العبدِ لربِّه، فإنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴿١٥٢﴾ ﴾[(٧)]، فأوَّلُ ما يدخلُ تحتَ عمومِ الآيةِ، ذكرُ العبدِ لربِّه في الصَّلاةِ: من

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري، (٢/٤٢٦): رواهُ البزار.

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الصلاة قبل الجمعة، رقم: ١١٢٩، المعجم الكبير: (١٢/١٢٩)، رقم: ١٢٧٦٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان ـ باب كم بين الأذان والإقامة ومن ينتظر الإقامة، رقم: ٦٢٤، صحيح مسلم: كتاب فضائل القرآن ـ باب بين كل أذانين صلاة، رقم: ١٩٣٧.

(٤) أو المدرجة الثانية.

(٥) سورة طه.

(٦) سورة العنكبوت.

(٧) سورة البقرة.

تلاوةِ القرآنِ الكريمِ، والتَّسبيحاتِ، والتَّكبيراتِ، والتَّحميداتِ، والدَّعواتِ، والذلِّ والخضوعِ من قيامٍ، وركوعٍ، وسجودٍ للربِّ المعبودِ ﷻ فإنَّ هذا الذِّكرَ منَ العبدِ مقابل ذكرِ اللهِ تعالىٰ للعبدِ، وذكرُ اللهِ لعبادِهِ أكبرُ وأعظمُ من ذكرِ العبدِ لربِّه، وذكرُ اللهِ عليكَ تَجلِّياً منهُ ﷻ ومعارجُ قربٍ، كمَا قالَ ﷺ: «الصَّلاةُ معرَاجُ المُؤمِنِ»[(١)].

قَالَ العلَّامَةُ المنَّاويُّ: وهِي معراجُ المؤمنِ، ومقرِّبتُهُ إلىٰ ذاتهِ الأقدسِ، فالزمُوهَا، وأقيمُوا حدودَهَا سِيَّمَا مقدِّمتها الَّتي هيَ شطرُ الإيمانِ فحافظوا علَيها؛ فإنَّه لا يحافِظ علَيهَا إلا مُؤمِنٌ راسخُ القدمِ في التَّقوىٰ، كمَا قالَ ﷺ: «استَقِيمُوا وَنِعِمَّا إنِ استَقَمتُم، وَخَيرُ أَعمَالِكُم الصَّلاةُ، ولَن يُحَافِظَ علَىٰ الوُضُوءِ إلا مُؤمِنٌ»[(٢)].

قولُه: «استَقِيمُوا وَنِعِمَّا إن استَقَمتُم»، فإنَّ شأنَ الاستقامةِ عظيمٌ، وخطبُها جَسِيمٌ، ومِن ثَمَّ قالَ الحَبرُ[(٣)]: مَا نَزلَ علَى المُصطفَىٰ ﷺ آيةٌ أشقّ مِن هذهِ الآيةِ

(١) قال الإمام الرَّازي ﵀: فهذه المراتب السبع المذكورة في آخر سورة البقرة ذكرها محمد ﵇ في عالم الروحانيات عند صعوده إلىٰ المعراج فلما نزل من المعراج فاض أثر المصدر علىٰ المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلاته صعدت هذه الأنوار من المظهر إلىٰ المصدر كما نزلت هذه الأنوار فيعهد محمد ﵇ من المصدر إلىٰ المظهر فلهذا السبب قال ﵇: «الصلاة معراج المؤمن»، تفسير الرازي: (١/٢١٤).

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها ـ باب المحافظة علىٰ الوضوء، رقم: ٢٧٩.

(٣) هو: عَبدُ الله بنُ عَبَّاسٍ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ بنِ عَبدِ مَنَافٍ أَبُو العَبَّاسِ القُرَشِيُّ الهَاشِمِيُّ المَكِّيُّ أَحَدُ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ فِي العِلمِ سُمِّيَ بِالحَبرِ وَالبَحرِ، لِسَعَةِ عِلمِهِ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ. ينظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف (بابن دقيق العيد): (ت: ٧٠٢هـ)، (١/٤٦). قال محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: (ت: ٦٦٦هـ) في مختار الصحاح، (ص١٢٠): والحبر بالكسر واحدُ (أحبار) اليَهُود=

ولا أعظم وهي: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴿١١٢﴾﴾[١]، وفِي خبرٍ رواهُ "ابنُ أبِي حاتِمٍ": أنَّه لَم يُرَ بعدَ نزولِها ضَاحِكاً أبداً.

وفِي خبرِ الترمذيِّ ما يفيد أنَّ أعظمَ ما يُراعىٰ استقامةً بعدَ القلبِ منَ الجوارح اللَّسانُ فإنَّه التُّرجمان؛ قالَ الحرَّاني: وقد جُمعَ لمنِ استقامَ الأمداحُ المبهمةُ لأنَّ "نعم" كلمةُ مبالغةٍ تجمَعُ المدحَ كلَّه، "ومَا" كلمةٌ مبهمةٌ تَجمعُ الممدُوحَ فتطابقَا في الإبهَامِ.

قالَ "ابنُ الأثيرِ": أصلُهُ "نعم ما"، فأدغمَ وشدَّدَ؛ ثمَّ نبَّهَ علىٰ أنَّ أعظمَ أركانِ الاستقامةِ الصلاةُ، بقولِه ﷺ: «وَخَيرُ أَعمَالِكُم الصَّلاةُ ولن»، وفي روايةٍ: «ولا»، «يُحَافِظَ علىٰ الوُضُوءِ»، أي: بإسباغِه، وإدامتِه، واستيفاءِ سنَنِه، وآدابِهِ «إلا مُؤمِنٌ»، أي: كاملُ الإيمانِ، وفيهِ: بيانُ شرفِ الصَّلاةِ وكونها أشرف الطاعاتِ، والمحافظةُ علَىٰ الوضوءِ بمراقبةِ أوقاتِهِ وإدامتِهِ وإسباغِهِ والاعتناءِ بآدابِهِ[٢].

فعن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لِبلالٍ عِندَ صَلاةِ الفَجرِ: «يا بِلالُ، حَدِّثنِي بِأَرجَىٰ عَمَلٍ عَمِلتَهُ في الإِسلامِ، فَإِنِّي سَمِعتُ دَفَّ[٣] نَعلَيكَ بين يَدَيَّ في الجَنَّةِ»، قال: ما عَمِلتُ عَمَلاً أَرجَىٰ عِندِي أَنِّي لم أَتَطَهَّر طَهُوراً في سَاعَة مِن لَيلٍ

= والكسر أفصح لأنه يُجمع علىٰ أفعال دون فُعُول. وقال الفَرّاء: هو بالكسر. وقال أبو عُبَيد: هو بالفتح. وقال الأصمعيّ: لا أدري أهو بالكسر أو بالفتح. وكَعب الحِبر بالكسر منسوب إلىٰ الحِبر الذي يُكتب به لأنه كان صاحبَ كُتُب.

(١) سورة هود.

(٢) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: (١/٦٤١ ـ ٦٤٢).

(٣) الدَّفُّ: صوت النَّعل وحركته علىٰ الأرض، وفي لفظ مسلم: «خشف نعليك» بفتح الخاء وسكون الشين، وهو صوت المشي الخفيف.

أو نَهَارٍ إلا صَلَّيتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَن أُصَلِّيَ. مُتَّفَقٌ عليه(١).

والصَّلاةُ معارجٌ وتقرُّبٌ إلىٰ الله تعالىٰ: فمِن معارجِها: قولُه ﷻ: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾(٢) ﴿وَٱسۡجُدۡ﴾، أي: صلِّ لله علىٰ وجه الخضوع والخشوع، ﴿وَٱقۡتَرِب﴾، أي: إليه سبحانه، لتنال كمال القُربِ من المعبود ﷻ، كما قال رسول الله ﷺ: «أَقرَبُ ما يَكُونُ العَبدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ فَأَكثِرُوا الدُّعَاءَ»(٣).

«أقرب»، أي: "قبولاً ورضاً"، فتنبَّه.

ومِن معارِجها: أنَّها ترفع الدَّرجات إلىٰ مقام الوصول إلىٰ الله تعالىٰ: كما قال ﷺ، لثوبَان ﵁: «عَلَيكَ بِكَثرَةِ السُّجُودِ لله، فَإِنَّكَ لا تَسجُدُ لله سَجدَةً، إلا رَفَعَكَ الله بها دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنكَ بها خَطِيئَةً»(٤).

ومِن معارِجها: أنَّها كثيرةُ المناجاة، كما قال ﷺ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»(٥).

المخ: يطلق علىٰ الرأس، وعلىٰ الود والدسم الذي في رأس الذبيحة وعظامها وهو أصفاها وأعظمها في التغذية، وعلىٰ الخالص من كل شيء، وإنما كان الدعاء مخ العبادة لأن كل عابد لله ربما غلب قلبه إلا الداعي فإنه حاضر مع

(١) صحيح البخاري: كتاب التهجد ـ باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار، رقم: ١١٤٩، صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل بلال ﵁، رقم: ٦٢٧٤.

(٢) سورة العلق.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصلاة ـ باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: ١٠٨٣، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب في الدعاء في الركوع والسجود، رقم: ٨٧٥، سنن النسائي: كتاب التطبيق ـ باب أقرب ما يكون العبد من الله ﷻ، رقم: ١١٣٧، مسند أحمد، رقم: ٩٤١٥.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الصلاة ـ باب فضل السجود والحث عليه، رقم: ١٠٩٣.

(٥) سنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب منه، رقم: ٣٣٧١، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

الله بقوله وظاهره وباطنه فهو في هذه الحال عبد الله بكل جوارحه وهذه أسعد أحوال الإنسان وأشرفها.

وفي روايةٍ: «الدُّعَاءُ هو العِبَادَةُ»(١).

وقال ﷺ: «سَلُوا اللهَ من فَضلِهِ، فإنَّ الله ﷻ يُحِبُّ أَن يُسأَلَ، وَأَفضَلُ العِبَادَةِ انتِظَارُ الفَرَجِ(٢)»(٣).

وقال ﷺ: «مَن لَم يَسأَلِ اللهَ يَغضَب علَيهِ(٤)»(٥).

وللهِ دَرُّ القَائلِ(٦):

لا تَسـألَنَّ بُنَـيَّ آدَمَ حَاجَـةً ❈ وسَـلِ الَّـذِي أَبوابُـهُ لا تُحجَـبُ
اللهُ يَغضَـبُ إن تَركـتَ سُـؤالَهُ ❈ وبُنَـيُّ آدَمَ حِـينَ يُسـأَلُ يَغضَـبُ

(١) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة البقرة، رقم: ٢٩٦٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب الدعاء، رقم: ١٤٧٩، سنن ابن ماجه: كتاب الدعاء ـ باب فضل الدعاء، رقم: ٣٨٢٨.

(٢) من الله بتعجيل طلبه فهو حاضر مع الله كل لحظة لأخذ مطلوبه، ونفحات الله لا تنقطع دائما وأبدا بل ورد: أن له في كل نفس ستمائة ألف فرج قريب، اللَّهم أدركنا بفرج عظيم قريب يعمنا والمسلمين آمين، والحمد لله رب العالمين. التاج الجامع للأصول: (١١١/٥).

(٣) سنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب في انتظار الفرج وغير ذلك، وقال: هَكَذَا رَوَىٰ حَمَّادُ بن وَاقِدٍ هذا الحديث، وقد خُولِفَ في رِوَايَتِهِ. وَحَمَّادُ بن وَاقِدٍ هذا هو الصَّفَّارُ ليس بِالحَافِظِ وهو عِندَنَا شَيخٌ بَصرِيٌّ وَرَوَىٰ أبو نُعَيمٍ هذا الحديث عن إِسرَائِيلَ عن حَكِيمِ بن جُبَيرٍ عن رَجُلٍ عن النبي ﷺ مرسلاً، وَحَدِيثُ أبي نُعَيمٍ أَشبَهُ أَن يَكُونَ أَصَحَّ.

(٤) لأنه نسيه تعَالَىٰ وانصرف لغيره.

(٥) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٧٣، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. ينظر: المسند: (٢٨٧/٩)، رقم: ٩٦٦٢.

(٦) قال أبو سليمان الخطابي: (ت٣٨٨هـ)، في كتاب العزلة، (ص٧٦): أنشدني الخزيمي فذكره.

والصَّلاة: كلُّها دعاءٌ، بَل مِن عظيمِها أنَّكَ تُنَاجي ربَّك ﷻ بالفاتحةِ الَّتي كلُّها دعاءٌ عَن اللهِ تعَالَىٰ؛ بَل هي القرآن المجيد كلُّه، كمَا قالَ تعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾[1]، وبمَا تضمَّنت مِن أسرارِ المناجاةِ وقبولِها، لأنَّها دعاءٌ منه وإليهِ ﷻ، فتنبَّه جداً.

ومِن عظيمِ معارجِها: أنَّ اللهَ ﷻ، يُقبلُ بوجهِهِ علىٰ المصلِّي: لقوله ﷺ: «لا يَزَالُ الله مُقبِلاً علىٰ العَبدِ ما لم يَلتَفِت، فإذا صَرَفَ وَجهَهُ انصَرَفَ عنه[2]»[3].

ومن معارجِها: أنَّهَا أحبُّ الأعمالِ إلىٰ اللهِ تعَالَىٰ؛ فعَن عَبدِ اللهِ ابنِ مَسعُودٍ قالَ: سَألتُ النَّبيَّ ﷺ أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إلىٰ اللهِ؟ قالَ: «الصَّلاةُ عَلىٰ وَقتِهَا» قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «بِرُّ الوَالِدَينِ» قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «الجِهَادُ في سَبِيلِ الله» قال: حدَّثني بِهِنَّ، وَلَو استَزَدتُهُ لَزَادَنِي[4].

ومِن معَارِجِهَا: أنَّ الله تعالىٰ يُباهي بالمصلِّي: فعنِ ابنِ عمَرَ رضي الله عنهما قالَ: صلَّينَا معَ رسولِ اللهِ ﷺ المغربَ، فرجعَ إلىٰ بيتِه من رجع، وعَقَّب ـ أي: في مُصَلاه ـ عَقِبَ الصَّلاةِ من عَقَّبَ، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ، مسرعاً حَفَزَهُ النَفَسُ، أي: أتعَبَهُ مِن

(١) سورة الحجر.
(٢) أي: يقبل الله علىٰ العبد برحمته ورضوانه ما لم يلتفت، وإلا أعرض عنه وقل ثوابه، والالتفات بالوجه مكروه لتحويله عن القبلة ولمنافاته للخشوع، وعليه الإجماع. التاج الجامع للأصول: (٢٠٤/١).
(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب الالتفات في الصلاة، رقم: ٩٠٩، سنن النسائي: كتاب السهو ـ باب التشديد في الالتفات في الصلاة، رقم: ١١٩٥، صحيح ابن خزيمة: (٢٤٤/١)، رقم: ٤٨٢، المستدرك: (٣٦١/١)، وصححه ووافقه الذهبي، ينظر: المسند: (٥٥١/١٥)، رقم: ٢١٤٠٠، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٤) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة ـ باب فضل الصلاة لوقتها، رقم: ٥٢٧، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب بيان كون الإيمان بالله تعَالَىٰ أفضل الأعمال، رقم: ٢٤٨ و٢٤٩ و٢٥٠.

شدَّةِ سعيهِ، فقَالَ: «أَبشِرُوا: هَذَا رَبُّكُم قَد فَتَحَ بَاباً مِن أَبوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُم المَلائِكَةَ، يَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَد قَضَوا فَرِيضَةً، وَهُم يَنتَظِرُونَ أُخرَىٰ»(١).

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٢٠٠﴾(٢)، قال ابنُ كثيرٍ فِي "تفسيرِهِ": قالَ الحسنُ البصريُّ: أُمروا أن يصبروا عَلَىٰ دِينِهِمُ الذي ارتضَاهُ اللهُ لهُم وهو الإسلامُ، فلا يدَعُوه لسرَّاءٍ ولا لضرَّاءٍ ولا لشدَّةٍ ولا لِرَخاءٍ، حتَّىٰ يموتُوا مسلمينَ، وأن يصَابِرُوا الأعداءَ الذينَ يكتمونَ دينَهم، وكذَا قالَ غيرُ واحدٍ من علماءِ السَّلفِ.

وأمَّا المُرابطةُ فهِي: المُدَاومةُ فِي مكانِ العبادةِ والثَّبات، وقيلَ انتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ، كمَا قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ألَا أَدُلُّكُم عَلَى ما يَمحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ» قالُوا: بَلَىٰ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: «إِسبَاغُ الوُضُوءِ(٣) عَلَىٰ المَكَارِهِ(٤)، وَكَثرَةُ الخُطَا(٥) إلىٰ المَسَاجِدِ(٦)، وَانتِظَارُ الصَّلاةِ بَعدَ الصَّلاةِ؛ فَذَلِكُم الرِّبَاطُ(٧)»(٨).

(١) مسند أحمد: رقم: ٦٧٥٠، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح، سنن ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات ـ باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، رقم: ٨٠١.
(٢) سورة آل عمران.
(٣) أي: عمله كاملا بفروضه وسننه.
(٤) ولو في أوقات الشدة كالبرد والمرض.
(٥) بالضم جمع خطوة وهي ما بين القدمين، وبالفتح المرة من نقل القدم.
(٦) للجماعة ونحوها.
(٧) أصله الإقامة في الحد بيننا وبين الكفار لحفظ المسلمين، والمراد هنا أن هذه الأمور هي الرباط الكامل والجهاد الأكبر لمنعه نفسه من هواها. فتأمل.
(٨) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ـ باب فضل إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، رقم: ٥٨٦، سنن الترمذي: كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في إسباغ الوضوء، رقم: ٥١ و٥٢، سنن النسائي: كتاب الطهارة ـ باب الفضل في ذلك ـ أي إسباغ الوضوء ـ رقم: ١٤٣، سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها ـ=

عَن ثَوبَانَ رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا انصَرَفَ من صَلاتِهِ(١) استَغفَرَ ثَلاثاً، وقالَ: «اللَّهمَّ أنتَ السَّلامُ وَمِنكَ السَّلامُ(٢)، تَبَارَكتَ ذَا الجَلالِ وَالإِكرَامِ»(٣).

وعَن أبِي هُرَيرَة رضي الله عنه أَنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهلُ الدُّثُورِ(٤) بِالدَّرَجَاتِ وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، فقَالَ: «ومَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ وَيُعتِقُونَ ولا نُعتِقُ(٥)؛ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَفَلا أُعَلِّمُكُم شيئاً تُدرِكُونَ بِهِ من سَبَقَكُم وَتَسبِقُونَ بِهِ من بَعدَكُم ولا يَكُونُ أَحَدٌ أَفضَلَ مِنكُم إلا مَن صَنَعَ مِثلَ ما صَنَعتُم؟» قالوا: بَلَىٰ يا رَسُولَ الله قال: «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحمَدُونَ دُبُرَ كل صَلاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً»(٦).

وفي روايةٍ: «مَن سَبَّحَ الله في دُبُرِ كل صَلاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ وَحَمِدَ الله ثَلاثاً

= باب ما جاء في إسباغ الوضوء، رقم: ٤٢٨.

(١) بالتسليم منها.

(٢) أي الأمان، فأنت الذي تؤمن من تشاء من الخوف.

(٣) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، رقم: ١٣٣٣، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب ما يقول إذا سلّم، رقم: ١٥١٣، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما يقول إذا سلّم من الصلاة، رقم: ٣٠٠، سنن النسائي: كتاب السهو ـ باب الاستغفار بعد التسليم، رقم: ١٣٣٨، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما يقال بعد التسليم، رقم: ٩٢٨.

(٤) جمع دثر كشرط، وهو المال الكثير، أو الكثير من كل شيء.

(٥) فهم يعملون كأعمالنا، ويزيدون علينا بثمرات أموالهم من الصدقة والعتق ونحوهما.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الأذان ـ باب الذكر بعد الصلاة، رقم: ٨٤٣، وفي كتاب الدعوات ـ باب الدعاء بعد الصلاة، رقم: ٦٣٢٩، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، رقم: ١٣٤٦.

وَثَلاثِينَ وَكَبَّرَ الله ثَلاثاً وَثَلاثِينَ فَتِلكَ تِسعَةٌ وَتِسعُونَ، وقال تَمَامَ المِائَةِ: لا إِلَهَ إلا الله وَحدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلكُ وَلَهُ الحَمدُ وهو علىٰ كل شَيءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَت خَطَايَاهُ وَإِن كانت مِثلَ زَبَدِ البَحرِ[1]»[2].

وفي البُخاريِّ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَفعَ الصَّوتِ بِالذِّكرِ، حين يَنصَرِفُ الناس من المَكتُوبَةِ، كان علىٰ عَهدِ النَّبيِّ ﷺ وقال ابن عَبَّاسٍ: كنت أَعلَمُ إذا انصَرَفُوا بِذَلِكَ إذا سَمِعتُهُ[3].

قال ابنُ القيِّم في "زاد المعاد"[4]: وبلغنِي عن شيخِنا أَبِي العباسِ ابنِ تيميَّةَ ـ قدَّسَ اللهُ روحَهَ ـ أنَّه قالَ: ما تركتُ آيةَ الكرسيِّ عقبَ كلِّ صلاةٍ، أي: عملاً بحديثِ أَبِي أُمامةَ رضي الله عنه مرفوعاً: «مَن قَرَأ آيةَ الكرسِيِّ دُبُرَ كلِّ صَلاةٍ مَكتُوبةٍ، لم يَمنَعه مِن دخولِ الجنَّةِ إلَّا أن يموتَ»، فقَد حملَ الشيخُ ابنُ تيميةَ لفظَ: «دُبُرَ كلِّ صلاة» عَلَىٰ معنَىٰ: عقبَ كلِّ صلاةٍ، فتأمَّل.

ومِن مَعَارِجِها: مُرافقةُ الحَبيبِ ﷺ في الجنَّة؛ لمَا روَىٰ مسلمٌ عن ربيعةَ بن كَعبٍ رضي الله عنه، قالَ: كُنتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَتَيتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَل» فَقُلتُ: أَسأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ، فقال ﷺ: «أَوَ غَيرَ ذَلِكَ؟» قُلتُ:

(١) ومن هذا أخذ الصوفية ختم الصلاة المشهور، ولكن بَدَؤُوه بآية الكرسي وحق لهم ذلك، فإن فضلها عظيم، كما سيأتي في فضائل القرآن «إن آية الكرسي أعظم آية في القرآن»، وكذا ختم الصلاة الكبير فإنه كله من الآيات القرآنية، ومن الأحاديث التي ستأتي ـ إن شاء الله ـ في كتاب الذكر، جزاهم الله عن الأمة والدين خيرا. ينظر: التاج الجامع للأصول: (٢١٧/١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، رقم: ١٣٥١.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان ـ باب الذكر بعد الصلاة، رقم: ٨٤١.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد: لأبي عبد الله ابن قيم الجوزيَّة: (ت: ٧٥١هـ)، (١٦١/١).

هُوَ ذَاكَ، فقال ﷺ: «فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ(١)»(٢).

وقال ﷺ: «أَرَأَيتُم لو أَنَّ نَهراً بِبَابِ أَحَدِكُم، يَغتَسِلُ منه كُلَّ يَومٍ خَمسَ مَرَّاتٍ، هل يَبقَىٰ من دَرَنِهِ شَيءٌ؟» قالوا: لا يَبقَىٰ من دَرَنِهِ شَيءٌ، قال: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمسِ يَمحُو الله بِهِنَّ الخَطَايَا»(٣).

وقال أكملُ الرُّسل ﷺ: «خَمسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَىٰ العِبَادِ، فَمَن جاء بِهِنَّ، ولم يُضَيِّع مِنهُنَّ شيئاً استِخفَافاً بِحَقِّهِنَّ، كان له عِندَ الله عَهدٌ أَن يُدخِلَهُ الجَنَّةَ، وَمَن لم يَأتِ بِهِنَّ فَلَيسَ له عِندَ الله عَهدٌ، إن شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِن شَاءَ أَدخَلَهُ الجَنَّةَ»(٤).

"أي أخي" "فالصلاةُ": نورٌ للمصلِّي في بيتِه، نورٌ فِي قَبرِه، نورٌ في حَشرِه، نورٌ في نَشرِه، نورٌ في سَيرِه علىٰ الصِّراطِ، نُورٌ في رَوضاتِ جنَّتِه، بَل هِيَ نورٌ لَه في الدُّنيا والآخرَةِ. ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ

---

(١) أي: في الدُّنيا، حتَّىٰ ترافقني في العقبىٰ. قال ابن الملك: وفيه إشارة إلىٰ أن هذه المرتبة العالية لا تحصل بمجرد السجود، بل به مع دعائه عليه السلام له إياها من الله تعَالَىٰ، وفي قوله: علىٰ نفسك إيذان بأن نيل المراتب العالية إنما يكون بمخالفة النفس الدنية. وفيه: أن مرافقة النبيّ ﷺ في الجنة لا تحصل إلا بقرب من الله تعَالَىٰ. ينظر: فتح الملهِم: (٣/٤٧٤).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة ـ باب فضل السجود والحث عليه، رقم: ١٠٩٤، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل، رقم: ١٣٢٠، سنن النسائي: كتاب التطبيق ـ باب فضل السجود، رقم: ١١٣٩، مسند أحمد: (١٣/٧٣ ـ ٧٤)، رقم: ١٦٥٣٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة ـ باب الصلوات الخمس كفارة، رقم: ٥٢٨، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب المشي إلىٰ الصلاة تمحىٰ به الخطايا، وترفع به الدرجات، رقم: ١٥٢٠، سنن الترمذي: كتاب الأمثال ـ باب مثل الصلوات الخمس، رقم: ٢٨٦٨، سنن النسائي: كتاب الصلاة ـ باب فضل الصلوات الخمس، رقم: ٤٦٣.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب من لم يوتر، رقم: ١٤٢٠، سنن النسائي: كتاب الصلاة ـ باب المحافظة علىٰ الصلوات الخمس، رقم: ٤٦١، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، رقم: ١٤٠١، وهو حديث صحيح.

دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾[١]. آمينَ آمينَ.

"واعلم يا أَخي": أنَّ مَنِ استَهانَ بِهَا، أي: الصَّلاة، أو لَهَىٰ عنهَا، فهُو في ضَلالٍ وسُعُرٍ: كما قالَ تعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾[٢]، فويلٌ وهلاكٌ للمصلِّين المُلتزمينَ بإقامةِ الصَّلاةِ، ولكنَّهم عن صلاتِهم غافلونَ، الذينَ يصلُّونَ صلاتَهم بدون خشوعٍ وخضوعٍ، بينَ يدي الخالقِ العظيم، فتراهُ يَسبَحُ بفكرهِ ويَسرَحُ طَرفُه ويتحرَّكُ ويعبَثُ بأطرافِهِ ولَا يعرفُ عددَ ما يصلِّي، وكذلِكَ مضَيِّعُون لَها، تاركونَ لوقتِها، مُخلُّون بأركانِها؛ وهذا لعدمِ اهتمامِهم بأمرِ اللهِ حيثُ ضيَّعُوا الصَّلاةَ، الَّتي هِيَ أهمُّ الطاعاتِ وأفضلُ القرُباتِ؛ تِلكَ صلاةُ بعضِ النَّاسِ الذينَ يُكذِّبُونَ بيومِ الدِّينِ، وهِيَ بِلا شّك لا تَنهىٰ عنِ الفحشاءِ والمنكَرِ، وقد سَها أصحابُها عَن ذِكرِ اللهِ وهُم لذلِكَ يُراءونَ النَّاسَ، ويذكرونَهم ويفعلونَ لَهُم، ولا يفعلونَ للهِ، وهوَ لشدَّةِ الشُّحِّ وكثرةِ البُخلِ يمنعونَ الماعونَ، "أريتَ مَن يكذِّب بالدِّينِ؟" فهو الذي يشتدُّ علىٰ اليتيم، ولا يعطِي حقوقَ المساكينِ، وهو غافلٌ عن صلاتِه، مُراءِ النَّاسَ في عملِه، ومانعٌ خيرَه عن غيرِه؛ فالويلُ ثمَّ الويلُ لهؤلاءِ وإن صامُوا وإن صلُّوا، فتنبَّه جداً.

"أيُّها العاقلُ": اختَر لنفسِكَ أيُّ الطريقينِ: إمَّا طريقَ الخضوعِ والخشوعِ، وإمَّا طريقَ الغفلةِ واللَّهوِ، كمَا قالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾[٣] فأينَ الأبرارُ، وأينَ الفجَّارُ، أينَ النَّعيمُ، وأينَ الجحيمُ، كمَا قالَ تعالَىٰ:

(١) سورة إبراهيم عليه السلام.
(٢) سورة الماعون.
(٣) سورة الانفطار.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾(١).

والمعنَىٰ: يسأَلُ أولئكَ الخاشعونَ الواصلونَ إلىٰ اللهِ تعالَىٰ، الذينَ مدحهُم بقولِه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾(٢) يسألونَ عن أولئكَ الغافلينَ التَّاركينَ المجرمينَ ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾(٣) الفروض الواجبة علينَا ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٤)، أي: لوجهِ اللهِ تعالَىٰ، ولَم نفعل ما يقرِّبُ لربِّ العالَمينَ، أو أطعمنَا للدُّنيا وللرِّياء ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٥) لغفلتِنا وخوضِنا بالباطلِ مع أهلِ الغوايةِ والضَّلالِ وترويجه، وترَكنا الحقَّ وأهملنَاه ـ غفلةً وعناداً ومكابَرةً.

قالَ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ شَيءٍ يُرفَعُ مِن هَذِهِ الأمَّةِ: الأمَانَةُ وَالخُشُوعُ حتَّىٰ لَا تَكَادُ تَرَىٰ خَاشِعاً»(٦).

عن أبي أَيُّوبَ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ الله، عَلِّمني وَأَوجِز(٧)، قال: «إذا قُمتَ في صَلاتِكَ فَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ، ولا تَكَلَّم بِكَلامٍ تَعتَذِرُ

(١) سورة المدثر.
(٢) سورة المؤمنون.
(٣) سورة المدثر.
(٤) سورة المدثر.
(٥) سورة المدثر.
(٦) أخرجه الدارمي من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: (ص٤٨)، رقم: ٢٨٨، والطبراني في "الكبير"، رقم: ٧١٨٣، وإسناده حسن، قال الهيثمي: قلت: وفيه ذكر الخشوع فقط. وأخرجه الطبراني أيضاً عن شداد بن أوس مرفوعاً وهو مختصر. ينظر: مجمع الزوائد: (٢/١٣٦).
(٧) قال السندي: قوله: (وأوجز) أي: اقتصر علىٰ خلاصة الأمر ليكون أسهل للضبط، أو أدِّ ذلك=

منه[١]، وَأَجمِع اليَأسَ عَمَّا في أَيدِي النَّاسِ[٢]»[٣].

قال العلَّامَةُ زينُ الدِّينِ ابنُ رجبٍ الحَنبليُّ في كتابِه "الخشوعُ في الصلاةِ": وأصلُ الخشوعِ هو لِينُ القلبِ ورقَّتُه وسكونُه وخضوعُه وانكسارُه وحرقتُه، فإذا خشعَ القلبُ تبعَه خشوعُ جميعِ الجوارحِ والأعضاءِ لأنَّها تابعةٌ لَه، كمَا قالَ ﷺ: «أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضغَةً، إِذَا صَلَحَت.. صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلبُ»[٤]، فإذا خَشعَ القلبُ خشعَ السَّمعُ والبصرُ والرأسُ والوجهُ وسائرُ الأعضاءِ وما ينشأ منهَا حتَّىٰ الكلام؛ ولهَذا كانَ النبيُّ ﷺ يقولُ في ركوعِه في الصَّلاةِ: «خَشَعَ لك سَمعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّي وَعَظمِي وَعَصَبِي»[٥].

وفي روايةٍ: «وَمَا استَقَلَّت بِهِ قَدَمِي»[٦]، أي: قامَت به وحَمَلَته، ومعنَاه: جميع جسمِي، وإنمَّا أتَىٰ بهِ بعدَ قولِه: «خَشَعَ لك سَمعِي وَبَصَرِي» إلىٰ آخرِه، للتوكيدِ: وهوَ مِن ذكرِ العام بعدَ الخاصِّ.

= العلم المطلوب بكلام مختصر. والموجز: "لفظ جامع للعلم الكثير معنىً".

(١) أي: لا تنطق بشيء يوجب أن يطلب من غيرك رفع اللوم عنك بسببه.

(٢) أي: اعزم وصمم علىٰ قطع الأمل عما في يد غيرك من الخلق من متاع الدُّنيا، فإنك إن فعلت ذلك استراح قلبك وصفا لبك، والزهد في الدُّنيا يريح القلب والبدن.

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد ـ باب الحكمة، رقم: ٤١٧١، وفي "الزوائد": إسناده ضعيف، وعثمان بن جبير قال الذهبي في الطبقات: مجهول، وذكره ابن حِبَّان في الثِقات، وقال البخاري وأبو حاتم: روىٰ عن أبيه عن جده عن أبي أيوب، قلت: لكن كون الحديث من أوجز الكلمات وأجمعها للحكمة يدل علىٰ قربه إلىٰ الثبوت. فليتأمل. ينظر: شروح سنن ابن ماجه: (١٥٣٥/٢).

(٤) سبق تخريجه في (ص ١١٣).

(٥) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: ١٨٠٩.

(٦) صحيح ابن حِبَّان: (٢٢٨/٥)، رقم: ١٩٠١، صحيح ابن خزيمة: (٣٠٦/١)، رقم: ٦٠٧.

قال المَسعُوديُّ عنِ أبِي سِنانٍ عمَّن حدَّثَه عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﵁ في قوله تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾، قال: هو الخُشُوعُ فِي القَلبِ، وَأَن تُلِينَ كَتِفَكَ[١] لِلمَرءِ المُسلِمِ، وَألَا تَلتَفِتَ فِي صَلَاتِكَ[٢].

وقَد شرعَ الله تعالىٰ لعِبادِه مِن أنواعِ العباداتِ ما يَظهرُ فِيه خشوعُ الأبدانِ النَّاشئ عَن خشوعِ القلبِ وذلِّه وانكسَارِه، ومِن أعظمِ ما يظهرُ فيهِ ذلكَ منَ العباداتِ "الصَّلاةُ"، وقَد مدحَ اللهُ تعالىٰ الخاشعينَ فِيها بقولِه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾.

وقالَ ابن لَهِيعَةَ عن عَطاءِ بن يَسارٍ ﵀ عن سعيدِ بن جُبَيرٍ ﵀: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾، يعنِي: متواضعينَ لا يعرفُ مَن عَن يمينِه ولا مَن عَن شمالِه؛ ولا يلتَفِتُ مِن الخشوعِ للهِ ﷻ.

وقالَ ابنُ المُباركِ عن أبِي جَعفرٍ عن ليثٍ عن مجاهِد ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾[٣] قالَ: القنوتُ الرُّكونُ والخشوعُ وغضُّ البصرِ وخفضُ الجناحِ من رحمة اللهِ تعالَىٰ.

وقالَ ﵀: وكانَ العلماءُ إذا قامَ أحدُهم في الصَّلاةِ هابَ الرَّحمن ﷻ عن أن يشدَّ نظره أو يلتفتَ، أو يقلِّبَ الحصَىٰ، أو يعبثَ بشيءٍ، أو يحدِّثَ نفسَه بشيءٍ من أمرِ الدُّنيا إلا نَاسياً ما دامَ في صلاتِهِ.

وقالَ منصورٌ عن مجاهِد ﵀ في قولِه تعالَى: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ

(١) وفي روايةٍ: الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع.
(٢) كتاب الزهد: رقم: ١١٤٨، المستدرك: (٣/٤٧٠)، رقم: ٣٥٣٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسنن البَيهَقِي الكبرىٰ: (٥/٢٧٩)، رقم: ٣٣٣٣.
(٣) سورة البقرة.

ٱلسُّجُودِ ﴿٢٩﴾﴾[(١)] قالَ: الخُشوعُ في الصَّلاةِ.

وأخرجَ الإمامُ أحمدُ، والنَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ مِن حديثِ الفضلِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «الصَّلاة مَثنَىٰ مَثنَىٰ تَشَهَّدُ في كل رَكعَتَينِ وَتَضَرَّعُ وَتَخَشَّعُ وَتَمَسكَنُ وَتُقنِعُ بِيَدَيكَ يقول ترفعهما إلىٰ رَبِّكَ تُستَقبَلُ بِوَجهِكَ وَتَقُولُ يا رَبِّ يا رَبِّ فَمَن لم يَفعَل ذلك فَهُوَ خِدَاج»[(٢)] والخِدَاجُ هنا: الناقصُ مِنَ الأجرِ والفضيلةِ.

وفي مسلمٍ عن عثمانَ رضي الله عنه عَنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «مَا مِن امرِئٍ مُسلِمٍ تَحضُرُهُ صَلاةٌ مَكتُوبَةٌ فَيُحسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إلا كَانَت كَفَّارَةً لِمَا قَبلَهَا من الذُّنُوبِ ما لم يُؤتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهرَ كُلَّهُ»[(٣)].

ومِن تمامِ خشوعِ العبدِ للهِ ﷻ وتواضُعهِ لَه في ركوعِه وسجودِه، أنَّه إذَا ذلَّ لربِّه بالرُّكوعِ والسُّجودِ، وصَفَ ربَّه حينئذٍ بصفاتِ العزِّ والكبرياءِ والعظمةِ والعُلوِّ، فكأنَّه يقولُ: الذلُّ والتَّواضعُ وَصفِي، والعلوّ والعظمةُ والكبرياءُ وَصفُكَ.

رَوَىٰ الحافظُ أبو نُعَيم: أنَّ لقمَانَ الحَكيمَ قالَ لابنِهِ: جمعتُ لكَ حكمتِي في ستِّ كلماتٍ: اعمَل للدنيَا بمقدارِ بقائك فِيها، واعمَل للآخرةِ بمقدارِ بقائكَ فيهَا، واعمل للهِ بمقدارِ حاجتِك إليهِ، واعمَل منَ المعصيةِ بمقدارِ مَا تطيقُ مِنَ العقوبةِ، ولا تَسأل إلَّا مَن لا يحتَاجُ إلَىٰ أحدٍ، وإذا أردتَ أن تعصِي اللهَ فاعصِه في مكانٍ لا يراكَ فيهِ.

---

(١) سورة الفتح.

(٢) مسند أحمد: رقم: ٧٢٩، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح، سنن النسائي الكبرىٰ: (٢١٢/١)، رقم: ١٤٤١، سنن الترمذي: كتاب أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في التخشع في الصلاة، رقم: ٣٨٥.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، رقم: ٥٤٢.

وقيلَ لإبراهيمَ بن أدهمٍ: ما بالُنا ندعُو فلا يستجابُ لَنَا؟ قال: لأنَّكم؛ عرفتم اللهَ فلَم تُطيعُوه، وعرفتُم الرَّسولَ ﷺ فلَم تتَّبعوا سنَّتَه، وعرفتُم القرآنَ فلَم تعمَلُوا بِهِ، وأكلتُم نِعمَ اللهِ فلَم تؤدُّوا شُكرَها، وعرفتُم الجنَّة فلم تطلبُوها، وعرفتُم النَّارَ فلَم تهربوا مِنها، وعرفتُم الشَّيطانَ فلَم تحاربُوه ووافقتُموه، وعرفتُم المَوتَ فلَم تستعدُّوا لَه، ودفنتم الأمواتَ فلم تَعتَبروا، وتركتُم عُيوبَكم واشتغلتُم بعيوبِ الناسِ(١).

فالصَّلاةُ المقبولةُ، والعملُ المقبولُ: أن يصلِّي العبدُ صلاةً تليقُ بربِّه ﷻ، فإذا كانَت صلاةٌ تصلُح لربِّه ﷻ وتليقُ به، كانت مقبولة.

والمقبولُ من العَملِ قِسمانِ:

أحدُهما: أن يصلِّيَ العبدُ ويعملَ سائرَ الطاعاتِ وقلبُه متعلِّقٌ باللهِ ﷻ، ذاكراً لله ﷻ على الدَّوامِ، فأعمالُ هَذا العبدِ تُعرَضُ عَلىٰ اللهِ ﷻ، فينظرُ اللهُ ﷻ إلَيها، فإذا نظَرَ إليها رآها خالصةً لوجههِ مرضيَّة، قد صدرت عن قلبٍ سليمٍ مخلِصٍ محبٍّ لله ﷻ ومتقرِّبٍ إليه، أحبَّها ورضيَها وقبِلَها.

والقِسمُ الثَّاني: أن يعمل العبدُ الأعمال علىٰ العادة والغفلةِ، وينوي بها الطَّاعةَ والتقرُّبَ إلىٰ الله، فأركانه مشغولةٌ بالطَّاعة، وقلبه لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلىٰ الله ﷻ، لم تقف تجاهه، ولا يقع نظره عليها، ولكن توضع حيثُ توضع دواوين الأعمال، حتَّىٰ تعرض عليه يوم القيامة فتميَّز، فيثيبهُ علىٰ ما كان له منها، ويَرُدُّ عليه ما لَم يُرِد وجهَهُ بِهِ منها.

(١) الخشوع في الصلاة: لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ): (ص٦ ـ ٣١). وانظر إلىٰ فتح الباري: للمؤلف نفسه.

"فهذا قبوله لهذا العمل": إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشُّرب والحُور العين، "وإثابة الأول" رضىٰ العمل لنفسه، ورضاه عن معاملة عاملهِ، وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، "فهذا لون"، "والأوَّل لون".

والنَّاس في الصلاة علىٰ مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظَّالم لنفسه المفرِّط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودِها وأركانها.

الثاني: من يحافظ علىٰ مواقيتها وحدودها وأركانها الظَّاهرة ووضوئها، لكن قد ضيَّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثَّالث: من حافظ علىٰ حدودِها وأركانِها وجاهدَ نفسهُ في دفعِ الوساوس والأفكار، فهو مشغولٌ بمجاهدةِ عدوِّه لئلَّا يسرِق صلاته، فهو في صلاةٍ وجهادٍ.

الرَّابع: من إذا قام إلىٰ الصَّلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلَّا يضيع شيئاً منها، بل همُّه كلُّه مصروفٌ إلىٰ إقامتها كما ينبغي وإكمالِها وإتمامِها، قد استغرق قلبُه شأنُ الصَّلاة وعبودية ربِّه ﷻ فيها.

الخامس: مَن إذا قام إلىٰ الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربِّه ﷻ ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له، مُمتلئاً من محبَّته وعظمتهِ، كأنَّه يراه ويشاهده، وقد اضمَحَلَّت تلك الوَساوِس والخَطَرات، وارتفعت حُجبُها بينه وبين ربِّه، فهذا بينهُ وبين غيرهِ في الصَّلاة أفضل وأعظم ممَّا بين السَّماء والأرض، وهذا في صلاتهِ مشغولٌ بربِّه ﷻ قرير العينِ به.

فالقسم الأوَّل معاقبٌ ؛ والثاني محاسبٌ ؛ والثالث مكفَّرٌ عنه ؛ والرابع مثاب ؛ والخامس مقرَّب من ربِّه ؛ لأنَّ له نصيباً ممَّن جُعِلت قُرَّة عينهِ في الصلاة ، فمَن قُرَّت عينهُ بصلاته في الدُّنيا . . قُرَّت عينُه بقربِه من ربَّه في الآخرة ، وقُرَّت عينه أيضاً به في الدُّنيا ، ومن قُرَّت عينه باللهِ . . قُرَّت به كلُّ عينٍ ، ومَن لم تَقرَّ عينُه بالله تعالىٰ . . تقطَّعت نفسهُ علىٰ الدُّنيا حَسَراتٍ(١) . فتنبَّه جداً .

"أي أخِي": اعلم أنَّ للصلاة صورةً ظاهرة ، وحقيقةً باطنة ، لا كمال للصَّلاة ولا تمام لها إلا بإقامتهما جميعاً .

أمَّا صورتُها الظَّاهرة: فهي القيام ، والقراءةُ والرُّكوع ، والسُّجود ونحو ذلك من وظائفِ الصَّلاة الظَّاهرة .

أمَّا حقيقتُها الباطنة: فمثل الخشوع ، وحضور القلب ، وكمال الإخلاص ، والتَّدبُّر والتَّفهُّم لمعاني القراءة ، والتَّسبيح ونحو ذلك من وظائف الصَّلاة الباطنة .

فظاهر الصَّلاة: حفظُ البدنِ والجوارحِ .

وباطنُ الصَّلاة: حفظُ القلبِ والسِّر ، وذلك محلُّ نظرِ الحقّ من العبدِ ، فتأمَّل .

قال الإمامُ الغزالي رحمه الله: مثَلُ الذي يقيمُ صورة الصَّلاة الظَّاهرة ويَغفُل عن حقيقتها الباطنة ، كمثل الذي يُهدي لملك عظيم وَصِيفَةً(٢) ميتةً لا روح فيها .

ومثل الذي يقصر في إقامة ظاهر الصلاة ، كمثل الذي يُهدي إلىٰ الملك وصِيفةً مَقطُوعةَ الأطراف ، مَفقوءَةَ العَينَينَ ، فهو والذي قبله مُتَعرِّضان من المَلِك بهديّتِهما للعِقاب والنّكال لاستِهانَتِهما بالحُرمة واستِخفافِهما بحقِّ الملِكِ .

(١) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب: (ص٣٨ ـ ٣٩) .

(٢) الوصيفة هي: الجارية ، أو الخادمة والفتاة دون المراهقة .

ثمَّ قال: فأنت تُهدي صلاتك إلىٰ ربِّك، فإيَّاك أن تهديها بهذه الصِّفة فتستوجِبُ العُقوبة، فتنبَّه جِداً.

قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ وفازَ بمرتبة حقِّ اليقينِ التي هي أعلىٰ مراتبَ التَّوحيد، ومنتهىٰ السُّلوك ومنقطع الطَّلب والعِرفان ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الرَّاسخون في اليقين العلمي، الجازِمون الثَّابتون فيه بلا تزلزلٍ وتلوينٍ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ﴾ من كمال رسوخهم وشدَّة تمكُّنِهم وجزمِهم ﴿فِي صَلَاتِهِمۡ﴾ التي هي معراجهم للوصول إلىٰ مرتبة الرِّضا والقَبول ﴿خَٰشِعُونَ﴾ مخبتون متضرِّعونَ متحنِّنُون نحو الحقِّ عن ظهر القلبِ، وجميعِ الجوارح والأركانِ بلا تلعثُمٍ وعُثور[١].

قالَ الإمامُ النَّيسابُوريُّ فِي "تفسِيره": وأمَّا الخُشوعُ فمِنهُم مَن جعله مِن أفعالِ القُلوبِ، كالخوفِ والرَّهبةِ، ومنهُم مَن جَعلَه مِن أفعالِ الجوارح، كالسُّكونِ، وتركِ الالتفاتِ، والنَّظرِ إلىٰ موضع السُّجودِ، والتَّوقِّي عن كفِّ الثَّوبِ، أي: جمعُهُ، والعبثُ بجسدِهِ وثيابِهِ، والتَّمطِّي، والتَّثاؤبِ، والتَّغميضِ، وتغطيةِ الفمِ، والسَّدلِ: بأن يضعَ وسطَ الثوبِ علىٰ رأسِهِ، أو علَىٰ عاتقِهِ ويرسلَ طَرَفَيهِ، والاحترازُ منَ الفَرقَعةِ والتَّشبيكِ، وتقليبِ الحصَىٰ، والاختصَارِ: وهوَ أن يُمسِكَ بيديهِ عصاً، أو سوطاً ونحوهِمَا.

قالَ الحَسَنُ وابنُ سيرينَ: كانَ المسلمونَ يرفعونَ أبصارَهُم إلَىٰ السَّماءِ فِي صلاتِهم، وكانَ رسولَ اللهِ ﷺ يفعلُ ذلكَ، فلمَّا نزلت هذهِ الآيةُ طأطأَ، وكانَ لا

(١) تفسير الجيلاني: للإمام الرباني محيي الدين عبد القادر الجيلاني: (ت: ٥٦١هـ)، (٢٤٨/٣).

يجاوزُ بصرهُ مصَلاه.

وهذا الخشوعُ: واجبٌ عندَ المحقِّقينَ: نقلَ الإمامُ الغزاليُّ عن أبي طالبٍ المكيِّ عن بِشرٍ الحافِي: مَن لَم يخشَع فسدت صلاتُهُ(١).

وعَن الحَسنِ: كلُّ صلاةٍ لا يحضرُ فِيهَا القلبُ، فَهِيَ إلى العقوبَةِ أسرَعُ.

وعَن معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه: مَن عرَفَ مَن عَلَى يمينِه وشِمَالِه متعمِّداً وهوَ فِي الصَّلاةِ فَلا صَلاة لَه(٢)؛ ورويَ عنه مرفُوعاً: «إنَّ العبدَ ليصَلي الصَّلاةَ لا يُكتَبُ لَه سُدسُها وعشُرها، وإنَّما يكتبُ للعبدِ من صلاتِه ما عقلَ مِنها»(٣)، وادَّعى عبدُ الواحدِ بن زيدٍ: إجماعَ العلماءِ، علَى أنَّهُ لَيسَ للعبدِ إلا مَا عقلَ مِن صلاتِهِ، وممَّا يدلُّ علَى صحَّةِ هذا القولِ، قولُه سبحانَه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾(٤)، والتدبُّرُ لا يتصوَّرُ بدونِ الوقوفِ على المعنَى، وكذَا قولُه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤﴾ والغفلَة تضادُّ الذِّكر، ولهذَا قالَ: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾(٥) وقولُه: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ۝٤٣﴾(٦) نهيٌ للسَّكرَانِ، إلَّا أنَّ المُستغرِق في هموم الدُّنيا بمنزلتِه.

---

(١) ومن خشع في صلاته ولو لحظة قبلت صلاته، والله أعلى وأعلم.

(٢) أي لا صلاة كاملة له، للحديث الوارد المرفوع.

(٣) عند أبي داود في كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في نقصان الصلاة، رقم: ٧٩٦ بلفظ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَنصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إلَّا عُشرُ صَلَاتِهِ تُسعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصفُهَا». وهو حديث حسن، وقد صححه العراقي، كما في عون المعبود: (ص٣٧١) فالرجل يصلي الصلاة وما كتب له من ثوابها إلا بقدر ما حضره من الخشوع والإخلاص لله تعَالَى. فليتأمل.

(٤) سورة محمد.

(٥) سورة الأعراف.

(٦) سورة النساء.

وقولُه ﷺ: «المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ»[1] ولا منجَاةَ مَعَ الغفلةِ أصلاً، بخلافِ سائرِ أركانِ الإسلامِ، فإنَّ المقصودَ منها يحصلُ مع الغفلةِ، فإنَّ الغرضَ مِنَ الزَّكاةِ كسرَ الحرصِ، وإغناءَ الفقيرِ، وكذا الصَّومُ قاهرٌ للقوَىٰ، كاسرٌ لسطوةِ النَّفسِ التي هِيَ عدو الله، وكذا الحجُّ: فإنَّ أفعالَه شاقَّةٌ، وفيه مِن المجاهدةِ مَا يحصلُ به الابتلاء، وإن لَم يكنِ القلبُ حَاضراً.

والمتكلِّمونَ أيضاً: اتفَقُوا عَلىٰ أنَّه لا بُدَّ مِنَ الحضورِ والخُشوعِ، قالُوا لأنَّ السُجودَ لله تعالىٰ طاعةٌ، وللصَّنمِ كفرٌ: وكلُّ واحدٍ منهُما يماثلُ الآخرَ في ذاتِهِ ولوازمِه، فلابدَّ مِن مُمَيِّزٍ، وما ذاكَ إلا القَصدُ والإرادةُ، ولابدَّ فيهمَا من الحضورِ.

وأمَّا الفقهاءُ: فالأكثرونَ منهُم لا يوجبونَ ذلكَ، فيقال لهم: هَبُوا أنَّه ليسَ من شرطِ الإجزاء، وهُو عدمُ وجوبِ القضاءِ، أليسَ هو من شرطِ القبولِ الذي يترتَّبُ

(١) موطأ مالك: لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، (ت: ١٧٩هـ): كتاب الصلاة ـ باب العمل في القراءة، رقم: ١٧٧، وفي صحيح البخاري: كتاب الصلاة ـ باب حك البزاق باليد في المسجد، رقم: ٤٠٥، وفي صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن البصاق في المسجد والصلاة وغيرها، رقم: ١٢٣٠، بلفظ: «إذا كان أحدكم في الصَّلاةِ فإنه يُنَاجِي رَبَّهُ فلا يَبزُقَنَّ بين يَدَيهِ ولا عن يَمِينِهِ وَلَكِن عن شِمَالِهِ تَحتَ قَدَمِهِ». قال الشيخ شبير أحمد في فتح الملهم، (٤/ ٩٣): قال النووي: المناجاة إشارة إلىٰ إخلاص القلب وحضوره وتفريغه لذكر الله تعَالَىٰ. قلت: المناجاة والنجوىٰ: السر بين الاثنين، يقال: ناجيته: إذا ساررته، وكذلك: نجوت نجوىٰ ومناجاة الرب مجاز، لأنَّ القرينة صارفة عن إرادة الحقيقة، إذ لا كلام محسوساً إلا من طرف العبد، فيكون المراد لازم المناجاة، وهو إرادة الخير، ويجوز أن يكون من باب التشبيه، أي: كأنه رَبَّهُ يناجي، والتحقيق فيه: أنه شبَّه العبد وتوجهه إلىٰ الله تعَالَىٰ في الصلاة وما فيها من القراءة والأذكار وكشف الأسرار واستنزال رحمته ورأفته مع الخضوع والخشوع: بمن يناجي مولاه ومالكه، فمن شرائط حسن الأدب أن يقف محاذيه، ويطرق رأسه، ولا يمد بصره إليه، ويراعي جهة إمامه حتَّىٰ لا يصدر من تلك الهيئات شيء، وإن كان الله تعَالَىٰ منزها عن الجهات، لأن الآداب الظاهرة والباطنة مرتبط بعضها ببعض. قاله العَينِي.

عليهِ الثوابُ؟ فمن استعارَ ثوباً ثمَّ ردَّه على أحسَنِ الوجوهِ فقَد خرجَ عن العُهدةِ، وكذا إن ردَّه على وجهِ الإهانةِ والاستخفافِ، إلا أنَّه يستحقُّ المدحَ في الصورةِ الأولَى، والذمَّ في الصورة الثانيةِ. اهـ[١].

قال الإمامُ الغزاليُّ في "الإحياءِ": اعلم أنَّ الخشوعَ ثمرةُ الإيمانِ، ونتيجة اليقينِ، الحاصلُ بجلالِ اللهِ ﷻ، ومَن رزقَ ذلكَ فإنَّه يكونُ خاشِعاً في الصَّلاةِ وفي غَيرِ الصَّلاةِ، بَل في خَلوتِه، وفي بَيتِ الماءِ عندَ الحاجةِ[٢]، فإنَّ موجبَ الخُشوعِ: معرفتُه اطِّلاعَ اللهِ تعالى على العبدِ، ومعرفةُ جلالِه، ومعرفةُ تقصيرِ العبدِ، فمِن هذهِ المعارفِ يتولَّدُ الخُشوعُ، وليست مُختصَّة بالصَّلاةِ؛ ولذلكَ رُويَ عن بعضهم أنَّه لم يرفع رأسَه إلى السَّماءِ أربعينَ سنَة حياءً من الله سبحانَه وخشوعاً له؛ وكان الرَّبيعُ بن خَيثَم[٣] من شدَّةِ غَضِّهِ لبصرِه وإطراقِه يظنُّ بعضُ النَّاسِ أنَّه أعمَى، وكانَ يختلف إلى منزلِ ابن مَسعودٍ عشرينَ سنةً، فإذا رأَتهُ جاريتُه قالَت: لابنِ مسعودٍ صديقُك الأعمَى قد جاءَ، فكان يضحكُ ابنُ مسعودٍ من قولِها، وكانَ إذا دَقَّ البابَ تخرجُ الجاريةُ إليهِ فتراه مُطرِقاً غاضَّاً بصرَه، وكانَ ابنُ مسعودٍ إذا نظرَ إليهِ يقولُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝٣٤﴾[٤] أمَا واللهِ لو رآك محمَّدٌ ﷺ لفرحَ بكَ، وفي

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: (ت: بعد ٨٥٠ هـ)، (٥/٤٢٨).

(٢) وفي كل ذلك آداب معروفة، فالخاشع في غير الصلاة أن يخشع في جلوسه مع أصحابه، وقيامه، ومشيه، وركوبه، وحديثه، وأكله وشربه، وسائر معاملاته، وفي خلواته عند التعري والجماع، وعشرة الأهل، وفي بيت الماء عند قعوده وقيامه عنه، وهذا "يسمى بالحضور".

(٣) مصغراً، ابن عائد بن عبد الله بن موهبة بن منقذ الثوري، أبو يزيد الكوفي. قال "ابن معين": لا يسأل عن مثله، وقال الشعبي: كان من معادن الصدق. وقال ابن سعد: توفي في ولاية عبيد الله بن زياد، روى عن ابن مسعود، وأبي أيوب، وعنه الشعبي، وإبراهيم. وقال الذهبي: كان ورعاً قانتاً مخبتاً باكياً، روى له الجماعة سوى أبي داود.

(٤) سورة الحج.

لفظٍ آخرَ: لأحبَّك، وفي لفظٍ آخرَ: لضحكَ، ومشَىٰ ذاتَ يومٍ مع ابن مسعودٍ رضي الله عنه في الحدَّادِينَ، فلمَّا نظرَ إلىٰ الأكوارِ[١] تنفُخُ، وإلىٰ النَّار تلتهِبُ صُعِقَ وسقطَ مغشيَّاً عليهِ، وقعد ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه عندَ رأسِه إلىٰ وقتِ الصَّلاةِ فلَم يُفِق، فحملَه علىٰ ظهرِه إلىٰ منزلِه فلَم يزَل مغشيَّاً علَيه إلىٰ مثلِ السَّاعة التي صُعِقَ فيها، ففاتَتْهُ خمسُ صلواتٍ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنه عند رأسهِ يقول: هذا واللهِ، هو الخوفُ.

فيُعلِّقُ "صاحبُ القوتِ" فيقولُ: الخاشعونُ منَ المؤمنينَ همُ الآمرونَ بالمعروفِ والنَّاهونَ عن المُنكرِ، والخاشعونَ أيضاً: هم الخائفونَ، الذَّاكرونَ، الصَّابرونَ، المُقيمونَ الصَّلاةِ، فإذا كمُلَت هذه الأوصافُ فيهم كانوا مُخبتينَ.

وكانَ الرَّبيعُ يقولُ: ما دخلت في صلاةٍ قطُّ فأهمَّني فِيها إلا ما أقولُ وما يقالُ لِي، وكان عامرُ بن عبدِ اللهِ[٢] من خاشِعي المصَلِّينَ، وكانَ إذا صلَّىٰ ربَّمَا ضربتِ ابنتَهُ بالدُّفِّ، وتحدَّث النِّساءُ بما يُردن في البَيتِ، ولَم يكن يسمعُ ذلِكَ ولا يعقِلُه، وقيلَ لَه ذاتَ يومٍ: هل تحدِّثُكَ نفسُك في الصَّلاة بشيءٍ؟ قال: نعم بوُقُوفِي بينَ يَدي اللهِ عز وجل ومُنصَرَفِي إحدىٰ الدَّارينِ، قيلَ: فهَل تجدُ شيئاً ممَّا نجدُ مِن أمورِ الدُّنيا؟ فقالَ: لأن تختلف الأسنَّة فيَّ[٣] أحبُّ إليَّ مِن أن أجدَ في صلاتِي ما تجدونَ، وكانَ يقول: لو كُشِفَ الغِطاءُ مَا ازددتُ يَقيناً[٤].

(١) جمع كور، وهو المبنىٰ من الطين الذي يوقد فيه، ويقال هو الزق أيضاً.

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو الحارث المدني، أمه حيتمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي. قال أحمد: ثقة من أوثق الناس. وقال مالك: كان يغتسل كل يوم طلعت عليه فيه الشمس، ويواصل سبع عشرة ثم يمسي فلا يذوق شيئا حتَّىٰ القابلة يومين وليلة. وقال الواقدي: مات قبل هشام أو بعده بقليل، قال: ومات هشام سنة أربع وعشرين، روىٰ له الجماعة.

(٣) جمع سنان، وهو من الرمح معروف، وقوله: فيَّ أي في جسدي.

(٤) قال مرتضىٰ الزَّبِيدي في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (١٦٨/٣): كذا=

وقَد كانَ مُسلِمُ بن يَسارٍ منهم، وقد نقلنَا أنَّه لم يشعُر بسقوطِ اسطوانةٍ في المسجدِ وهو في الصَّلاةِ(١)، وتآكل طرفٍ مِن أطرافِ بعضِهم واحتيجَ فيه إلىٰ القَطع فلم يمكَّن منه، فقيلَ إنَّه في الصَّلاةِ لا يُحِسُّ بما يجري علَيه، فَقُطِعَ وهو في الصَّلاةِ(٢).

وقالَ بعضهم: الصَّلاةُ مِن الآخرةِ، فإذا دخلتَ فيها خرجتَ من الدُّنيا، وقيلَ لآخرٍ: هل تحدِّثُ نفسكَ بشيءٍ من الدُّنيا في الصَّلاة؟ فقالَ: لا في الصَّلاةِ ولا في غيرِها.

وسُئِلَ بعضُهم هل تذكُرُ في الصَّلاةِ شيئاً؟ فقال: وهل شيءٌ أحبُّ إليّ من الصَّلاةِ، فأذكرُه فيهَا.

وكانَ أبو الدَّرداءِ رضي الله عنه يقولُ: مِن فِقهِ الرَّجلِ أن يبدَأ بحاجَتِهِ قبلَ دخولِه في

= أورده صاحب "القوت" والمشهور أنَّه من عليٍّ رضي الله عنه.

(١) وقال مرتضي الزَّبيدي: وفي القوت: وكان مسلم بن يسار من العلماء الزاهدين، فكان إذا دخل في الصلاة يقول لأهله: تحدثوا بما تريدون وافشوا سركم؛ فإني لا أسمع، وكان يقول: وما يدريكم أين قلبي، وكان يصلي ذات يوم في جامع البصرة، فوقع خلفه أسطوانة معقود بناؤها علىٰ أربع طاقات، فتسامع بها أهل السوق، فدخلوا المسجد وهو قائم يصلي كأنه وتد، فانتفل من صلاته فلما فرغ جاءه الناس يهنونه، فقال: وعلىٰ أي شيء تهنوني فقالوا: وقعت هذه الأسطوانة العظيمة وراءك فسلمت منها، فقال: متىٰ وقعت، قالوا: وأنت تصلي، قال: فإني ما شعرت بها.

(٢) وقال مرتضىٰ الزَّبيدي: قلت: المراد به عروة بن الزبير عم عامر بن عبد الله. وأسند المزني في "التهذيب" عن هشام بن عروة قال: وقعت الآكلة في رجله، فقيل له: ألا ندعو لك طبيباً، قال: إن شئتم، فجاء الطبيب، فقال: أسقيك شراباً يزول فيه عقلك؟، فقال: امض لشأنك ما ظننت أن خلقاً يشرب شراباً يزول فيه عقله حتَّىٰ لا يعرف ربه، قال: فوضع الميشار علىٰ ركبته اليسرىٰ ونحن حوله فما سمعنا له حساً، فلما قطعناها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت ولئن أبليت قد عافيت، وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة وكان ربع القرآن... وكان يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر والنحر، ومات وهو صائم.

الصَّلاةِ، ليدخُلَ في الصَّلاةِ وقلبُه فارغٌ.

وكانَ بعضُهم يخفِّفُ الصَّلاةَ خيفةَ الوِسواسِ، ورُويَ أنَّ عمَّارَ بنَ ياسرٍ رضي الله عنهما صلَّى صلاةً فأخفَّها، فقيلَ له: خفَّفتَ يا أبا اليَقظَانِ، فقالَ: هل رأيتُمونِي نقصتُ من حدودِها شَيئاً؟، قالوا: لا، قالَ: إنِّي بادَرتُ سهوَ الشَّيطانِ، إنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إنَّ العبدَ ليصلِّي الصَّلاةَ لا يكتبُ لَه نصفُها ولا ثُلثُها ولا رُبعُها ولا خُمسُها ولا سُدسُها ولا عُشرُها»[١]، وكانَ يقولُ: إنَّمَا يكتب للعبدِ مِن صلاتِه ما عَقِلَ مِنها[٢]، ويقالُ إنَّ طلحةَ والزَّبَير وطائفَةً مِنَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم كانُوا أخفَّ النَّاسِ صلاةً، وقالُوا: نبادرُ بِها وسوَسَةَ الشَّيطانِ.

ورُوي أنَّ عمرَ بن الخطَّابِ رضي الله عنه قالَ علَى المِنبرِ: إنَّ الرَّجلَ ليشِيبُ عارضَاه في الإسلامِ وما أكمل للهِ تعالىٰ صلاةً قيلَ: وكيفَ ذلكَ؟ قالَ: لا يتمُّ خشوعَهَا وتواضعَهَا وإقبالَه علىٰ الله عز وجل فيهَا.

وسئلَ أبو العاليةِ عن قولِه تعالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾، قالَ: هو الذي يسهُو في صلاتِه فلا يدرِي علىٰ كم ينصرف أعَلىٰ شَفعٍ أم علىٰ وِترٍ؟ وقال الحَسَنُ البَصريُ: هو الذي يسهُو عن وقتِ الصلاةِ حتَّى تخرج[٣].

وقال بعضهم: هو الذي إن صلَّاها في أوَّل الوقتِ لم يفرَح، وإن أخَّرَها عن الوقتِ لم يحزَن، فلا يرىٰ تعجيلَها خَيراً ولا تأخيرهَا إثمَاً.

---

(١) هكذا أورده "صاحب القوت" وأخرجه أحمد بإسناد صحيح، وتقدم المرفوع عنه، وهو عند أبي داود والنسائي. ينظر: إتحاف السادة المتقين: (٣/١٦٩).

(٢) هكذا أورده "صاحب القوت" وهو من قول عمار وليس بمرفوع. ينظر إتحاف السادة المتقين: (٣/١٦٩).

(٣) يخرج وقتها، وكان يقول: أما والله لو تركوها لكفروا، ولكن سهواً عن الوقت.

فدلَّت هذه الحكاياتُ والأخبارُ مَع ما سَبقَ، علىٰ أنَّ الأصلَ في الصَّلاةِ الخُشوعُ وحضورُ القلبِ، وأنَّ مجرَّدَ الحركاتِ مَعَ الغفلةِ قليلُ الجدوىٰ في الميعادِ، واللهُ أعلمُ، نسألُ اللهَ حسنَ التَّوفيقِ(١).

روَىٰ البخاريُّ في "التاريخِ الكبيرِ" والدَّيلَميُّ وأبو نُعَيمٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قالَ اللهُ تبارك وتعالى: «وعزَّتي وجَلالِي إنِّي لا أتقبَّلُ الصَّلاةَ إلا لِمَن تَواضَعَ لعَظَمتِي، وكفَّ نفسَه عنِ الشَّهواتِ ابتغاءَ مرضاتِي، وقطعَ نهارَه في ذكرِي، ولم يبت مصرًّا علىٰ الخطيئةِ، ولم يتعاظَم علىٰ خلقِي، يطعمُ الجائعَ، ويكسُو العارِي، ويرحمُ المصابَ، ويؤوي الغريبَ؛ فذلِك الذي يشرِقُ نورُه مثلُ الشَّمسِ، يدعونِي فألَبِّي، ويسألُنِي فأُعطِي، أَجعلُ لَه في الجهالَةِ حلماً، وفي الظُّلمَةِ نوراً بنورِي، وأستحفِظُه ملائكَتِي، مثلُهُ عندِي في النَّاسِ كمثلِ الفردَوسِ في الجِنانِ، لا تَسنُو ثمارُها ولا تتغيَّرُ عن حالِهَا»(٢).

"أي إخوتي": علَيكُم بالجمَاعَةِ ما استَطَعتُم، فإنَّها مَعرجٌ وتقرُّبٌ إلىٰ اللهِ تعالَىٰ، كما قال عز وجل: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾(٣) أي: أدِم علىٰ طاعتِك، لتنال كمالَ

(١) إحياء علوم الدين: (١/١٧١ ـ ١٧٣).
(٢) التاريخ الكبير: للبخاري، (٨/١٥)، رقم: ١٩٨١، قال المتقي الهندي في كنز العمال: رواهُ الديلمي عن حارثة بن وهب. حلية الأولياء: (٤/١٨)، وفي لفظ آخر: «أنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل علىٰ خلقي، ولم يبت مصرا علىٰ معصيتي، وقطع نهاره في ذكرىٰ، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلأه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة» قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٢/١٤٧) رواهُ البزار وفيه عبد الله بن واقد الحراني، ضعفه النسائي والبخاري وإبراهيم الجوزجاني وابن معين في رواية، ووثقه أحمد وقال: كان يتحرىٰ الصدق، وأنكر علىٰ من تكلم به، وأثنىٰ عليه خيراً، وبقية رجاله ثقات.
(٣) سورة العلق.

القُربِ مِنَ المعبودِ ﷻ، كمَا قالَ أكملُ الرُّسلِ ﷺ: «أَقرَبُ ما يَكُونُ العَبدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ فَأَكثِرُوا الدُّعَاءَ»[(١)].

«أَقرَبُ ما يَكُونُ»، أي: مِن رحمةِ ربِّه وفضله "قبولاً ورضاً"، فتنبَّه.

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ۝١٠٢﴾[(٢)] أمرَ الحقُّ ﷻ بها ـ أي: صلاة الجماعة ـ بالخوفِ فكيفَ بالأمنِ؟ فهي أولَىٰ، فتأمَّل.

وقالَ ﷺ: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أفضلُ مِن صَلاةِ الفَذِّ بِخَمسٍ وَعِشرِينَ جزءاً»، مُتَّفَقٌ عليهِ[(٣)]، وللبخاريِّ: «دَرَجَةً».

وقال ﷺ: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أفضلُ من صَلاة الفَذِّ بِسَبعٍ وَعِشرِينَ دَرَجَةً»، مُتَّفَقٌ عليهِ[(٤)].

قال النَّوَويُّ في المَجموعِ: والجَمعُ بينَ هذهِ الرِّواياتِ مِن ثلاثةِ أوجهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ، فَذِكرُ القَلِيلِ لَا يَنفِي الكَثِيرَ.

(١) سبق تخريجه في (ص ١٤٩).

(٢) سورة النساء.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان ـ باب فضل صلاة الفجر في جماعة، رقم: ٦٤٨، وفي كتاب التفسير ـ سورة بني إسرائيل ـ باب ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ سورة الإسراء، رقم: ٤٧١٧، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم: ١٤٧٠.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأذان ـ باب فضل صلاة الجماعة، رقم: ٦٤٥، وباب فضل صلاة الفجر جماعة، رقم: ٦٤٩، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم: ١٤٧٥.

الثَّاني: أَن يَكُونَ أَخبَرَ أَوَّلاً بِالقَليلِ، ثُمَّ أَعلمَهُ اللهُ تَعَالىٰ بِزِيَادَةِ الفَضلِ فَأَخبرَ بِهَا.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ يَختَلِفُ بِاختِلافِ أَحوَالِ المُصَلِّينَ وَالصَّلَاةِ وَتَكُونُ لِبَعضِهِم خَمسٌ وَعِشرُونَ، وَلِبَعضِهِم سَبعٌ وَعِشرُونَ بِحَسبِ كَمَالِ الصَّلَاةِ، وَمُحَافَظَتِهِ عَلىٰ هَيئَاتِهَا وَخُشُوعِهَا وَكَثرَةِ جَمَاعَتِهَا وَفَضلِهِم وَشَرَفِ البُقعَةِ وَنَحوِ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعلَمُ[1].

وقال أكملُ الرُّسل ﷺ: «مَن صَلَّىٰ العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قام نِصفَ اللَّيلِ، وَمَن صلَّىٰ الصُّبحَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صلَّىٰ اللَّيلَ كُلَّهُ[2]»[3].

وقال ﷺ: «ما مِن ثَلاثَةٍ في قَريَةٍ ولا بَدوٍ لا تُقَامُ فِيهِم الصَّلاةُ، إلا قد استَحوَذَ عليهِمُ الشَّيطَانُ، فَعَلَيكَ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأكُلُ الذِّئبُ القَاصِيَةَ[4]»[5].

---

(١) ينظر: المجموع: (٣/٨٦).

(٢) أي: بانضمامه ذلك النصف، فكأنه أحيىٰ نصف الليل الأخير، أو يكون إشارة إلىٰ أن قيام الصبح أفضل من قيام صلاة العشاء، فإنه أشق وأصعب علىٰ النفس، وأشد علىٰ الشيطان، فإن ترك النوم بعد الدخول فيه أشق من إرادة الدخول فيه، إذ الكسل يستولي في الأول أكثر، فتكون مجاهدته علىٰ الشيطان أكبر. ينظر: فتح الملهم: (٤/٣١١).

(٣) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم: ١٤٨٩، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب فضل صلاة الجماعة، رقم: ٥٥٥، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، رقم: ٢٢١.

(٤) قال في النهاية: هي المنفردة عن القطيع البعيدة منه يريد أنَّ الشيطان يتسلَّط علىٰ الخارج من الجماعة وأهل السُّنَّة.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم: ٥٤٧، سنن النسائي: كتاب الإمامة ـ باب التشديد في ترك الجماعة، رقم: ٨٤٧، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح وصححه الحاكم (١/٢١١) ووافقه الذهبي. ينظر: المسند: (١٦/٦٩)، رقم: ٢١٦٠٧، و٢٧٣٨٧. قال أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ) في نصب الراية،=

وكان الصَّحابة ﵃: مِن أشدِّ النَّاس التزاماً لهذه الجماعة، يقول عبدالله بنُ مسعودٍ ﵁: مَن سَرَّهُ أَن يَلقَىٰ الله غَداً مُسلِماً فَليُحَافِظ علىٰ هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ، فإنَّ الله شَرَعَ لِنَبِيِّكُم ﷺ سُنَنَ الهُدَىٰ[١]، وَإِنَّهُنَّ مِن سُنَنِ الهُدَىٰ[٢]، وَلَو أَنَّكُم صَلَّيتُم في بُيُوتِكُم كما يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ في بَيتِهِ لَتَرَكتُم سُنَّةَ نَبِيِّكُم، وَلَو تَرَكتُم سُنَّةَ نَبِيِّكُم لَضَلَلتُم[٣]، وما مِن رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعمِدُ إلىٰ مَسجِدٍ من هذه المَسَاجِدِ إلا كَتَبَ اللهُ له بِكُلِّ خطوَةٍ يَخطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرفَعُهُ بها دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عنه بها سَيِّئَةً، وَلَقَد رَأَيتُنَا وما يَتَخَلَّفُ عنها إلا مُنَافِقٌ، مَعلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَد كان الرَّجُلُ يؤتىٰ بِهِ يُهَادَىٰ بين الرَّجُلَينِ حتَّىٰ يُقَامَ في الصَّفِّ[٤].

وقد كان رسولُ الله ﷺ شديد الإنكارِ علىٰ مَن كان يتغَيَّب عن الجماعة، ولا يشهدُ الصَّلاة مع المسلمين، وقد جاء في الصِّحاح، عن أبي هُرَيرَة ﵁ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ فَقَدَ نَاساً[٥] في بَعضِ الصَّلَوَاتِ[٦] فقال: «لقد هَمَمتُ[٧] أَن آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ أُخَالِفَ إلىٰ رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عنها، فَآمُرَ بِهِم فَيُحَرِّقُوا عليهم بِحُزَمِ الحَطَبِ بُيُوتَهُم، وَلَو عَلِمَ أَحَدُهُم أَنَّهُ يَجِدُ عَظماً سَمِيناً لَشَهِدَهَا،

= (٢/٢٤): أخرجه أحمد وأبو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ قال النَّووي: إِسنَادُهُ صَحِيحٌ ذكره في الخلاصة.

(١) أي: طرائق الهدىٰ والصواب.

(٢) أي: الصلوات الخمس بالجماعة.

(٣) وفي بعض الروايات «لكفرتم». قال عِياض: تحذير من ترك إقامة الجماعة وتشديد في ترك السنن، وكان ذلك ضلالاً وكفراً، لأنَّ تركها داع إلىٰ التهاون بالشريعة، وترك الشريعة كفر. ينظر: فتح الملهم: (٤/٣٠٩).

(٤) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب صلاة الجماعة من سنن الهدىٰ، رقم: ١٤٨٦.

(٥) غير مرة.

(٦) بالعشاء والفجر.

(٧) هممت: أي قصدت. وفي رواية: «والذي نفسي بيده لقد هممت».

يَعنِي: صَلاةَ العِشَاءِ»[(١)].

وحِكمَةُ الجماعة: تعارُفُ النَّاس، وتعلُّم جاهلهِم من عالمِهم، والتَّحابُب والتَّعاون، واتِّحاد الكلمةِ، ومضاعفة الثَّواب، والقُرب من الله تعالىٰ.

جاء في شرحِ صحيحِ البُخاري، للإمام القَسطَلاني، ناقلاً عن البَرمَاويِّ: لمشروعيَّة الجماعة حكمةً ذكرها الشَّيخُ قُطبُ القَسطَلاني في مقاصِدِ الصَّلاة، منها: قيامُ نظامِ الأُلفة بين المصلِّين، ولذا شُرعَت المساجد في المحالِّ، ليحصلَ التَّعاهد باللَّقاء في أوقات الصَّلوات بين الجيران، ومنها: قد يتعلَّم الجاهلُ من العالم ما يجهلهُ من أحكامها، ومنها: أنَّ مراتب النَّاس متفاوتة في العبادة، فتعمُّ بركة الكامل علىٰ النَّاقص، فتكملُ صلاة الجميع.

وعليكم بالجُمُعَة: فقد فَرَضها الله سبحانه بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾[(٢)].

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾، أي: أُذن لوقت الصَّلاة ﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ هو اليوم المعروف من أيَّام الأسبوع، ويأمر الحق تعالىٰ عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجُمُعة، والمبادرة إليها مِن حين ينادىٰ لها، والسَّعي إليها، والمراد بالسَّعي هنا:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان ـ باب وجوب صلاة الجماعة، رقم: ٦٤٤، و٦٥٧، و٢٤٢٠، و٧٢٢٤، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم: ١٤٧٩، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم: ٥٤٨ و٥٤٩، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء فيمن يسمع النداء فلا يجيب، رقم: ٢١٧، سنن النسائي: كتاب الإمامة ـ باب التشديد في التخلف عن الجماعة، رقم: ٨٤٩.

(٢) سورة الجمعة.

المبادرة إليها والاهتمام بها، وجعلها أهمَّ الأشغال، لا العَدو الذي قد نُهيَ عنه عند المُضي إلىٰ الصَّلاة.

والمرادُ به: الأذان علىٰ باب المسجد عند جلوسِ الخطيبِ علىٰ المِنبرِ؛ إذ لم يكن في عهد رسول الله ﷺ والخليفتين بعدَه غيرُ هذا الأذان.

ثمَّ استحدث عثمانُ رضي الله عنه أذاناً قبله بالزَّوراء؛ لكثرة المسلمين وتباعُدِ منازلهم، حتَّىٰ إذا سمِعوا أقبلوا للصلاة، فإذا جلسَ الخطيبُ علىٰ المِنبر أذَّن المؤذِّن ثانياً ـ ذلك الأذان الذي كان علىٰ عهده ﷺ وأقرَّ الصحابةُ عثمانَ رضي الله عنهم علىٰ ذلك، فكان إجماعاً.

﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾، أي: فامضُوا: أمر تعالىٰ بالسعي إلىٰ الجمعة؛ فأفاد "أنَّها فرضٌ، وعليه الأمَّة كلها".

﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، أي: الخطبة، والصَّلاة المشتملتانِ علىٰ ذكر الله تعالىٰ.

﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾، أي: اتركوا البيع إذا نوديَ للصَّلاة وامضوا إليها.

﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من اشتغالكم بالبيع وتفويتِكم الصَّلاة المفروضة، التي هي مِن آكد الفروض.

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ لأنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقىٰ، وأنَّ مَن آثر الدُّنيا علىٰ الدِّين، فقد خَسِر الخسارة الحقيقيَّة، من حيث ظنَّ أنَّه يربح، وهذا الأمر بترك البيع، مؤقَّت مدَّة الصَّلاة.

والجُمعة يومٌ من أيَّام اللهِ تبارك وتعالى كما قال أكملُ الرُّسل ﷺ: «خَيرُ يومٍ طَلَعَت عليه الشَّمسُ يَومُ الجُمُعَةِ، فيه خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخرِجَ منها،

ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إلا في يَومِ الجُمُعَةِ»، رواهُ مُسلمٌ وغيرُه[١]. وزادَ أبو داود: «وَفِيهِ تِيبَ عليه، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وما مِن دَابَّةٍ إلا وَهِيَ مُسِيخَةٌ[٢] يوم الجُمُعَةِ من حين تُصبحُ حتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ شَفَقاً[٣] من السَّاعَةِ إلا الجِنَّ وَالإِنسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يُصَادِفُهَا عَبدٌ مُسلِمٌ وهو يُصَلِّي يَسأَلُ الله حَاجَةً إلا أَعطَاهُ إِيَّاهَا»[٤].

وحذَّر الشَّارع الحكيم من التَّهاونِ والتَّغافل عنها، فقال ﷺ: «لَيَنتَهِيَنَّ أَقوَامٌ عن وَدعِهِم[٥] الجُمُعَاتِ، أو لَيَختِمَنَّ الله علىٰ قُلُوبِهِم، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ من الغَافِلِينَ[٦]»[٧].

وقال ﷺ: «من تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ تَهَاوُناً بها طَبَعَ الله علىٰ قَلبِهِ[٨]»[٩].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجمعة ـ باب فضل يوم الجمعة، رقم: ١٩٧٤، سنن النسائي: كتاب الجمعة ـ باب ذكر فضل الجمعة، رقم: ١٣٧٤، و١٤٣١، موطأ مالك: كتاب النداء ـ باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم: ٢٤١، مسند أحمد: رقم: ٩١٧٩، ٩٣٧٦، ١٠٢٥٢، ١٠٤٩٣، ١٠٥٩٣، ١٠٩١٢.

(٢) مسيخة: أي مستمعة ومنتظرة لقيام الساعة.

(٣) بالتحريك: خوفاً.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب تفريع أبواب الجمعة باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: ١٠٤٦، وسنده صحيح.

(٥) بفتح فسكون أي: تركهم الجمعات جمع جمعة.

(٦) قال تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾، سورة البقرة، أي: والله من لم يرجع عن ترك الجمعة ـ جحودا ـ فإنه يصير كافراً. ينظر: التاج الجامع للأصول: (١/٢٧٣).

(٧) صحيح مسلم: كتاب الجمعة ـ باب التغليظ في ترك الجمعة، رقم: ١٩٩٩، سنن النَّسائي: كتاب الجمعة ـ باب التَّشديد في التَّخلُّف عن الجمعة، رقم: ٣٧٠، مسند أحمد: (٣/٥٠)، رقم: ٢٢٩٠.

(٨) طبع الله على قلبه، أي: ختم عليه، فلا يدخله خير، بل يكفر؛ كما قال تعالَى: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٥٥﴾ سورة النِّساء..

(٩) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب التشديد في ترك الجمعة، رقم: ١٠٥٢، سنن الترمذي:=

والجُمعة واجبةٌ علىٰ كلِّ مُسلمٍ إلا أربعة؛ لقول النَّبيِّ الكريم ﷺ: «الجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ(١) علىٰ كلِّ مُسلِمٍ في جَمَاعَةٍ(٢) إلا أَربَعَةً، عَبدٌ مَملُوكٌ(٣)، أو امرَأَةٌ(٤)، أو صَبِيٌّ(٥)، أو مَرِيضٌ(٦)»(٧).

"أمَّا خصائصها": فقد أفرد الإمامُ الحافظُ السيوطيُّ كتاباً سمَّاه: "اللَّمعَة في خَصَائِص الجمعة" ذكر فيها مائة خصوصيَّة وواحدة؛ منها: أنَّه عيد هذه الأمَّة، كما قال رسول الله ﷺ: «إنَّ هذا يَومُ عِيدٍ، جَعَلَهُ الله لِلمُسلِمِينَ، فَمَن جاء إلىٰ الجُمُعَةِ فَلْيَغتَسِل، وَإِن كان طِيبٌ فَلْيَمَسَّ منه، وَعَلَيكُم بِالسِّوَاكِ»(٨).

= كتاب الجمعة ـ باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر، رقم: ٥٠٠، سنن النسائي كتاب الجمعة ـ باب التشديد في التخلف عن الجمعة، رقم: ١٣٦٩، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء فيمن ترك الجمعة من غير عذر، رقم: ١١٢٥، قال الحاكم في المستدرك، (١/٤١٥): هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(١) حق واجب: أي فرض مؤكد.

(٢) في جماعة: فالجماعة فيها فرض بالإجماع.

(٣) لم تجب عليه لاشتغاله بحقوق سيده، ولأن لها بدلاً عنها وهو الظهر.

(٤) لاشتغالها بخدمة بيتها وأولادها، ولها بدل عنها وهي الظهر.

(٥) لعدم تكليفه، ولكن يسن له وللعجائز حضورها.

(٦) يشق عليه حضورها، ومثله الأعمىٰ إلا إذا اهتدىٰ وحده أو وجد قائداً ولا يجوز لمريض يتأذىٰ المصلون به كالزكام وغيره. فتنبَّه جداً.

(٧) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب الجمعة للمملوك والمرأة، رقم: ١٠٦٧، قال رائد بن صبري: صحيح، وصححه النووي والحاكم والذهبي. ينظر: عون المعبود: (ص٥٠٩)، سنن البَيهَقِي الصغرىٰ: (١/٣٧٣)، رقم: ٥٣٦٨، المستدرك: (١/٤٢٥)، رقم: ١١٠١.

(٨) سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة، رقم: ١٠٩٨، المعجم الأوسط: (٧/٢٣٠)، قال البوصيري: رواه عبد العظيم المنذري الحافظ في كتاب "الترغيب" وحسَّنه، ورواه الترمذي في جامعه من حديث البراء بن عازب مرفوعاً: «حقٌّ علىٰ المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة؛ وليمسَّ أحدُهم من طيب أهله، فإن لم يجد فالماءُ له طيب» وقال: حديث حسن. وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري، رواه النسائي في سننه الصغرىٰ.=

ومنها: أنَّها مكفِّرة لذنوبنا: كما قال ﷺ: «لا يَغتَسِلُ رَجُلٌ يوم الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ ما استَطَاعَ من طُهرٍ[(١)]، وَيَدَّهِنُ من دُهنِهِ[(٢)]، أو يَمَسُّ من طِيبِ بَيتِهِ، ثُمَّ يَخرُجُ[(٣)] فلا يُفَرِّقُ بين اثنَينِ[(٤)]، ثُمَّ يُصَلِّي ما كُتِبَ له، ثُمَّ يُنصِتُ إذا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إلا غُفِرَ له ما بَينَهُ وَبَينَ الجُمُعَةِ الأُخرَىٰ»[(٥)].

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه، قال رسولُ الله ﷺ: «الصَّلَاةُ إلىٰ الصَّلَاةِ التي قَبلَهَا كَفَّارَةٌ، وَالجُمُعَةُ إلىٰ الجُمُعَةِ التي قَبلَهَا كَفَّارَةٌ، وَالشَّهرُ إلىٰ الشَّهرِ[(٦)] الذي قَبلَهُ كَفَّارَةٌ، إِلَّا من ثَلَاثٍ»، قال: فَعَرَفنَا أَنَّهُ أَمرٌ حَدَثَ «إِلَّا مِنَ الشِّركِ بِالله، وَنَكثِ الصَّفقَةِ، وَترَكِ السُّنَّةِ»، قال: قُلنَا: يا رَسُولَ الله، هذا الشِّركُ بِالله قد عَرَفنَاهُ فما نَكثُ الصَّفقَةِ وَترَكُ السُّنَّةِ؟ قال: «أَمَّا نَكثُ الصَّفقَةِ: فَأَن تُعطِيَ رَجُلاً بَيعَتَكَ، ثُمَّ تُقَاتِلَهُ بِسَيفِكَ، وَأَمَّا تَركُ السُّنَّةِ: فَالخُرُوجُ مِنَ الجَمَاعَةِ»[(٧)].

وفي أُخرىٰ لمسلم والترمذي: «الصَّلاةُ الخَمسُ، وَالجُمعَةُ إلىٰ الجُمعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَينَهُنَّ ما لم تُغشَ الكَبَائِرُ»[(٨)].

= ينظر: شروح سنن ابن ماجه: (١/٤٥٥ و٤٥٦)، المعجم الأوسط: (٧/٢٣٠).

(١) يتنظف، ويبالغ في النظافة من حلق العانة، ونتف الإبط، وقص الأظفار والشارب.

(٢) بالضم والفتح ما يطلىٰ به الشعر عند تسريحه وربما كان به طيب، ففيه إشارة إلىٰ تسريح الشعر إن كان.

(٣) إلىٰ المسجد، ولأحمد من حديث أبي الدرداء: «ثمَّ يمشي وعليه السَّكينة».

(٤) ليجلس بينهما فربما تألما، ولاسيَّما في شدة الحر إلا بإذنهما.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الجمعة ـ باب الدهن للجمعة، رقم: ٨٨٣.

(٦) يعني: رمضان إلىٰ رمضان.

(٧) المسند: (٩/٥٠٨)، رقم: ١٠٥٢٤، وصححه حمزة أحمد الزين بشواهده، ينظر هامش المسند.

(٨) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ـ باب الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة، ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، رقم: ٥٤٩، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء=

وفي أُخرىٰ لأبي داود: «مَن اغتَسَلَ يوم الجُمُعَةِ، وَلَبِسَ مِن أَحسَنِ ثِيَابِهِ[(١)] وَمَسَّ من طِيبٍ إن كان عِندَهُ، ثُمَّ أتىٰ الجُمُعَةَ فلم يَتَخَطَّ أَعنَاقَ النَّاس[(٢)]، ثُمَّ صلَّىٰ ما كَتَبَ الله له، ثُمَّ أَنصتَ إذا خَرَجَ إِمَامُهُ حتَّىٰ يَفرُغَ من صَلاتِهِ كانت كَفَّارَةً لِمَا بَينَهَا وَبَينَ جُمُعَتِهِ التي قَبلَهَا»[(٣)].

ومنها: أنَّها تقرّبُ إلىٰ الله ﷻ كما قال ﷺ: «الجُمُعَةُ حَجُّ المَسَاكِينِ»[(٤)].

ومنها: أنَّها مِن آكَدِ فروض الإسلام، ومن أعظمِ مجامعِ المسلمين، وهي أعظمُ من كلِّ مَجمَعٍ يجتمعون فيه وأفرضِه سوىٰ مَجمعِ عرَفة، ومَن ترَكها تهاوُناً بها طبعَ اللهُ علىٰ قلبِه.

وقربُ أهل الجنَّة يوم القيامة وسبقهم إلىٰ الزِّيارة يوم المزيد بحسب قُربهم من الإمام وتبكِيرهم؛ قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنَ الصَّلَوَاتِ صَلاةٌ أَفضَلُ مِن صَلاةِ الفَجرِ يوم الجُمُعَةِ في الجَمَاعَةِ، وما أَحسَبُ من شَهِدَهَا مِنكُم إلا مَغفُوراً له»، رواه الطبراني والبزار[(٥)]، وفي روايةٍ للبيهقي: «إنَّ أفضلَ الصَّلوات عند الله تعالىٰ صلاةُ

= في فضل الصلوات الخمس، رقم: ٢١٤.

(١) فالتجمل بحسن الملابس مندوب، وأفضلُ الألوان الأبيض؛ للحديث الذي رواهُ التِّرمذي في كتاب الجنائز ـ باب ما يستحب من الأكفان، رقم: ٩٩٤: «البسوا من ثيابكم البياض، فإنَّها من خير ثيابِكم، وكفِّنوا فيها موتاكم».

(٢) فَهُوَ مَكرُوهٌ إلا لِلإمَامِ وأهلِ الفَضلِ والصَّلاحِ فَلا كراهَة.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الطهارة ـ باب في الغسل يوم الجمعة، رقم: ٣٤٣، وهو حديث حسن. ينظر: عون المعبود: (ص١٨٧).

(٤) مسند الشهاب: لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي: (ت٤٥٤هـ)، (٨١/١)، رقم: ٧٨، وأخرجه حميد بن زنجويه في فضائل الأعمال، ورواهُ ابن أبي أسامة في "مسنده" عن ابن عباس رضي الله عنهما انظر اللمعة في خصائص الجمعة: (ص٢٠).

(٥) المعجم الأوسط: (٦٥/١)، رقم: ١٨٤، المعجم الكبير: (١٥٦/١)، رقم: ٣٦٦، مسند البزار:=

الصُّبح يوم الجمُعة في جماعةٍ»[١].

ومنها: أنَّ للماشي إلىٰ الجُمعة بكلِّ خطوةٍ أجرُ سنةٍ صيامها وقيامها، كما قال رسول الله ﷺ: «مَن غَسَّلَ وَاغتَسَلَ[٢] يوم الجُمُعَةِ وَبَكَّرَ[٣] وَابتَكَرَ، وَمَشَىٰ ولم يَركَب[٤] فَدَنَا مِنَ الإمَامِ فَاستَمَعَ ولم يَلغُ[٥] كان له بِكُلِّ خُطوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا[٦]»[٧].

ومنها: أنَّه اليوم الذي تفزعُ منه السَّموات والأرضُ، والجبال والبحار، والخلائق كلُّها إلا الجنَّ والأِنسَ؛ فروىٰ أبو الجواب[٨]، عن عمَّار بن زُرَيقٍ، عن

= لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت٢٩٢هـ)، (٤/١٠٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٦٨): رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط، كلهم من رواية عبيد الله ابن زهر عن علي بن يزيد وهما ضعيفان. قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير، (٢/٣٢٨): إسناده حسن.

(١) ينظر: كنز العمال: (٧/١٤٩).

(٢) تأكيد كقوله: «ومشىٰ ولم يركب» الآتي. أو المراد غسل رأسه بما اشتمل عليه من شعور وضفائر، واغتسل أي في باقي جسمه لحديث أبي داود: «من غسَّل رأسه يوم الجمعة واغتسل». أو المراد غسل أهله بوقاعهم واغتسل هو.

(٣) بالذهاب للجمعة، وابتكر تأكيد ليسمع أول الخطبة.

(٤) لاحتساب آثاره، وإن كان في الركوب من ذلك إلا لضعف، فهو كالمشي.

(٥) لم يتكلم وقت الخطبة بشيء.

(٦) أجر بدل من عمل.

(٧) سنن أبي داود: كتاب الطهارة ـ باب في الغسل يوم الجمعة، رقم: ٣٤٥، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ أبواب الجمعة ـ باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة، رقم: ٤٩٦، سنن النسائي: كتاب الجمعة ـ باب فضل غسل يوم الجمعة، وباب الفضل في الدنو من الإمام، رقم: ١٣٩٨، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة، رقم: ١٠٨٧، مسند أحمد، رقم: ١٦١٢٠، قال حمزةُ أحمد الزين: إسناده حسن، لأجل عبد الرحمن الدمشقي. ذكره هكذا البخاري وسكت عنه ولم يترجم له أحد؛ فالمتن صحيح. فتأمل.

(٨) وهو الأحوص بن جواب.

منصورٍ، عن مجاهدَ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهم، قال: اجتمع كعبٌ وأبو هُرَيرَة، فقال أبو هُرَيرَة: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ في الجُمُعَةِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا[١] مُسلِمٌ يَسأَلُ الله فيها خَيراً، إلا أَعطَاهُ إِيَّاهُ»[٢]، فقال كعبٌ: ألا أحدِّثُكم عن يومِ الجُمعة، أنَّه إذا كان يومُ الجُمعة، فزِعَت له السَّموات والأرضُ، والجِبالُ، والبحارُ، والخلائقُ كلُّها إلا ابنَ آدمَ والشياطين، وحفَّت الملائكة بأبوابِ المساجدِ، فيكتبونَ الأوَّلَ فالأولَ حتَّىٰ يخرج الإمامُ، فإذا خرج الإمام.. طوَوا صُحُفَهم، ومَن جاء بعد جاء لحقِّ الله، ولِمَا كُتِبَ عليه، ويَحقُّ علىٰ كل حالِمٍ أن يغتسلَ فيه، كاغتساله من الجَنابة، والصَّدقة فيه أفضل من الصَّدقة في سائرِ الأيَّام، ولم تطلع الشَّمس ولم تغرُب علىٰ يوم كيومِ الجُمُعة.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هذا حديثُ كعبٍ وأبي هُرَيرَة، وأنا أرىٰ من كان لأهله طِيبٌ أن يمسَّ منه يومئذٍ؛ وفي حديث أبي هُرَيرَة عن النَّبيِّ ﷺ: «لا تَطلُعُ الشَّمسُ وَلا تَغرُبُ عَلَىٰ يَومٍ أَفضَلَ مِن يَومِ الجُمُعَةِ، وَمَا مِن دَابَّةٍ إِلا وَهِيَ تَفزَعُ يَومَ الجُمُعَةِ إِلا هَذَينِ الثَّقَلَينِ مِنَ الجِنِّ وَالإِنس»، وهذا حديثٌ صحيحٌ[٣]، وذلكَ أنَّه اليوم الذي تقوم فيه السَّاعة، ويُطوىٰ العالم، وتَخرَب فيه الدُّنيا، ويُبعث فيه النَّاس إلىٰ

(١) أي لا يصادفها.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الدعوات ـ باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم: ٩٣٥، صحيح مسلم: كتاب الجمعة ـ باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم: ١٩٧٠، قال الشيخ منصور علي ناصف في التاج الجامع للأصول، (١/٢٩٠): التي يستجاب الدعاء فيها بعين المطلوب، وهي ساعة زمنية خفيفة كخمس دقائق كما في الحديث الأول، أو ساعة فلكية ستون دقيقة كما في الحديث الثالث، ووقتها من جلوس الخطيب علىٰ المنبر إلىٰ نهاية الصلاة كما في حديث أبي موسىٰ. أو من العصر إلىٰ الغروب كما في اللذين بعده، وحكمة إبهامها انتظارها في كل اليوم كإبهام ليلة القدر، وكما أبهم الرجل الصالح في العباد ليعتقد في كل العباد، وكما أبهم الاسم الأعظم ليدعىٰ بالأسماء الحسنىٰ كلها. فراجعه للتفصيل.

(٣) صحيح ابن حِبَّان: (٧/٥)، رقم: ٢٧٧٠.

منازلهم من الجنَّة والنَّار[١].

ومنها: أنَّ الموتىٰ تدنُو أرواحُهم مِن قُبورهم، وتُوافيها في يوم الجمُعة، فيعرفونَ زُوَّارهم ومن يمرُّ بهم، ويُسلِّم عليهِم، ويلقاهم في ذلك اليوم أكثر من معرفتِهم بهِم في غيرهِ مِن الأيَّام، فهو يومٌ تلتقي فيه الأحياءُ والأمواتُ، فإذا قامت فيه السَّاعة، التقىٰ الأوَّلون والآخرون، وأهلُ الأرض وأهلُ السَّماء، والربُّ والعبد، والعامل وعمله، والمظلوم وظالمه، والشَّمس والقمر، ولم تلتقيا قبل ذلك قطُّ، وهو يوم الجمع واللَّقاء، ولهذا يلتقي النَّاس فيه في الدُّنيا أكثر من التقائهم في غيره، فهو يوم التَّلاق.

قال "أبو التَّيَّاح؛ يزيدُ بن حُمَيد": كان "مطرِّف بنُ عبد الله" يبادر فيدخل كلَّ جمعة، فأدلَج حتَّىٰ إذا كان عند المقابر يوم الجُمعة قال: فرأيت صاحب كلِّ قبرٍ جالساً علىٰ قبره فقالوا: "هذا مطرِّف" يأتي الجمُعة قال: فقلت لهم: وتعلمون عندكم الجُمُعة؟ قالوا: نعم ونعلَم ما تقول فيه الطَّير، قلت: وما تقول فيه الطَّير؟ قالوا: تقول ربِّ سلِّم سلِّم يومٌ صالح.

وذكر ابن أبي الدُّنيا في "كتاب المنامات" وغيره عن بعض أهل "عاصم الجُحدَريِّ" قال: رأيت "عاصماً الجُحدَريَّ" في منامي بعد موته لسنتين، فقلتُ: أليس قد مِتَّ؟ قال: بلىٰ، قلتُ: فأين أنتَ؟ قال: أنا والله في روضةٍ من رياض الجنَّة، أنا ونفرٍ من أصحابي، نجتمع كلَّ ليلة جمعة وصبيحتها إلىٰ "بكرِ بن عبد الله المُزَني"، فنتلاقىٰ أخباركم، قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجسام، وإنَّما تتلاقىٰ الأرواح، قال: قلت: فهل تعلمون بزيارتِنا لكم؟ قال: نعلم بها عشيَّة الجُمعة، ويوم الجمعة كلَّه، وليلة السَّبت إلىٰ طلُوع الشَّمس،

(١) ينظر: زاد المعاد: لابن القيم الجوزية ـ رحمه الله تعالىٰ، (١/٤١٢).

قال: قلت: فكيف ذلك دون الأيَّام كلِّها؟ قال: لفضلِ يوم الجمعةِ وعظمتِهِ.

وذكر "ابن أبي الدُّنيا" أيضا، عن "محمَّد بن واسع"، أنَّه كان يذهب كلَّ غداةِ سبت حتَّىٰ يأتي الجبَّانة، فيقفُ علىٰ القبور، فيُسلِّم عليهم، ويدعو لهم، ثمَّ ينصرِف، فقيل له: لو صيَّرت هذا اليوم يوم الاثنين، قال: بلغني أنَّ الموتىٰ يعلمون بزوَّارهم يوم الجُمعة، ويوماً قبله، ويوماً بعده.

وذكر عن "سُفيانَ الثَّوري" قال: بلغني عن "الضَّحاك"، أنَّه قال: مَن زار قبراً يوم السَّبت قبل طلوع الشَّمس، عَلِم الميتُ بزيارته، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: لمكانِ يوم الجمعة[1].



(١) زاد المعاد: (١/٤١٥، ٤١٦).

"وفي الختام"

أوصى نبيُّنا وحبيبنا وشفيعنا محمَّدٌ ﷺ، مُؤكِدًا على ثلاثٍ: صلاة الضَّحى، وصلاة الوِتر، وصيام ثلاثة أيَّام من كلِّ شهرٍ قَمَريٍّ، قال أبو هُرَيرَة رضي الله عنه: «أَوصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاثٍ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهرٍ، وَرَكعَتَي الضُّحَى، وَأَن أُوتِرَ قَبلَ أَن أَرقُدَ»(١).

وفي روايةٍ أخرى: عن أبي الدَّردَاءِ رضي الله عنه قال: «أَوصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلاثٍ، لَن أَدَعَهُنَّ ما عِشتُ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ من كل شَهرٍ، وَصَلاةِ الضُّحَى، وَبِأَن لا أَنَامَ حتَّى أُوتِرَ»(٢).

أمَّا صيام ثلاثةِ أيَّام من كلِّ شهرٍ: فَعَن عَبد الله بن عَمرو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي النَّبيُّ ﷺ: «صُم من الشَّهرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فإن الحَسَنَةَ بِعَشرِ أَمثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثلُ صِيَامِ الدَّهرِ»، متفق عليه(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «صَومُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهرٍ صَومُ الدَّهرِ كُلِّهِ وَإِفطَارُهُ»(٤).

(١) صحيح البخاري: كتاب التهجد ـ باب صلاة الضحى في الحضر، رقم: ١١٧٨، وفي كتاب الصوم ـ باب صيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، رقم: ١٩٨١ صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب صلاة الضحى...، رقم: ١٦٦٩، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب الحث على الوتر قبل النوم، رقم: ١٤٣٢، سنن الترمذي: كتاب الصوم ـ باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم: ٧٦٠، سنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار ـ باب الحث على الوتر قبل النوم، رقم: ١٦٧٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب صلاة الضحى...، رقم: ١٦٧٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصوم ـ باب صوم الدهر، رقم: ١٩٧٩، صحيح مسلم: كتاب الصِّيام ـ باب النهي عن صوم الدهر...، رقم: ٢٧٢١.

(٤) مسند البزار: (٨/٢٤١)، رقم: ٣٣٠١.

وفي أخرى: «من صَامَ من كل شَهرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ؛ فَذَلِكَ صِيَامُ الدَّهر؛ فَأَنزَلَ الله ﷻ تَصدِيقَ ذلك في كِتَابِهِ ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ١٦٠﴾[(١)] اليَومُ بِعَشرَةِ أَيَّامٍ»[(٢)].

وهي الأيَّام البيض[(٣)]، قال الإمامُ محيي الدِّين النَّووي في "رياض الصالحين": والأفضل صومُها في الأيَّام البيض، وهي: الثَّالثَ عشرَ، والرَّابعَ عشرَ، والخامسَ عشرَ، وقيل: الثَّاني عشرَ، والثَّالثَ عشرَ، والرَّابعَ عشرَ، والصَّحيح المشهورُ هو الأوَّل: فعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا صُمتَ مِنَ الشَّهرِ ثَلاثاً، فَصُم ثَلاثَ عَشرَةَ، وَأَربَعَ عَشرَةَ، وَخَمسَ عَشرَةَ»[(٤)]. اهـ[(٥)].

وعن مِلحَانَ القَيسِيِّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يَأمُرُنَا أَن نَصُومَ البِيضَ ثَلاثَ عَشرَةَ، وَأَربَعَ عَشرَةَ، وَخَمسَ عَشرَةَ قال: وقال: «هُنَّ كَهَيئَةِ الدَّهرِ»[(٦)].

وأمَّا صلاةُ الضُّحى: فقد رُوِيَ عَن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُصبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِن أَحَدِكُم صَدَقَةٌ[(٧)]: فَكُلُّ تَسبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحمِيدَةٍ صَدَقَةٌ،

(١) سورة الأنعام.
(٢) سنن الترمذي: كتاب الصوم ـ باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم: ٧٦٢.
(٣) سميت أيام بيض؛ لأنَّها تبيض بطلوع القمر من أولها إلى آخرها.
(٤) سنن الترمذي: كتاب الصوم ـ باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم: ٧٦١، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
(٥) رياض الصالحين: (٢/٢٣٤).
(٦) سنن أبي داود: كتاب الصَّوم ـ باب في صوم الثلاث من كل شهر، رقم: ٢٤٤٩، سنن النسائي: كتاب الصِّيام ـ باب ذكر الاختلاف على موسى بن طلحة في الخبر في صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم: ٢٤٣١، مسند أحمد: قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. ينظر: المسند: رقم: ١٧٤٤٢، و١٧٤٤٣، و٢٠١٩٤، و٢٠١٩٨.
(٧) السُّلامى، كحبارى: العظم الصغير جمعها سلاميات، والمراد أعضاء الجسم، وهي ثلاثمائة وستون=

وَكُلُّ تَهلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمرٌ بِالمَعرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهيٌ عَنِ المُنكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجزِئُ مِن ذَلِكَ رَكعَتَانِ يَركَعُهُمَا مِن الضُّحَىٰ[(١)]» رواه مسلم[(٢)]. وروىٰ الإمام أحمدُ عن عبد الله بن بُرَيدَةَ ﵁ قال: سَمِعتُ أبي بُرَيدَةَ يقول: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «في الإنسَانِ سِتُّونَ وثلاثمائةِ مَفصِلٍ، فَعَلَيهِ أن يَتَصَدَّقَ عن كل مَفصِلٍ منها صَدَقَةً» قالوا: فَمَنِ الذي يُطِيقُ ذلك يا رَسُولَ الله؟ قال: «النُّخَاعَةُ في المَسجِدِ تَدفِنُهَا أَوِ الشَّيء تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ، فإن لم تَقدِر، فَرَكعَتَا الضُّحَىٰ تُجزِئُ عَنكَ»[(٣)].

"فأيُّ كرمٍ هذا" ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٥﴾[(٤)].

وعَن عَائِشَةَ ﵂ قَالَت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي الضُّحَىٰ أَربَعاً وَيَزِيدُ مَا شَاءَ الله»[(٥)].

وعن أمِّ هانئ فاخِتة بنت أبي طالب ﵂ قالت: «ذَهَبتُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ عامَ الفتحِ فَوَجَدتهُ يَغتَسِلُ، فلمَّا فَرَغَ مِن غُسلِهِ صَلَّىٰ ثماني ركعاتٍ وذلكَ

= عضواً، فعلىٰ المسلم أن يتصدق كل يوم بعدد أعضائه شكراً لله علىٰ نعمة الحياة من موت النوم، ومن الصدقة التسبيحات ونحوها التي في الحديث المذكور. فتنبه.

(١) أي: ويكفي عن هذه الصدقات صلاة الضحىٰ، ففي الصلاة حركة لكل عضو في طاعة الله، فقام مقام شكره. فتأمل جداً.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب صلاة الضحىٰ...، رقم: ١٦٦٨.

(٣) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وهو عند أبي داود: (٥/٣٦١)، رقم ٥٢٤٢ في الأدب ـ إماطة الأذىٰ، وابن حِبَّان ٢٠٧، رقم: ٨١١ (موارد) وابن خزيمة (٢/٢٢٩)، رقم: ١٢٢٦. ينظر: المسند: (١٦/٤٩٣)، رقم: ٢٢٨٩٤.

(٤) سورة الأحقاف.

(٥) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب صلاة الضحىٰ...، رقم: ١٦٦٢.

ضُحىً» متفق عليه(١).

وعن نُعَيمِ بن هَمَّارٍ ﷺ قال: سمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «يقولُ اللهُ ﷻ: يا ابن آدَمَ، لا تُعجِزنِي من أَربَعِ رَكَعَاتٍ(٢) في أَوَّلِ نَهَارِكَ أَكفِكَ آخِرَهُ»(٣).

وعن أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن حَافَظَ على شُفعَةِ الضُّحَىٰ(٤)، غُفِرَ له ذُنُوبُهُ، وَإِن كانت مِثلَ زَبَدِ البَحرِ»(٥).

ورَوىٰ الطَّبَراني عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ في الجنَّة باباً يُقالُ له: الضُّحىٰ، فإذا كان يومُ القيامَةِ نادىٰ مُنادٍ أَينَ الذين كانوا يُدِيمونَ صلاةَ الضُّحىٰ؟ هذا بابكُم فادخُلوه برحمةِ الله تعالىٰ»(٦).

عَن مُعَاذ بن أَنَسٍ الجُهَنِيِّ ﷺعَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «مَن قَعَدَ في مُصَلَّاهُ حين

(١) صحيح البخاري: كتاب الغسل ـ باب التستر في الغسل عند الناس، رقم: ٢٨٠، وفي كتاب الصلاة ـ باب الصلاة في الثوب الواحد متلحفاً به، رقم: ٣٥٧، وفي كتاب الجزية والموادعة ـ باب أمان النساء وجوارهن، رقم: ٣١٧١، وصحيح مسلم: كتاب الحيض ـ باب تستر المغتسل بثوب ونحوه، رقم: ٧٦٣، و٧٦٤. "وهذا مختصر لفظ إحدىٰ روايات مسلم".

(٢) المراد بالركعات الأربع: صلاة الضحىٰ، فمن صلَّىٰ صلاة الضحىٰ بقىٰ محفوظاً طول يومه؛ كحديث: "فمن صلىٰ الصبح فهو في ذمة الله تعَالَىٰ".

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب صلاة الضحىٰ، رقم: ١٢٨٩، بسند صحيح، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في صلاة الضحىٰ، رقم: ٤٧٥، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. ينظر: المسند: رقم: ٢٢٣٧٠، و٢٧٣٥٣، و٢٧٤٢١.

(٤) أي: ركعتي الضحىٰ.

(٥) سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في صلاة الضحىٰ، رقم: ١٣٨٢، سنن الترمذي: كتاب أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في صلاة الضحىٰ، رقم: ٤٧٦، قال حمزة أحمد الزين: والحديث صحيح أخرجه البخاري في التقصير، رقم: ١٢وفي الأذان، رقم: ٤١، ومسلم في المسافرين، رقم: ٧٨، ٨٠. ينظر المسند: (٩/٢٩١)، رقم: ٩٦٧٧.

(٦) ينظر: الدر المنثور: (٧/٢٦٥)، عمدة القاري: (٧/٢٤٠).

يَنصَرِفُ[(١)] من صَلاةِ الصُّبحِ حتَّىٰ يُسَبِّحَ[(٢)] رَكعَتَي الضُّحَىٰ، لا يقول إلا خَيراً[(٣)]، غُفِرَ له خَطَايَاهُ[(٤)]، وَإن كانت أَكثَرَ من زَبَدِ البَحرِ»[(٥)].

وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن صَلَّىٰ الغَدَاةَ فِي جَماعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذكُرُ الله حتَّىٰ تَطلُعُ الشَّمسُ، ثُمَّ صلَّىٰ رَكعَتينَ كَانت لَهُ كأجرِ حجَّةٍ وعُمرةٍ» قال ﷺ: «تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»[(٦)]؛ ولهذا الحديث شواهدَ ذكرَها أهلُ الحديثِ.

منها: حديثُ أبي أُمامَةَ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلَّىٰ صلاةَ الغداةِ في جماعةٍ، ثمَّ جلسَ يذكرُ اللهُ حتَّىٰ تَطلعَ الشَّمسُ، ثم قام فصَلَّىٰ ركعتينِ انقلبَ بأجرِ حجَّةٍ وعُمرَةٍ»[(٧)].

ومنها: حديث أبي أُمامَة ﵁ وعُتبةَ بنِ عبدٍ مرفوعاً: «مَن صَلَّىٰ صَلاةَ الصُّبحِ في جَمَاعَةٍ، ثُمَّ ثَبَتَ في المَسجِدِ يُسَبِّحُ الله سُبحَةَ الضُّحَىٰ، كان له كَأَجرِ حَاجٍّ وَمُعتَمِرٍ تَامّاً لَهُ حَجَّتُهُ وَعُمرَتُهُ»[(٨)]، ويسمَّىٰ إحياء ما بين الطُّلوعين والغروبَين.

---

(١) أي: يفرغ.

(٢) أي: يصلي.

(٣) أي: يداوم علىٰ ذكر الله في ذلك الوقت، ولا يتكلم بسوء.

(٤) أي: الصغائر. ينظر: بذل المجهود في حل سنن أبي داود: للإمام خليل أحمد السَّهارنفوري: (ت: ١٣٤٦هـ)، مع تعليقات محمد زكريا الكاندهلوي: (ت: ١٤٠٢هـ): (٥/٥١٤ ـ ٥١٥).

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب صلاة الضَّحىٰ، رقم: ١٢٨٧، سنن البَيهَقِي الكبرىٰ: (٣/٤٩)، رقم: ٤٦٨٦.

(٦) سنن الترمذي: كتاب الجمعة ـ باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتَّىٰ تطلع الشمس، رقم: ٥٨٦، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٧) مجمع الزوائد: (١٠/١٠٤)، قال الهيثمي: إسنادهُ جيِّدٌ.

(٨) المعجم الكبير: (١٧/١٩٢)، رقم: ٣١٧.

أمَّا الطُّلوعان: فطلوعُ الفجر الصَّادق، وطلوع الشَّمس، والغروبان: فغروب الشَّمس، وغروب الشَّفق الأحمر، وهما وقتان مبالَغٌ بهما عند السَّلَف والخلف: كما قال أكملُ الرُّسل ﷺ: «لَئِن أَقعُدَ بينَ الطُّلوعَين والغروبَين، وأذكُر الله أحبَّ إليَّ مِن أن أُقَاتِلَ حتَّىٰ أُقتَلَ في سَبيلِ الله».

وفي روايةٍ أخرىٰ: «لَأَن أَذكُرَ اللهَ تعالىٰ مَعَ قَومٍ بَعدَ صَلَاةِ الفَجرِ إِلَىٰ طُلُوعِ الشَّمسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنيا، وَمَا فِيهَا، وَلَأَن أَذكُرَ اللهَ تعالىٰ مَعَ قَومٍ بَعدَ صَلَاةِ العَصرِ إِلَىٰ أَن تَغِيبَ الشَّمسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنيا وَمَا فِيهَا»[١].

وصلاة الضُّحىٰ: أقلُّها ركعتان، وأوسطها أربع ركعات، أو ستٍّ، وأكملها ثمانٍ، وأكثرها إثنىٰ عشر، ووقتها إذا حَلَّت الصَّلاة النافلةُ بعد شروق الشَّمس وارتفعت إلىٰ الزَّوال.

أمَّا صلاةُ الوترِ: فَعَن عَلِيٍّ رضي الله عنه، وكرَّمَ الله وجهه قَالَ: الوِترُ لَيسَ بِحَتمٍ كَصَلاتِكُم المَكتُوبَةِ، وَلَكِن سَنَّ رَسُولُ الله ﷺ، وَقَالَ: «إِنَّ الله وِترٌ يُحِبُّ الوِترَ، فَأَوتِرُوا يَا أَهلَ القُرآنِ[٢]»[٣].

(١) ينظر: شعب الإيمان: (١/٤٠٩)، رقم: ٥٥٩.

(٢) أي يا أمة محمد صلوا الوتر فإن الله وتر أي واحد في ذاته وصفاته وأفعاله يحب الوتر، وظاهره الوجوب كظاهر قوله: «الوتر حق علىٰ كل مسلم»، فيفيد أن الوتر واجب، وعليه الحنفية، وقال الجمهور إنه سنة مؤكدة، لقوله ﷺ لمعاذ لما بعثه لليمن «أخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة»، ولحديث: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع»، ولحديث أحمد والطبراني والحاكم: «ثلاث علي فرائض وهي لكم تطوع النحر والوتر وركعتا الفجر». ولحديث الأصول: كان النبي ﷺ يوتر علىٰ راحلته في السفر فإذا أراد الفريضة نزل واستقبل القبلة. التاج الجامع للأصول: (١/٢١٢).

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب استحباب الوتر، رقم: ١٤١٦، سنن التِّرمذي: كتاب الصلاة ـ باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم، رقم: ٤٥٣، وقال: حديث حسن، سنن النسائي: كتاب قيام=

وعن خَارِجَةَ بن حُذَافَةَ ﵁ قال: خَرَجَ عَلَينَا رسول الله ﷺ فقال: «إنَّ الله ﷻ قد أَمَدَّكُم[(١)] بِصَلاةٍ هِيَ خَيرٌ لَكُم من حُمرِ النَّعَمِ[(٢)]، وَهِيَ الوِترُ، فَجَعَلَهَا لَكُم فِيمَا بين العِشَاءِ إلىٰ طُلُوعِ الفَجرِ»[(٣)].

وَعَن عَبدِ الله بنِ عُمَرَ ﵄ عَن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «اجعَلُوا آخِرَ صَلاتِكُم بِاللَّيلِ وِتراً» متفق عليه[(٤)].

وعَن جَابِرٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن خَافَ أَلَا يَقُومَ مِن آخِرِ اللَّيلِ فَليُوتِر أَوَّلَهُ، وَمَن طَمِعَ أَن يَقُومَ آخِرَهُ فَليُوتِر آخِرَ اللَّيلِ، فَإِنَّ صَلاةَ آخِرِ اللَّيلِ مَشهُودَةٌ وَذَلِكَ أَفضَلُ[(٥)]»[(٦)].

وعن أبي هُرَيرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «يَعقِدُ الشَّيطَانُ علىٰ قَافِيَةِ[(٧)]

= الليل وتطوع النهار ـ باب الأمر بالوتر، رقم: ١٦٧٥، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الوتر، رقم: ١١٦٩.

(١) زادكم علىٰ الفرائض الخمس.

(٢) حمر كقفل جمع أحمر، والنعم هنا الإبل خاصة من إضافة الصفة للموصوف أي هي خير لكم من الإبل الحمر، وكانت أعز أموال العرب فضرب بها المثل.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب استحباب الوتر، رقم: ١٤١٨، سنن الترمذي: كتاب الصلاة ـ أبواب الوتر ـ باب ما جاء في فضل الوتر، رقم: ٤٥٢، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الوتر، رقم: ١١٦٨، وقال الحاكم في "المستدرك" (١/٤٤٨): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، رواته مدنيون ومصريون، ولم يتركاه إلا لما قدمت ذكره من تفرد التابعي عن الصحابي.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الوتر ـ باب ليجعل آخر صلاته وترا، رقم: ٩٩٨، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب صلاة الليل مثنىٰ مثنىٰ، والوتر ركعة في آخر الليل، رقم: ١٧٥٢.

(٥) لأنه يكون وتراً وتهجداً، فينبغي أن ينوي ذلك، ولأنه وقت التجلي. فتنبه.

(٦) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، رقم: ١٧٦٣.

(٧) مؤخرة الرأس، وخص مؤخرة الرأس لأنه محل تصرف الواهمة، وهي أطوع القوىٰ للشيطان=

رَأسِ أَحَدِكُم إذا هو نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضرِبُ كُلَّ عُقدَةٍ عَلَيكَ لَيلٌ طَوِيلٌ فَارقُد[١]، فَإِن استَيقَظَ، فذكر الله، انحَلَّت عُقدَةٌ، فَإِن تَوَضَّأَ، انحَلَّت عُقدَةٌ، فَإِن صلى انحَلَّت عُقدَةٌ، فَأَصبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفسِ، وَإِلا أَصبَحَ خَبِيثَ النَّفسِ كَسلانَ[٢]»[٣].

قال الطِّيبِيُّ ﷺ[٤]: مثَّلَت حالُ من لم يتكاسل ولم ينَم عن وظائفِه التي تسرع به إلىٰ المقام الزُّلفىٰ وتنشيطِه لاكتسابِ السَّعادة العُظمىٰ، فكلَّما همَّت النَّفس اللَّوامة بالفتور تداركها التوفيق بالخَلاص من نَفثِ الشَّيطان وَعُقَدِ النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، فيصبحُ نشيط القلب مطمئنَّ النَّفس طيِّبها، يظهر في سيماها أثر السُّجود: بحالة من أسره العدو، وشدَّ علىٰ قفاه بريقة الأسر عقدة بعد عقدةٍ اسيثاقاً وهو يتحرَّىٰ الخلاصَ منه بلطائف حِيَله مرَّة بعد أخرىٰ، حتَّىٰ يتخلَّص منه بالكليَّة، ويذهب لسبيله بلا مانعٍ ولا منازعٍ، بخلاف من أطاع الشَّيطان حتَّىٰ تمكَّن من النَّفس الأمارة بضرب العقد علىٰ قافية رأسه، فهل يستويان، ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾﴾[٥].

عن أبي هُرَيرَة ﷺ عَنِ النَّبيّ ﷺ قال: «يَنزِلُ رَبُّنا ﷻ[٦] كُلَّ لَيلَةٍ إلىٰ السَّمَاءِ

= وأسرعها له إجابة، والعقد كناية عن شيء يعمله كعقد الحبل يثبط عن القيام عن طاعة الله ﷻ.

(١) أي يضرب بيديه قائلاً: باق عليك ليل طويل فارقد.

(٢) فمن ذكر الله تعَالَىٰ عقب نومه زال كسله، وإلا بقي كسلان.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التهجد ـ باب عقد الشيطان علىٰ قافية الرأس إذا لم يصلّ بالليل، رقم: ١١٤٢، وفي كتاب بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده، رقم: ٣٢٦٩، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتَّىٰ أصبح، رقم: ١٨١٦، سنن أبي داود: كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل ـ باب قيام الليل، رقم: ١٣٠٦، سنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار ـ باب الترغيب في قيام الليل، رقم: ١٦٠٨.

(٤) ينظر: فتح الملهم: (٥/١٤٢).

(٥) سورة الملك.

(٦) أي: يتجلى علىٰ عباده تجلياً خاصاً، في صلاة التهجد، ويجيب الداعين ويغفر للمستغفرين.

الدُّنيا حين يَبقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ يقولُ من يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ له مَن يَسأَلُنِي فَأُعطِيَهُ من يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ له»(١).

وعن أبي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ وَأَبِي هُرَيرَة رضي الله عنهما قالا: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن استَيقَظَ من اللَّيلِ وَأَيقَظَ امرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكعَتَينِ جميعاً.. كُتِبَا من الذَّاكِرِينَ الله كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ»(٢).

وعن بِلالٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «عَلَيكُم بِقِيَامِ اللَّيلِ، فإنَّه دَأبُ الصَّالِحِينَ قَبلَكُم(٣)، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيلِ قُربَةٌ إلىٰ الله، وَمَنهَاةٌ عن الإِثمِ، وَتَكفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطرَدَةٌ لِلدَّاءِ عن الجَسَدِ»(٤).

وصلاةُ اللَّيلِ هي: طريقةُ وعادةُ وأخلاقُ الصَّالحينَ رضي الله عنهم، وعنَّا بهم أجمعين،

(١) صحيح البخاري: كتاب التهجد ـ باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، رقم: ١١٤٥، وفي كتاب الدعوات ـ باب الدعاء نصف الليل، رقم: ٦٣٢١، وفي كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [١٥] سورة الفتح، رقم: ٧٤٩٤، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم: ١٧٦٩، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب أي الليل أفضل، رقم: ١٣١٥، سنن النسائي الكبرىٰ، رقم: ٧٧٦٨.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب الحث علىٰ قيام الليل، رقم: ١٤٥١، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، رقم: ١٣٣٥، وهو حديث صحيح. ينظر: شروح ابن ماجه: (١/٥٣٤).

(٣) دأب بسكون الهمزة، ويبدل ويحرك؛ أي: عادتهم وشأنهم. قال الطيبي: الدأبُ: العادة والشأن، وقد يُحَرَّك وأصله من دَأَبَ في العمل، إذا جد وتعب. ينظر: تحفة الأحوذي: (٩/٤٩٧).

(٤) سنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب في دعاء النبي ﷺ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط البخاري ولم يخرجاه، قال عبد السلام بن محمد بن عمر علوش: أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه"، رقم: ١١٣٥، وابن نصر (ص: ١٨)، وابن عدي (ق ١/٢٢٠)، والترمذي في "الجامع" رقم: ٣٥٤٣، ٣٥٤٤، والبَيهَقِي في "السنن الكبرىٰ" (٢/٥٠٢)، وله شواهد عن بلال وأبي الدرداء وسلمان وجابر، فهو حديث صحيح بمجموع شواهده. ينظر: المستدرك: (١/٦١٣)، رقم: ١١٩٧.

فتنبَّه جدّاً.

قال أكملُ الرُّسل ﷺ: «إذا قامَ أحدُكُم من اللَّيلِ، فَلْيَفتَتِح صَلاتَهُ بِرَكعَتَينِ خَفِيفَتَينِ»[١]، «خَفِيفَتَينِ»، أي: لينشط لِمَا بعدهما.

عن ابن عُمَرَ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عن صَلاةِ اللَّيل؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «صَلاةُ اللَّيلِ مَثنَىٰ مَثنَىٰ[٢]، فإذا خَشِيَ أحدكم الصُّبحَ، صلىٰ رَكعَةً وَاحِدَةً» متفق عليه[٣].

وأوصىٰ نبيُّنا وحبيبُنا محمَّدٌ ﷺ جَدَّنا عليّاً المرتضىٰ ـ عليه السَّلام والرِّضوان ـ قائلاً: «يا عليُّ: احفظ التَّوحيد، فإنَّه رأس مالي، والزم العمل، فإنَّه حِرفَتي، وأقِم الصَّلاة فإنَّها قرَّة عيني، واذكر الرَّب، فإنَّه بصيرة فؤادي، واستعمل العلم فإنَّه ميراثي»[٤]، اللَّهم وفِّقنا لذلك، آمينَ.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي

---

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: ١٨٠٤.

(٢) اختلف الأئمة في صلاة الليل والنهار، فقال أبو يوسف، ومحمد، ومالك، والشافعي، وأحمد: إن صلاة الليل مثنىٰ مثنىٰ، وهو أن يسلم في آخر كل ركعتين، وأما صلاة النهار فأربع عندهما أي أبو يوسف ومحمد رحمهما الله. وعند أبي حنيفة رحمه الله أربع في الليل والنهار، وعند الشافعي رحمه الله فيهما مثنىٰ مثنىٰ. وقال الأثرم عن أحمد: الذي أختاره في صلاة الليل مثنىٰ مثنىٰ، فإن صلىٰ بالنهار أربعاً فلا بأس. فتح الملهم: (٥/٥٦).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصلاة ـ باب الحِلق والجلوس في المسجد، رقم: ٤٧٢ و٤٧٣، وفي كتاب الوتر ـ باب ما جاء في الوتر، رقم: ٩٩٠ و٩٩٣، وباب ساعات الوتر، رقم: ٩٩٥، صحيح مسلم: صلاة المسافرين وقصرها ـ باب صلاة الليل مثنىٰ مثنىٰ، والوتر ركعة في آخر الليل، رقم: ١٧٤٥.

(٤) تفسير الرازي: (٢/١٧٦).

وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾[١].

اللَّهمَّ اجعَل لي في قَلبي نُوراً، وفي لِسَانِي نُوراً، وفي سَمعِي نُوراً، وفي بَصَرِي نُوراً، وَمِن فَوقِي نُوراً، وَمِن تَحتِي نُوراً، وَعَن يَمِينِي نُوراً، وَعَن شِمَالِي نُوراً، وَمِن بَينِ يَدَيَّ نُوراً، وَمِن خَلفِي نُوراً، وَاجعَل في نَفسِي نُوراً، وَأَعظِم لي نُوراً.

اللَّهمَّ أَكرِمنَا بالعِلمِ وَالعَمَلِ، وَالطَّاعَةِ وَالأَدَبِ، والمعرفة وَالمَحَبَّةِ، والافتقار وَالدَعوَةِ؛ بِرَحمَتِكَ وَلُطفِكَ، يا أرحم الرَّاحمين، يا أكرم الأكرمين، يا أجود الجوَّادين، يا لَطِيفُ يا وَاسِعُ يا عَلِيمُ، يا الله، آمين.

اللَّهم صلِّ وسَلِّم وبارِك علىٰ حبيب ربِّ العالمين وخاتم النَّبيِّين والمرسلين، عليه وعليهم أجمعين، وعلىٰ أهل بيت النَّبيِّ المُكرمين، وأصحاب رسول الله الغُرِّ الميامين، وتابعيهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين ـ رضوانُ الله تعالىٰ عليهم أجمعين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾
﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.



(١) سورة إبراهيم.

ركن الزكاة

الرُّكن الثالثُ: الزَّكاةُ، وهي في اللَّغةِ: التَّطهيرُ، والنَّماءُ، والإصلاحُ، والمدحُ.

وفي الشَّرعِ: اسمٌ لقدَرٍ مخصوصٍ من مالٍ مخصوصٍ يجبُ صرفه لأصنافٍ مخصوصةٍ بشرائطَ[١].

أو: عبارةٌ عن إيجابِ طائفةٍ مِنَ المالِ، في مالٍ مخصوصٍ، لمالكٍ مخصوصٍ.

وفرضيَّتُها: بنحو قوله الله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾[٢]، أمرَ الحقُّ ﷻ بإقامة الصَّلاة، بشروطها وأركانها وآدابها، ظاهراً وباطناً، وأمرهم تعالىٰ بإيتاء الزَّكاة من الأموال التي استخلَف الله عليها العِباد، وأعطاهُم إيَّاها، بأن يؤتوها الفقراء وغيرهم، ممَّن ذكرهم الله لمصرف الزَّكاة، فهذان أكبر الطَّاعات وأجلّها، كما قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن عَبدٍ يُصَلِّي الصَّلَوَات الخَمسَ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، وَيُخرِجُ الزَّكَاةَ، وَيَجتَنِبُ الكَبَائِرَ السَّبعَ، إِلَّا فُتِحَت لَهُ أَبوَابُ الجَنَّة، فَقِيلَ لَهُ: ادخُل بِسَلَامٍ»[٣]، قوله ﷺ: «ادخُل بِسَلَامٍ»، أي: بسلامة من العذاب، وكلِّ مخوفٍ[٤]، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوهَا

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، (٦٢/٢).

(٢) سورة النور.

(٣) سنن النسائي: كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة، رقم: ٢٤٣٨.

(٤) تاج التفاسير: (١٧٥/٢).

﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾[(١)].

سُئل ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه أَيُّ دَرَجَاتِ الإِسلامِ أَفضَلُ؟ قال: الصَّلاةُ، قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الزَّكَاةُ، قال: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: برُّ الوالدَين، قال: فمع من المرءُ؟ قال: أحسبه قال: مع من أحَبَّ[(٢)].

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٠٣﴾[(٣)].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ وهي الزَّكاة المفروضة، والمعنى: خذ يا أكرم الرُّسل من أموالهم، فكان النَّبيُّ ﷺ، يأخذ منهم أيَّام حياته، ثُمَّ أخذها من بعده الأئمَّة؛ فيجوزُ للإمام أو نائبه أن يأخذ الزَّكاة من الأغنياء ويدفعها إلى الفقراء[(٤)].

والصَدقةُ: مطهرةٌ للنَّفسِ، مرضاةٌ للربِّ، وحصنٌ للمال، وتقويةٌ للسِّناد[(٥)].

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾، أي: من الذُّنوب، ومن دَنَسِ البُخل، ولؤمِ الطَّبع، ودناءة الشُّحِّ المذمومِ عند كلِّ ذي ذوقٍ سليم ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، أي: تُنميهم، حتَّى تنمو نفوسهم

---

(١) سورة الحجر.

(٢) رواهُ الطَّبَرانيُّ مرفوعاً في المعجم الكبير: (١٠/٢٥)، رقم: ٩٨٢٤، ورواهُ غيره عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٣/٦٨).: رواهُ الطبراني في "الكبير" ورجاله موثقون.

(٣) سورة التوبة.

(٤) تفسير الخازن: لعَلاء الدّين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت: ٧٨٥هـ) (٣/١٨٣).

(٥) يقال: "ناقة سناد": شديدة الخَلق، وقال ابن برزج: السناد من صفة الإبل أن يُشرِفَ حارِكُها؛ وقال الأَصمعي: في المُشرِفة الصدر والمُقَدَّم، وهي المُسانِدَة؛ وقال شمر: أَي يُساند بعض خلقها بعضاً؛ قال الجوهري: السِّناد الناقة الشديدة الخلق، قال ذو الرمة: جُمالِيَّةٌ حَرفٌ سِنادٌ يُشِلُّها وظِيفٌ أَزَجُّ الخَطوِ ظَمآنُ سَهوَقُ. جُمالِيَّة ناقة عظيمة الخَلق مُشَبَّهَة بالجمل لعظم خلقها؛ ينظر لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، (٣/٢٢٠).

علىٰ حبِّ الخير، وتزرع في قلوبهم شجَرَ العطف علىٰ الفقير والضَّعيف والمحتاج؛ بهذا تنمو النَّفس، وتُرفعُ إلىٰ أعلىٰ الدَّرجات، وتُنمّي أموالهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ ۝٩﴾[١]، أي: يُوق بتوفيق الله شُحّها حتَّىٰ يخالفها فيما يطلب عليها من حُبِّ المال وبُغض الإنفاق؛ فإنه إذا وُقِيَ العبد شُحَّ نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً منشرحاً بها صدره، وسمحت نفسه بتركه ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه، وإن كان محبوباً للنَّفس تدعو إليه وتطلع إليه.

وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل اللهِ وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصلُ الفلاح والفوز[٢].

قال الماتريديُّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ ۝٩﴾: إنَّ الله تعالىٰ خلقَ في طبعِ البَشَر محبَّة المحاسن والمنافع والطَّلب لها، وبغض المساوي والمضارِّ والهرب عنها، ثُمَّ إنَّه امتحنهم بالإنفاق ممَّا يحبُّون، وحمل النَّفس علىٰ ما يكرهون؛ طلباً لنجاتهم، وتوصُّلاً إلىٰ ثوابهم، ثُمَّ وقاية الأنفسِ من الشحِّ تكون بوجهين:

أحدهما: أن يمنَّ الله علىٰ عبده؛ ليصير ما هو غائب عنه من الثَّواب في الأجل كالشَّاهد؛ فيخففَ عليه الإنفاق ممَّا يحب، ويصير ذلك كالطَّبع له.

والثاني: يوفِّقُه الله تعالىٰ ويعصمهُ، ويلهمه تعظيم أمره ونهيِه؛ حتَّىٰ يقهر نفسه ويحملها علىٰ الائتمار بأمر الله تعالىٰ والانتهاء عمَّا نهىٰ عنه، وإن كان طبعهُا علىٰ خلافِ ذلك.

---

(١) سورة الحشر.

(٢) تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (ص٨١٤).

ثمَّ إضافة الوقاية إلىٰ نفسه تدلُّ علىٰ أنَّه قد بقي في خزانته شيءٌ لم يؤته عبده، حتَّىٰ يصف نفسه بأنَّه يقي عنه شحَّ نفسه، ولولا ذلك لم يكن لوعدِه بوقاية نفسهِ عن شحِّها معنىً، والله أعلم(١).

وقوله ﷻ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، أي: الفائزون بخير الدارين من الفلاح في الدُّنيا، والفوز في الآخرة.

ففي الصَّحيحَين: «جاء رَجُلٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إنِّي مَجهُودٌ(٢)، فَأَرسَلَ إلىٰ بَعضِ نِسَائِهِ، فقالت: وَالذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما عِندِي إلا مَاءٌ، ثُمَّ أَرسَلَ إلىٰ أُخرَىٰ، فَقَالَت: مِثلَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ قُلنَ كُلُّهُنَّ مِثلَ ذلك؛ لا وَالذي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما عِندِي إلا مَاءٌ، فقال: «من يُضِيفُ هذا(٣)، اللَّيلَةَ، رَحِمَهُ الله» فَقَامَ رَجُلٌ من الأَنصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانطَلَقَ بِهِ إِلَىٰ رَحلِهِ فَقَالَ لامرَأَتِهِ: هَل عِندَكِ شَيءٌ؟ قَالَت: لا، إلا قُوتُ صِبيَانِي، قال: فَعَلِّلِيهِم بِشَيءٍ، فإذا دخل ضَيفُنَا فَأَطفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأكُلُ، فإذا أَهوَىٰ لِيَأكُلَ فَقُومِي إلىٰ السِّرَاجِ حتَّىٰ تُطفِئِيهِ، قال: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيفُ؛ فلمَّا أَصبَحَ غَدَا علىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: «قد عَجِبَ الله من صَنِيعِكُمَا بِضَيفِكُمَا اللَّيلَةَ»، فأنزل الله تعالىٰ الآية في شأنه» متفق عليه(٤).

أي أخي: مَن سلَّمه اللهُ مِنَ البُخلِ فَقَد أَفلَحَ ونَجَحَ.

(١) تأويلات أهل السنة: لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، (ت: ٣٣٣هـ)، (٩/٥٩٠).
(٢) أي جائع جداً.
(٣) بدأ رسول الله ﷺ، بنفسه وأهله، فلما لم يجد في بيته شيئاً يواسيه به، رغّب غيره في مساعدته، وهذا حكم المواساة في الشدائد، أن يساعد الرجل المجهودين بنفسه، فإن لم يستطع حوّلهم إلىٰ غيره.
(٤) صحيح البخاري: كتاب المناقب ـ باب قول الله تعالَىٰ: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾. (سورة الحشر)، رقم: ٣٧٩٨، صحيح مسلم: كتاب الأطعمة ـ باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم: ٥٣٢٧، و٥٣٢٨.

"والشُّحُّ": هُوَ البُخلُ الشَديدُ مَعَ الجَشَعِ، وهُو غريزَةٌ فِي النَّفسِ، ولِذَلِكَ أضِيفَ إلَيهَا؛ قَالَ "ابنُ عُمَرَ": لَيسَ الشُحُّ أن يمنَعَ الرَّجلُ مَالَه، إنَّما الشُّحُّ أن تَطمعَ عَينُه فيمَا لَيسَ لَهُ[1]؛ قالَ أكمَلُ الرُّسُلِ ﷺ: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أَهلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم[2] حَمَلَهُم عَلَىٰ أَن سَفَكُوا دِمَاءَهُم وَاستَحَلُّوا مَحَارِمَهُم»[3].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ۝٣٧ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ۝٣٨﴾[4].

"أي إخوتي": اعلموا أنَّ الدُّنيا لعبٌ، ولهوٌ، وزينةٌ، وتفاخرٌ، وتكاثرٌ، في الأموال والأولاد، وهذا كلُّه باطلٌ إلا ما كان منها في عبادة الله ﷻ وطاعته، وإذا كان الأمر كذلك.. فيجب ألا تشغلكم الدُّنيا عن الآخرة والفوز بلذائذها الفاخرة، فالآخرة خيرٌ وأبقىٰ، وأن تؤمنوا وتتَّقوا أيُّها النَّاس يؤتكُم أجوركم، ولا يسألكم أموالكم كلَّها؛ إنَّما يسألكم قليلاً من المال هو في الواقع تحسينٌ لكم ولمالكم، وإنَّما أنتم في الواقع خلفاء لله في ماله، فأنفقوا ممَّا جعلكم مستخلفين فيه، ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ ويبالغ في طلبها كلِّها تبخلوا، ولا تقرضوه قرضاً حسناً تُثابون

(١) صفوة التفاسير: للشيخ محمد الصابوني: (٣/٣٣٢).

(٢) قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم بأنهم سفكوا دمائهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثاني أظهر ويحتمل أنه أهلكهم في الدُّنيا والآخرة. انظر: تكملة فتح الملهم: (١١/٢٩٧).

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم الظلم، رقم: ٦٥١٩، مسند أحمد: (١١/٤٥٥ ـ ٤٥٦)، رقم: ١٤٣٩٨.

(٤) سورة محمد ﷺ.

عليه، ويخرج هذا أضغانكم وحبَّكم للمال، إذ كراهيتكم للإنفاق كراهية طبيعيَّة.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾، ومن يبخل فإنَّما بخله وعاقبته على نفسه وحده، واللهُ الغَنِيُّ عَلَىٰ إنفاقِكُم، وإنَّما سبحَانَه قَد ربطَ أسبابَ النَّجاحِ والفلاحِ بالإنفَاقِ والجهادِ فِي سَبيلِ اللهِ، واللهُ الغَنِيُّ وأنتُمُ الفُقَرَاءُ إلَيهِ.

وإن تَولُّوا وتعرضوا يستبدل قوماً غيرَكم، ثُمَّ لا يكونوا أمثالكم، بل يكونوا طائعين مؤمنين عاملين[١].

قال أكمل الرُّسل ﷺ: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ، فَقَد بَرِئَ مِنَ الشُّحِّ: مَن أَدَّىٰ زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بهَا نَفسُهُ، وَقَرَّىٰ الضَّيفَ، وَأَعطَىٰ فِي النَّوَائِبِ[٢]»[٣].

عن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُتَصَدِّقِ: مَثَلُ رَجُلَينِ عَلَيهِمَا جُبَّتَانِ مِن حَدِيدٍ[٤] مِن ثُدَيِّهِمَا إلَىٰ تَرَاقِيهِمَا[٥]، إذَا هَمَّ المُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ اتَّسَعَت عَلَيهِ حتَّىٰ تُعَفِّيَ أَثَرَهُ[٦]، وإذَا هَمَّ البَخِيلُ بِصَدَقَةٍ تَقَلَّصَت عَلَيهِ، وَانضَمَّت يَدَاهُ إلَىٰ تَرَاقِيهِ وَانضَمَّت كُلُّ حَلقَةٍ إلَىٰ صَاحِبَتِها، قال: فَسَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «فَيَجهَدُ أَن يُوَسِّعَهَا فَلا يَستَطِيعُ»[٧].

(١) تفسير الواضح: (٢٦/٣٤ ـ ٣٥).
(٢) أي: في أوقات الشدة.
(٣) المعجم الصغير: (١/٩٤)، رقم: ١٢٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٣/٦٨): رواهُ الطبراني في الصغير وفيه زكريا بن يحيىٰ الوقار وهو ضعيف.
(٤) وفي رواية: عليهما جنتان: تثنية جنة بالضم وهي الدرع.
(٥) الثديّ جمع ثدي، والتراقي جمع ترقوة وهي عظم الحلق.
(٦) حتَّىٰ تطمس أثر مشيه من طولها.
(٧) صحيح البخاري: كتاب الزكاة ـ باب مثل المتصدق والبخيل، رقم: ١٤٤٤، صحيح مسلم:=

وقال تعالىٰ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾، فالصَّلاةُ منك يا أكمل الرُّسل ﷺ دعاء لهم بالخير، وسكَنٌ لنفوسهم من الاضطراب عقب الذَّنب الذي وقع بالمخالفة، والمعنىٰ: اُدعُ أيُّها الرَّسول الكريم للمتصدِّقين بالخيرِ والبركات، واستغفر الله لهم؛ فدعاؤك واستغفارك سكن لهم، ورحمة لهم، واطمئنانٌ لقلوبهم، وارتياحٌ إلىٰ قبول تَوبتِهم.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ سمعَ دعائك أيُّها النَّبي الكريم، سمعَ إجابةٍ وقبولٍ، أو لكلِّ قولٍ ومُجازٍ عليه؛ لإخلاصهم ومناجاتهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بكلِّ قصدٍ ونيَّة، وبما فيه الخير والمصلحة.

وفي هذه الآية دِلالة علىٰ وجوب الزكاة في جميع الأموال.

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾[1].

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ أكَّدوا إيمانهم بالإخلاص في عموم الأعمال، والأفعال، والأخلاق.

﴿وَأَنفَقُواْ﴾ بلا شَوبِ المَنِّ والأذىٰ، وشَينِ السُّمعة والرِّياء.

﴿لَهُمْ﴾، أي: بسبب ما جمعوا بين الإيمان بالله والإيمان برسوله ﷺ والنَّفقة

= كتاب الزكاة ـ باب مثل المنفق والبخيل. رقم: ٢٣٥٦ و٢٣٥٧ و٢٣٥٨، الحديث ضرب مثلا للبخيل والمتصدق، فمثلهما مثل رجلين عليهما درعان قصيران ضيقان من الحديد، فإذا هم المتصدق بصدقة اتسع درعه وطال حتَّىٰ يجر علىٰ الأرض، والمراد انشرح صدره ففرح لها بكل جوارحه فأخرجها وهو مملوء بالإخلاص، فتقبلها الرحمن بيمينه، وإذا هم البخيل بصدقة انقبضت عليه درعه وانضمت حلقاته إلىٰ بعضها وانضمت يداه إلىٰ عنقه فلم يقدر علىٰ إخراجها، والمراد غلبت عليه الشح فماتت جوارحه عن فعل الخير، قال تعالَىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾. التاج الجامع للأصول: (٥/٢٢٠).

(١) سورة الحديد.

الخالصة لوجهه تعالىٰ.

﴿ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾، أي: لا أجر أكبر منه وأعلىٰ من الجنان، والنَّظر إلىٰ وجه الله الكريم، ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]، فتأمَّل جداً.

أمَّا المانعون للزَّكاة والإنفاق في سبيله تعالىٰ، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ من جمعِ المال، ومنعِ الحقوق الواجبة فيه، سواء كان من أهل الكتاب أم من المسلمين.

والمراد بالإنفاق في سبيل الله: أداءُ الزكاة، وكلُّ شيءٍ مجموع بعضُه إلىٰ بعض في بطن الأرض أو علىٰ ظهرها.. كنزٌ، وجمعُه كنوزٌ[3].

﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، أي: لا يؤدُّون زكاتها، ولا يبذلون منها في وجوه الخير؛ فعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت: كنتُ البَسُ أَوضَاحاً من ذَهَبٍ[4]، فقلت: يا رَسُولَ الله، أَكَنزٌ هو؟ فقال: «ما بَلَغَ أَن تُؤَدَّىٰ زَكَاتُهُ فَزُكِّيَ، فَلَيسَ بِكَنزٍ»[5].

---

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة التوبة.

(٣) صفوة البيان لمعاني القرآن: لفضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف: (ص٢٥٣).

(٤) الأوضاح: جمع وضح بالتحريك، وهو: خلخال من الفضة غالباً لوضوحه وبياضه.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الزكاة ـ باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلي، رقم: ١٥٦٤، وهو حديث حسن المرفوع منه فقط، وقد صحَّحه الحاكم في المستدرك: (٥٤٧/١)، رقم: ١٤٧٨، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط البخاري ولم يخرجاه.

وفي روايةٍ: «كُلُّ مَالٍ، وَإِن كَانَ تَحتَ سَبع أَرَضِينَ يُؤَدَّىٰ زَكَاتُهُ، فَلَيسَ بِكَنزٍ، وَكُلُّ مَالٍ لا يُؤَدَّىٰ زَكَاتُهُ، وَإِن كَانَ ظَاهِراً فَهُوَ كَنزٌ»(١).

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أي: أخبرهم يا أكمل الرُّسل ﷺ؛ بالعذاب الأليم في الجحيم، وقد وضع الوعيد لهم بالعذاب موضعَ البِشارة بالتَّنعُّم لغيرهم من المؤمنين المُمتَثلين.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ يُوقد عليها لتحمىٰ فيُحرَقون بها.

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾، أي: تُحرَقُ جهةُ أمامِهم بالكيِّ عليها.

﴿وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾، أي: يتقلَّبون عليها بجميع جسدِهم، ويقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾، أي: يقال لهم تبكيتاً وتقريعاً؛ هذا ما كنزتموه لأنفسكم فذوقوا اليوم وبالَ وعذاب ما كنتم تكنزونه ـ بدل ما كنتم تتلذَّذون بها.

روىٰ أصحابُ السُّنن: عن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا مِن صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ، صُفِّحَت(٢) لَهُ صَفَائِحُ مِن نَارٍ، فَأُحمِيَ عَلَيهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكوَىٰ بِهَا جَنبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَت أُعِيدَت لَهُ، فِي يَومٍ كَانَ مِقدَارُهُ خَمسِينَ الفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقضَىٰ بَينَ العِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَىٰ الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَىٰ النَّار»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، فَالإِبِلُ؟ قَالَ: «وَلا صَاحِبُ إِبِلٍ لا يُؤَدِّي مِنهَا حَقَّهَا، وَمِن حَقِّهَا حَلَبُهَا(٣) يَومَ وِردِهَا(٤)، إِلَّا

(١) المعجم الأوسط: (٨/١٦٣).
(٢) أي: جُعلت وهيئت.
(٣) أي: الصدقة بشيء من لبنها.
(٤) علىٰ الماء للشرب.

إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ ، بُطِحَ[١] لَهَا بِقَاعٍ قَرقَرٍ[٢] ، أَوفَرَ مَا كَانَت ، لا يَفقِدُ مِنهَا فَصِيلاً[٣] وَاحِداً ، تَطَؤُهُ بِأَخفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفوَاهِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيهِ أُولاهَا رُدَّ عَلَيهِ أُخرَاهَا ، فِي يَومٍ كَانَ مِقدَارُهُ خَمسِينَ الفَ سَنَةٍ ، حتَّىٰ يُقضَىٰ بَينَ العِبَادِ ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ» ، قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، فَالبَقَرُ وَالغَنَمُ ؟ قَالَ : «وَلا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي مِنهَا حَقَّهَا ، إِلا إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرقَرٍ ، لا يَفقِدُ مِنهَا شَيئاً ، لَيسَ فِيهَا عَقصَاءُ[٤] وَلا جَلحَاءُ[٥] وَلا عَضبَاءُ[٦] تَنطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظلافِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيهِ أُولاهَا رُدَّ عَلَيهِ أُخرَاهَا ، فِي يَومٍ كَانَ مِقدَارُهُ خَمسِينَ الفَ سَنَةٍ حتَّىٰ يُقضَىٰ بَينَ العِبَادِ ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ» ، قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، فَالخَيلُ ؟ قَالَ : «الخَيلُ ثَلاثَةٌ : هِيَ لِرَجُلٍ وِزرٌ ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِترٌ ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجرٌ ؛ فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزرٌ : فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخراً وَنِوَاءً[٧] عَلَىٰ أَهلِ الإِسلامِ فَهِيَ لَهُ وِزرٌ ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِترٌ : فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ الله ، ثُمَّ لَم يَنسَ حَقَّ الله فِي ظُهُورِهَا وَلا رِقَابِهَا[٨] ، فَهِيَ لَهُ سِترٌ ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجرٌ : فَرَجُلٌ

---

(١) أُلقي وطرح علىٰ الأرض . وقال جماعة : معناه ألقي علىٰ وجهه ، قال القاضي : قد جاء في رواية البخاري : يخبط وجهه بأخفافها وهذا يقتضي أنه ليس من شرط البطح كونه علىٰ الوجه ، وإنما هو في اللغة بمعنىٰ البسط والمد ، فقد يكون علىٰ وجهه وقد يكون علىٰ ظهره ، ومنه سميت بطحاء مكة لانبساطها . انظر : موسوعة فتح الملهم : (٦/٧٣) .

(٢) القاع : المستوىٰ الواسع من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه ، قال الهروي : وجمعه قيعة وقيعان ، مثل جار وجيرة وجيران ، والقرقر : المستوىٰ أيضاً من الأرض الواسع ، وهو بفتح القافين .

(٣) ولد الناقة إذا فصل عن أمه ولبنها .

(٤) أي : ملتوية القرنين .

(٥) التي لا قرن لها .

(٦) مكسورة القرن .

(٧) أي : معاداة .

(٨) استدل به أبو حنيفة علىٰ وجوب الزكاة في الخيل ، ومذهبه أنه إن كانت الخيل كلها ذكوراً فلا زكاة=

رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لأَهلِ الإسلامِ، فِي مَرجٍ وَرَوضَةٍ فَمَا أَكَلَت مِن ذَلِكَ المَرجِ أَو الرَّوضَةِ مِن شَيءٍ إلا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَت حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَروَاثِهَا وَأَبوَالِهَا، حَسَنَاتٌ، وَلا تَقطَعُ طِوَلَهَا فَاستَنَّت شَرَفاً أَو شَرَفَينِ[١] إلا كَتَبَ اللهُ لَهُ، عَدَدَ آثَارِهَا وَأَروَاثِهَا حَسَنَاتٍ وَلا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهرٍ فَشَرِبَت مِنهُ وَلا يُرِيدُ أَن يَسقِيَهَا[٢]، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَت حَسَنَاتٍ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالحُمُرُ؟ قَالَ: «مَا أُنزِلَ عَلَيَّ فِي الحُمُرِ شَيءٌ إلا هَذِهِ الآيَةَ الفَاذَّةُ الجَامِعَةُ[٣]: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[٤]»[٥].

وَعَنهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَن آتَاهُ اللهُ مَالاً فلم يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ

= فيها، وإن كانت إناثا، أو ذكوراً وإناثاً وجبت الزكاة، وهو بالخيار إن شاء أخرج عن كل فرس ديناراً، وإن شاء قومها وأخرج ربع عشر القيمة، وقال مالك والشافعي وجماهير العلماء: لا زكاة في الخيل بحال للحديث السابق: "ليس على المسلم في فرسه صدقة" وتأولوا هذا الحديث على أن المراد أنه يجاهد بها، وقد يجب الجهاد بها إذا تعين، وقيل: يحتمل أن المراد بالحق في رقابها: الإحسان إليها، والقيام بعلفها، وسائر مؤنها، والمراد بظهورها: إطراق فحلها إذا طلبت عاريته، وهذا على الندب، وقيل: المراد حق الله مما يكسبه من مال العدو على ظهورها، وهو خمس الغنيمة. انظر: موسوعة فتح الملهم: (٦/٧٤ ـ ٧٥).

(١) معنى استنت، أي: جرت، والشرف بفتح الشين المعجمة والراء، وهو العالي من الأرض، وقيل المراد هنا طلقاً أو طلقتين.

(٢) هذا من باب التنبيه، لأنه إذا يحصل له هذه الحسنات من غير أن يقصد سقيها، فإذا قصده فأولى بإضعاف الحسنات.

(٣) معنى الفاذة: القليلة النظير، والجامعة أي: العامة المتناولة لكل خير ومعروف، وفيه إشارة إلى التمسك بالعموم ومعنى الحديث: لم ينزل عليَّ فيها نص بعينها لكن نزلت هذه الآية العامة.

(٤) سورة الزلزلة.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الزكاة ـ باب إثم مانع الزكاة، رقم: ١٤٠٢، صحيح مسلم: كتاب الزكاة ـ باب إثم مانع الزكاة، رقم: ٢٢٨٧، سنن أبي داود: كتاب الزكاة ـ باب في حقوق المال، رقم: ١٦٥٨، سنن النسائي: كتاب الزكاة ـ باب مانع زكاة الإبل، رقم: ٢٤٤٨.

شُجَاعاً[(١)] أَقرَعَ له زَبِيبَتَانِ[(٢)] يُطَوَّقُهُ يوم القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأخُذُ بِلِهزِمَيهِ[(٣)]، ثُمَّ يقول: أنا مَالُكَ أنا كَنزُكَ ثُمَّ تَلا[(٤)]: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ١٨٠﴾[(٥)]»[(٦)].

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾، أي: سيُجعل ما بَخِلوا به من المال الواجب عليهم أداؤه؛ يطوَّقون حيَّة، أو طوقاً من نارٍ في أعناقِهم يوم القيامة، أو سيُلزمون وبالَ ما بَخِلوا به إلزامَ الطَّوق، كما قال ﷺ: «مَا من رجلٍ لا يُؤَدِّي زَكَاة مَالِهِ إلا جَعَل اللهُ لَهُ شجاعاً فِي عُنُقه يَوم القِيَامَة»[(٧)].

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ هذه الآية نزلت في أحبارِ اليَهود، كتموا صفةَ محمّدٍ ﷺ ونبوَّتِه، وأراد بالبخل كتمان العلم[(٨)]، فتأمَّل.

(١) وهو الحية الذكر، أو الذي يقوم على ذنبه فيواثب الرجل، وربما بلغ الفارس، ووصفه بالأقرع، أي ليس برأسه شعر لطول عمره وكثرة سمه.

(٢) تثنية زبيبة، أي: نابان يخرجان من فيه، أو نكتتان سوداوان فوق عينه، وهذا وصف أخبث الحيات، فتنبه.

(٣) بكسر اللام والزاي، تثنية لهزم، وهو عظم اللحى تحت الأذن وفي لفظ: بلهزمتيه، والمراد التقاء رأسه وذنبه بشدقيه.

(٤) أي: النبي ﷺ، ومعنى ما تقدم: أن من كان له مالٌ لم يخرج زكاته عذب به يوم القيامة، إن كان نعماً، عذبته بالنطح والعض والبطش ونحوها، وإن كان نقداً، عمل له صفائح في النار وكوي به، أو يتمثل له بثعبان عظيم يطوقه ويعذبه مدة يوم القيامة.

(٥) سورة آل عمران.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الزكاة ـ باب إثم مانع الزكاة، رقم: ١٤٠٣، سنن النسائي: كتاب الزكاة ـ باب مانع زكاة ماله، رقم: ٢٤٨١، موطأ مالك: كتاب الزكاة ـ باب ما جاء في الكنز، رقم: ٥٩٨، مسند أحمد: (٨/٣٨٠، ٣٨١)، رقم: ٨٦٤٦.

(٧) أخرجه البُخَارِيّ من حَدِيث أبي هُرَيرَة، وَالتِّرمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ من حدِيث ابن مَسعُود نَحوه. انظر: الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي: للمُنَاوي، (١/٤٤٢).

(٨) تفسير البغوي: (١/٣٧٨).

قال النَّبيُّ الكريم ﷺ: «البَخِيلُ الذي مَن ذُكِرتُ عِندَهُ فَلَم يُصَلِّ عَلَيَّ»[(١)].

أي أخي: اعلم أنَّ الصَّدقة خيرُ أبواب البرِّ ومانعةً من البلايا، والعاهات، والعذاب، كما قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطرُ الإِيمَانِ، وَالحَمدُ لله تَملأُ المِيزَانَ، وَسُبحَانَ الله وَالحَمدُ لله تَملآَنِ أَو تَملأُ مَا بَينَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ[(٢)]، وَالصَّلاةُ نُورٌ[(٣)]، وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ[(٤)]، وَالصَّبرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ[(٥)] أَو عَلَيكَ[(٦)]، كُلُّ النَّاسِ يَغدُو[(٧)] فَبَائِعٌ نَفسَهُ، ....

(١) مسند أحمد: (١/٢٠١)، رقم: ١٧٣٦، سنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب قول رسول الله ﷺ: رغم انف رجل، رقم: ٣٥٤٦، وقال: حسن صحيح، والبخاري في تاريخه الكبير: (٥/١٤٨)، قال الحاكم في المستدرك (١/٧٣٤)، رقم: ٢٠٥٩، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد عن أبي هريرة. وقال العجلوني في كشف الخفاء، (١/٣٣١): رواهُ أحمد، والنسائي في "الكبرىٰ"، والبَيهَقِي في الشعب والدعوات، والطبراني في "الكبير"، وآخرون عن الحسين بن علي مرفوعاً، زاد البَيهَقِي وأحمد في روايةٍ: "كل البخيل"، وصححه ابن حبَّان وقال: إنه أشبه شيء روي عن الحسين، ورواهُ الحاكم، والدار قطني ورجحه عنه، وأخرجه الحاكم أيضاً عن علي ابن الحسين عن أبي هريرة، ورواهُ الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفعه وقال: حسن صحيح، وروي عن جماعة آخرين بيّنهم في القول البديع، وقال الحافظ في "الفتح": (١١/١٦٨): لا يقصر عن درجة الحسن.

(٢) زيادة علىٰ ملء الميزان.

(٣) أي لصاحبها في القبر وما بعده؛ قال تعالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴿١٢﴾﴾. سورة الحديد.

(٤) حجة لفاعلها تجادل عنه في القبر وما بعده.

(٥) أي: إن عملت به.

(٦) إن لم تعمل به.

(٧) أي: يصبح أو يسير. قيل: الغدو السير في أول النهار، ضد الرواح، وغدا يغدو غدواً: مأخوذ من الغدوة: ما بين الصباح وطلوع الشمس، والمعنىٰ: كل أحد يسعىٰ ويجتهد في الدُّنيا، ويرىٰ أثر عمله في العقبىٰ قال الطيبي: وهو مجمل، تفصيله: قوله ﷺ: فبائع نفسه أي: حظها بإعطائها، وأخذ عوضها وهو عمله وكسبه، فإن عمل خيراً فقد باعها، وأخذ الخير عن ثمنها.

فَمُعتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا[(١)]»[(٢)].

قال الإمام الغزالي: قال النبيُّ ﷺ: الطهور نصف الإيمان قال الله تعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ۝﴾[(٣)]، فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن مراد الشارع ليس مقصوراً علىٰ عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء فقط، بل الطهارة لها أربع مراتب: "المرتبة الأولىٰ": تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث. "المرتبة الثانية": تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام. "المرتبة الثالثة": تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة. "المرتبة الرابعة": تطهير السر عما سوىٰ الله تعَالَىٰ؛ وهي طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم، والصديقين. فليتأمل. الطهارة في كل مرتبة نصف العمل الذي فيها، فإن الغاية القصوىٰ في عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعَالَىٰ وعظمته، ولن تحل معرفة الله تعَالَىٰ بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوىٰ الله منه، وهذا تطهير السر، ولذلك قال الله تعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾[(٤)]؛ لأنهما لا يجتمعان في قلب، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

"وأما عمل القلب": فالغاية القصوىٰ عمارته بالأخلاق المحمودة، والعقائد المشروعة، ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائصها من العقائد الفاسدة، والرذائل الممقوتة، فتطهيره أحد الشطرين، وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني

---

(١) معناه: كل إنسان يسعىٰ بنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته، فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوىٰ باتباعهما، فيوبقها، أي يهلكها. فتح الملهم: (٢/٤١٩).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء، رقم: ٥٣٣، سنن النسائي: كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة، رقم: ٢٤٣٩، سنن الترمذي: كتاب الدعوات، رقم الحديث: ٣٥١٧، سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها ـ باب الوضوء شطر الإيمان، رقم: ٢٨٠.

(٣) سورة المائدة.

(٤) سورة الأنعام.

فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنىٰ، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي والأحداث والأخباث أحد الشطرين وهو الشطر الأول، وعمارتها بالطاعات والأنوار التعبدية التي تتجلىٰ يوم القيامة في صورة الغرة والتحجيل الشطر الثاني[١].

ومِن ذلك؛ قوله ﷺ: «إنَّ صَدَقَةَ المُسلِمِ تَزِيدُ فِي العُمُرِ، وَتَمنَعُ ميتَةَ السُّوء[٢] وَيذهِبُ الله بِها الكِبرَ والفَخرَ»[٣].

والمراد بزيادة العمر: البركة فيه، بأن يوفَّق للأعمال الصَّالحات، فيعمل بسنوات قليلة من الخير ما لا يعمله غيره في سنوات كثيرة، والصَّدقة تزيد في المال وتباركه وتدفع عنه المُفسدات، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «ما نَقَصَت صَدَقَةٌ من مَالٍ، وما زَادَ الله عَبداً بِعَفوٍ إلا عِزّاً، وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إلا رَفَعَهُ الله»[٤].

قال العلَّامة الشَّعراوي رحمه الله في "تفسيره": العُمُر له حدٌّ زمنيٌّ محددٌ وهو الخطُّ المستقيم له، فهناك واحد يزيد من عرض عمره، فبدلاً من أن ينفع النَّاس في مجالٍ صغيرٍ فهو يعمل وينفع في مجال أوسع، إذن فهو يعطي لعمرهِ مساحةً.

وهناك إنسانٌ آخر يريد أن يكون أقوىٰ في العمر، فماذا يعمل؟ إنَّه يعطي لعمره عُمقاً، فبدلاً من أن يعمل لمجرد حياته وينتهي عمره مهما كانت رقعته واسعة، فهو يزيد من عمله الصالح ويترك أثراً من علم أو خير يستمر من بعد حياته، كما قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنسَانُ انقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِن ثَلاثٍ: صَدَقَةٌ

---

(١) إحياء علوم الدين: (١/١٢٥ ـ ١٢٦).

(٢) ميتة بالكسر، والسوء بالفتح أي: تحفظ صاحبها من الموتة الشنيعة ـ كموت الحرق والغرق وتمزيق الجسم بالسباع، أو بأيدي بعض الأشرار، نعوذ بالله من ذلك.

(٣) المعجم الكبير: (١٧/٢٢)، رقم: ٣١.

(٤) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ـ باب استحباب العفو والتواضع، رقم: ٦٥٣٥.

جَارِيَةٌ، وَعِلمٌ يُنتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يدعُو لَهُ»[١].

ولذلك يقول الحق: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[٢].

هي كلمةٌ طيبةٌ قيلت، لكنّها مثل الشَّجرة الطيِّبة؛ لأنَّها ترسخ في أذن من يسمعها فتصير حركةً خاضعة للكلمة، وكلَّما فعل السَّامع لهذه الكلمة فعلاً ناتجاً من تأثير هذه الكلمة، فإنَّ بعض الثَّواب يعود إلىٰ من قال هذه الكلمة حتَّىٰ ولوكان قد مات.

فكأنَّ قائل هذه الكلمة مازال يعيش، وكأنَّ عمُرَه قد طال بكلمته الطيِّبة، إذن فأعمال الخير التي تحدُثُ من الإنسان ليس معناها أنَّها تطيلُ العمر؛ لأنَّ العمر محدود بأجل، ولكن هنا كإنسان يعطي عمره عرضاً، وآخر يعطيه عمقاً ويظل العطاء منه موصولاً إلىٰ أن تقوم السَّاعة، فكأنَّه أعطىٰ لنفسه عمراً خالداً، ويقولون: والذِّكرُ للإنسان عُمرٌ ثانٍ[٣].

قلتُ: زيادةُ العُمرِ، بما يبارك الحقُّ ﷻ، في حياته لخدمة هذه الأمَّة المرحومة ظاهراً وباطناً من علمٍ، وتربيَةٍ، وحالٍ باللهِ ﷻ، وبعد فراقه ولُحوقه بالرَّفيق الأعلىٰ؛ تستمر الحياة بما ترك من الخيرات، كالصَّدقات الجارية، والعلم الذي تركه ونشره، وبالأولاد الصَّالحين، والتلامذة الأخيار، والأحباب الأولياء، وكلُّ ذلك من عمله، فتأمَّل.

(١) سنن الترمذي: كتاب الأحكام ـ باب الوقف، رقم: ١٣٧٦، وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) سورة إبراهيم.
(٣) تفسير الشعراوي: (٥٢١/١).

فتستمر إذاً الحياة بطولها إلىٰ ما شاء الله ربُّ العالمين ﷻ، وعمَّ نوالُه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ ﴿٢١﴾﴾[١]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «إنَّ الله ﷻ لَيرفَعُ الدَّرَجَةَ لِلعَبدِ الصَّالِحِ في الجَنَّةِ فيقول: يا رَبِّ، أنَّىٰ لي هذه؟ فيقول بِاستِغفَارِ وَلَدِكَ لك»[٢].

قال ابنُ القيِّم: وقد ذكرنا مائتي دليلٍ علىٰ فضل العلمِ وأهله في "كتابٍ مفرَدٍ" فيا لها من مرتبةٍ ما أعلاها، ومنقبةٍ ما أجلَّها وأسناها، أن يكون المرءُ في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاءً متمزِّقةً وأوصالاً متفرِّقة، وصُحُف حسناته متزايدة، تملىٰ فيها الحسنات كلَّ وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم وفي ذلك فليتنافس المُتنافسون[٣].

وقال العلَّامة ابن تيمية: من اعتقد أنَّ الإنسانَ لا ينتفعُ إلا بعملهِ فقد خرَق الإجماع، وذلك باطلٌ من وجوه كثيرة:

❊ **أحدها**: أنَّ الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

❊ **ثانيها**: أنَّ النَّبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثمَّ لأهل الجنَّة في دخولها، ثمَّ لأهل الكبائر في الخروج من النَّار، وهذا انتفاع بعمل الغير.

❊ **ثالثها**: أنَّ كلَّ نبيٍّ وصالح له شفاعة، وذلك انتفاع بعمل الغير.

---

(١) سورة الطور.

(٢) مسند أحمد: (٥١٦/٩)، رقم: ١٠٥٥٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، رواهُ ابن ماجه: (١٢٠٦/٢)، في كتاب الأدب ـ باب بر الوالدين، رقم: ٣٦٦٠.

(٣) ينظر: طريق الهجرتين: (ص٥٢٠).

* **رابعها:** أنَّ الملائكة يدعون ويستغفرون لمَن في الأرضِ، وذلك انتفاعٌ بعمل الغير.

* **خامسها:** أن الله تعالى يخرج من النار من لم يفعل خيراً قط بمَحضِ رحمته، وهذا انتفاع بغير عملهم.

* **سادسها:** أنَّ أولاد المؤمنين يدخلون الجنَّة بعمل آبائهم، وذلك انتفاعٌ بمحضِ عمل الغير.

* **سابعها:** قال الله تعالى في قصَّة الغلامَينِ اليَتيمَين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ۝٨٢﴾(١)، فانتفعا بصلاح أبيهما، وليس هو من سعيهما.

* **ثامنها:** أنَّ الميت ينتفع بالصَّدقة عنه، وبالعتق بنص السُّنَّةِ والإجماع، وهو من عملِ الغَير.

* **تاسعها:** أنَّ الحجَّ المفروض يسقط عن الميت بحجٍّ وليِّه بنصِّ السُّنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

* **عاشرها:** أنَّ الحجَّ المنذور أو الصَّوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنصِّ السُّنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

* **حادي عشرها:** أنَّ المدين الذي امتنع ﷺ من الصَّلاة عليه حتَّى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دَينَ الآخر عليٌّ بن أبي طالب، انتفع بصلاة النَّبي ﷺ وبردت جلدتُه بقضاءِ دينه، وهو من عمل الغَير.

* **ثاني عشرها:** أنَّ النبي ﷺ قال لِمن صلَّى وحدَه: «أَلا رَجُلٌ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا فَيُصَلِّيَ مَعَهُ»(٢)، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير.

---

(١) سورة الكهف.

(٢) مسند أحمد: (١٠/٢٠٣)، رقم: ١١٥٥٦، سنن أبي داود: كتاب الصلاة ـ باب في الجمع في=

* **ثالث عشرها:** أنَّ الإنسان تبرأُ ذمَّته من ديون الخلق إذا قضاها قاضٍ عنه، وذلك انتفاع بعمل الغير.

* **رابع عشرها:** أنَّ من عليه تبعاتٌ ومظالمٌ إذا حلَّل منها سقطت عنه، وهذا انتفاع بعمل الغير.

* **خامس عشرها:** أنَّ الجار الصَّالح، به ينتفع في المحيا والممات، كما جاء في الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير.

* **سادس عشرها:** أنَّ جليس أهل الذِّكر يرحم بهم، وهو في الحقيقة لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك معهم، بل جاء لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره.

* **سابع عشرها:** في الصَّلاة على الميت والدُّعاء له في الصَّلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه، وهو عمل غيره.

* **ثامن عشرها:** أنَّ الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض بالبعض.

* **تاسع عشرها:** أنَّ الله تعالىٰ قال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۝٣٣﴾[1]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ۝٢٥﴾[2] ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ۝٢٥١﴾[3]، فقد دفع الله تعالىٰ العذاب عن بعض

= المسجد مرتين، رقم: ٥٧٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٢/٤٥): رواهُ أحمد، وروىٰ أبو داود، والترمذي بعضه، ورجاله رجال الصحيح. وكما صححه الحاكم، ووافقه الذهبي. عون المعبود: (ص٢٩١).

(١) سورة الأنفال.

(٢) سورة الفتح.

(٣) سورة البقرة.

النَّاس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

❋ **عشرونها:** أنَّ صدقة الفطر تجب عن الصَّغير وغيره ممَّن يُمَوِّنُه الرَّجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له.

❋ **حادي عشرينها:** أنَّ الزكاة تجب في مال الصَّبيِّ والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له، ومن تأمَّل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكادُ يحصى، فكيف يجوز أن تُؤَوَّل الآية(١) على خلاف صريح الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة، والمراد بالإنسان: العموم، انتهى(٢).

ومنها: أنَّها حجاب من النَّار ولو بشقِّ تمرة، كما قال النَّبيُّ الكريم ﷺ: «ما مِنكُم من أَحَدٌ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ(٣)، ليس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرجُمَانٌ، فَيَنظُرُ أَيمَنَ منه، فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ من عَمَلِهِ، وَيَنظُرُ أَشأَمَ منه، فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، وَيَنظُرُ بين يَدَيهِ، فلا يَرَى إلا النَّارَ تِلقَاءَ وَجهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ»(٤).

(١) هي قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ سورة النجم.

(٢) ينظر: أسباب رفع العقوبة عن العبد: لابن تيمية (ص٥٦).

(٣) وفي روايةٍ: «ليس بينه وبينه حجاب» هذا على سبيل التمثيل، وإلا فالباري ﷻ لا يحيط به شيء، ولا يحجبه حجاب، وإنما يستر تعالى عن أبصارنا بما وضع فيها من الحجب للعجز عن الإدراك في الدُّنيا، فإذا كان يوم القيامة كشفها عن أبصارنا وقوّاها حتَّى نراه معاينة ـ كما نرى القمر ليلة البدر. "ولا ترجمان يترجم له" وهو المعبر عن لسان بلسان. "ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً" زاد أبو الوقت وولدا "فليقولن بلى ثم ليقولن ألم أرسل إليك رسولاً، فليقولن بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة" أي بنصفها "فإن لم يجد" شيئاً يتصدق به على المحتاج "فبكلمة طيبة" يردّه بها ويطيب قلبه ليكون ذلك سبباً لنجاته من النار. إرشاد الساري: (١٧/٣ ـ ١٨).

(٤) صحيح البخاري: كتاب التوحيد ـ باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء، وغيرهم، رقم: ٧٥٠٩، صحيح مسلم: كتاب الزكاة ـ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، رقم: ٢٣٤٥.

ففيه حثٌّ علىٰ الصَّدقة ولو بما قلَّ، وهو دليلٌ علىٰ أنَّ اليسير من الصَّدقة يَستُر المتصدِّق من النَّار[١] أعاذنا الله والمسلمين منها، آمين.

ومنها: أنَّ الصَّدقة تُكفِّر الذُنوب مهما عَظُمت، عن جابر رضي الله عنه أنَّه سمعَ رسول الله ﷺ، يقول لكعبِ بن عُجرة رضي الله عنه: «يَا كَعبُ بن عُجرَةَ، الصَّومُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطفِئُ الخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُربَانٌ، أو قال بُرهَانٌ يا كَعبُ بن عُجرَةَ، إنَّه لَا يَدخُلُ الجَنَّةَ لَحمٌ نَبَتَ من سُحتٍ النَّارُ أَولَىٰ بِهِ، يا كَعبُ بن عُجرَةَ، النَّاس غَادِيَانِ فَمُبتَاعٌ نَفسَهُ فَمُعتِقُهَا وَبَائِعٌ نَفسَهُ فَمُوبِقُهَا»[٢].

وقال ﷺ: «ثَلاثٌ مَن فَعَلَهُنَّ فَقَد طَعِمَ طَعمَ الإِيمَانِ: مَن عَبَدَ الله وَحدَهُ، وَأَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الله، وَأَعطَىٰ زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفسُهُ، رَافِدَةً عَلَيهِ[٣] كُلَّ عَامٍ، وَلا يُعطِي الهَرِمَةَ وَلا الدَّرِنَةَ[٤] وَلا المَرِيضَةَ وَلا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ؛ وَلَكِن مِن وَسَطِ أَموَالِكُم، فَإِنَّ الله لَم يَسالكُم خَيرَهُ وَلَم يَأمُركُم بِشَرِّهِ»[٥].

---

(١) ينظر: خصائص الأمة المحمدية: للسيد محمد بن علوي المالكي رحمه الله (ص ١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) مسند أحمد: (٢/٣٣٢)، رقم: ١٤٤٤١، وقبله قال ﷺ له: «أَعَاذَكَ الله من إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ» قال: وما إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قال: «أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بعدي لَا يَقتَدُونَ بهديي وَلَا يَستَنُّونَ بسنتي فَمَن صَدَّقَهُم بِكَذِبِهِم وَأَعَانَهُم علىٰ ظُلمِهِم فَأُولَئِكَ لَيسُوا مني وَلَستُ منهم وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حوضي، وَمَن لم يُصَدِّقهُم بِكَذِبِهِم ولم يُعِنهُم علىٰ ظُلمِهِم فَأُولَئِكَ مني وأنا منهم وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حوضي يا كَعبُ بن عُجرَةَ الصَّومُ جُنَّةٌ... الخ»، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وقال الهيثمي (١٠/٢٣١): رجال أحمد والبزار رجال الصحيح.. والحديث رواهُ الترمذي: (٢/٥١٣)، رقم: ٦١٤، في الصلاة ـ فضل الصلاة، وقال: حسن غريب، والطبراني (١٩/١٠٦) وابن حِبَّان ٣٧٨، رقم: ١٥٦٩.

(٣) هو فاعلة من الرفد، وهو الإعانة، رفدتَه إذا أعنته، أي تعينه نفسه علىٰ أدائها.

(٤) الدرنة بفتح فكسر من الدرن، وهو الوسخ، والمراد الجرباء، والشَّرَطَ بالتحريك: صغار المال ورذالته، واللئيمة: البخيلة باللبن، أو الرذيلة والدنيئة.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الزكاة ـ باب في زكاة السائمة، رقم: ١٥٨٢، سنن البَيهَقِي الكبرىٰ: (٤/٩٥، =

وقال أكمل الرُّسل ﷺ: «إن الصّدقةَ لتُطفِئُ عَن أهلِها حَرَّ القبورِ، وإنَّما يستظِلُّ المؤمِنُ يومَ القيامةِ في ظِلِّ صدقتِهِ»(١).

وقال ﷺ: «كُلُّ امرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حتَّىٰ يُفصَلَ بين الناس، أو قال يُحكَمَ بين النّاس»(٢).

ومِن الصَّدقة: إطعام الطعام لوجه الله تعالىٰ؛ فيكون المُطعِم من أهل العناية في القُرب والوِلاية: لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾(٣)، كما قال ـ جلَّ شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾(٤).

فإنَّ إطعام الطَّعام من الدَّرجات؛ لِما روىٰ الإمامُ أحمدُ في "مُسندِه": عن مُعاذ بن جَبَل رضي الله عنه قال: احتبَسَ عَلَينَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَن صَلاةِ الصُّبح، حتَّىٰ كِدنَا نَتَرَاءىٰ قَرنَ الشَّمسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ سَريعاً فَثُوِّبَ(٥) بِالصَّلاةِ وَصلَّىٰ وَتَجَوَّزَ فِي صَلاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ: «كَمَا أَنتُم عَلَىٰ مَصَافِّكُم»، ثُمَّ أَقبَلَ

= ١٠٩)، رقم: ٧٠٦٧، التاريخ الكبير: (٥/٣١)، وهو حديث صحيح كما في: عون المعبود: (ص٧٠٩).

(١) المعجم الكبير: (١٧/٢٨٦)، رقم: ٧٨٨.

(٢) صحيح ابن حِبَّان: (٨/١٠٤)، رقم: ٣٣١٠، صحيح ابن خزيمة: (٤/٩٤)، رقم: ٢٤٣١، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، ورجاله ثقات تقدموا، ورواهُ ابن المبارك في "الزهد" (ص٢٢٧)، رقم: ٦٤٥، وابن حِبَّان.. وابن خزيمة.. وصححه الحاكم (١/٤١٦)، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في "الحلية" (٨/١٨١)، ينظر: المسند: (١٣/٣٤٣)، رقم: ١٧٢٦٦.

(٣) سورة البقرة.

(٤) سورة يونس.

(٥) «ثوب»: من التثويب: أي أقيم بها.

إِلَينَا، فقَالَ: «إنِّي سَأُحَدِّثُكُم مَا حَبَسَنِي عَنكُم الغَدَاةَ: إِنِّي قُمتُ مِن اللَّيلِ، فَصَلَّيتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَستُ فِي صَلاتِي حتَّىٰ استَيقَظتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي ﷻ[١] فِي أَحسَنِ صُورَةٍ[٢]، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَدرِي فِيمَ يَختَصِمُ المَلأُ الأَعلَىٰ؟ قُلتُ: لا أَدرِي يا رَبِّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَختَصِمُ المَلأُ الأَعلَىٰ؟ قُلتُ: لا أَدرِي رَبِّ، فَرَأَيتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ[٣] بَينَ كَتِفَيَّ[٤] حتَّىٰ وَجَدتُ بَردَ أَنَامِلِهِ بَينَ صَدرِي[٥]، فَتَجَلَّىٰ لِي كُلُّ شَيءٍ وَعَرَفتُ، فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَختَصِمُ المَلأُ الأَعلَىٰ؟ قُلتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: وَمَا الكَفَّارَاتُ؟ قُلتُ: نَقلُ الأَقدَامِ إِلَىٰ الجُمُعَاتِ، وَجُلُوسٌ فِي المَسَاجِدِ بَعدَ الصَّلاةِ، وَإِسبَاغُ الوُضُوءِ عِندَ الكَرِيهَاتِ، قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قُلتُ: إِطعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الكَلامِ، وَالصَّلاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: سَل، قُلتُ: اللَّهمَّ، إِنِّي أَسأَلُكَ فِعلَ الخَيرَاتِ، وَتَركَ المُنكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَن تَغفِرَ لِي وَتَرحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدتَ فِتنَةً في قَومٍ فَتَوَفَّنِي غَيرَ مَفتُونٍ، وأَسأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَن يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَىٰ حُبِّكَ»، وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ، فَادرُسُوهَا، وَتَعَلَّمُوهَا»[٦].

(١) المعنىٰ: أي رأيته ﷻ، "في النوم".

(٢) «فِي أَحسَنِ صُورَةٍ»: في معنيين؛ المعنىٰ الأول: رأيته ﷻ، في أحسن صفاته من الإقبال عليَّ، والرضا عني، والمعنىٰ الثاني: رأيته وأنا علىٰ أحسن صورة حالي مع الله ﷻ. فتأمل.

(٣) «وَضَعَ كَفَّهُ»: أي المبالغة في الاهتمام بحاله والاعتناء بشأنه الشريف ﷺ، ويد النعمة التي ملأته نوراً يتلألأ.

(٤) «بَينَ كَتِفَيَّ»: المعنىٰ: أنه تعالَىٰ أوصل إلىٰ قلبه الشريف من أنواع اللطف والرحمة الخاصة والعامة، جلالية كانت أم جمالية.

(٥) «وَجَدتُ بَردَ أَنَامِلِهِ بَينَ صَدرِي»: أي وجدت برد النعمة وروحها وراحتها، من كمال معارف المنعم، لذا قال: "فَتَجَلَّىٰ لِي كُلُّ شَيءٍ وَعَرَفتُ"، وفي رواية: «فعلمت ما بين المشرق والمغرب»، وروايات أخرىٰ. انظر: أساس التقديس: للإمام الفخر الرازي، ودفع شبه من شبه وتمرد: للإمام الحصُني، ودفع شبهة التشبيه: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، والترغيب والترهيب: للإمام المنذري.

(٦) «مسند أحمد» (٢٠١/١٦)، رقم: ٢٢٠٠٨، «سنن الترمذي»: كتاب تفسير القرآن ـ باب في=

قال تعالىٰ: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾[(١)]، ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾، أي: عالية بحسَب علوِّ أعمالهم، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، أي: لديه جَلَّ وَعَلَا، ويتفاوتون بحسب هِمَمِهِم، وعنايات الحقِّ بهم في المنازل، فمنهم من يُرقّىٰ إلىٰ أعلاها فيستكمل العدد، وهي: "مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل".

ومنهم من لا يستكمل بل يأخذ بحسب حاله، والأصل العناية الإلٰهيَّة، والقِسمة الحقيقية[(٢)] ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته، ممَّا لا عينٌ رَأَت، ولا أذنٌ سمِعت، ولا خطر علىٰ قلبِ بشر، من الجِنان والنَّظر الأعظم لجلال جمال الحق الأقدس جَلَّ جَلَالُهُ، وعمَّ نواله.

سأل رجلٌ رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال: «تُطعِم الطعامَ، وتَقرَأُ السَّلامَ علىٰ مَن عَرَفتَ ومَن لَم تَعرِف»[(٣)].

وقال أكمل الرُّسل ﷺ: «اعبُدوا الرَّحمن، وأطعِموا الطَّعامَ، وأفشوا

= تفسير ص، رقم: ٣٢٣٥، وقال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بن إسماعيل [أي: الإمام البخاري] عن هذا الحديث فقال: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. ثم ذكر أنه أصح من حديث الوليد بن مسلم.

(١) سورة الأنفال.

(٢) تاج التفاسير: (١/١٧٤).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ـ باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم: ١٢، وباب إفشاء السلام من الإيمان، رقم: ٢٨، وفي كتاب الاستئذان ـ باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، رقم: ٦٢٣٦، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، رقم: ١٥٩. قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جعل ﷺ أفضل الأعمال: إطعام الطعام الذي هو قوام الأبدان ثم جعل خير الأقوال في البر والإكرام: إفشاء السلام الذي يعم ولا يخص من عرف ومن لم يعرف، حتَّىٰ يكون خالصاً لله تعَالَىٰ، بريئاً من حض النفس والتصنع، لأنه شعار الإسلام، فحق كل مسلم فيه شائع، وقد ورد في حديث: «إن السلام في آخر الزمان للمعرفة يكون». ينظر: فتح الملهم: (١/٥٧٨).

السَّلامَ، تَدخُلوا الجنَّةَ بِسلامٍ»(١).

وعن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «وإنَّ الله تعالىٰ لَيُدخِلُ بِلُقمةِ الخبزِ، وقَبصَةِ التَّمرِ ومِثلِهِ ممَّا يَنفعُ المسكينَ ثلاثةً الجنَّةَ: الآمِرَ بهِ، والزَّوجةَ المُصلِحَةَ لَهُ، والخادمَ الذي يُناولُ المِسكينَ»، وقال ﷺ: «الحَمدُ لله الذي لَم يَنسَ خَدَمَنا»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجَنَّة غُرَفاً يُرىٰ ظَاهِرُها من باطِنِها، وبَاطِنُها من ظاهِرِها»، قال أبو مَالكٍ الأشعريُّ رضي الله عنه: لِمَن هي يا رسولَ الله؟ قال: «لِمَن أطابَ الكلامَ، وأَطعَمَ الطعامَ، وباتَ قائِماً والناسُ نِيَامٌ»(٣).

وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصَفُّ النَّاس يوم القِيَامَةِ صُفُوفاً ـ وقال ابنُ نُمَيرٍ: أَهلُ الجَنَّةِ ـ فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِن أَهلِ النَّارِ علىٰ الرَّجُلِ فيقول: يا فُلانُ! أَمَا تَذكُرُ يَومَ استَسقَيت فَسَقَيتُكَ شَربَةً؟ قال، فَيَشفَعُ له، وَيَمُرُّ الرَّجُلُ فيقول: أَمَا تَذكُرُ يَومَ نَاوَلتُكَ طَهُوراً؟ فَيَشفَعُ له».

(١) سنن الترمذي: كتاب الأطعمة ـ باب ما جاء في فضل إطعام الطعام، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح، رقم: ١٨٥٥، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في قيام الليل، رقم: ١٣٣٤، وفي كتاب الأطعمة ـ باب إطعام الطعام، رقم: ٣٢٥١، مسند أحمد: رقم: ٦٥٨٧، و٦٨٤٨.

(٢) المعجم الأوسط: (٥/٢٧٨)، رقم: ٥٣٠٩، المستدرك: (٤/١٤٩)، رقم: ٧٢٦٩، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) المعجم الكبير: (٣/٣٠١)، المستدرك: (١/٤٦٦)، رقم: ١٢٤٠، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه. قال عبد السلام بن محمد بن عمر علوش: وهو حديث حسن بشواهده. ينظر: المستدرك: (١/٦٣١).

قال ابنُ نُميرٍ: «وَيَقُولُ: يا فُلانُ! أَمَا تَذكُرُ يَومَ بَعَثتَنِي في حَاجَةِ كَذَا وَكَذَا، فَذَهَبتُ لك؟ فَيَشفَعُ له»[(١)].

أيُّها الأخ الكريم: بُشراك في عملِك للفقراء والمحتاجين، كما قال رَسُول الله ﷺ: «العَامِلُ فِي الصَّدَقَةِ بِالحَقِّ لِوَجهِ الله ﷻ كَالغَازِي فِي سَبِيلِ الله ﷻ، حتَّىٰ يَرجِعَ إِلَىٰ أَهلِهِ[(٢)]»[(٣)].

"أي أخي": فعلينا بحُسنِ الظنِّ للعاملين في الصدقات؛ لأنَّ حُسنَ الظنِّ من العبادة، كما قال رَسُولِ الله ﷺ: «حُسنُ الظَّنِّ مِن حُسنِ العِبَادَةِ»[(٤)].

(١) قال البوصيري: هذا إسنادٌ ضعيف لضعف يزيد بن أبان الرقاشي، رواهُ أبو بكر بن أبي شيبة في "مسنده" عن أبي معاوية، عن الأعمش، به. ورواهُ الطبراني في "الأوسط"، والبَيهَقِي في "شعب الإيمان" كلاهما من طريق أبي ظلال، عن أنس، ورواهُ الأصبهاني من هذا الوجه. شروح سنن ابن ماجه: (٢/١٣٤٤).

(٢) قوله ﷺ: «العامل علىٰ الصدقة بالحق» متعلق بـ«العامل» أي عملاً بالصدق، والصواب، أو بالإخلاص، والاحتساب. «كالغازي في سبيل الله» أي: في تحصيل بيت المال، واستحقاق الثواب في تمشية أمر الدارين؛ قاله القاري في "المرقاة": (٤/٢٨١)، «حتىٰ يرجع» أي: العامل. قال ابن العربي في شرح الترمذي: وذلك أن الله ذو الفضل العظيم، قال ﷺ: «من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا»، والعامل علىٰ الصدقة خليفة الغازي؛ لأنه يجمع مال سبيل الله، فهو غازٍ بعمله، وهو غازٍ بنيته، وقال ﷺ: «إن بالمدينة قوماً ما سلكتم وادياً، ولا قطعتم شِعباً، إلا وهم معكم حبسهم العذر». فكيف بمن حبسه العمل للغازي، وخلافته، وجمع ماله الذي ينفقه في سبيل الله. وكما لا بد من الغزو، فلا بد من جمع المال الذي يغزو به، فهما شريكان في النية، شريكان في العمل؛ فوجب أن يشتركا في الأجر. انتهىٰ. ينظر: تحفة الأحوذي: (٣/٣٤٩).

(٣) سنن أبي داود: كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب في السعاية علىٰ الصدقة، رقم: ٢٩٣٦، سنن الترمذي: كتاب الزكاة ـ ما جاء في العامل علىٰ الصدقة بالحق، رقم: ٦٤٥، وقال: حسن صحيح. سنن ابن ماجه: كتاب الزكاة ـ ما جاء في عمال الصدقة، رقم: ١٨٠٩. وصححه الحاكم (١/٤٠٦)، ووافقه الذهبي. ينظر: مسند أحمد، رقم: ١٥٧٧٠.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الأدب ـ باب في حسن الظن، رقم: ٤٩٩٣، قال حمزة أحمد الزين: إسناده=

قال تعالىٰ: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ١٢﴾[(١)]، أي: لا تطعنوا علىٰ أحد بسوءِ الظَّنِّ من غير حقيقةٍ، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «إِيَّاكُم وَالظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أَكذَبُ الحديث» متفق عليه[(٢)].

قال الإمام التُّستُري: الظَّنُّ السَّيِّءُ من الجهل من نفس الطَّبع، وأجهل النَّاس من قطع علىٰ قلبه من غير علمٍ؛ فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ[(٣)] فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[(٤)]، وإن العبد ليُحرَم الرِّزق الهنيء وصلاته باللَّيل بسوءِ الظَّنِّ، كما قال رسول الله ﷺ: «احتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ»[(٥)]، والمعنىٰ: هذا بسوء الظنِّ بنفسك لا بالناس، أي: اتهم نفسك بأنَّك لا تُنصِفُهم من نفسِك في معاملاتهم[(٦)].

قال الحافظ في "الفَتح": أمَّا وصف الظنِّ بكونه أكذبَ الحديث، مع أنَّ تعمَّد الكذب الذي لا يستند إلىٰ ظنٍّ أصلاً أشدُّ من الأمر الذي يستند إلىٰ الظنِّ، فللإشارة إلىٰ أنَّ الظنَّ المنهيَّ عنه هو الذي لا يستند إلىٰ شيءٍ يجوز الاعتماد عليه، فيكون الجازم به كاذباً.

وإنَّما صار أشدَّ من الكاذب؛ لأنَّ الكذب أصله مستقبحٌ مستغنىٰ عن ذمِّه،

= صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، مسند أحمد، (٩/١٦٠، ١٦١)، رقم: ٩٢٥١.
(١) سورة الحجرات.
(٢) صحيح البخاري: كتاب النكاح ـ باب لا يخطب علىٰ خطبة أخيه حتَّىٰ ينكح أو يدع، رقم: ٤٨٤٩، وكتاب الأدب، رقم: ٥٧١٧، ٥٧١٩، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ـ بَاب تَحرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَنَحوِهَا، رقم: ١٥٦٣.
(٣) ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾، أي: أهلككم وفي النار رماكم.
(٤) سورة فصلت.
(٥) المعجم الأوسط: (١/١٨٩)، رقم: ٥٩٨، فتح الباري: (١٠/٥٣١).
(٦) ينظر: تفسير التستري: لأبي محمد سهل بن عبد الله التُّستري: (ت: ٢٨٣هـ)، (ص١٤٩/١٥٠).

بخلاف هذا، فإنَّ صاحبه بزعمه مستند إلىٰ شيءٍ، فوصف بكونه أشدَّ الكذب مبالغة في ذمِّه والتنفير منه، وإشارة إلىٰ أنَّ الاغترار به أكثر من الكذب المحضِ، لخفائه غالباً ووضوح الكذب المحض(١).

قال العلَّامة السَّهَارَنفُورِي في "بذل المجهود": أمَّا حسنُ الظنِّ بالله بأن يعمل أعمالاً صالحةً فيحسِنُ الظنَّ بالله سبحانه بأن يتقبَّله، ويعفوَ عنه ما قصَّر فيه، فهو من العبادة، وأمَّا حسنُ الظنِّ بالنَّاس، فإن كان في موضع حفظ المال فليس من العبادة، بل هو خلاف الحذر والاحتياط، وأمَّا إن كان في المحلِّ الخالي عن الاحتياط، فيمكنُ أن يدخل في العبادة؛ لأنَّ سوء الظنِّ إذا لم يكن فيه فائدة.. فهو إثمٌ(٢).

وورد: «خَصلتَانِ ليسَ فَوقهُما شيءٌ مِن الخَيرِ: حُسن الظنِ باللهِ، وحُسنُ الظنِ بِعبادِ الله، وخَصلتانِ ليسَ فَوقهُما شيءٌ مِن الشرِّ: سُوءُ الظنِ باللهِ، وسُوءُ الظنِ بعبادِ الله»(٣).

قال الإمامُ التُّسترُيُّ(٤):

كفايـاتُ الكِفـاحِ بِحُسـنِ ظَنّـي ❁ كنسـجِ العنكبـوتِ ببـابِ غـارِ
وحسـنُ الظَّـنِّ جـاوزَ كُـلَّ حجـبٍ ❁ وحُسـنُ الظَّـنِّ جـاوز نُـورَ نـارِ
علامـاتُ المُقَـرَّبِ واضـحاتٌ ❁ بعيـدٌ أم قريـبٌ ليـلُ سـارِ

(١) فتح الباري: (٤٨٢/١٠).
(٢) بذل المجهود في حل سنن أبي داود: (٣٩٣/١٣).
(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني: (ت١٢٢٤هـ)، (١٣٣/٣).
(٤) ينظر: تفسير التُّستري: (ص٣٨).

فمــن كــانَ الإلــه لــهُ عِيانــاً ❁ فــلا نــومَ القــرارِ إلــىٰ النهــارِ
تقاضــاه الإلــه لَهــم ثلاثــاً ❁ فهــل مــن سـائلٍ مـن لطـف بـارِ
متــىٰ نَجــس الولــوغ ببحــر ود ❁ فـدع شـقي النبـاح ببـاب داري
ألا يــا نفــس والشـيطان أخسـوا ❁ كــبطلان الوســاوس والغمــارِ

أمَّا السَّائلون للنَّاس أن يعطوهم، ولهم ما يكفيهم.. فلهم الخزي والعذاب يوم القيامة، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «ليس المِسكِينُ الذي يَطُوفُ علىٰ النَّاس تَرُدُّهُ اللَّقمَةُ وَاللَّقمَتَانِ وَالتَّمرَةُ وَالتَّمرَتَانِ، وَلَكِن المِسكِينُ الذي لا يَجِدُ غِنىً يُغنِيهِ، ولا يُفطَنُ لَهُ، فَيُتَصَدَّقُ عليه، ولا يَقُومُ فَيسأَلُ النَّاسَ[١]»[٢].

وقال أكملُ الرُّسل ﷺ: «إِنَّ المَسأَلَةَ لا تَصلُحُ إلا لِثَلاثَةٍ: لِذِي فَقرٍ مُدقِعٍ[٣]، أو لِذِي غُرمٍ مُفظِعٍ[٤]، أو لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ[٥]»[٦].

---

(١) فمن يسأل الناس ليس مسكيناً، فربما كان غنيّاً كما هو مشاهد في كثير، وربما جمع كفايته وأكثر، ولكن المسكين الذي لا يجد كفايته ولا يعرفه الناس ولا يسألهم تعففاً، بل يحسبه الجاهلون غنيّاً من عفته، فهذا هو الذي يُعطىٰ من الصدقات.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الزكاة ـ باب قول الله تعالَىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴿٢٧٣﴾﴾ البقرة، رقم: ١٤٧٦، صحيح مسلم: كتاب الزكاة ـ باب المسكين الذي لا يجد غنىٰ، ولا يفطن له فيتصدق عليه، رقم: ٢٣٩٠، سنن أبي داود: كتاب الزكاة ـ باب من يعطىٰ من الصدقة وحد الغنىٰ، رقم: ١٦٣١، سنن النسائي: كتاب الزكاة ـ تفسير المسكين، رقم: ٢٥٧٣.

(٣) الفقر المدقع: أي شديد من أدقع إذا ألصق بالدقعاء: وهو التراب.

(٤) أي غرامة ودين، مفظع أي: ثقيل وفضيح.

(٥) الدم الموجع: كدية توجهت عليه ولا يجدها؛ فكل من اتصف بوصف من هذه الأوصاف السالفة حلت له المسألة وأخذ الزكاة والصدقة.

(٦) سنن أبي داود: كتاب الزكاة ـ باب ما تجوز فيه المسألة، رقم: ١٦٤١، سنن الترمذي: كتاب الزكاة ـ باب ما جاء من له تحل له الصدقة، روىٰ بعضه وحسنه، رقم: ٦٥٣، سنن ابن ماجه: كتاب التجارات ـ باب بيع المزايدة، رقم: ٢١٩٨، مسند أحمد: (٤٠٨/١٠)، رقم: ١٢٢١٨،=

وقال النَّبيُّ الكريم ﷺ: «مَن سَأَلَ وَعِندَهُ ما يُغنِيهِ، فَإِنَّمَا يَستَكثِرُ من النَّارِ»[(١)].

وفي روايةٍ: «من جَمرِ جَهَنَّمَ»، فَقَالُوا: يا رَسُولَ الله وما يُغنِيهِ؟ قال: «قَدرُ ما يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ»، رواهُ أبو داودَ، وابنُ حِبَّان[(٢)]، وفي روايةٍ أُخرىٰ لأبي داود: «أَن يَكُونَ له شِبعُ يَومٍ وَلَيلَةٍ[(٣)]»[(٤)].

والمُطعِمُون الطَّعام لوجه الله ﷻ تحت ظلِّ العرش يوم القيامة: كما قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ أظلَّهُ الله ﷻ تَحتَ عَرشِهِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظلُّهُ:

= قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، وحسنه الهيثمي في "المجمع": (٨٤/٤).

(١) سنن أبي داود: كتاب الزكاة ـ باب من يعطىٰ من الصدقة وحد الغنىٰ، رقم: ١٦٢٩.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الزكاة ـ باب من يعطىٰ من الصدقة وحد الغنىٰ، رقم: ١٦٢٩، صحيح ابن حِبَّان: (١٨٧/٨)، رقم: ٥٤٥.

(٣) وما يغدي ويعشي وهو: شبع يوم وليلة، أو ما يشبعه يوما وليلة، حرمت عليه المسألة وأخذ الصدقة، وسمي غنيّاً، وللأئمة كلام في حد الغني؛ فذهب الحنفية؛ إلىٰ أن الغني من يملك النصاب، فيحرم عليه السؤال وأخذ الزكاة، بل يجب عليه إخراجها لحديث معاذ رضي الله عنه: «صدقة تأخذ من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم». فوصفه بالغني. وقال الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحاق وجماعة: الغني من كان عنده خمسون درهماً أو قيمتها، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه: وما يغنيه يا رسول الله؟ قال: «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب». وقال أبو عبيد: الغني من يملك أربعين درهماً، لحديث أبي سعيد رضي الله عنه. وقال الخطابي: الغني: من كان عنده ما يغديه ويعشيه، فتحرم عليه المسألة في يومه وليلته، لحديث سهل رضي الله عنه؛ لقوله ﷺ له: «شبع يوم وليلة»، وعند المالكية: الغني من يملك كفاية عام فأكثر. وقال الشافعي وجماعة: الغني من يملك كفاية بقية العمر الغالب وهو اثنتان وستون سنة، أي عنده ما يستغل منه ذلك، فإن الإنسان قد يكون عنده خمسون درهماً أو أكثر، وهو في حاجة إليها لنفسه أو عياله؛ فحملوا هذه الأحاديث علىٰ الترهيب من السؤال مع وجود شيء، وهذا لا يفيد الغنىٰ كما هو واضح. ينظر: التاج الجامع للأصول: (٣٢/٢).

(٤) سنن أبي داود: كتاب الزكاة ـ باب ما يعطىٰ من الصدقة وحد الغنىٰ، رقم: ١٦٢٩، وهو حديث صحيح، كما في عون المعبود: (ص٧٤٠).

الوُضوءُ في المَكَارِهِ، والمشيُ إلىٰ المساجدِ في الظُّلَمِ، وإطعامُ الجائعِ»(١).

عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي إِذَا رَأَيتُكَ طَابَت نَفسِي، وَقَرَّت عَينِي، أَنبِئنِي عَن كُلِّ شَيءٍ؟، قَالَ: «كُلُّ شَيءٍ خُلِقَ مِنَ المَاءِ»، فَقُلتُ: أَخبِرنِي بِشَيءٍ إِذَا عَمِلتُ بِهِ دَخَلتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «أَطعِمِ الطَّعَامَ، وَأَفشِ السَّلامَ، وَصِلِ الأَرحَامَ، وَصلِّ بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدخُلِ الجَنَّةَ بِسَلامٍ»، أي: بغير حساب(٢).

وعَن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «تَعَبَّدَ عَابِدٌ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ، فَعَبَدَ الله فِي صَومَعَتِهِ سِتِّينَ عَاماً، فَأَمطَرَتِ الأَرضُ فَاخضَرَّت، فَأَشرَفَ الرَّاهِبُ مِن صَومَعَتِهِ، فقَالَ: لَو نَزَلتُ فَذَكَرتُ الله فازدَدتُ خَيراً، فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيفٌ أَو رَغِيفَانِ، فَبَينَمَا هُوَ فِي الأَرضِ لَقِيَتهُ امرَأَةٌ فَلَم يَزَل يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ حتَّىٰ غَشِيَهَا، ثُمَّ أُغمِيَ عَلَيهِ، فَنَزَلَ الغَدِيرَ يَستَحِمُّ، فَجَاءَهُ سَائِلٌ فَأَومَأَ إِلَيهِ أَن يَأخُذَ الرَّغِيفَينِ أَوِ الرَّغِيف، ثُمَّ مَاتَ فَوُزِنَت عِبَادَةُ سِتِّينَ سَنَةً بِتِلكَ الزَّنيَةِ فَرَجَحَتِ الزَّنيَةُ بِحَسَنَاتِهِ، ثُمَّ وُضِعَ الرَّغِيفُ أَوِ الرَّغِيفَانِ مَعَ حَسَنَاتِهِ فَرَجَحَت حَسَنَاتُهُ فَغُفِرَ لَهُ»(٣).

"أي عزيزي": سُئِلَ مفتي الحنابلة في بغداد؛ الإمام عبد القادر الكَيلاني ـ قدس الله روحه: بِمَ وصلتَ إلىٰ هذا المقام؟ فقال: بالكرَم، والتواضُع، وسلامةِ الصَّدر(٤)، وقال: إنَّ أقرب المقرِّبات عندي: إطعام الطَّعام، كما قال تعالىٰ:

(١) صحيح ابن حِبَّان: (١٠٢/٢)، قال الهندي في كنز العمال، (٣٤٢/١٥): رواهُ أبو الشيخ في "الثواب"، والأصبهاني في "الترغيب" عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

(٢) مسند أحمد، (٥٣/٨)، رقم: ٧٩١٩، صحيح ابن حِبَّان: (٢٩٩/٦)، رقم: ٢٥٥٩، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) صحيح ابن حِبَّان: (١٠٢/٢)، رقم: ٣٧٨.

(٤) ينظر: البرهان المؤيد: (ص٢١٢)، وشرح قصيدة لذة العيش: لأبي مدين شعيب بن الحسن=

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾[(١)] .

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ فمن كمال إخلاصهم، وشوقهم للقاء ربِّهم ﷻ يطعمون الرِّزق الصُّوريَّ والمعنويَّ لعباد الله، المسوقَ لهم من عنده سبحانه، تقويةً وتقويماً، ترحيباً وتكريماً، فتنبَّه جداً[(٢)].

﴿ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾، أي: في محبة الله، وطلباً لمرضاته.

﴿ مِسْكِينًا ﴾، أي: فقيراً، أسكنه الفقر، وأزعجه إلىٰ المعاونة والسؤال.

﴿ وَيَتِيمًا ﴾ أدركه الذلُّ، وأحوجه إلىٰ الافتقار.

واليتيم: فاقد الأب، فإذا فُقد الأبُ تعرضت العائلة للخَصَاصَةِ.

﴿ وَأَسِيرًا ﴾ مَملوكاً أو محبوساً حبسهُ الطَّريق؛ ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «غريمُك أسيرُكَ، فأحسِن إلىٰ أسيرِك»[(٣)].

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ ﴾ بلسان حالهم ما نطعمكم أيُّها المحتاجون إلا ﴿ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ الكريم، وطلباً لمرضاته؛ وعن السَّيِّدة عائشة رضي الله عنها: أنَّها كانت تبعث بالصَّدقةِ إلىٰ

= ـ أو الحسين ـ التلمساني (ت: ٥٩٤هـ)، (ص٤٢).

(١) سورة الإنسان.

(٢) ومن هذا، كان شيخي وأستاذي العلَّامة مصطفىٰ كمال الدين الهرشمي ـ قدس الله روحه، يقول: اللَّهم إن أردت أن تعذِّب أحبابي فعذِّبني مكانهم، أهدي كل حسناتي لرسول الله ﷺ، وآله وأصحابه وأحبابي، وأقفُ أمام ربِّي وأنا صفر الأيادي؛ لأنَّ الكريم الذي يعمل مأدبة طعام بِكُبرِ مدينة كبرىٰ، عيبٌ عليَّ أن ائتِ بقطعة من الخُبز آكل بها؛ فأريد أن أذهب إلىٰ ربي ولا حسنةَ عندي، إلا من مأدبةِ فضلهِ وكرمهِ ﷻ وعمَّ نوالُهُ.

(٣) تفسير روح المعاني: (١٥٦/٢٩).

أهل بيت، ثمَّ تسأل المبعوث ما قالوا؟ فإن ذكرَ دعاءً، دعت لهم بمثله، ليبقىٰ ثوابُ الصَّدقة لها، خالصاً عند الله ﷻ، فتأمَّل.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ ليصير عوضاً، لإطعامنا لوجه الله الكريم ﷻ.

﴿وَلَا شُكُورًا﴾، أي: ما لنا من الشُّكر والجزاء أمرٌ، وكيف يتأتىٰ منَّا طلب الشُّكر والجزاء؟! إذ قدرتنا علىٰ إطعامكم إنَّما هي بإقدار الله إيَّانا، وإعطاؤنا إنَّما هي من عطاياه، وبالجملة:

﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ بطلب الأجر والجزاء ﴿مِن رَّبِّنَا﴾، أي: من غضب ربِّنا علينا ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾، أي: يوماً تعبس فيه مطلق الوجوه من شدَّة هَولِهِ، بل صارت ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ في غاية الشِّدَّة والعبوسة، سيَّما علىٰ أهل الرِّياء والسُّمعة، الطَّامعين بصدقاتهم وإطعامهم الذكر الجميل، والثناء الجزيل، وهذه الآية تعُمُّ جميع الأبرار، مع أنَّهم إنَّما يعطون من مال الله لعيال الله ﷻ، فتنَبَّه.

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾(١)، وبعدما أخلصوا لله، وخافوا من عذابه ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ فكفاهم الحكيم الحفيظ. ﴿شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾، أي: فرفع عنهم شره وبلاءه، وأبدله لهم خيراً ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، أي: وأولاهم حُسناً وطراوةً وصفاءً في الوجوه، وبهجةً وسروراً وأُنساً في القلوب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ

(١) سورة البقرة.

يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾[١].

واعلم أيُّها القارئُ الكريم: أنَّ الله تعالىٰ ما أمر في القرآن المجيد بالصَّلاة إلا وقرَن الزَّكاة معها؛ لأنَّ الصَّلاة مظهرُ الطاعة، وأساسُ بناء الفرد؛ والزَّكاة مظهرٌ من مظاهرِ الرَّحمة، وأساس بناء المجتمع؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[٢]، وقال تعالىٰ في وصف عباده المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[٣].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[٤]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وقال أكمل الرُّسل ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ فَلْيُؤَدِّ زَكَاةَ مَالِهِ، وَمَن كان يُؤمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ فَليَقُل خيراً أو لِيَسكُت، وَمَن كان يُؤمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ فَلْيُكرِم ضَيفَهُ»[٥].

أي أخي: اعلم أنَّ حكمَ تاركِ الزَّكاة، كحُكم تارك الصَّلاة[٦]: فَعَن أبي هُرَيرَة

(١) سورة البقرة.
(٢) سورة البقرة.
(٣) سورة الأنفال.
(٤) سورة التوبة.
(٥) المعجم الكبير: (١٢/٤٢٣)، رقم: ١٣٥٦١.
(٦) أي: الذي تركها منكرا لفرضيتها.

قال: لَمَّا تُوُفِّي رَسُولُ الله ﷺ وَاستُخلِفَ أبو بَكرٍ بعده وَكَفَرَ من كَفَرَ من العَرَبِ، قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لأبي بكر: كَيفَ تُقَاتِلُ النَّاس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ الناس حتَّىٰ يَقُولُوا لا إِلَهَ إلا الله فَمَن قال لا إِلَهَ إلا الله عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفسَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ علىٰ الله»، فقال أبو بَكرٍ: والله لأُقَاتِلَنَّ من فَرَّقَ بين الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، فإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، والله لو مَنَعُونِي عَنَاقاً[1] كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلىٰ رسول الله ﷺ لَقَاتَلتُهُم علىٰ مَنعِهِ، قال عُمَرُ: فَوَالله ما هو إلا أَن شَرَحَ الله صَدرَ أبي بَكرٍ لِلقِتَالِ فَعَرَفتُ أَنَّهُ الحَقُّ[2]»[3].

لذلك كان الإنفاق في سبيل الله من زكاةٍ وصدقةٍ مظهراً من مظاهر الرَّحمة بالإنسان، ورُكناً مهمَّاً جداً من أركان الإسلام، كالصَّلاة التي هي عمادُ الدين؛ فالزَّكاة أساسُ بناء المجتمع، كما أنَّ الصَّلاة أساس بناء الفرد الذي من خلال أفرادها تُبنىٰ الأمَّة؛ إذاً.. فبين التَّربيةِ الذاتيَّة، وتربية الأمَّة.. يكون الاستقرار في الفكر، وجمال الحياتين، قال تعالىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾[4].

فلمَّا انتهىٰ أساس تربية الفرد المسلم بصلاته، وعمَّ علىٰ أسرته وأمَّته منع الزكاة؛ كان هراء الكلام، ومفاسد الأفعال؛ فعندئذٍ.. فلا استقرار في الفكر، ولا

---

(١) عَنَاقاً: الأنثىٰ من المعز، وفي رواية: عقالاً، مبالغة في قتالهم علىٰ ترك شيء ولو قليلاً.
(٢) ، فعرفت أنه الحق: أي مما أقامه لي من أن الزكاة أخت الصلاة.
(٣) صحيح البخاري: كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة، رقم: ١٣٩٩، و١٤٠٠، وباب أخذ العناق في الصدقة، رقم: ١٣٥٦، و١٣٥٧، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الأمر بقتال الناس حتَّىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ...، رقم: ١٢٤، سنن أبي داود: في فاتحة كتاب الزكاة، رقم: ١٥٥٦، سنن الترمذي: كتاب الإيمان ـ باب ما جاء: «أمرت أن أقاتل الناس حتَّىٰ يقولوا: لا إله إلا الله»، رقم: ٢٦٠٧، سنن النسائي: كتاب الزكاة ـ باب مانع الزكاة، رقم: ٢٤٤٥.
(٤) سورة المدثر.

حياة للأمَّة، فتأمَّل جدّاً.

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في أسرارِ الزكاة: اعلم أنَّ على مريد طريق الآخرة بزكاتِه وظائف:

الوظيفة الأولى: فَهمُ وجوب الزَّكاة ومعناها[١]، ووجهُ الامتحان فيها وأنَّها لِمَ جُعِلت من مباني الإسلام مع أنَّها تَصَرُّفٌ ماليٌّ، وليست من عبادة الأبدان[٢]، وفيه ثلاث معان:

* **الأوَّل**: أنَّ التلفُّظ بكلمتَي الشهادة التزامٌ للتَّوحيد، وشهادةٌ بإفراد المعبود.

وشرط تمام الوفاء به: ألا يبقى للموحِّد محبوبٌ سوى الواحد الفردِ، فإنَّ المحبة لا تقبل الشِّركة[٣]، والتوحيد باللِّسان قليلُ الجَدوى[٤]، وإنَّما يُمتحَن به درجة المُحب بمفارقة المحبوب، والأموال محبوبةٌ عند الخلائق؛ لأنَّها آلة تمتعهم بالدُّنيا وبسببها يأنَسُون بهذا العالم وينفرون عن الموت، مع أنَّ فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المالِ الذي هو مَرموقُهُم[٥] ومعشوقهم[٦].

(١) الذي هو التطهير والتقديس والتنمية.
(٢) كقرنائها من الصلاة والحج والصوم.
(٣) أي: الاشتراك والمراد بها الاختيارية، وأما الاضطرارية فالإنسان مجبول إلى ما يستلذه طبعاً ولا تكون المحبة كاملة حتَّى يكون مع المحبوب اضطرارا واختيارا فحينئذ لا يخطر بباله شيء سواه وإن خطر ما عداه فيعده من جملة مظاهره وتعيناته.
(٤) التوحيد باللسان من غير عقد القلب على التفريد قليل الجدوى في حكم الأُخرى وإن صين به عرضه ودمه في حكم الدُّنيا.
(٥) أي: منظورهم.
(٦) بالطبع والصبر على فقد المحبوب من أعظم الصبر ولا يصبر عليه إلا مؤمن أو عارف، فإن الزاهد لا زكاة عليه لأنه ما ترك شيئاً تجب فيه الزكاة، والعارف ليس كذلك لأنه يعلم إن فيه من حيث=

ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾[1]، وذلك بالجهاد، وهو مسامحةٌ بالمُهجةِ شوقاً إلىٰ لقاء الله ﷻ والمسامحة بالمال أهون، ولمَّا فهم هذا المعنىٰ في بذل الأموال انقسم النَّاس إلىٰ ثلاثة أقسام:

قسمٌ صدَّقوا التوحيد ووفوا بعهدهم، ونزلوا عن جميع أموالهم، فلم يدَّخروا ديناراً ولا دِرهماً فأَبَوا أن يتعرَّضوا لوجوب الزكاة عليهم حتَّىٰ قيل لبعضهم: كم يجب من الزَّكاة في مائتي درهم؟ فقال: خمسة دراهم، وأمَّا نحن فيجب علينا بذل الجميع.

ولهذا تصدَّق أبوبكر رضي الله عنه بجميع ماله، وعمر رضي الله عنه بشطرِ ماله، فقال ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال: مثله، وقال لأبي بكر رضي الله عنه: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: الله

= ما هو مجموع العالم من يطلب المال فيوفيه حقه فتجب عليه الزكاة من حيث ذلك الوجه، وهو زاهد من وجه آخر، فالعارفون هم الكمل من الرجال فلهم الزهد والادخار والتوكل وإثبات الأسباب، ولهم المحبة في جميع العالم كله ولا يقدح حبه للمال والدُّنيا في حبه لله والآخرة، فإنه ما يحبه منه لأمر ما إلا ما يناسب ذلك الأمر من العوالم. فتأمَّل.

(١) سورة التوبة.
قال العلّامة الزبيدي: ومن هنا وجبت الزكاة في النفوس، كما وجبت في الأموال ووقع فيها البيع والشراء كما وقع في الأموال، فإن قلت: هذا الذي ذكرته في زكاة النفس يعارضه قوله تعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ سورة النجم، فالجواب: أنه ليس معنىٰ الآية كما يقولون، وإنما المراد به أن الله لا يقبل زكاة من أضاف نفسه إليه أي إذا رأيتم أن أنفسكم لكم لا لي والزكاة إنما هي حقي وأنتم أمناء عليه، فإذا ادعيتم فيها فتزعمون أنكم أعطيتموني ما هو لكم ما ليس لي والأمر علىٰ خلاف ذلك فمن كان بهذه المثابة من العطاء فلا يزكي نفسه وينكشف الغطاء في الدار الآخرة فتعلمون في ذلك الوقت هل كانت نفوسكم التي أوجبت الزكاة فيها لي أو لكم حيث لا تنفعكم معرفتكم بذلك فلا معارضة فالزكاة في النفوس آكد منها في الأموال لذلك قدمها فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ ثم قال: ﴿ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ فالعبد ينفق في سبيل نفسه وماله. إتحاف السادة المتقين: (٤/١٠٢ ـ ١٠٣).

ورسوله، فالصِّدِّيق وفَّىٰ بتمام الصِّدق، فلم يُمسك سوىٰ المحبوب عنده، وهو اللهُ ورسوله.

❁ **القسم الثاني**: درجتهُم دون درجةِ هذا وهم المُمسكون أموالهم المراقبونَ لمواقيت الحاجات ومواسمِ الخيرات، فيكون قصدُهم في الادِّخار الإنفاق علىٰ قدر الحاجة دون التَّنعُم، وصرف الفاضل عن الحاجة إلىٰ وجوه البرِّ مَهمَا ظَهَرَ وجُوهُهَا، وهؤلاء لا يقتصرون علىٰ مقدار الزكاة.

وقد ذهب جماعة من التَّابعين إلىٰ أنَّ في المال حقوقاً سوىٰ الزكاة كالنَّخَعِيِّ، والشِّعبيِّ، وعطاءَ، ومُجاهد.

قال الشِّعبيُّ ـ بعد أن قيل له: هل في المال حق سوىٰ الزكاة؟ قال: نعم، أمَا سمِعت قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ۝١٧٧﴾(١)، واستدلُّوا بقوله ﷻ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وبقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم ۝١٠﴾(٢)، وزعموا أنَّ ذلك غير منسوخ بآية الزَّكاة، بل هو داخلٌ في حقِّ المسلم علىٰ المسلم، ومعناه: أنَّه يجب علىٰ المُوسر مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزَّكاة والذي يصحُّ في الفقه من هذا الباب أنَّه مهما أرهقتهُ حاجته كانت إزالتها فرض كفايةٍ إذ لا يجوز تضييعُ مسلمٍ، ولكن يحتمل أن يقال: ليس علىٰ الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضاً ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزَّكاة عن نفسه، ويحتمل أن يقال يلزمه بذلُه في الحال ولا يجوز له الاقتراض، أي: لا يجوز له تكليف الفقير قبول القَرض وهذا مختلَفٌ فيه.

❁ **القسمُ الثالث**: الذين يقتصرون علىٰ أداء الواجب فلا يزيدون عليه

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة المنافقون.

ولا ينقصون عنه وهي أقلُّ الرُّتب، وقد اقتصر جميع العوام[١] عليه؛ لبخلِهم بالمال ومَيلِهم إليه وضعفِ حبِّهم للآخرة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ ﴿٣٧﴾﴾[٢]، ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾، أي: يستقص عليكم، فهذا أحدُ معاني أمر الله سبحانه عباده ببذلِ الأموال.

المعنىٰ الثاني: التَّطهير من صفة البُخل؛ فإنَّه من المُهلكات: قال ﷺ: «ثَلاثٌ مُهلِكاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ، وهَوىً مُتَّبَعٌ، وإِعجَابُ المَرءِ بِنَفسِه»[٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾[٤]، وإنَّما تزُول صفَة البُخل بأن تَتعوَّد بذلَ المالِ[٥]، فحبُّ الشيء لا ينقطع إلا بقهر النَّفس علىٰ مفارقته، حتَّىٰ يصير ذلك اعتياداً.

فالزَّكاة بهذا المعنىٰ طُهرةٌ، أي: تطهِّر صاحبها عن خَبَثِ البُخل المُهلك، وإنَّما طهارته بقدر بذله وبقدر فرَحه بإخراجه واستبشاره بصَرفه إلىٰ الله تعالىٰ[٦].

المعنىٰ الثالث: شُكرُ النِّعمة، فإنَّ لله ﷻ علىٰ عبده نعمةً في نفسه[٧] وفي ماله، فالعباداتُ البدنيَّة: شكرٌ لنعمةِ البدَن، والماليَّة: شكرٌ لنعمة المال.

وما أخسَّ من ينظر إلىٰ الفقير وقد ضُيِّقَ عليه الرِّزق وأُحوِجَ إليه، ثمَّ لا تسمحُ

---

(١) أي: عامة الناس.
(٢) سورة محمد ﷺ.
(٣) حلية الأولياء: (٢/٣٤٣)، المعجم الأوسط: (٥/٣٢٨)، رقم: ٥٤٥٢.
(٤) سورة التغابن.
(٥) أي يجعل صرفه في مواضعه عادة له تخلقا.
(٦) فإن بذله حصلت له الطهارة، وتضاعف الأجر، وإن فرح به واستبشر بمثل هذا فوق تضاعف الأجر بما لا يقاس ولا يحد.
(٧) حيث أوجدها من العدم، وشرفها بالتوحيد، ووفقه لتطهيرها من الصفات الذميمة.

نفسه[(١)] بأن يؤدِّي شكر الله تعالىٰ علىٰ إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه، بربع العُشر[(٢)] أو العُشر من ماله[(٣)].

الوظيفة الثانية: في وقت الأداء، ومن آداب ذوي الدِّين: التعجيل عن وقت الوجوب إظهاراً للرَّغبة في الامتثال بإيصال السُّرور إلىٰ قلوب الفقراء، ومبادرة لعوائق الزَّمان أن تعوقه عن الخيرات، وعلماً بأنَّ في التأخير آفات مع ما يتعرَّض العبد له من العصيان لو أخَّرعن وقت الوجوب.

ومهما ظهرت داعيةُ الخيرِ من الباطن فينبغي أن يَغتنِم، فإنَّ ذلك لَمَّة الملك «وقَلبُ المؤمِنِ بَينَ أُصبُعينِ مِن أَصَابِعِ الرَّحمَنِ» فما أسرع تقلُّبه، والشَّيطان يعِدُ الفَقر ويأمُر بالفحشاء والمنكر. وله لَمَّةٌ عقيب لَمَّةِ الملك[(٤)] فليغتنم الفرصة فيه وليُعَيِّن لزكاتها إن كان يؤدِّيها جميعاً شهراً معلوماً، وليجتهد أن يكون من أفضل

---

(١) المجبولة علىٰ الشح.

(٢) الذي أوجب الله عليه ذلك القدر.

(٣) فالله يحب التعاون علىٰ فعل الخير وندب إليه، والمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

(٤) روىٰ الترمذي والنسائي عن عبد الله بن مَسعُودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلشَّيطَانِ لَمَّةً بابنِ آدَمَ، وَلِلمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكذِيبٌ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيرِ وَتَصدِيقٌ بِالحَقِّ، فَمَن وَجَدَ ذلك فَليَعلَم أَنَّهُ من الله فَليَحمَد الله، وَمَن وَجَدَ الأُخرَىٰ فَليَتَعَوَّذ بالله من الشَّيطَانِ الرَّجِيم»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴿٢٦٨﴾﴾ (سورة البقرة). قوله: «إن للشيطان» أي إبليس أو بعض جنده «لَمَّةً» بفتح اللام وشدة الميم من الإلمام ومعناه النزول والقرب والإصابة، والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك «بابن آدم»، أي بهذا الجنس، فالمراد به الإنسان «وَلِلمَلَكِ لَمَّةً» فلمة الشيطان "تسمىٰ وسوسة". "ولمة الملك إلهاماً" «فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ» كالكفر والفسق والظلم «وتكذيب بالحق»، أي: في حق الله أو حق الخلق، أو بالأمر الثابت، كالتوحيد والنبوة، والبعث والقيامة والنار والجنة. «وأما لَمَّة الملك فإيعاد بالخير» كالصلاة، والصوم «وتصديق بالحق» ككتب الله ورسوله، والإيعاد في اللمتين من باب الإفعال، والوعيد في الاشتقاق كالوعد إلا أن الإيعاد اختص بالشر عرفاً. ينظر: تحفة الأحوذي: (٨/٢٦٥).

الأوقات؛ ليكون ذلك سبباً لنماء قربته وتضاعف زكاته، وذلك كشهر المحرَّم، فإنَّه أوَّل السَّنة وهو من الأشهر الحُرُم، أو رمضان فقد كان ﷺ أجود الخلق، وكان في رمضان كالرِّيح المُرسَلة[١] لا يمسك فيه شيئاً ولرمضان فضيلة ليلة القدر، وأنَّه أُنزِل فيه القرآن، وذو الحَجَّة أيضاً من الشُّهور الكثيرة الفضل، فإنَّه شهرٌ حرامٌ، وفيه الحجُّ الأكبر وفيه الأيَّام المعلومات وهي العشر الأول والأيَّام المعدودات وهي أيَّام التَّشريق.

وأفضل أيَّام شهر رمضان العشر الأواخر، وأفضل أيَّام ذي الحَجَّة العشر الأول.

الوظيفةُ الثالثة: الإسرار، فإنَّ ذلك أبعد عن الرِّياء والسُّمعة، قال ﷺ: «أَفضَلُ الصَّدَقَةِ جُهدُ المُقِلِّ[٢] إِلىٰ فَقِيرٍ فِي سِرٍّ»[٣].

---

(١) لقول ابن عباس في الحديث الذي رواهُ البخاري في كتاب بدء الوحي ـ باب كيف كان بدء الوحي، رقم: ٦، ومسلم في كتاب الفضائل ـ بَاب كان النبي ﷺ أَجوَدَ الناس بِالخَيرِ من الرِّيحِ المُرسَلَةِ، رقم: ٥٩٦٤: قال كان رسول الله ﷺ أَجوَدَ الناس بِالخَيرِ، وكان أَجوَدَ ما يَكُونُ في شَهرِ رَمَضَانَ، إنَّ جِبرِيلَ عليه السَّلام كان يَلقَاهُ، في كل سَنَةٍ في رَمَضَانَ حتَّىٰ يَنسَلِخَ، فَيَعرِضُ عليه رسول الله ﷺ القُرآنَ، فإذا لَقِيَهُ جِبرِيلُ كان رسول الله ﷺ أَجوَدَ بِالخَيرِ من الرِّيحِ المُرسَلَةِ، قال الإمام النَّووي: في الحديث فوائد: منها الحث علىٰ الجود في كل وقت، ومنها الزيادة في رمضان، وعند الاجتماع بأهل الصلاح، وفيه زيارة الصلحاء وأهل الخير، وتكرار ذلك إذا كان المزور لا يكرهه، واستحباب الإكثار من القراءة في رمضان، وكونها أفضل من سائر الأذكار، إذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا لفعلاه. فإن قيل: المقصود تجويد الحفظ. قلنا الحفظ كان حاصلا والزيادة فيه تحصل ببعض المجالس، وأنَّه يجوز أن يقال رمضان من غير إضافة وغير ذلك مما يظهر بالتأمل. ينظر: فتح الباري: (٣١/١).

(٢) أن يكون بذله من فقر وقلة لأنه يكون بجهد ومشقة لقلة ماله وهو شديد صعب علىٰ من حاله الإقلال، ومن ثم قال بشر رضي الله عنه: أشد الأعمال ثلاثة: الجود في القلة، والورع في الخلوة، وكلمة حق عند من يخاف ويرجىٰ.

(٣) قال العراقي: رواهُ أحمد وابن حِبَّان والحاكم من حديث أبي ذر ولأبي داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أي الصدقة أفضل قال: جهد المقل. اهـ، قال الزبيدي: وعند الطبراني=

وقال بعض العلماء: ثلاثٌ من كنوزِ البرِّ منها: إخفاء الصَّدقة، وفي الحديث المشهور: «سَبعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ يَومَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ» أحدهم «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخفَاهَا حتَّىٰ لا تَعلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَت يَمِينُهُ[(١)]»، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿٢٧١﴾﴾[(٢)].

وفائدة الإخفاء: الخَلاص من آفات الرِّياء والسُّمعة، وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعةٌ حتَّىٰ اجتهدوا أن لا يعرف القابضُ المُعطي، فكان بعضهم يُلقيه في يد أعمىٰ، وبعضهم يُلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرىٰ المعطي، وبعضهم كان يصُرُّه في ثوب الفقير وهو نائم، وبعضهم كان يوصل إلىٰ يد الفقير علىٰ يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يَستَكتِمُ المتوسِّطَ شأنَهُ ويوصيه بأن لا يفشيه، كل ذلك احترازاً من الرِّياء والسُّمعة.

الوظيفة الرابعة: أن يُظهر[(٣)] حيث يعلم أنَّ في إظهاره ترغيباً للنَّاس في الاقتداء ويحرُس سرَّه[(٤)] من داعية الرِّياء؛ فقد قال الله ﷻ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴿٢٧١﴾﴾[(٥)]، وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إمَّا للاقتداء، وإمَّا لأنَّ السَّائل

= من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أفضل الصدقة سر إلىٰ فقير وجهد من مقل، وعند ابن أبي حاتم وابن المنذر من حديثه قال قلت: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل أو سر إلىٰ فقير ثم تلا: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴿٢٧١﴾﴾ (سورة البقرة). وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة وسكت عليه، وأقره المنذري، وأخرجه الحاكم فيها وصحَّحه علىٰ شرط مسلم وأقرَّه الذهبي ولفظه: أفضل الصدقات جهد المقل وابدأ بمن تعول. إتحاف السادة المتقين: (٤/١١١).

(١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة ـ باب الصدقة باليمين، رقم: ١٤٢٣، صحيح مسلم: كتاب الزكاة ـ باب فضل إخفاء الصدقة، رقم: ٢٣٧٧.

(٢) سورة البقرة.

(٣) عطاءه.

(٤) أن يحفظ باطنه.

(٥) سورة البقرة.

إنَّما سأل على ملأٍ من الناس فلا ينبغي أن يترك التَّصدُّق خيفة من الرِّياء في الإظهار بل ينبغي أن يتصدَّق ويحفظ سرَّه عن الرِّياء بقدر الإمكان، وهذا لأنَّ في الإظهار محذوراً ثالثاً سوى المنِّ والرِّياء، وهو هَتكُ سِتر الفقير، فإنَّه رُبَّما يتأذَّى بأن يُرى في صورة المحتاج، فمن أظهر السؤال فهو الذي هتَكَ ستر نفسه، فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[1]، نَدَبَ إلى العلانيَة أيضاً؛ لِما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيقَ التأمُّل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه، فإنَّ ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص، فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل، ومَن عَرف الفوائد والغوائِل، ولم ينظر بعين الشَّهوة اتضَح له الأَولَى والأَليَق بكلِّ حالٍ.

الوظيفة الخامسة: ألا يفسِد صدقتَه بالمنِّ والأذى، قال الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴿٢٦٤﴾﴾[2]، واختلفوا في حقيقة المَنِّ والأذى.

فقيل: المَنُّ أن يذكرها، والأذى أن يظهِرها، وقال سفيان: مَن مَنَّ فسدَت

---

(١) سورة الرعد: ٢٢، وسورة فاطر: ٢٩.

(٢) سورة البقرة.

قال الزبيدي: شبه سبحانه الذي يبطل صدقته بالمن والأذى بالذي ينفق ماله رئاء الناس لأجل مدحتهم وشهرته بالصفات الجميلة مظهرا أنه يريد وجه الله ولا ريب أن الذي يرائي في صدقته اسوأ حالاً من المتصدق بالمن لأنه معلوم أن المشبه به أقوى حالاً من المشبه ومن ثم قال الله تعَالَى: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ثم ضرب مثل ذلك المرائي بالإنفاق بقوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أي حجرا أملس ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ مطر كبير القطر ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أملس نقياً من التراب كذلك أعمال المرائين تضمحل عند الله فلا يجد المرائي بالإنفاق يوم القيامة ثواب شيء من نفقته كما لا يحصل النبات من الأرض الصلدة والضمير في ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ للذي ينفق باعتبار المعنى لأن المراد الجنس أو الجمع أي لا ينتفعون بما فعلوا ولا يجدون ثوابه وفي قوله تعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تعريض بأن الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار، فلا بد للمؤمن أن يجتنبها. إتحاف السادة المتقين: (٤/١١٨ ـ ١١٩). فتأمل.

صدقتُه، فقيل له: كيف المنُّ؟ فقال: أن يذكره ويتحدَّث به.

وقيل: المَنُّ أن يستخدمه بالعطاء، والأذىٰ أن يُعَيّرهُ بالفقر.

وقيل: المنُّ أن يتكبَّر عليه؛ لأجل عطائه، والأذىٰ أن ينتهِرَه، أو يوبِّخَه بالمسألة.

كانت عائشةُ وأمُّ سَلَمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفاً إلىٰ فقيرٍ قالتا للرَّسول: احفظ ما يدعو به، ثمّ كانتا تردَّان عليه مثل قولهِ، وتقولان: هذا بذاك؛ حتَّىٰ تخلُص لنا صدقتنا، فكانوا لا يتوقَّعون الدعاء؛ لأنَّه شبه المكافأة، وكانوا يقابلون الدُّعاء بمثله، وهكذا فعل عمرُ بن الخطَّاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما.

وهكذا كان أربابُ القلوبِ يداوُون قلوبهم[١]، ولا دواء من حيث الظَّاهر إلا هذه الأعمال الدَّالة علىٰ التَّذلُّلِ، والتواضع، وقبول المِنَّة، ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها؛ هذا من حيث العمل، وذلك من حيث العلم، ولا يعالَجُ القلبُ إلا بمعجونِ العلمِ والعملِ، وهذه الشَّريطة من الزَّكوات تجري مجرىٰ الخشوع من الصَّلاة.

الوظيفة السادسة: أن يستصغر العطيَّة فإنَّه إن استعظمها أُعجِب بها والعُجُبُ من المُهلكات، وهو محبطٌ للأعمال؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴿٢٥﴾﴾[٢]، ويقال: إن الطَّاعة كلَّما استُصغِرَت عظُمت عند الله عز وجل، والمعصيةُ كلَّما استُعظِمَت صغُرت عند الله عز وجل.

(١) وهو يدل علىٰ معرفة العبد بربه، وحسن أدبه في عبادته، ومن أحب الثناء والذكر علىٰ معروفه كان ذلك حظه منه، وبطل أجره.

(٢) سورة التوبة.

وقيل: لا يتمُّ المعروف إلا بثلاثة أمور: تصغيره؛ وتعجيله؛ وستره، وليس الاستعظام هو المنُّ والأذىٰ، فإنَّه لو صَرَفَ مالَه إلىٰ عمارة مسجدٍ، أو رباطٍ أمكن فيه الاستعظام[١]، ولا يمكن فيه المنُّ والأذىٰ، بل العُجُبُ والاستعظام يجري في جميع العبادات[٢]، ودواؤهُ علمٌ وعملٌ.

أمَّا العلم: فهو أن يعلَم أنَّ العُشر، أو رُبعَ العُشرِ قليلٌ من كثيرٍ، وأنَّه قد قنع لنفسه بأخسِّ درجات البذلِ، فهو جديرٌ بأن يستحيي منه، فكيف يستعظمه؟ وإن ارتقىٰ إلىٰ الدَّرجة العليا فبذلَ كلَّ مالِه أو أكثرَه، فليتأمَّل أنَّه مِن أينَ له المالُ[٣] وإلىٰ ماذا يصرفه؟ فالمال لله ﷻ وله المنَّة عليه إذ أعطاه ووفَّقه لبذلهِ، فلَم يَستعظِم في حق الله تعالىٰ ما هو عينُ حق الله سبحانه؟ وإن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلىٰ الآخرة، وأنَّه يبذله للثَّواب فلَم يستعظم بذلَ ما ينتظر عليه أضعافَه؟

وأمَّا العمل: فهو أن يعطيَه عطاءَ الخَجِلِ من بُخلٍ، بإمساكِ بقيَّة ما له عن الله ﷻ، فتكون هيئته الانكسار والحياء، كهيئة من يطالب بردِّ وديعةٍ فيمسك بعضها ويردُّ البعض[٤]؛ لأنَّ المال كلَّه لله ﷻ وبذلُ جميعه هو الأحبُّ عند الله سبحانه[٥]، وإنَّما لم يأمر به[٦] عبدَهُ؛ لأنَّه يشُقَّ عليه بسبب بُخلِه، كما قال الله ﷻ: ﴿ فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ ۝٣٧ ﴾[٧].

الوظيفة السابعة: أن ينتقيَ من ماله أجودَه، وأحبَّه إليه، وأجلَّه، وأطيَبه، فإنَّ

---

(١) ولا يتصوّر فيه المن والأذىٰ.
(٢) وهو وادٍ مهلك.
(٣) ويذكر مبدأ نشأته من نطفة من ماء مهين، وقد خرج من بطن أمه ولا شيء معه.
(٤) قال الشاعر: وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولابد يوماً أن ترد الودائع.
(٥) ليتفرغ قلبه عن الميل إلىٰ سوىٰ الله.
(٦) أي: ببذله كله.
(٧) سورة محمد ﷺ.

الله تعالىٰ طيِّبٌ لا يقبل إلا طيباً، وإذا كان المُخرَجُ من شُبهةٍ.. فربَّما لا يكون مِلكاً له مطلقاً فلا يقع المَوقِع.

وفي حديثِ أبانَ عن أنسِ بن مالكٍ: «طُوبَىٰ لِعَبدٍ أَنفَقَ مِن مَالٍ اكتَسَبَهُ من غَيرِ مَعصِيَةٍ»[١] وإذا لم يكن المُخرَجُ من جَيّدِ المال.. فهو من سوء الأدب؛ إذ قد يمسك الجَيِّدَ لنفسه، أو لعبده، أو لأهله، فيكون قد آثر علىٰ الله ﷻ غيرَهُ، ولو فعلَ هذا بضيفِه وقدَّم إليه أَردَأَ طعامٍ في بيته لأَوغَرَ بذلك صدرَه[٢]، هذا.. إن كان نظره إلىٰ الله ﷻ، وإن كان نظره إلىٰ نفسهِ وثوابهِ في الآخرة.. فليس بعاقلٍ من يُؤثِرُ غيرَهُ علىٰ نفسهِ، وليس له من مالهِ إلا ما تصدَّق به فأبقَىٰ، أو أكل فأفنىٰ، والذي يأكله قضاءَ وَطَرٍ في الحال، فليس من العقل قَصرُ النَّظر علىٰ العاجلة، وترك الادِّخار إلىٰ الآخرة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾[٣]، أي: لا تأخذوه إلا مع كراهيةٍ وحياءٍ، وهو معنىٰ الإغماض، فلا تؤثروا به ربكم، وفي الخبر: «سَبَقَ دِرهَمٌ مائَةَ أَلفِ دِرهَمٍ»[٤]،

(١) قال العلامةّ الزَّبِيدي: هكذا في "القوت" قال العراقي: رواهُ ابن عدي والبزاز بسند ضعيف اهـ قلت: وضعفه من قبل راويه عن أنس، وأخرج البغوي والماوردي وابن قانع والطَّبَراني والبَيهَقِي وتمام وابن عساكر عن ركب المصري رضي الله عنه، رفعه: "طوبىٰ لمن تواضع من غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه من غير معصية، وخالط أهل العفة والحكمة، ورحم أهل الذلة والمسكنة، طوبىٰ لمن ذل نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبىٰ لمن عمل بعلمه، وأنفق المال من فضله، وأمسك الفضل من قوله. إتحاف السادة المتقين: (٤/١٢٦).

(٢) أي: ملأه حرارة وحقداً وعداوة.

(٣) سورة البقرة.

(٤) قال العلاّمة الزبيدي: قال العراقي: رواهُ النسائي وابن حِبَّان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة. اهـ، قلت: وأخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال: لدرهم طيب أحب إلي من مائة ألف،=

وذلك بأن يخرجَه الإنسانُ وهو من أجَلِّ ماله وأجودِه فيصدر ذلك عن الرِّضا والفرَح بالبذل، وقد يُخرِجُ مائة ألف درهم ممَّا يكره من مالِه فيدلُّ ذلك على أنَّه ليس يؤثرُ الله ﷻ بشيءٍ ممَّا يحبُّه.

الوظيفة الثامنة: أن يطلب لصدقته مَن تزكُو به الصَّدقة ولا يكتفي بأن يكون من عمومِ الأصناف الثَّمانية، فإنَّ في عمومهم خصوص صفاتٍ، فَلْيُرَاعِ خصوص تلك الصفات، وهي ستةٌ:

الأولى: أن يطلُب الأتقياء المعرضينَ عن الدُّنيا المتجرِّدين لتجارةِ الآخرة قال ﷺ: «لَا تَأكُل إلا طَعَامَ تَقِي، وَلا يَأكُل طَعَامَكَ إلا تَقِيٌّ»[١] وهذا.. لأنَّ التَّقيَّ يستعين به على التَّقوى، فتكون شريكاً في طاعته بإعانتك إيَّاه.

الصِّفَة الثانية: أن يكون من أهل العلمِ خاصَّةً[٢]، فإنَّ ذلك إعانةً له على العلمِ، والعلمُ أشرفُ العبادات مهما صحَّت فيه النيَّة.

وكان ابن المُبارَك يخصِّصُ بمعروفه أهل العلم، فقيل له: لو عمَّمتَ، فقال:

= وقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ الآية. وبه يظهر مناسبة إيراد هذا الخبر بعد هذه الآية، ثم ان هذه الجملة هكذا أوردها "صاحب القوت" واقتصر عليها وقلده المصنف. إتحاف السادة المتقين: (٤/١٢٧).

(١) قال العراقي: رواهُ أبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد بلفظ: لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي اهـ. قلت: وكذلك رواهُ ابن المبارك، وأحمد، والدَّارِميُّ، وأبو يعلىٰ وابن حِبَّان والحاكِم والبَيهَقِي والضِّياء، وقال التِّرمذي: حسن، وفي "الرياض": إسناده لا بأس به، وقال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي إلا أن لفظهم: لا تصاحب؛ فالجملة الأخيرة من الحديث هي الموافقة لحديث أبي سعيد وإنما هي عن مواكلة غير تقي؛ لأن المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلىٰ المخالطة بل هي أوثق عرا المداخلة ومخالطة غير التقي تخل بالدين، وتوقع في الشبهة والمحظورات؛ فكأنه نهىٰ عن مخالطة الفجار إذ لا تخلو عن فساد إما بمتابعة فعل أو مسامحة في إغضاء عن منكر فإن سلم من ذلك فلا يخطئه فتنته الغيرية. انظر "الإتحاف": (٤/١٢٨).

(٢) وهم الذين يشتغلون بتعلمه وتعليمه لله تعالَىٰ، ليس لهم هم سوىٰ ذلك، فهم في مقام الإرشاد.

إنِّي لا أعرف بعد مقامِ النُّبوَّة أفضل من مقام العُلماء[١]، فإذا اشتغل قلبُ أحدهم بحاجته لم يتفرَّغ للعلم، ولم يُقبل علىٰ التعلُّم فتَفريغُهُم للعلم أفضلُ.

الصِّفة الثالثة: أن يكون صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد، وتوحيدُه أنَّه إذا أخذ العطاء حمِد الله ﷻ وشكَرَه، ورأىٰ أنَّ النِّعمة منه، ولم ينظر إلىٰ واسطةٍ، فهذا هو أشكرُ العباد لله سبحانه، وهو أن يرىٰ أنَّ النِّعمة كلَّها منه[٢].

الصِّفة الرابعة: أن يكون مستَتِراً مخفيَاً حاجته لا يكثِرُ البَثَّ والشَّكوىٰ، أو يكون من أهلِ المُروءَة[٣] ممَّن ذهبت نعمتهُ وبقيَت عادَتُهُ، فهو يتَعَيَّشُ في جِلبَابِ التَّجمُّل، قال الله تعالىٰ: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا ۝٢٧٣﴾[٤]، أي: لا يُلِحُّون في السُّؤال؛ لأنَّهم أغنياء بيقينِهِم أعزَّة بربِّهم.

وهذا ينبغي أن يُطلَبَ بالتَّفَحُّصِ عن أهل الدِّين في كلِّ محَلَّةٍ ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخيرِ والتَّجمُّل، فثوابُ صرفِ المعروف إليهم أضعاف ما يُصرَف إلىٰ المجاهرين بالسُّؤال.

الصِّفة الخامسة: أن يكون مُعيلاً، أو محبوساً بمرَضٍ، أو بسببٍ من الأسباب،

---

(١) أي: فالصدقة إليهم أفضل وإنما كان؛ لأن مرتبته في الحقيقة مرتبة الإرشاد والتسليك وإهداء الضال وهي مرتبة النبوّة.

(٢) فمثل هذه الصدقة بهذا الشهود تثمر له طاعة وهداية ونوراً وعلماً؛ لأنَّها تقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد الآخذ؛ فيربيها للمتصدق، وهذا كله هو تربية الرحمن لها.

(٣) المروءة، هي: قوّة نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان علىٰ الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات. قال الإمام الجرجاني ﷺ في "التعريفات": هي قوّة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة المستتبعة للمدح شرعاً وعقلاً وعرفاً: (ص٢١٠).

(٤) سورة البقرة.

فيوجد فيه معنىٰ قوله ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٢٧٣﴾﴾[١]، أي: حُبسوا في طريق الآخرة بعَيلَةٍ، أو ضِيقِ معيشةٍ، أو إصلاح قلبٍ: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٢٧٣﴾﴾[٢]؛ لأنَّهم مقصُوصُوا الجَناح مُقَيَّدوا الأطراف، فبهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم ـ العشرة فما فوقها، وكان ﷺ يعطي العطاء علىٰ مِقدار العَيلَة، وسأل عمر رضي الله عنه عن جهدِ البلاء، فقال: كثرةُ العِيال وقلَّة المال.

الصِّفة السادسة: أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام، فتكون صدقةً وصلةَ رحِم، وفي صلةِ الرَّحم من الثَّواب ما لا يُحصىٰ.

قال عليّ رضي الله عنه: لإن أَصِلَ أخاً من إخواني بدرهم.. أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بعشرين درهماً، ولإن أصِلَه بعشرين درهماً.. أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بمائة درهم، ولإن أصِلَه بمائة درهمٍ.. أحبُّ إليَّ من أن أُعتقَ رقبة[٣].

والأصدقاءُ وإخوانُ الخير أيضاً يُقَدَّمون علىٰ المعارف كما يتقدَّم الأقاربُ علىٰ الأجانب؛ فَليراعَ هذه الدَّقائق، فهذه هي الصِّفات المطلوبة، وفي كلِّ صفةٍ درجاتٌ، فينبغي أن يَطلب أعلاها، فإن وجد من جمع جملةً من هذه الصِّفات.. فهي الذَّخيرة الكُبرىٰ والغَنيمَةُ العظمىٰ[٤]، اللهُمَّ؛ وفِّقنا لذلك، يا معينُ يا كَريم.

اللهُمَّ وفِّقنا لاتِّباعِ الشَّرعِ، وإكرامِ الضَّيفِ، وسَلامةِ الصَّدرِ، والتجرُّد عَن

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة.

(٣) ولأنَّ الله تعَالَىٰ ضمَّ الأصدقاء إلىٰ الأقارب؛ فكان فضل الصدقة علىٰ الصديق دون البعيد كفضل الصدقة علىٰ القرابة دون الأباعد؛ لأنَّه ليس بعد صلة الرَّحم في معناها أفضل من صلة الإخوان، وكان بعض السَّلف يقول: أفضل الأعمال صلات الإخوان.

(٤) المستخلص في تزكية الأنفس: لسعيد حوىٰ رحمه الله (ص٥٨ ـ ٦٥).

الخلقِ ، والشَّفقةِ والغَيرةِ علىٰ الأمَّةِ .

اللَّهم إنَّا نسألُكَ قلوباً أوَّاهةً مُخبِتةً مُنيبةً في سبيلك .

اللَّهم ؛ إنَّا نسألُك عَزائمَ مَغفرتِكَ ، ومُنجياتِ أمرِكَ ، والسَّلامةَ من كُلِّ إثمٍ ، والغنيمةَ من كُلِّ برٍّ ، والفوزَ بالجنَّةِ ، والنَّجاةَ من النَّار ، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين .

اللَّهمَّ ؛ وفِّقنا لطاعتك ومحبَّتك ، ونَرجُوكَ رضاكَ ، وحُسنَ لقاك ـ يا لطيف يا واسع يا عليم يا الله . آمينَ آمين .

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّه المختار ، وعلىٰ آله الأبرارِ ، وصحابته الأخيارِ ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم القرارِ ، والحمد لله ربِّ العبادِ .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .



ركن الصيَام

"الرُّكن الرابع": الصِّيامُ: وحُكمُه حكمٌ عظيم من الأحكام التي شرعها الله تعالىٰ للأمَّة، وهو من العبادات الرَّاميَة إلىٰ تزكيةِ النَّفس ورياضتها، ومعارج القلب وتنويره، وفي ذلك صلاح حال الأفراد فرداً فرداً؛ إذ منها يتكوَّن المُجتمعُ الصَّالح.

وهو في اللَّغة: مطلق الإمساك، أو الإمساكُ عن الشَّيء والتَّركُ له، ومن هنا.. قيل للصَّمت: صومٌ، لأنَّه إمساكٌ عن الكلام، كما في قوله تعالىٰ حكاية عن قول أُمِّ عيسىٰ عليهما السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝٢٦﴾[1]، وليس إطلاقاً للصَّوم ترك الكلام، ولكنَّ المراد: أنَّ الصَّوم كان يتبعه ترك الكلام علىٰ وجه الكمال والفَضل[2].

ويطلقُ أيضاً علىٰ الاعتدال، يقال: صام النَّهار إذا اعتدل، وقام قائم الظَّهيرة؛ قال امرؤُ القَيسِ[3]:

فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الهَمَّ عَنكِ بِجَسرَةٍ ❊ ذَمُولٍ إذَا صَامَ النَّهَارُ وهَجَّرَا

وكذلك يُطلق الصَّوم علىٰ: ترك الأكلِ، يقال: صام الفرس إذا قام علىٰ غيرِ اعتِلاف.

قال النَّابِغَةُ[4]:

(١) سورة مريم.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: (٢/١٥٣ ـ ١٥٤).

(٣) الجسرة: الناقة القوية علىٰ السير، والذمول: السريعة. وصام النهار: قامت الظهيرة، وهجّرا: حميت الهاجرة واشتد حرها؛ انظر: "ديوان امرؤ القيس شرح السندوبي".

(٤) فقوله: (خيل) الخيل الأفراس، ولا واحد لها من لفظها، وقيل: واحدها خائل، والجمع خيل،=

خَيــلٌ صِـيامٌ وخيــلٌ غيــرُ صــائمةٍ ❁ تحتَ العَجَاجِ وأُخرىٰ تَعلِكُ اللُّجُما

وأمَّا في الشرع: فهو الإمساك عن الأكلِ، والشُّربِ، والجماع، وجميعِ المفطِّراتِ من الفجرِ إلىٰ غروبِ الشَّمسِ، مع الاقترانِ بالنِّيَّةِ ـ ابتغاءَ مرضاة الله تعالىٰ.

وقد سُمِّي رمضان: لأنَّ الذُّنوب تُرمَضُ فيه، أي: تُحرَقُ؛ لأنَّ الرَّمضاء شدَّةُ الحرِّ؛ قال عبدُ الله بن عُمر: إنَّما سُمّيَ رمضان؛ لأنَّ الذُّنوب تُرمَضُ فيه، فإنَّما سُمّيَ شوَّال؛ لأنَّه يُشوِّل كما تشوَّل النَّاقة ذَنَبَها(١).

واعلم: أنَّ الصَّوم من أعظم أركان الدِّين، وأوثقِ قوانين الشَّرع المتين، به قَهرُ النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، وهو مركَّب من أعمال القلب، ومن المنع من المآكل والمشارب والمناكح عامَّة يومه، وهو أجمل الخِصال، بل هو أفضلُ العبادات، ومن أشقِّ التَّكاليف علىٰ النَّفس، فاقتضت الحكمة الإلَهيَّة؛ أن يبدأ في التَّكاليف الواجبة بالأخفِّ، وهو: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ،

= كما يقال: سافر وسفر. وقوله: (صيام) نعت لها، وهو جمع صائم، ومعناه: ممسكات عن الاعتلاف (وخيل غير صائمة) أي: وأفراس أخر غير ممسكات عنه بل هي معتلفة (تحت العجاج) أي: الغبار، وهو في الحرب وأفراس أخر (تعلك) أي: تلوك (اللجما) جمع لجام والألف التي في آخره زيادة إشباعاً للفتحة وتسوية للقافية، وقد علك يعلك من حد دخل أي: لاك يلوك، والعلك بالكسر ما يلاك والعلك بالفتح المصدر، وهو اللوك، وفي الشرع: عبارة عن الإمساك عن الأكل والشرب والمباشرة مع النية في جميع النهار. ينظر: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية: لنجم الدين النسفي (ت: ٥٣٧هـ)، (ص٢١).

(١) أخرجه ابن عساكر في "تاريخه" ينظر: الدر المنثور: (١/٤٤٤). قال العلامة إسماعيل حقي البروسوي (ت: ١١٣٧ هـ)، في "تفسيره" (٥/٣٩): قال في "شرح التقويم": هو من الشول وهو الخفة من الحرارة في العمل والخدمة، وإنما سمىٰ بذلك لخروج الإنسان فيه عن مخالفة النفس الأمارة، وقمع شهواتها اللذين كانا في الإنسان في رمضان بإطلاق طوع المستلذات والمشتهيات، فعند خروجه عن ذلك كان يجد خفة في نفسه ويستريح.

وهي: عبادةٌ لفظيَّة مختصَّة بالجارحة ـ وهو اللِّسان، مع إقرارِ القلب بالتَّصديق، ثمَّ يثنِّي: "بالصَّلاة" التي هي: عبادةٌ جسديَّة بالأركان والأعضاء، مع الصَّفاء والحضور بالقلب، ويُثَلِّث: "بالزَّكاة"، وهي: عبادةٌ لتطهير المال، واتِّباع الأمر، والتَّقرُّب بالصَّدقات، ثمَّ رابعهُ: الأشقُّ وهو: "الصَّوم"، وهو: عبادةٌ جسديَّة، وماليَّةٌ، وروحيَّةٌ.

أمَّا الجَسَديَّة: فالإمساكُ عن الشَّراب والطَّعام، والامتناع عن الشَّهوات الظَّاهرة والباطنة، وضَعفِ النَّفس والبدَنِ ـ كالصَّبر على أقدَار اللهِ المُؤلِمَة.

وأمَّا الماليَّة، فهي: فِطرةُ الصَّوم، والصَّدقاتِ المُرَغَّبِ بها في شهر رمضان، والتي تَتَضاعف حسناتها ومعارجُها عند الله تعالىٰ، كما قال ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُم قُبُوراً صَلُّوا فِيهَا[١]، وَمَن فَطَّرَ صَائِماً كُتِبَ لَهُ مِثلُ أَجرِ الصَّائِمِ لا يَنقُصُ مِن أَجرِ الصَّائِمِ شَيءٌ، وَمَن جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ الله أَو خَلَفَهُ فِي أَهلِهِ كُتِبَ لَهُ مِثلُ أَجرِ الغَازِي فِي أَنَّهُ لا يَنقُصُ مِن أَجرِ الغَازِي شَيءٌ»[٢].

وأمَّا الرُّوحيَّة: فهي معراجُ الرُّوح إلىٰ عالم القُدسِ، لقوله تعالىٰ في الحديث القُدسي: «إِلَّا الصَّومَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ».

وخامسه: "الحجُّ"، وهو: أكثر الأركان مشقَّةً، وهو عبادةٌ جسديَّةٌ، وماليَّةٌ، وروحيَّة.

(١) أي لا تجعلوها كالقبور في خلوها عن الذكر والعبادة، بل صلوا فيها. قال ابن الكمال: كنىٰ بهذا النهي عن الأمر بأن يجعلوا لبيوتهم حظاً من الصلاة، ولا يخفىٰ ما في هذه الكناية من الدقة والغرابة، فإن مبناها علىٰ كون الصلاة منهية عند المقابر علىٰ ما نص عليه في خبر: «لا تجلسوا علىٰ القبور ولا تصلوا إليها». فيض القدير: (٦/٥٠٥).

(٢) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، رجاله ثقات مشاهير: ينظر المسند: (١٣/٢٤٨)، رقم: ١٦٩٨١، ومصنف ابن أبي شيبة: (٣/١٢٢)، رقم: ١٩٥٥٥.

أمَّا الجسديَّة، فلقوله تعالىٰ: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾[(١)]، ولما يقع من مشاقِّ السَّفر، وأعمال النُّسك وغيرها.

والماليَّة: من نفقةِ الرُّكوب، والسَّكن، والطَّعام والشَّراب، والصَّدقات، كما قال ﷺ: «النَّفَقَةُ في الحَجِّ كَالنَّفَقَةِ في سَبِيلِ الله بِسَبعِمِائَةِ ضِعفٍ»[(٢)].

أمَّا الرُّوحيَّة: فجعل اللهُ الحجَّ رهبانيَّة هذهِ الأمَّة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ۝٢٧﴾[(٣)]. وسُئِلَ ﷺ عن الرَّهبانيَّة فقال: «بَدَّلَنَا اللهُ بها الجِهَادَ، والتَّكبيرِ علَىٰ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأرضِ»[(٤)]، وهو الحَجُّ.

قال الإمامُ الغَزاليُّ: فأنعَمَ اللهُ ﷻ علىٰ هذه الأُمَّة بأن جعلَ الحجَّ رهبانيَّةً لهم[(٥)]، فشرَّف البيتَ العتيقَ بالإضافة إلىٰ نفسِه تعالىٰ[(٦)]، ونصَبَه مقصداً لعباده،

(١) سورة النحل.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: (١٢٢/٣)، رقم: ١٢٦٦٠، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح: ينظر المسند: (٤٩٤/١٦)، رقم: ٢٢٨٩٦، المعجم الأوسط: (٢٥٦/٥)، رقم: ٥٢٧٤.

(٣) سورة الحديد. قال العلامة مرتضىٰ الزبيدي: ومدحهم الله تعَالَىٰ علىٰ الرهبانية ابتداءً فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ثم ذمهم علىٰ ترك شرطها بقوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾؛ لأن كفرهم بمحمد ﷺ، أحبطها. إتحاف السادة المتقين: (٤٤٣/٤).

(٤) أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة "أن رجلاً قال: يا رسول الله، إئذن لي في السياحة، فقال: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» رواهُ الطبراني بلفظ «إنَّ لكل أمَّةٍ سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكلِّ أمَّةٍ رهبانيَّة ورهبانيَّة أمتي الرِّباط في نحر العدو» وللبيهقي في الشعب من حديث أنس: «رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله» وكلاهما ضعيف. ورواهُ الترمذي وحسنه، والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أريد أن أسافر فأوصني قال: «عليك بتقوىٰ الله والتكبير علىٰ كل شرف». ينظر: تخريج أحاديث الإحياء: (٣٤٠/٢).

(٥) أي: بمنزلتها لما في كل منهما قطع المألوفات والمستلذات من سائر الأنواع. فتأمل.

(٦) إذ سماه بيت الله.

وجعل ما حوالَيه حَرَماً لِبيته(١)؛ تفخيماً لأمره، وجعل عرَفات كالميزاب على فناءِ حَوضه، وأكَّدَ حُرمة الموضع بتحريم صَيدِه وشجَره، ووضعه على مثال حضرةِ الملوك يقصدُه الزُّوَّار من كلِّ فجٍّ عميقٍ ومن كلِّ أَوبٍ سَحيق(٢) شُعثاً غُبرَاً متواضعين لربِّ البيت، ومُستَكينينَ له خضوعاً لجلاله واستكانةً لعزَّته، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويَه بيتٌ أو يكتَنِفَه بلدٌ؛ ليكون ذلك أبلغ في رِقِّهم وعبوديتهم، وأتمَّ في إذعانهم وانقيادهم، ولذلك وظَّف عليهم فيها أعمالاً(٣) لا تأنَسُ بها النُّفوس(٤)، ولا تهتدي إلى معانيها العقول(٥) كرمي الجِمار بالأحجار، والتَّردُّد بين الصَّفا والمروة على سبيل التَّكرار، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرِّق والعبوديَّة، فإنَّ الزَّكاة إرفاقٌ(٦)، ووجههُ مفهومٌ، وللعقل إليه مَيلٌ.

والصَّوم: كَسرٌ للشَّهوة التي هي آلة عدو الله، وتفرُّغٌ للعبادة بالكف عن الشَّواغل.

والرُّكوع والسُّجود في الصَّلاة: تواضعٌ لله ﷻ بأفعالٍ هي هيئةُ التَّواضع(٧)، وللنُّفوس أُنسٌ بتعظيم الله ﷻ(٨).

أمَّا ما ورد في فرضيَّة صوم رمضان، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾(٩).

(١) بالحدود المعلومة.
(٢) بعيد.
(٣) غريبة المعنى.
(٤) البشرية ولا تألفها.
(٥) القاصرة عن إدراك المعاني الغريبة.
(٦) أي بذل ما فيه الرفق لفقراء المسلمين.
(٧) من انحناء الظهر ووضع الجبهة على الأرض.
(٨) إحياء علوم الدين: (١/٢٦٧).
(٩) سورة البقرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: هو نداءٌ وتنبيهٌ لأحبابه ﷻ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ شَهَدَ لهمُ الحقُّ بالإيمان، ودخول الجنَّة بغير حساب[1].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ يدلُّ علىٰ الوجوب، أي: فُرِضَ عليكم صيام رمضان.

واعلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ صام تسع رمضانات[2]، وأنَّه صام أوَّل رمضان في العام الثاني الهجري.

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، أي: أنَّه فُرِضَ عليكم كما فُرِضَ علىٰ الذين من قبلكم من الأنبياء وأُمَمِهِم؛ قال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: أوَّلهم آدم، يعني: أنَّ الصَّوم عبادة قديمة أصليَّة ما أخلىٰ الله أمَّةً من افتراضها عليهم، لم يفرضها عليكم وحدكم[3]، لكن التشبيه في أصل فرض ماهيَّة الصَّوم لا في الكيفيَّات، والتشبيه يُكتفَىٰ فيه ببعض وجوه المشابهة، وهو: وجه الشَّبه المراد في القصد، وليس المقصود من هذا التشبيه الحوالةَ في صفة الصَّوم علىٰ ما كان عليه عند الأُمَمِ السَّابقة[4].

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أخبرَ الحقُّ سبحانه أنَّ الحكمةَ من الصِّيام هي التَّقوىٰ، كَكَسرِ الشَّهوة، وما يبعد عن الله تعالىٰ، وهي أصل التَّكليف، فتَنَبَّه.

ففي الصَّوم وقايةٌ من المآثم، ووقايةٌ من الوقوع في عذاب الآخرة، ووقايةٌ

(١) هذا لمن قُبلَ صومه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾.
(٢) ينظر: عمدة القاري: (١٠/٢٤٥)، وتحفة الأحوذي: (٣/٣٠١).
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: (ت: ٥٣٨هـ)، (١/١٦٢).
(٤) التحرير والتنوير: (٢/١٥٤).

من العِلَلِ والأدواء النَّاشئة عن الإفراط في تناول اللَّذات.

وقال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ ﴿١٨٥﴾﴾[1].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ هو الواجب صومُه علىٰ هذه الأُمَّة المرحومةِ.

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ من اللَّوح المحفوظ في ليلة القدر إلىٰ بيت العزة في السَّماء الدُّنيا، ثم أُنزل مُنَجَّماً إلىٰ النَّبيِّ الكريم ﷺ في مدَّة البِعثة، بحسَبِ الوقائع والمصالح، بل الكتبُ الأربعةُ كلُّها تنزَّلَت فيه علىٰ ما نُقل في الحديث[2]؛ وكيف لا يكون أفضل الشُّهور، والحال أنَّ القرآن المنزل فيه ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ وهو القرآن الكريم المشتمل علىٰ الهداية لمصالحهم الدينيَّة والدنيويَّة.

﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾، أي: شواهدَ وَدَلالاتٍ واضحاتٍ من الحلال والحرام، والحدود والأحكام.

﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾، أي: المفرِّق بين الحقِّ والباطل، والهدىٰ والضَّلال، وأهل السَّعادة وأهل الشَّقاوة.

﴿فَمَن شَهِدَ﴾، أي: حضر، أو أدرك، أو عَلِمَ ﴿مِنكُمُ﴾ عباد الله

---

(١) سورة البقرة.

(٢) عن واثلة بن الأسقع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان». قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، لأجل عمران القطان، والباقون ثقات تقدموا، والحديث رواهُ الطبراني في الكبير (٢٢/٧٥)، رقم ١٨٥، وأشار الهيثمي (١/١٩٧) إلىٰ الخلاف في عمران ثم قال: وقال أحمد: أرجو أن يكون صالحاً. ينظر المسند: (١٣/٢٢٣)، رقم: ١٦٩٢١.

المؤمنين ﴿ٱلشَّهۡرَ﴾ المذكور مقيماً مطيقاً بلا عذر.

﴿فَلۡيَصُمۡهُ﴾ واجب عليه، ولا يفرِّط في يومٍ منه بغير عذرٍ.

روىٰ النَّسائيُّ وأحمدُ عن أبي هُرَيرَة ﵁، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «أَتَاكُم رَمَضَانُ شَهرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ الله ﷻ، عَلَيكُم صِيَامَهُ، تُفتَحُ فيه أَبوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغلَقُ فيه أَبوَابُ الجَحِيم، وَتُغَلُّ فيه مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لله فيه لَيلَةٌ خَيرٌ من الفِ شَهرٍ، من حُرِمَ خَيرَهَا فَقَد حُرِمَ»(١).

وقال أكملُ الرُّسل ﷺ: «إنَّ الله فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَيكُم، وَسَنَنتُ لَكُم قِيَامَهُ، فَمَن صَامَهُ وَقَامَهُ إيمَانا وَاحتِسابا خَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كَيَوم وَلَدَتهُ أُمُّهُ»(٢).

«إنَّ الله فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَيكُم»، أي: علىٰ هذه الأُمَّة المرحومة؛ بقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ كما كتب علىٰ الأنبياء والأُمَمِ من لَدُن آدم إلىٰ عهدِكم.

«وَسَنَنتُ لَكُم قِيَامَهُ» أي: جعلت لكم الصَّلاة فيه ليلاً سنَّة، وفسَّره كثيرٌ بالتَّراويح؛ وهي: فضيلةٌ عظيمة، لكن ذلك الفضل؛ وكمال الثَّواب يحصل بكمال التراويح؛ لِما قاله أهل القرون الثلاثة ﵃ وقيلَ غيرُ ذلك(٣).

(١) سنن النسائي الكبرىٰ: (٢/٦٦)، رقم: ٢٤١٦، سنن النسائي: كتاب الصِّيام ـ ذكر الاختلاف علىٰ معمر فيه، رقم: ٢١٠٦، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح. ينظر: المسند: (٧/٦ ـ ٧) رقم: ٧١٤٨.

(٢) سنن النسائي: كتاب الصِّيام ـ باب ذكر اختلاف يحيىٰ بن أبي كثير والنضر بن شيبان فيه، رقم: ٢٢١٠، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في قيام شهر رمضان، رقم: ١٣٢٨، مسند أحمد: حديث عبد الرحمن بن عوف الزهري، رقم: ١٦٦٠، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح. ينظر: المسند: (٢/٣٠٦).

(٣) ينظر: رسالتنا الموسومة المسماة من أحوال رمضان وليلته المباركة، موضحين ومحققين ذلك،=

«فَمَن صَامَهُ وَقَامَهُ إيمَاناً وَاحتِساباً» «إيمَاناً»، أي: تصديقاً بأنَّه حقٌّ وطاعةٌ «وَاحتِساباً» لوجهه تعالىٰ لا رياءً، وطلب الأجر من الله تعالىٰ.

«خَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كَيَومِ وَلَدَتهُ أُمُّهُ»، والمراد: الذنوب الصَّغائر، ما اجتنبت الكبائر، وقيل: يشمل الصَّغائر والكبائر، وخصَّه العلماء بالصَّغائر، لِما لاح لهم من الأدلَّة[١].

قال ابن عطاء الله: وقد رأينا فنظرنا كلَّ مأمورٍ به أو مندوبٍ من الشَّارع يستلزم الجمع علىٰ الله، وكلَّ منهيٍ عنه أو مكروهٍ يتضمَّن التفرقة عنه، فإذا مطلوبه من عباده وجود الجمع عليه لكن الطَّاعات هي أسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها، والمعصية أسباب التفرقة ووسائلها فلذا نهىٰ عنها[٢].

أمَّا جزاؤه: فقد قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ الله: كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيام فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ»[٣].

وفي روايةٍ: «كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الحَسَنَةُ عَشرُ أَمثَالِهَا إِلَىٰ سَبعمِائَة ضِعفٍ قَالَ الله ﷻ: إِلا الصَّومَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ»[٤].

= بتوفيق الله تعَالَىٰ.

(١) شروح سنن ابن ماجه: (١/٥٣٠).

(٢) ينظر: فيض القدير: (٢/٢٧٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصوم ـ باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم: ١٨٠٥، صحيح مسلم: كتاب الصِّيام ـ باب ما جاء في فضل الصوم، رقم: ١١٥١، سنن الترمذي: كتاب الصوم ـ باب ما جاء في فضل الصوم، رقم: ٧٦٤، سنن النسائي: كتاب الصِّيام ـ ذكر الاختلاف علىٰ أبي صالح في هذا الحديث، رقم: ٢٢١٦.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الصِّيام ـ باب ما جاء في فضل الصوم، رقم: ١١٥١، مسند أحمد: رقم: ٩٧١٢، سنن البَيهَقِي الكبرىٰ: (٤/٣٠٤)، رقم: ٨٢٩١.

أي أخي: اختلفَ العلماء في معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالىٰ، فقيل: سبب إضافته إلىٰ الله تعالىٰ، إنَّه لم يُعبد أحدٌ غيرَ الله تعالىٰ به، فلم يُعظِّم الكفار في عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصِّيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصَّلاة، والسُجود، والصَّدقة، والذِّكر وغير ذلك.

وقيل: لأنَّ الصوم بعيد من الرياء لخفائه، بخلاف الصَّلاة والحجِّ والغَزو والصَّدقة وغيرها: من العبادات الظاهرة.

وقيل: لأنَّه ليس للصَّائم ونفسِه فيه حظٌ، قاله الخطَّابي قال: وقيل لأنَّ الاستغناء عن الطَّعام من صفات الله تعالىٰ، فتقرُّب الصَّائم بما يتعلَّق بهذه الصِّفة وإن كانت صفات الله تعالىٰ لا يشبهها شيء.

وقيل: معناه أنا المنفرد بعلمِ مقدار ثوابه، أو تضعيفِ حسناته، وغيره من العبادات أظهرَ سبحانه بعض مخلوقاته علىٰ مقدار ثوابها.

وقيل: هي إضافة تشريف؛ كقوله تعالىٰ: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ ١٣﴾[1] مع أنَّ العالم كلَّه لله تعالىٰ، وفي هذا الحديث بيان عِظَمِ فضل الصَّوم والحثِّ عليه. فتأمَّل.

وقوله تعالىٰ: «وَأَنَا أَجزِي بِهِ» بيانٌ لعظم فضله وكثرة ثوابه؛ لأنَّ الكريم إذا أخبر بأنَّه يتولَّىٰ بنفسه الجزاء، اقتضىٰ عِظَم قدر الجزاء وسِعَة العَطاء[2].

قال القاريُّ في "عين العلم وزين الحِلم": وإنَّما قال: «وَأَنَا أَجزِي بِهِ»، مع أنَّ جزاء كلِّ العبادات منه تعالىٰ.. إشارةً إلىٰ عِظم ذلك الأجر؛ لأنَّ الكريم إذا تولَّىٰ بنفسه اقتضىٰ ذلك سِعة الجزاء، وكأنَّه لم يذكر ما يجزىٰ به لكثرته، ويومي

(١) سورة الشمس.
(٢) فتح الملهم: (٦/٢٣٧).

إليه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾[(١)]، وقد ورد: «وَالصَّومُ نِصفُ الصَّبرِ»، أخرجَه التِّرمِذيُّ، وحَسَّنَه[(٢)] «والصَّبرُ نِصفُ الإيمان» أخرجهُ أبو نُعَيم في "الحِلية" من حديث ابن مسعودٍ بسندٍ حَسَنٍ[(٣)] «وَأَنَا أَجزِي بِهِ»، أي: جزاؤه لقائي، يعني: رؤيتي في العُقبىٰ، أو معرفتي، أي: في الدُّنيا، ولا مَنعَ من الجمع، وإنَّما خصَّ الصَّومُ بالإضافة، أي: اللَّامية مع أنَّ كلَّ عبادةٍ مختصَّة له سبحانه؛ لأنَّه من بين العبادات، خُلُقٌ صَمَدي، فإنَّ الاستغناء من الأكل والشُّرب والجِماع من الصِّفات الصَّمديَّة، والنُّعوت الأحديَّة، وكأنَّ الصَّائم متخلِّقاً بذلك الخلق من أخلاق الله.

وَرُويَ: «تَخَلَّقُوا بِأَخلَاقِ اللهِ»[(٤)]، وقد قالوا: كلُّ اسم من أسمائه سبحانه للتخلُّق إلا اسم الجلالة، فإنَّه للتعلُّق، فالإضافة تشريفيَّة، كناقةِ الله، وبيتِ الله، وإنَّما قال: «أَنَا أَجزِي بِهِ» مع أنَّ جزاء كلَّ العبادات منه سبحانه إشارةً إلىٰ عِظمِ ذلك الأجر به؛ لأنَّ الكريم إذا وعد أن يتولَّىٰ شيئاً بنفسه اقتضىٰ ذلك عظمته،

(١) سورة الزمر.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، رقم: ٣٥١٩.

(٣) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" والبَيهَقِي في "الزهد" من حديثه مرفوعاً ولا يثبت رفعه. فتح الباري: (٤٨/١).

(٤) إن كثرة المال سبب لحصول الطغيان والقسوة في القلب، وسببه ما ذكرنا من أن كثرة المال سبب لحصول القدرة، والقدرة محبوبة لذاتها، والعاشق إذا وصل لمعشوقه استغرق فيه، فالإنسان يصير غرقاً في طلب المال، فإن عرض له مانع يمنعه عن طلبه استعان بماله وقدرته علىٰ دفع ذلك المانع، وهذا هو المراد بالطغيان، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ (سورة العلق) فإيجاب الزكاة يقلل الطغيان ويرد القلب إلىٰ طلب رضوان الرحمن. أن النفس الناطقة لها قوتان، نظرية وعملية، فالقوة النظرية كمالها في التعظيم لأمر الله، والقوة العملية كمالها في الشفقة علىٰ خلق الله، فأوجب الله الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال وهو اتصافه بكونه محسناً إلىٰ الخلق ساعياً في إيصال الخيرات إليهم دافعاً للآفات عنهم، ولهذا السر قال عليه السلام: «تخلقوا بأخلاق الله». التفسير الكبير: (٨١/١٦).

وكأنَّه لم يذكر ما يجزىٰ به ؛ لكثرته أو نفاسته ، كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[١] من إخفاء الأعمال ، وحديث: «أَعدَدتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَينٌ رَأَت وَلا أُذُنٌ سَمِعَت وَلا خَطَرَ عَلَىٰ قَلبِ بَشَرٍ»[٢] .

أو عمل سرِّي ، فإنَّه قَصدٌ قلبيٌّ مع ترك المفطِّر الصُّوري ، والملائكة الكَتَبَة لا يطَّلعون علىٰ ما لا عمل فيه ، فهو سرٌّ بين العبد وربِّه بحيث لا يطلِّع عليه غيره ، أو قهر النَّفس والشَّيطان الذي هو ـ أي: قهرهما ـ أصل المعاملة ، فإنَّ مدار المعاملة علىٰ مخالفتهما ، وموافقة الله ورسوله في حكمهما ، وأيضاً كما أنَّ النَّفس والشَّيطان مقهوران مغلوبان في قبضة الله سبحانه . . يكونان مقهورين مغلوبين أيضاً في قبضة الصَّائم فصار الصَّائم حينئذٍ . . متخلِّقاً بخلق الحق في الجملة ، ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدَّوام . اهـ[٣] ، فتَنَبَّه .

قال ابنُ رَجَبٍ في "اللَّطائف" استثناء الصَّوم من الأعمال المضاعفة ؛ فتكون الأعمال كلُّها تضاعَف بعشرِ أمثالها إلىٰ سبعمائةِ ضِعفٍ إلا الصِّيام ، فإنَّه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد ، بل يضاعفه الله ﷻ أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد ، فإنَّ الصِّيام من الصَّبر ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾[٤] ، ولهذا وردَ عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه سمَّىٰ شهر رمضان: شهرَ الصَّبر ؛ وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: «والصَّومُ نِصفُ الصَّبرِ» خرَّجه التِّرمِذيُّ[٥] .

(١) سورة السجدة.
(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ـ باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، رقم: ٣٢٤٤ ، صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، رقم: ٢٨٢٤ .
(٣) شرح عين العلم وزين الحلم: للقاري (١/١٦٩).
(٤) سورة الزمر .
(٥) سنن الترمذي: كتاب الدعوات (٣٥٧٩) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن .

والصَّبر ثلاثة أنواع: صبرٌ علىٰ طاعة الله ؛ وصبرٌ عن محارم الله ؛ وصبرٌ علىٰ أقدار الله المؤلِمة، وتجتمع الثلاثة في الصَّوم؛ فإنَّ فيه صبراً علىٰ طاعة الله، وصبراً عمَّا حرَّم الله علىٰ الصَّائم من الشَّهوات، وصبراً علىٰ ما يحصل للصَّائم فيه من أَلَمِ الجوع والعَطَش وضعفِ النَّفس والبدن، وهذا الأَلَمُ النَّاشئ من أعمال الطَّاعات يثابُ عليه صاحبُه، كما قال الله تعالىٰ في المجاهدين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[1].

أي أخي: اعلم أنَّ الصَّوم منازلُ ومراتبُ.

الأولىٰ: وهي أدنىٰ رتبة: وهو الجواز، وهو أعمُّ من أن يكون مقبولاً أم لا، ناقصاً أو كاملاً، وهو مقام العوام وهو: الكفُّ عن الشهوتين، أي: الامتناع عن شهوَتَي البطن والفرج في وقتهِ، مقروناً بالنيَّة المعتبرةِ المذكورة في محلِّها.

والثانية: وهي: كفُّ الجوارح، أي: مَنعُ الأعضاء من العَين، والأذن، واللِّسان، وسائر الأعضاء والأركان عن الإثم، أي: مطلَقُ العصيان، وهو مناط القبول؛ لقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[2]، وهو: صومُ الخصُوص.

والثالثة: وهي: كف القلب عما سواه تعالىٰ، أي: عمَّا عدا ذكر الربِّ وما يتعلَّق به وهو ـ أي: هذا النَّوع من الصَّوم ـ للأنبياء والأولياء، وهم: خصوصُ الخصوص.

وتوضيحه: أن يصوم قلبُه ولبُّه عن الهِمَمِ الدَّنيَّة، والأفكار الدنيويَّة، ويكفُّه

---

(١) سورة التوبة. لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف: (ص١٥٨).

(٢) سورة المائدة.

عن ما سوىٰ الله بالكليَّة ، ويحصل الفِطر في هذا الصَّوم بالفِكر في غير صفات الله وآياته ومصنوعاته ، واليوم الآخر ومقاماتهِ ، وبالفكر في أمرِ الدُّنيا وشهواتِه ولهَوَاته ، إلا دنيا ترادُ للدِّين وضروريَّاته ، فإنَّ ذلك زادُ الآخرة ومقدماتِه ، فينبغي أن يكون بحالٍ يصدُقُ أن يقال في حقِّه: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[1] ، وحقُّه ـ أي: الصَّوم ـ علىٰ الصَّائم أن يخاف الرَّدَّ ويرجو القَبول ، فيكون قلبهُ بعد الإفطار متعلِّقاً مضطرباً بين الخوف والرَّجاء ، إذ ليس يدري أيُقبل صومهُ فهو من المقرَّبين ، أو يردُّ عليه ، فهو من المَمقُوتين ؟ وليكن كذلك في آخر كلِّ عبادةٍ يفرغُ منها .

قال الإمام الغَزَالي في أسرار الصَّوم: اعلم أنَّ الصَّوم ثلاث درجات: صومُ العموم ؛ وصومُ الخصوص ؛ وصوم خصوصِ الخصُوص .

أمَّا صوم العمُوم[2]: فهو كَفُّ البطن والفرجِ عن قضاءِ الشَّهوة .

وأمَّا صومُ الخصُوص[3]: فهو كَفُّ السَّمع والبَصر واللِّسان واليَد والرِّجل وسائر الجوارح عن الآثام[4] .

وأمَّا صوم خصوص الخصوص[5] ، فصوم القلب عن الهِمَمِ الدَّنيَّة والأفكار

(١) سورة الأنعام .
(٢) وهم عامة الناس .
(٣) وهم خاصة الناس .
(٤) قال العلّامة الزَّبيدي: فكف السمع عن الإصغاء إلىٰ ما نهي عنه ، وكف البصر عن النظر إلىٰ ما نهي عنه ، وكف اللسان عن الخوض فيما لا يعني ، وكف اليد عن البطش فيما لا يحل ، وكف الرجل عن نقلها إلىٰ محظور ، وكف الفرج عن المحرمات ، فمن صام تطوعاً بهذه الجوارح الست وأفطر بجار حتَّىٰ الأكل والشرب والجماع ، فهو عند الله من الصائمين في الفضل ، لأنه من الموقنين الحافظين للحدود ، ومن أفطر بهذه الست أو بعضها وصام بجار حتَّىٰ البطن والفرج فما ضيع أكثر مما حفظ فهذا مفطر عند العلماء صائم عند نفسه . إتحاف السادة المتقين: (٤/٢٤٤) .
(٥) وهم خاصة الخاصة .

الدنيويَّة وكفِّه عمَّا سوىٰ الله ﷻ بالكليَّة[(١)]، ويحصل الفطر[(٢)] في هذا الصَّوم بالفكر فيما سوىٰ الله ﷻ واليوم الآخر وبالفكر في الدُّنيا إلا دنيا تُرادُ للدِّين، فإنَّ ذلك من زاد الآخرةِ وليس من الدُّنيا وهذه رتبة الأنبياء والصدِّيقين والمقرَّبين ولا يطوَّل النظر في تفصيلها قولاً، ولكن في تحقيقها عملاً، فإنَّه إقبال بكنهِ الهمَّة علىٰ الله ﷻ وانصراف عن غير الله سبحانه وتلَبُّسٌ بمعنىٰ قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾[(٣)].

وأمَّا صوم الخصوص: وهو صوم الصَّالحين؛ فهو كف الجوارح عن الآثام، وتمامهُ بستة أمور:

الأول: غضُّ البصر وكفُّه عن الاتِّساع في النَّظر إلىٰ كلِّ ما يُذم ويُكره[(٤)] وإلىٰ كلِّ ما يُشغل القلب ويلهي عن ذكر الله ﷻ قال ﷺ: «النَّظرَةُ سَهمٌ مَسمُومٌ مِن سِهَامِ إبلِيسَ لَعَنَهُ الله، فمَن تَرَكَهَا خوفاً من الله آتاه الله ﷻإيمَاناً يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلبِهِ»[(٥)].

الثاني: حفظُ اللِّسان عن الهَذَيَان[(٦)]، والكذِب، والغِيبة، والنَّميمة[(٧)]،

---

(١) وذلك يحصل بمراعاة القلب وحفظه الأنفاس بأن يكف الهمم عليه؛ فيقطع الخواطر والأفكار، ويترك التمني الذي لا يجدي.

(٢) المجازي.

(٣) سورة الأنعام.

(٤) شرعاً وعرفاً.

(٥) قال العلّامة الزبيدي: رواهُ الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة رضي الله عنه، وأورده ابن الجوزي في كتابه: تنبيه النائم الغمر علىٰ مواسم العمر، بلفظ: النظر إلىٰ المرأة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركه ابتغاء مرضاة الله أعطاه الله إيماناً في قلبه يجد حلاوته. إتحاف السادة المتقين: (٤/ ٢٤٥).

(٦) وهو الكلام الذي لا فائدة منه.

(٧) الكذب: وهو ما لا أصل له، والغيبة: أن يذكر أخاه بما يكره، والنميمة: الكلام علىٰ وجه الإفساد بين اثنين.

والفُحش، والجَفاء، والخصومة، والمِراء[(١)]، وإلزامه السكوت، وشَغلِه بذكر الله سبحانه[(٢)]، وتلاوةِ القرآن[(٣)]، فهذا صومُ اللِّسان، وقد قال سفيان: الغيبة تفسِدُ الصَّوم[(٤)].

وروىٰ ليثٌ عن مجاهِد: خصلتان يفسدان الصِّيام: الغيبةُ؛ والكذبُ، وقال ﷺ: «الصِّيام جُنَّةٌ، إذا كَان أحدكُم صَائِماً فلا يَرفُث ولا يَجهَل، فَإِن امرُؤٌ قَاتَلَهُ أو شَاتَمَهُ، فَليَقُل إنِّي صَائِمٌ إنِّي صَائِمٌ» متفق عليه[(٥)].

الثالث: كفُّ السَّمع عن الإصغاء إلىٰ كلِّ مكروهٍ؛ لأنَّ كلَّ ما حرُم قولهُ حرُم الإصغاء إليه[(٦)] ولذلك سوَّىٰ الله ﷻ بين المستمع وآكِلِ السُّحت، فقال تعالىٰ: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ ۝٤٢﴾[(٧)] وقال ﷻ: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝٦٣﴾[(٨)]

---

(١) أي المجادلة.

(٢) قلباً ولسانا.

(٣) غيباً ونظراً ومدارسة، وإذا كان بالنظر في المصحف فهو أفضل؛ لأنَّه عبادة أخرىٰ لاستعماله في القراءة لسانه وعينه. فتأمَّل.

(٤) ولفظ القوت: وروىٰ بشر بن الحرث عن سفيان: من اغتاب فسد صومه، وهكذا رواهُ صاحب العوارف أيضاً، وقيل: أن مذهب سفيان إفساد الصوم بالغيبة حقيقة هكذا حكاه المنذري عنه، وعن عائشة وذهب الأوزاعي إلىٰ هذا فأوجب عليه القضاء وسائر العلماء علىٰ خلافه. ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد: لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، (ت: ٣٨٦هـ)، (١٨٩/٢).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الصوم ـ باب فضل الصوم، رقم: ١٨٩٤، صحيح مسلم: كتاب الصِّيام ـ باب فضل الصِّيام، رقم: ٢٧٠٠.

(٦) لأن إصغاءه حينئذ يكون دليلاً علىٰ رضاه بالمحرم.

(٧) سورة المائدة.

(٨) سورة المائدة.

فالسُّكوت على الغيبة حرامٌ[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۝١٤٠﴾[٢].

الرابع: كفُّ بقيَّة الجوارح عن الآثام من اليدِ والرِّجل عن المكاره[٣]، وكفُّ البطن عن الشُّبهات وقت الإفطار[٤]، فلا معنى للصَّوم فهو الكف عن الطَّعام الحلال، ثمَّ الإفطار على الحرام، فمثال هذا الصائم مثالُ مَن يبني قصراً ويهدِمُ مِصراً[٥] فإنَّ الطعام الحلال إنَّما يضرُّ بكثرته لا بنوعه، فالصَّوم لتقليله، وتارك الاستكثار من الدَّواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السُّمِّ كان سفيهاً، والحرام سمٌّ مهلِكٌ للدِّين، والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره، وقصد الصوم تقليله، وقد قال ﷺ: «كم مِن صَائِمٍ لَيسَ لَهُ مِن صِيَامِهِ إلا الجُوعُ»[٦]، فقيل هو الذي يفطر على الحرام، وقيل: هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم النَّاس بالغيبة وهو حرام، وقيل: هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام.

الخامس: أن لا يستكثر من الطَّعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ

---

(١) والساكت يشارك المغتاب في الحرمة.

(٢) سورة النساء. قوله تعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إن قعدتم معهم، ولا تتركوهم في ذلك الحين، من الكفر والاستهزاء والعياذ بالله. ﴿مِّثْلُهُمْ ۝١٤٠﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن مَن حضر مجلساً يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم، مع القدرة، والقيام مع عدمها. ويؤخذ من الآية النَّهيُ عن مجالسة أهل الباطل عامّةً عند خوضهم في باطلهم.

(٣) فاليد كفها عن البطش إلى محرم من مكسب أو فاحشة، والرجل حبسها عن السعي فيما لم يؤمر به ولم يندب إليه من غير أعمال البر.

(٤) فليس من الأدب أن يمسك من مباح الطعام، ويفطر بحرام الآثام.

(٥) وصوم مثل هذا مردود عليه، ومثاله أيضاً مثال من مسح كل عضو من أعضائه ثلاث مرات، فقد وافق الفضل في العدد إلا أنه ترك الفرض من الغسل فصلاته مردودة عليه لجهله.

(٦) رواهُ الإمام أحمد في "مسنده"، رقم: ٩٦٤٨، وتمامه: «وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر»، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، وقال الهيثمي (٥٧/٣): رجاله رجال الصحيح وقد سبق وهو في الصحيح. ينظر المسند (٢٨٢/٩).

جوفه[(١)] فما من وعاءٍ أبغض إلىٰ الله ﷻ من بطنٍ مُلئ من حلال[(٢)]، وكيف يستفاد من الصَّوم قَهر عدوِّ الله وكَسر الشَّهوة إذا تدارك الصَّائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطَّعام؟ حتَّىٰ استمرت العادات بأن تدَّخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر[(٣)]، ومعلومٌ أنَّ مقصود الصَّوم الخَواء، وكسر الهوىٰ؛ لتقوىٰ النَّفس علىٰ التَّقوىٰ[(٤)]، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلىٰ العشاء حتَّىٰ هاجت شهوتها وقويَت رغبتها، ثمَّ أطعمت من اللَّذات[(٥)] وأشبعت زادت لذَّتها وتضاعفت قوَّتها وانبعث من الشَّهوات[(٦)] ما عساها كانت راكدة[(٧)] لو تركت علىٰ عادتها، فروحُ الصوم وسرُّه تضعيفُ القوىٰ[(٨)] التي هي وسائل الشَّيطان في العود إلىٰ الشرور[(٩)]، ولن يحصل ذلك إلا بالتَّقليل[(١٠)] وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كلَّ ليلة لو لم يصم بل من الآداب أن لا يكثر

---

(١) ولفظ "القوت": ومن فضائل الصوم: أن يجتنب من حظوظ هذه الجوارح الشبهات من الأشياء وفضول الحلال، ويرفض الشهوات الداعية إلىٰ العادات، ولا يفطر إلا علىٰ حلال متقللا منه، فبذلك يزكو الصِّيام.

(٢) روىٰ الترمذي في كتاب الزهد ـ باب ما جاء في كراهية كَثرةِ الأكل، رقم: ٢٣٨٠ عن مِقدَام بن مَعدِ يكرِبَ قال سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول «ما مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً من بَطنٍ بِحَسبِ ابن آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمنَ صُلبَهُ، فَإِن كان لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) كما هو معلوم مشاهد لاسيما بعد عصر المصنف بكثير فقد تجاوزوا في ذلك عن الحدود ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

(٤) وتصفو الأخلاق، ويتنوّر الباطن.

(٥) المتنوّعة من الطعام الفاخر النفيس، والشراب المشهي البارد.

(٦) الخفية.

(٧) أي ساكنة مستقرة، وفي بعض النسخ راقدة.

(٨) الشهوانية أي اماتتها وابطالها وكسر قوّتها.

(٩) الحاصلة من تلك الشهوات.

(١٠) من المطعوم والمشروب.

النَّوم بالنهار[(١)] حتَّىٰ يحسَّ بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوىٰ[(٢)] فيصفو عند ذلك قلبُه ويستديم في كلِّ ليلة قدراً من الضَّعف حتَّىٰ يخف عليه تهجُّده وأوراده، فعسىٰ الشَّيطان أن لا يحوم علىٰ قلبه فينظر إلىٰ ملكوت السماء، وليلة القدر عبارة عن اللَّيلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت، أي: في عالم الغيب، وهو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[(٣)] ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاَّة من الطعام فهو عنه[(٤)] محجوب، ومن أخلىٰ معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب[(٥)] ما لم يخل همَّته عن غير الله ﷻ وذلك[(٦)] هو الأمر كله، ومبدأ جميع ذلك تقليل الطَّعام.

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلَّقاً مضطرباً بين الخوف[(٧)] والرَّجاء[(٨)] إذ ليس يدري أيُقبلُ صومُه فهو من المقرَّبين أو يرد عليه[(٩)] فهو من المَمقُوتين[(١٠)]؟ وليكن كذلك في آخر كلِّ عبادة يفرغ منها[(١١)].

---

(١) تعللًا بظاهر الحديث الذي تقدم ذكره: "نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح".

(٢) ولا يكون النوم عبادة إلا إذا دفع إليه ضرورة، أو قصد به التقوّي علىٰ قيام الليل، وأما إذا نوىٰ به تقصير المسافة كما هو عليه عامة الناس بل وخاصتهم اليوم، فلا إلا أن يكون ممن يخالطه الناس كثيراً، فيخاف علىٰ نفسه صدور شيء من الجوارح من المخالفات، فيختار النوم؛ فيكون حينئذ عبادة. فتنبه.

(٣) سورة القدر.

(٤) أي: عالم الملكوت.

(٥) الظلماني.

(٦) أي: إخلاء الهمة عما سواه.

(٧) من عدم قبوله.

(٨) في قبوله.

(٩) لما عسىٰ أن داخله بعض ما نهي عنه.

(١٠) المبغوضين.

(١١) أي: ليس هذا خاصاً في الصوم بل ليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها.

روي عن الحسن[١] بن أبي الحسن البصري، أنَّه مرَّ بقومٍ يوم العيد، وهم يضحكون، فقال: إنَّ الله جعل شهر رمضان مِضماراً[٢] لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق أقوامٌ ففازوا، وتخلَّف أقوام فخابوا، فالعجب كلَّ العجب للضَّاحك اللَّاعب في اليوم الذي فاز فيه السَّابقون المسارعون، وخاب فيه المبطلون المدَّعون؛ أما والله لو كشف الغطاء[٣] لاشتغل المُحسِن بطاعته وإحسانه، والمُسيء بإساءته وعصيانِه، أي: لكان سرور المقبول بشغله عن اللَّعب[٤]، وحسرة المردود تسد عليه باب الضَّحك[٥].

وعن الأحنفِ بن قَيسٍ أنَّه قيل له: إنَّك شيخ كبير وإنَّ الصِّيام يضعِفك، فقال: إنِّي أعدُّه لسيرٍ طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه، وفي بابه أهون من الصَّبر على عذاب الله وحجابه، فعلماء الظَّاهر يعنون بالصَّحة الجواز والحصول، وعلماء الآخرة يعنون بها القبول؛ وبالقبول الوصول إلى المقصود والمأمول؛ ومن هنا قال أبو الدَّرداء: يا حبذا نومُ الأكياسِ[٦] وفطرهِم كيف يعيبون صوم الحمقى وسهرهم! وَلَذَرَّة من عبادةِ ذوي التَّقوىٰ واليقين أرجح من أمثالِ الجبال من عبادة المغترين[٧]، ولذلك قال بعض العلماء كم من صائمٍ مفطرٍ وكم من مفطرٍ صائمٍ،

(١) بن يسار البصري رحمه الله.
(٢) وهو الميدان الذي تمتحن فيه السباق من الخيل من اللاحقين، أي جعله كالمضمار لهم.
(٣) عن الحقائق.
(٤) إذ المقبول لو علم أنه مقبول فسروره لذلك يمنعه عن الضحك واللعب.
(٥) أي لو علم انه قدر عمله هذا فيتحسر على ذلك، فلا يليق الانبساط.
(٦) أي العقلاء.
(٧) هكذا أورده صاحب القوت وصاحب العوارف إلا أن صاحب العوارف قال كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم وقال من أمثال الجبال من أعمال المغترين، والباقي سواء، وفي نص القوت: كيف يبغون قيام الحمقى وصومهم وفي بعض نسخ الكتاب كيف يعيبون.

وقد قال ﷺ: «إنَّ الصَّومَ أمانةٌ فليَحفظ أحدُكُم أمانتَه»[١]، ولمَّا تلا قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ۝٥٨﴾[٢] وضع يده على سمعه وبصرِهِ، فقال: «السَّمعُ أَمَانةٌ، والبَصَرُ أَمَانَةٌ»[٣]، ولولا أنَّه من أمانات الصَّوم لما قال ﷺ: «فَليَقُل إنِّي صَائِمٌ»[٤]، أي: أنِّي أودعت لساني[٥] لأحفظه، فكيف أطلقه بجوابك، فإذاً قد ظهر أنَّ لكلِّ عبادة ظاهراً وباطناً وقشراً ولُبّاً ولقشورها درجاتٌ، ولكلِّ درجةٍ طبقات؛ فإليك الخِيرة الآن في أن تقنع بالقِشر عن اللَّباب أو تَتَحيَّز[٦] إلىٰ غِمَار[٧] أربابِ الألبابِ. انتهى[٨].

وقد اختَصَّ اللهُ الصَّائمين بخصائص منها: بابٌ في الجنَّة يدخلون منه يوم القيامة وحدَهم، يسمَّىٰ الريَّان؛ إظهاراً لشرفهم وفضلهِم ينادي منادٍ علىٰ رؤوس الأشهاد: أين الصَّائمون، فيراهم القاصي والدَّاني وتَمتدُّ إليهم الأبصار وتَشرَئِبُّ الأعناق، ويتمنَّىٰ مُتَمَنٍّ أن لو كان معهم وفي ركبهمُ المَيمون، ويَتحسَّر مُتَحسِّرٌ علىٰ ما فاته في الدُّنيا من فُرصة العمل والجِدّ، وما ضاع عليه من أوقاتٍ ثَمينة وساعاتٍ عديدةٍ يُصوِّر ﷺ، هذا المَشهد فيقول: «إنَّ في الجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ له الرَّيَّانُ، يَدخُلُ منه الصَّائِمُونَ يوم القِيَامَةِ، لا يَدخُلُ منه أَحَدٌ غَيرُهُم، يُقَالُ: أَينَ الصَّائِمُونَ؟،

(١) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود في حديث الأمانة والصوم وإسناده حسن. ينظر: تخريج أحاديث الإحياء: (٢/٢٣٩).
(٢) سورة النساء.
(٣) رواهُ أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله: «السمع أمانة» قاله العراقي.
(٤) سبق تخريجه في (ص ٢٦٢).
(٥) أي: جعل عندي وديعة وأمانة.
(٦) أي: تفيء.
(٧) أي: جماعة.
(٨) إحياء علوم الدين: (١/٢٣٥ ـ ٢٣٧)؛ وإتحاف السادة المتقين: (٤/٢٤٤ ـ ٢٥٣)؛ والمستخلص في تزكية الأنفس: لسعيد حوىٰ، (ص٦٩ ـ ٧١).

فَيَقُومُونَ لا يَدخُلُ منه أَحَدٌ غَيرُهُم ، فإذا دَخَلُوا أُغلِقَ ، فلم يَدخُل منه أَحَدٌ»[١] .

ومنها: أن جعل الله تعالىٰ صَومَهم لهم حِصناً حَصيناً من النَّار ، وسِتراً يَقِي صاحبه ممَّا يُؤذيه من الشَّهوات ، كما قال أكملُ الرُّسل ﷺ: «الصِّيام جُنَّةٌ ، وَحِصنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ»[٢] .

ثُمَّ يبيِّن لنا ﷺ حقيقة هذا الصَّوم الذي يحفظُ صاحبه من النَّار ، فيقول أكملُ الرُّسلِ ﷺ: «الصِّيامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ ، كَجُنَّةِ أَحَدِكُم مِنَ القِتَالِ»[٣] .

وكأنَّه يَقُولُ: إنَّ المراد بالصِّيام هنا ، صيامُ من سَلِمَ صيامه من المعاصي قولاً وفعلاً ، ولذلك حَثَّ الصَّائم أن يلتزم مَسلَك الفضيلة ، ويبتعد عن دعاوي الرَّذيلة ، حتَّىٰ يتحقَّق بالصِّيام الذي هو جُنَّةٌ ، فيقول ﷺ: «الصِّيام جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ ، فَمَن أَصبَحَ صَائِماً فَلا يَجهَل يَومئذٍ ، وَإِنِ امرُؤٌ جَهِلَ عَليه فَلا يَشتُمهُ ولا يَسُبَّهُ وَليَقُل: إِنّي صَائِمٌ»[٤] .

واختص الله الصَّائم أيضاً: بأن جعل تَغيُّر فَمِهِ أطيبَ من ريح المِسك ، فقال

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم ـ باب الريان للصائمين ، رقم: ١٨٩٦ ، صحيح مسلم: كتاب الصِّيام ـ باب فضل الصِّيام ، رقم: ٢٧٠٣ ، مسند أحمد ، رقم: ٢٢٨٦٩ ، ٢٢٨٧٠ .

(٢) قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن ، رواهُ الطبراني بلفظ قريب (١٥٨/٨) ، رقم ٧٦٠٨ ، وذكره الهيثمي (١٨٠/٣) وعزاه لأحمد بلفظه وحسنه ؛ ونحوه النسائي: (١٠٦٣/٤) ، رقم: ٢٢١٦ ، وابن ماجه: (٥٢٥/٢) ، رقم: ١٦٣٩ . المسند: (١٤٣/٩) .

(٣) سنن النسائي المجتبىٰ: (١٦٧/٤) ، رقم: ٢٢٣١ ، سنن ابن ماجه: كتاب الصِّيام ـ باب ما جاء في فضل الصِّيام ، رقم: ١٦٣٩ ، مسند أحمد: رقم: ١٦٢٢٦ ، ٩١٩٧ . قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح . ينظر: المسند: (٥١٠/١٢) .

(٤) سنن النسائي: كتاب الصِّيام ـ ذكر الاختلاف علىٰ محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصائم ، رقم: ٢٢٣٤ ، قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ، (١٠/٢): رواهُ النسائي عن عائشة بإسناد صحيح .

ﷺ: «ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطيَبُ عِندَ اللهِ مِن رِيحِ المِسكِ»، مُتَّفَقٌ علَيهِ[١]، «والخُلُوفُ»: تَغيُّر الفمِ مِن الصَّوم.

ومنها أيضاً: أن جعلَ له في صيامه فرحَتين، فإذا أفطر فَرِح، وإذا لقي الله فرِح، فَفَرَحُه بفِطره تَعبيرٌ صَادقٌ عن شُكره التَّام لربِّه الذي وفَّقَه لإتمام صوم ذلك اليوم، وَمكَّنهُ بواسطة تَمام صحَّته وقوَّته، فأدَّىٰ عبادة يومه كاملةً غير نَاقصة، فهو في فَرحه هذا في عبادةٍ؛ لأنَّ الشُّكر عبادةٌ وذكرٌ.

وفرَحُهُ بِلقاء الله: اطمئنانٌ بوَعدِ اللهِ، ويقينٌ جَازمٌ بقبول العمل بمشاهدة عظيم الثَّواب عليه، كما قال أكملُ الرُّسل ﷺ: «إنَّ لِلصَّائِمِ فَرحَتَينِ: إذَا أَفطَرَ فرِحَ، وَإذَا لَقِيَ الله فَرِحَ»[٢].

كما قال الله تعالىٰ في المجاهدين والشُّهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾[٣].

واختصَّ الله الصَّائم: بأن جعل له في صومه الصَّحة والشِّفاء من كثير من الأمراض؛ ففي الحديث: «صُومُوا تَصِحُّوا»[٤].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم ـ باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم: ١٩٠٤، صحيح مسلم: كتاب الصِّيام ـ باب فضل الصِّيام، رقم: ٢٦٩٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصِّيام ـ باب فضل الصِّيام، رقم: ٢٧٠٢.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) ينظر: كنز العمال: (٨/٢١٠)، قال المنذري في الترغيب والترهيب، (٢/٨٣): رواهُ الطبراني في "الأوسط" ورواته ثقات. وقال الحرالي: فيه إشعار بأن الصائم يناله من الخير في جسمه وصحته ورزقه حظ وافر مع عظم الأجر في الآخرة؛ ففيه صحة للبدن والعقل بالتهيئة للتدبر والفهم وانكسار النفس إلىٰ رتبة المؤمنين، والترقي إلىٰ رتبة المحسنين، وللمؤمن غذاء في صومه من بركة ربه=

وأخرج البَيهَقِيُّ عن عليٍّ ﷺ وكَرَّم الله وجهه ـ قال ﷺ: «إنَّ الله أوحَىٰ إلىٰ نَبيٍّ مِن بَني إسرَائِيلَ: أَن أَخبِر قَومَكَ أَنَّهُ لَيسَ عَبدٌ يَصُومُ يَوماً ابتِغَاءَ وَجهي، إلَّا أصحَحتُ لَهُ جِسمَهُ وَأَعظَمتُ لَهُ أَجرَهُ»[١].

وَسِرُّ ذَلك: أنَّ للصَّوم تأثيراً عَجِيباً في حِفظ الأعضاء الظَّاهرة، وقوىٰ الجوارح الباطنة، وحِمايَتها من التخليط الجالِب للموادِّ الفاسدة، واستِفراغ الموادِّ الرَّدِيئة، وذلك من أكبر العَون علىٰ التَّقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[٢].

واختصَّ الله الصَّائم: بإبعاد وجهه عن النَّار، فلا تَرىٰ عينهُ أيَّ مَشهدٍ من مشاهد النَّار، يقول ﷺ: «مَن صَامَ يَوماً في سَبِيلِ الله، بَعَّدَ الله وَجهَهُ عن النَّارِ سَبعِينَ خَرِيفاً[٣]»، أخرجهُ أحمدُ، والشَّيخانِ، والنَّسائي عن أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ، وعند ابن ماجه عن أبي هُرَيرَة[٤]، وفي روايةِ النَّسائيِّ عن عُقبَةَ بنِ عامرٍ: «بَاعَدَ

= بحكم يقينه فيما لا يصل إليه من لم يصل إلىٰ محله، فعلىٰ قدر ما يستمد بواطن الناس من ظواهرهم يستمد ظاهر المؤمن من باطنه، حتَّىٰ يقوىٰ في أعضائه بمدد نور باطنه كما ظهر ذلك في أهل الولاية والديانة، وفي الصوم غذاء للقلب كما يغذي الطعام الجسم، ولذلك أجمع مجربة أعمال الديانة من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه علىٰ أن مفتاح الهدىٰ والصحة "الجوع"، لأن الأعضاء إذا وهنت لله نور الله القلب وصفىٰ النفس وقوىٰ الجسم ليظهر من أمر الإيمان بقلب العادة جديد عادة هي لأوليائه أجل في القوىٰ من عادته في الدُّنيا لعامة خلقه. فيض القدير: (٤/٢٧٩).

(١) ينظر: كنز العمال، (٨/٢٠٩)، والدر المنثور: (١/٤٣٧).

(٢) سورة البقرة.

(٣) الخريف: الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء، ويراد به السنة؛ لأن الخريف لا يكون في السنة إلا مرة واحدة؛ فإذا انقضىٰ الخريف انقضىٰ السنة، والمراد مسيرة سبعين سنة. وأفاد الحديث: فضل الصوم ولو كان يوماً واحداً، وأنه يكون وقاية لصاحبه من النار. فتأمل.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير ـ باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم: ٢٨٤١، صحيح مسلم: كتاب الصِّيام ـ باب فضل الصِّيام في سبيل الله لمن يطيقه، بلا ضرر ولا تفويت حق، رقم:=

الله منهُ جَهَنَّمَ مسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ»(١).

وممَّا اختصَّ الله سبحانه وتعالىٰ به الصَّائم: ما وَرَد في القرآن من فَضائِلهم التي قال كثيرٌ من العُلماء في كثير منها: إنَّ المراد بها الصائمون.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴿١١٢﴾﴾(٢)، فُسِّر بالصَّائمين؛ لأنَّهم سَاحوا إلىٰ الله ﷻ، أي: وصلوا إليه سبحانه بسبب خروجهِم عن مَألوفاتهم ومُقاساتِهم عَناءَ الجوع والعَطش.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾(٣)، قيل: الصابرون هم الصَّائمون؛ لأنَّ الصَّبر اسمٌ من أسماء الصَّوم، فحينئذٍ. يُفرَغ للصائم من خَزائن الفَضلِ والجُود والكرم ما لا يُحصيه الحساب ولا يُقدِّره إلَّا ربُّ الأرباب، فتأمَّل.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾(٤)، قيل: عملهم الذي جُوزُوا عليه بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بَشَر، «هو الصوم».

= ٢٧٠٤، ٢٧٠٦، مسند أحمد، رقم: ١١٣٤٤، ١١٤٩٨، سنن النسائي: كتاب الصِّيام ـ باب ثواب من صام يوماً في سبيل الله ﷻ، وذكر الاختلاف علىٰ سهيل بن أبي صالح في الخبر في ذلك: (٤/١٧٢ ـ ١٧٣)، رقم: ٢٢٤٦، سنن ابن ماجه: كتاب الصِّيام ـ باب صيام يوم في سبيل الله، رقم: ١٧١٨، بلفظ: «من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً».

(١) سنن النسائي: كتاب الصِّيام ـ باب ذكر الاختلاف علىٰ سفيان الثوري فيه: (٤/١٧٤)، رقم: ٢٢٥٤. والتوفيق بين قوله: «سبعين خريفا»، وقوله: «مائة عام» بحمل أحد العددين أو كليهما علىٰ التكثير، أو أنه تعَالَىٰ زاد للصوم الأجر فأتم مائة بعدما كان سبعين. والله أعلم.

(٢) سورة التوبة.

(٣) سورة الزمر.

(٤) سورة السجدة.

واختص الله تعالىٰ الصائم بأن جعل حالَه كُله عبادةً وطاعةً، فهو إن صَمَتَ عن فُضول الكلام في طاعةٍ، وإن نام ليتقوَّىٰ علىٰ القيام في طاعةٍ أيضاً، رُويَ عنه ﷺ: «صَمتُ الصَّائِمِ تَسبِيحٌ، وَنومُهُ عِبَادَةٌ، ودُعاؤُهُ مُستَجَابٌ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ»[١].

قال السيوطي: قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: أمة النبي ﷺ، قد خصت من بين الأمم في شأن الدعاء، فقال تعالَىٰ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ۝٦٠﴾[٢]، وإنما كان ذاك للأنبياء، فأعطيت هذه الأمة ما أعطيت الأنبياء فلما دخل التخليط في أمورهم من أجل الشهوات التي استولت علىٰ قلوبهم حجبت قلوبهم، والصوم يمنع النفس عن الشهوات فإذا ترك شهوته من قلبه صفا القلب وصارت دعوته بقلب فارغ قد زايلته ظلمة الشهوات وتولته الأنوار، فإن كان ما سأل في المقدر له عجل، وإن لم يكن كان مدخراً له في الآخرة[٣].

ففي فطوره له فَرحةُ الشُّكر وهي عبادةٌ، وله في ذلك الوقت دعوة مُستجابةٌ، كما ثَبَت في الحديث: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِندَ فِطرِهِ لَدَعوَةً ما تُرَدُّ»[٤].

ولا يخلو أن يدخل في ذلك الوقت ضِمن الذين أسعدهمُ الله فكتبهم من العُتَقَاء من النَّار في تلك السَّاعة، كما ثبت في الحديث: «إِنَّ لله عِندَ كل فِطرٍ عُتَقَاءَ وَذَلِكَ في كل لَيلَةٍ»[٥].

---

(١) ينظر: كنز العمال: (٨/٢١٣)، ورسالتنا المسمَّاة "من أحوال رمضان وليلته المباركة".

(٢) سورة غافر.

(٣) شروح سنن ابن ماجه: (١/٦٩٠).

(٤) سنن ابن ماجه: كتاب الصِّيام ـ باب في الصائم لا ترد دعوته، رقم: ١٧٥٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. رواهُ الحاكم في "المستدرك" عن عبد العزيز بن عبد الرحمن الدباس، عن محمد بن علي بن زيد، عن الحكم بن موسىٰ، عن الوليد، حدثنا إسحاق فذكره، ورواهُ البَيهَقِي من طريق إسحاق بن عبيد الله. شروح سنن ابن ماجه: (١/٦٩٠).

(٥) سنن ابن ماجه: كتاب الصِّيام ـ باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم: ١٦٤٣ واللفظ له،=

وسُحورُه بركة، كما ثَبَت ذلك في الحديث الشَّريف[(١)] وصومه بعد ذلك ثوابه الجنَّة.

واختصَّ الله الصَّائم: بأن جعل لمن فَطَّره من الثَّواب الجزيل ما لا ينقُص من ثوابِ الصَّائم نفسه، وفي سبيل إكرام من أَكرم الصَّائم جعل هذا الثَّواب ولو كان علىٰ لُقمَةِ خُبزٍ، أو شَربة ماءٍ، كما قال أكملُ الرُّسل ﷺ: «مَن فَطَّرَ صَائِماً فِي شَهرِ رَمَضَانَ مِن كَسبٍ حَلَالٍ صَلَّت عَلَيهِ المَلَائِكَةُ لَيَالِيَ رَمَضَانَ كُلَّهَا وَصَافَحَهُ جِبرِيلُ لَيلَةَ القَدرِ، وَمَن صَافَحَهُ جِبرَيلُ عليه السلام يَرِقُّ قَلبُهُ وَتَكثُرُ دُمُوعُهُ»، قال: فقلت: يا رسول الله، مَن لم يكن عنده؟ قال: «فَقَبضَةٌ مِن طَعَامٍ»، قلت: أفرأيتَ إن لم يكن عندَه لقمةُ خبزٍ؟ قال: «فَمَذقَةُ لَبَنٍ»، قلت: أفرأَيتَ إن لم يكن عندَه، قال: «فَشَربَةٌ مِن مَاءٍ»[(٢)].

وفي روايةٍ أُخرىٰ عن سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه: «مَن فَطَّرَ فِيهِ صَائِمَاً كَانَ لَهُ مَغفِرَةً

= وعند الطبراني في المعجم الكبير: (٣٤٠/٨)، رقم: ١٦٤٣، بزيادة: «عتقاء من النار» دون قوله: «وذلك في كل ليلة»، ولفظه عند أحمد: «إن لله عز وجل عند كل فطر عتقاء» قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، رواهُ الطبراني في "الكبير" (٣٤٠/٨)، وقال الهيثمي (١٤٣/٣)، رواهُ أحمد والطبراني ورجاله موثقون، وكذا في "الترغيب" (١٠٣/٢، ١٠٤). انظر: المسند: (٢٣٤/١٦)، رقم: ٢٢١٠٢.

(١) عن أَنَسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَسَحَّرُوا، فإن في السُّحُورِ بَرَكَةً» ينظر: صحيح البخاري كتاب الصوم ـ بَاب بَرَكَةِ السَّحُورِ من غَيرِ إِيجَابٍ لأَنَّ النبي ﷺ وَأَصحَابَهُ وَاصَلُوا ولم يُذكَر السَّحُورُ، رقم: ١٩٢٣، صحيح مسلم: كتاب الصِّيام ـ بَاب فَضلِ السُّحُورِ وَتَأكِيدِ استِحبَابِهِ، وَاستِحبَابِ تَأخِيرِهِ وَتَعجِيلِ الفِطرِ، رقم: ٢٥٤٤.

(٢) قال المنذري: وفي أسانيدهم علي بن زيد بن جدعان ورواهُ بن حزيمة والبَيهَقِي أيضاً باختصار عنه من حديث أبي هريرة وفي إسناده كثير بن زيد كذا في "المرقاة" قلت: قال الحافظ في "التقريب": علي بن زيد بن جدعان، ضعيف وقال في "تهذيب التهذيب": قال الترمذي: صدوق إلا أنه ربما رفع الشيء الذي يوقفه غيره انتهىٰ. فعلي بن زيد هذا ضعيف عند الأكثر صدوق عند الترمذي. ينظر: تحفة الأحوذي: (٦١٩/٣).

لِذُنوبِهِ وَعِتقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثلُ أَجرِهِ مِن غَيرِ أَن ينتَقِصَ مِن أَجرِهِ شَيءٌ» قلنا: يا رسول الله، ليسَ كلُّنا نجِدُ ما نفطِّر بِه الصَّائم، فقال رسول الله ﷺ: «يُعطِي اللهُ هَذَا الثَّوابَ مَن فَطَّرَ صَائِمَاً عَلَىٰ مَذقَةِ لَبَنٍ، أَو تَمرَةٍ، أَو شَربَةٍ مِن مَاءٍ، وَمَن أَشبَعَ صَائِمَاً سَقَاهُ اللهُ مِن حَوضِي شَربَةً لا يَظمَأُ حتَّىٰ يَدخُلَ الجَنَّة»[(١)].

واختصَّ اللهُ الصَّائم: بأنَّه إذا أَكل عنده جماعةٌ مُفطِرونَ وهو يَشهد وينظر لا يمنَعُه من الأكلِ معهم إلَّا حُرمَة الصِّيام، فإنَّه تُصلِّي عليه الملائكة، أخرج الترمذي والنسائي وأحمد والدارمي أنه ﷺ قال: «إِنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيهِ المَلائِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِندَهُ حتَّىٰ يَفرُغُوا»، وَرُبَّمَا قال: «حتَّىٰ يَشبَعُوا»[(٢)].

وفضائلُ الصَّوم مُطلَقاً كثيرة فمنها: أنَّ الله تعالىٰ أضاف ثَوابه إليه دون سائرِ العباداتِ، فقال: «الصِّيام لِي وَأَنا أَجزِي بِهِ»[(٣)].

فاختصَّ الصَّوم عن بقية الأعمال بإضافته إلىٰ الله تعالىٰ إضافة تَشريف إعلاناً بأنَّ ثوابه وَصَل غايةً تَقصُر العُقول عن إدراكها.

وأيضاً؛ لأنَّه لم يَتَقَرَّب إلىٰ غير الله بالصَّوم لِذاته، وصوم أصحاب الهياكِل والاستخدامات للنُّجوم ليس لذات الهياكل والنجوم؛ لأنَّهم لا يَعتَقدون أنَّها فعَّالة بنفسها فصومُهم في الحقيقة لربِّها.

وأيضاً؛ لأنَّ الصَّوم إشارة إلىٰ سِرِّ صَمَدِيَّته تعالىٰ دون سائر العبادات.

---

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الصوم ـ باب ما جاء في الصائم إذا أُكل عنده، رقم: ٧٨٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن النسائي الكبرىٰ: كتاب الصِّيام ـ باب الصائم إذا أكل عنده، رقم: (١/٣٢٦٧)، مسند أحمد، رقم: ٢٦٩٤٠، سنن الدارمي: كتاب الصوم ـ باب الصائم إذا أكل عنده، رقم: ١٧٣٨.

(٣) سبق تخريجه: (ص ٥٠).

وأيضاً؛ لأنَّ الاستغناء عن الطَّعام وسائرِ الشَّهوات، من صفاته تعالىٰ، والصَّوم فيه نَوعٌ يوافقُها، فلذلك أضافه تعالىٰ إليه، ومن ثَمَّ قال القُرطبي: مَعناهُ أنَّ أعمال العباد مناسبةٌ لأحوالِهم، إلا الصَّوم فإنَّه مناسبٌ لصفةٍ من صفات الحقِّ، فكأنَّه تعالىٰ يقول: إنَّ الصَّائم يَتقرَّبُ إليَّ بأمرٍ هو مِن صِفاتي.

وأيضاً فإنَّ الصَّوم فيه تَركُ جميع حُظوظِ النَّفس وشهواتهَا الأصليَّة التي جُبِلَت علىٰ المَيل إليها لله تعالىٰ، ولا يُوجَد ذلك في عبادةٍ أُخرىٰ، ألا تَرَىٰ أنَّ الإِحرام بالحَجِّ أو العُمرة وإن حَرُم معه كثيرٌ من المبَاحات كالطِّيبِ، والنِّساء، والصَّيد، واللِّباس، إلَّا أنَّه لا يَحرُم معه الأكل والشُّرب الذي به قوامُ الحياة، وهذا.. وإن كان حُرم في الصَّلاة، إلا أنَّه لوقتٍ محدودٍ لا يتجاوزُ خمسَ دقائِق(١).

عَن مُعَاذِ بنِ جبَل رضي الله عنه قال: كُنتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فَأَصبَحتُ يَوماً قَرِيباً منه، وَنَحنُ نَسِيرُ، فَقُلتُ: يا رَسُولَ الله، أَخبرني بِعَمَلٍ يُدخِلُني الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُني من النَّارِ، قال: «لقد سَألتَني عن عَظِيمٍ(٢)، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ(٣) علىٰ من يَسَّرَهُ الله عليه، تَعبُدُ الله ولا تُشرِك بِهِ شيئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيتَ»، ثُمَّ قال: «ألا أَدُلُّكَ علىٰ أَبوَابِ الخَيرِ: الصَّومُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطفِئُ الخَطِيئَةَ، كما يُطفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ من جَوفِ اللَّيلِ»، قال: ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ۝١٦﴾ حتىٰ بَلَغَ: ﴿يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾(٤)، ثُمَّ قال: «ألا

(١) انظر إلىٰ كتاب: قل هذه سبيلي، وكتاب خصائص الأمة المحمدية: للسيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني رحمه الله.
(٢) أي: عن عمل عظيم فعلُهُ علىٰ النفوس.
(٣) أي: هين وسهل.
(٤) بقية الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾ السجدة.

أُخبِرُكَ بِرَأسِ الأَمرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ[(١)]، وَذِروَةِ سَنَامِهِ؟[(٢)]»، قلت: بَلَىٰ يا رَسُولَ الله، قال: «رَأسُ الأَمرِ: الإِسلامُ[(٣)]، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِروَةُ سَنَامِهِ: الجِهَادُ»، ثُمَّ قال: «أَلا أُخبِرُكَ بِمَلاكِ ذلك كُلِّهِ؟»، قلت: بَلَىٰ يا نَبِيَّ الله قال: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ[(٤)]، قال: «كُفَّ عَلَيكَ هَذَا»، فَقُلتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال: «ثَكِلَتكَ أُمُّكَ[(٥)] يا مُعَاذُ، وَهَل يكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِم، أَو عَلَىٰ مَنَاخِرِهِم إلا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِم[(٦)]»[(٧)].

ومن أراد المزيد، فليطَّلع علىٰ رسالتِنا السابعة المسمَّاة: "من أحوالِ رمضانَ، وليلتهِ المباركة".

---

(١) أي: بأصل كل أمر، (وعموده)، بفتح أوله أي: ما يقوم ويعتمد عليه.

(٢) بكسر الذال، وهو الأشهر، وبضمها، وحكي فتحها: أعلىٰ الشيء، والسنام بالفتح: ما ارتفع من ظهر الجمل قريب عنقه.

(٣) يعني: الشهادتين، وهو من باب التشبيه المقلوب؛ إذ المقصود تشبيه الإسلام برأس الأمر؛ ليشعر بأنه من سائر الأعمال بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه إليه، وعدم بقائه دونه.

(٤) أي: النبي ﷺ أخذ بلسان نفسه وقال له: "امسك عليك هذا".

(٥) فليس المراد به الدعاء عليه، وإنما المراد التعجب والتنبيه إلىٰ معرفة ما يلزم في الدين.

(٦) أي: محصوداتها، شَبَّهَ ما يتكلم به الإنسان، بالزرع المحصود بالمنجل، وهو من بلاغة النبوة، فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس، والجيد والردي، فكذلك لسان بعض الناس يتكلم بكل نوع من الكلام، حسناً وقبيحاً، والمعنىٰ: لا يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم من: الكفر، والقذف، والشتم، والغيبة، والنميمة، والبهتان، ونحوها، والاستثناء مفرغ، وهذا الحكم وارد علىٰ الأغلب، أي: علىٰ الأكثر؛ لأنك إذا جربت لم تجد أحداً حفظ لسانه عن السوء، ولا يصدر عنه شيء يوجب دخول النار إلا نادراً. ينظر: تحفة الأحوذي: (٧/٤٠١ ـ ٤٠٢).

(٧) سنن الترمذي: كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: ٢٦١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وحصائد الألسنة ما ينطق به: أي لا يكب الناس في النار علىٰ وجوهم غالباً إلا الكلام، ففيه تحذير من إطلاق اللسان فإن جرمه عظيم.

يا ربِّ

اللهُمَّ يا حنَّان ويا منَّان ويا دَيَّان ويا سُلطان ويا مُستعانُ يا الله، نسألُكَ اللَّهمَّ الأمانَ الأمانَ، من زوالِ الإيمانِ، والعفوَ عمَّا مضىٰ منَّا وكانَ، من الذُّنوبِ والزَّلَلِ والخطأِ والتَّقصير والعصيان، ونسألكَ اللَّهمَّ أن تجعَلَنا ووالدينا وجميع المسلمينَ بِمَنِّكَ وفضلِك ولطفِكَ من أهل الصِّيام والقِيام، ومن أهل الإخلاصِ والإنفاقِ، ومن عتقاءِ شهرِ رمضان، ومن عتقاءِ ليلةِ القَدر ـ ليلة القرآن ـ وتقَبَّل دعائنا، وتَوَلَّ أحوالنا، وصلِّ علىٰ نبيِّنا وحبيبنا وشفيعنا محمَّدٍ المصطفىٰ الأمين، وعلىٰ أهل بيت النَّبي، وأصحابِ رسول الله، وتابعيهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين.

اللهُمَّ إنِّي ظَلَمتُ نَفسِي ظُلماً كَثِيراً، ولا يَغفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ فَاغفِر لي مَغفِرَةً من عِندِكَ وَارحَمنِي إنَّكَ أنت الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.



ركن الحَـج

"الرُّكنُ الخامسُ": الحجُّ، ومعناه: القصدُ إلى الشَّيء المعظَّم، يقال: فلان حجَّ، أي: قصدَ أمراً عظيماً.

وشرعاً هو: انتقالٌ من مكانٍ إلى مكان، في زمانٍ معلومٍ، ووقتٍ محتومٍ، وأمرٍ مَرسومٍ، بحالةٍ مخصوصةٍ، وأحكامٍ منصوصةٍ، لا يتعدَّاها القائمُ في المكانِ والزَّمانِ اللَّازم.

أو هو: قصدٌ لبيت الله تعالى بصفةٍ مخصوصةٍ، في وقتٍ مخصوصٍ بشرائطَ مخصوصة.

والمقصود بالحجِّ في الحقيقة هو الله ﷻ، لا الزَّمان، ولا المكان، إنَّما أمر الله ﷻ في أحكامه وشعائره وآياته.

والحجُّ هو: فرضٌ فرضَهُ اللهُ، وجعلَ نُسَكَه قُربةً وهُدىً.

وحكمتُه: تقوى إلى سبيل رحمة الله وغفرانه، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۝٣٧﴾[1]، أي: يناله التَّقوى والإخلاص في أعمال حَجِّكم.

واعلم يا أخي: أنَّ الحجَّ هو الرُّكن الخامس، من أركان الإسلام، الذي فرضه الله على المسلمين؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ

(١) سورة الحج.

وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾(١)، أي: ولله على عباد الله فرضٌ لازم وهو: حجُّ بيتِ الله الحرام، بشرط الاستطاعة، وهي: الزَّاد والرَّاحلة؛ لِمَا روىٰ أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكرَّم الله وجهه، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «مَن مَلَكَ زَاداً وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إلىٰ بَيتِ الله ولم يَحُجَّ فلا عليه أَن يَمُوتَ يَهُودِيّاً أو نَصرَانِيّاً، وَذَلِكَ أَنَّ الله يقولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ ﴾»(٢).

وعن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه، قال خَطَبَنَا رسولُ الله ﷺ، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، قد فَرَضَ الله عَلَيكُمُ الحَجَّ، فَحُجُّوا»، فقالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يا رَسُولَ الله؟! فَسَكَتَ، حتَّىٰ قَالَهَا ثَلاثاً، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَو قُلتُ نَعَم؛ لَوَجَبَت(٣)، وَلَمَا استَطَعتُم»(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رَجُلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ الله ما يُوجِبُ الحَجَّ؟ قال: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ»(٥).

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الحج ـ باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج، رقم: ٨١٢، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعرِفُهُ إلا من هذا الوَجهِ وفي إِسنَادِهِ مَقَالٌ، وَهِلالُ بن عبد الله مَجهُولٌ وَالحَارِثُ يُضَعَّفُ في الحديث.

(٣) أي: لوجبت فرضية الحج، كل عام.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الحج ـ باب فرض الحج مرة في العمر، رقم: ٣٢٤٤، سنن النسائي: كتاب مناسك الحج ـ باب وجوب الحج، رقم: ٢٦١٩، سنن الترمذي: كتاب الحج ـ باب ما جاء كم فرض الحج، رقم: ٨١٤، وفي مسند أحمد: (١٨٧/٣)، رقم: ٢٦٤٢، والحاكم في "المستدرك" (٣٢١/٢)، والبَيهَقِي في "سننه الكبرىٰ" (٣٢٦/٤)، رقم: ٨٤٠٠، بلفظ: «لو قُلتُهَا لَوَجَبَت، وَلَو وَجَبَت لم تعمَلُوا بها، ولم تَستَطِيعُوا أن تعمَلُوا بها، الحَجُّ مَرَّةٌ، فَمَن زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٥) سنن الترمذي: كتاب الحج ـ باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة، رقم: ٨١٣، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَالعَمَلُ عليه عِندَ أَهلِ العِلمِ؛ أَنَّ الرَّجُلَ إذا مَلَكَ زَاداً وَرَاحِلَةً، وَجَبَ=

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ الأَقرَعَ بن حَابِسٍ رضي الله عنه سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ قال: يا رَسُولَ الله، الحَجُّ في كلِّ سَنَةٍ أو مَرَّةً وَاحِدَةً؟ قال: «بَل مَرَّةً وَاحِدَةً[(١)] فَمَن زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»[(٢)].

وعَنهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَن أَرَادَ الحَجَّ فَلْيَتَعَجَّل[(٣)]»، رواهُ أبو داودَ، وابنُ ماجه، وأحمدُ، وزاد: «فَإِنَّه قَد يَمرَضُ المَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعرِضُ الحَاجَةُ»[(٤)].

وقال أكملُ الرُّسُل ﷺ: «مَن مَاتَ وَلَم يَحُجَّ[(٥)] حَجَّةَ الإسلَامِ، لَم يَمنَعهُ مَرَضٌ حَابِسٌ، أَو حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ، أَو سُلطَانٌ جَائِرٌ، فَلْيَمُت عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ شَاءَ،

= عليه الحَجُّ. وَإِبرَاهِيمُ: هو بن يَزِيدَ الخُوزِيُّ المَكِّيُّ، وقد تَكَلَّمَ فيه بَعضُ أَهلِ العِلمِ، من قِبَلِ حِفظِه. سنن ابن ماجه: كتاب المناسك ـ باب ما يوجب الحج، رقم: ٢٨٩٦، الحديث الثاني بسند حسن، والأول من عدة طرق تصل به إلىٰ درجة الحسن.

(١) استدل به الشافعية أن المرتد إذا حج في الإسلام ثم ارتد ـ والعياذ بالله ـ لا يعيده، خلافاً لمالك وأبي حنيفة إذ قالا: بطل حجه، وعليه الإعادة، كذا في المنهل: (١٠/٢٥٧ ـ ٢٥٨). ينظر: بذل المجهود: (٧/٨).

(٢) سنن أبي داود: كتاب المناسك ـ باب فرض الحج، رقم: ١٧٢١، سنن ابن ماجه: كتاب المناسك ـ باب فرض الحج، رقم ٢٨٨٦، المستدرك: (١/٦٠٨)، رقم: ١٦٠٩، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسنَادِ.

(٣) الأمر للوجوب أو للندب، فعلىٰ الأول يكون الحج واجباً علىٰ الفور عند الاستطاعة وعليه الجمهور، والأئمة الثلاثة، وعلىٰ الثاني يكون واجباً علىٰ التراخي، وعليه الشافعي والأوزاعي وأبو يوسف ومحمد وبعض أهل البيت، لأن النبي ﷺ حج سنة عشرة مع أنه فرض في الخامسة أو السادسة. التاج الجامع للأصول، في أحاديث الرسول: (٢/١٠٩).

(٤) سنن أبي داود: كتاب المناسك، رقم: ١٧٣٢، سنن ابن ماجه: كتاب المناسك ـ باب الخروج إلىٰ الحج، رقم: ٢٨٨٣، بسند حسن ينظر: شروح ابن ماجه: (٢/١٠٩٣)، مسند أحمد: (٢/٤١٧)، رقم: ١٨٣٤.

(٥) حتَّىٰ مات ولا عذر له، وهذا وعيد شديد علىٰ ترك الحج، فهو يفيد فرضيته.

يَهُودِيّاً، أَو نَصرَانِيّاً»[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ٣٠﴾[(٢)].

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾، أي: أعلمهم به، وادعوهم إليه، وبلغ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته ﴿بِٱلۡحَجِّ﴾، أي: بدعوة الحجِّ والأمر به؛ قال ابنُ عبد البَرِّ: قال جماعة من العلماء: معنىٰ التَّلبية إجابة دعوة إبراهيم حين أذَّن في النَّاس بالحجِّ.

قال الحافظ: وهذا أخرجهُ عَبدُ بنُ حُمَيدٍ، وابنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتِم في "تفاسيرهم" بأسانيد قويَّة؛ عن ابن عبَّاس، ومجاهد، وعطاء، وعِكرمة، وقتادة وغير واحد، وأقوىٰ ما فيه.. ما أخرجه أحمدُ بنُ مُنِيعٍ في مُسنده، وابن أبي حاتِم من طريق قابوسِ بن أبي ظَبيَان عن أبيه عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لمَّا فرغ إبراهيم

(١) مصنف ابن أبي شيبة: (٣/٣٠٥)، رقم: ١٤٤٥٠، قال الإمام الشوكاني في نيل الأوطار، (٨/١٣): وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً، وبذلك يتبين مجازفة ابن الجوزي في عده لهذا الحديث من الموضوعات، فإن مجموع تلك الطرق لا يقصر عن كون الحديث حسن لغيره، وهو محتج به عند الجمهور، ولا يقدح في ذلك قول العقيلي والدار قطني لا يصح في الباب شيء لأن نفي الصحة لا يستلزم نفي الحسن، وقد شد من عضد هذا الحديث الموقوف الأحاديث المذكورة في الباب قال الحافظ: وإذا انضم هذا الموقوف إلىٰ مرسل ابن سابط علم أن لهذا الحديث أصلاً، ومحمله علىٰ من استحل الترك ويتبين بذلك خطأ من ادعىٰ أنه موضوع.

(٢) سورة الحج.

من بناء البيت، قيل له: «أذِّن في النَّاسِ بالحَجِّ، قال: يا رَبِّ، وَمَا يَبلغُ صوتِي، قال: أذِّن وعلَيَّ البَلاغ» قَالَ: فَنَادَىٰ إبراهيمُ: يا أيّها النَّاس كُتِب عليكُم الحَجُّ إلىٰ البيتِ العَتيق فَسَمِعَهُ مَن بين السَّماء والأرض أفَلا ترَون النَّاس يُجيبُون مَن أقصىٰ الأرض يُلَبُّون[(١)].

وفي "الخصائص الصُّغرىٰ" وافترض علىٰ هذه الأُمَّة ما افترض علىٰ الأنبياء والرُّسل، وهو: الوُضوء، والغُسل من الجنابة، والحجُّ، والجِهاد، وما وجب في حقِّ نبيٍّ وجبَ في حقِّ أُمَّته، إلا أن يقوم الدَّليل الصَّحيح علىٰ الخصوصيَّة[(٢)].

﴿يَأْتُوكَ﴾ ليزوروا بيتي، ويطوفوا حوله.

﴿رِجَالًا﴾ مُشاةً إن كانوا من الأداني.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أي: ركباناً، والضَّامر: البعير سواء كان ذكراً أو أنثىٰ، تقطع المَهامِه والمَفَاوز، وتواصل السَّير، حتَّىٰ تأتي إلىٰ أشرف الأماكن؛ قال أكملُ الرُّسل ﷺ: «مَن حَجَّ مِن مَكَّةَ مَاشِياً حتَّىٰ يَرجِعَ إلَىٰ مَكَّةَ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطوَةٍ سَبعَمائَةِ حَسَنَةٍ، كُلُّ حَسَنةٍ مِثلُ حَسَنَاتِ الحَرَمِ»، قِيلَ: وَمَا حَسَنَاتُ الحَرَمِ؟ قالَ: «بِكُلِّ حَسَنَةٍ مِائَةُ الفِ حَسَنَةٍ»[(٣)].

---

(١) شرح الزرقاني: لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني: (ت: ١١٢٢هـ)، (٢/٣٢٥)، وقال أيضاً: ومن طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وفيه: فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء وأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج يحج من يومئذ إلىٰ أن تقوم الساعة إلا من كان أجاب إبراهيم يومئذ.

(٢) ينظر: السيرة الحلبية: لعلي بن برهان الدين الحلبي: (ت: ١٠٤٤هـ)، (١/٢٦١)، تفسير روح البيان: (٦/٢٤، ٢٥).

(٣) قال المنذري في الترغيب والترهيب، (٢/١٦٧): رواهُ ابن خزيمة في "صحيحه" والحاكم كلاهما من رواية عيسىٰ بن سوادة، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال ابن خزيمة: إن صح الخبر، فإن في القلب من عيسىٰ بن سوادة. قال الحافظ: قال البخاري: هو منكر الحديث.

﴿يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾، أي: من كلِّ طريقٍ بعيدٍ، وقد فعل الخليل عليه السلام وابنه الأعظم نبيّنا محمَّد ﷺ، فدَعَوَا النَّاس إلىٰ حجِّ هذا البيت العتيق، فأبدَيا وأعَادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه النَّاس رجالاً ورُكباناً من مشارق الأرض ومغاربها.

﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾، أي: لينالوا من بيت الله الحرام منافع دينيَّة من العبادات الفاضلة، التي لا توجد في غيرها من العبادات، ومنافع دنيويَّة؛ من الكسب والأرباح الماليَّة.

﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾، أي: أن يداوموا علىٰ ذكر الله، ويذبحوا الهدي ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾، وهي: العشرة من ذي الحَجَّة، أو من عرفات، أو النَّحر إلىٰ آخر أيَّام التَّشريق ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ من الإبل، والبقر، والغنم التي تُنحر هدياً وضحايا يوم العيد وما بعده ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾، أي: من لحومها إذا كانت تطوُّعاً ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾، أي: أطعموا منها البائس الذي أصابه بؤس شديد، والفقير الذي أضعفه الإعسار.

﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾، أي: يقضوا نسكهم، ويزيلوا الوَسَخ والأذىٰ، الذي لحقهم في حال الإحرام، أي: بعد الذَّبح، وذلك بالحَلقِ والتَّقصير، وإزالة الشَّعَثِ، وقصِّ الشَّارب والأظافر.

﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ التي أوجبوها علىٰ أنفسهم، من الحج، والعمرة والهدايا.

﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾، أي: طواف الإفاضة، وهو طواف الزِّيارة، الذي هو من "أركان الحجِّ"، وبه تمام التَّحلُّل من الإحرام ﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾، أي: القديم، سمِّي

به لأنَّه أوَّل بيتٍ وضع للنَّاس، وهو أفضل المساجد، قال رسول الله ﷺ: «إنَّما سَمَّىٰ الله البَيتَ العَتِيقَ؛ لأنَّهُ أَعتَقَهُ مِنَ الجَبابِرَةِ، فَلَم يَظهَر عَلَيهِ جَبّارٌ قَطُّ»(١).

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾، أي: الذي ذكرنا لكم من تِلكُم الأحكام، وما فيها من تعظيم حرُمات الله وإجلالِها، وتكريمها؛ لأنَّ تعظيم حرمات الله من الأمور المحبوبة لله، المقرِّبة إليه، التي مَن عظَّمها وأجلَّها، أثابه الله ثواباً جزيلاً، وكانت خيراً له في دينه ودنياه وأُخراه عند ربِّه ﷻ.

وحرمات الله: كلُّ ما له حُرمَة، وأُمِر باحترامه، بعبادةٍ أو غيرها، كالمناسِك كلِّها، وكالحرَم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها.

فتعظيمُها: أجلالُها بالقلبِ، ومحبَّتُها تكميلُ العبوديَّة فيها، غير متهاونٍ، ولا متكاسِل، ولا متثاقِل؛ وهي سرٌّ لقبول العبادة؛ قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾(٢)، فذكر التقوىٰ مع ذكر القلب عن الله تعالىٰ علامةُ القبول؛ وتخصيصها بالإضافة؛ لأنَّها مركز التَّقوىٰ التي إذا ثبتت فيها وتمكَّنت.. ظهر أثرها في سائر الأعضاء.

قال الإمام الجُنيدُ: من تعظيم شعائر الله.. التوكُّل والتَّفويض والتَّسليم، فإنَّها من شعائر الحقِّ ﷻ في أسرار أوليائه، فإذا عظَّمه وعظَّم حرمته ـ زيَّن الله ظاهره بفنونِ الآداب(٣).

(١) رواهُ البخاري في التاريخ الكبير: (٢٠١/١)، وقال: قاله لنا عبد الله بن صالح عن الليث عن عبد الرحمن بن خالد عن الزهري، سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة الحج، رقم: ٣١٧٠، وقال: حسن غريب، المستدرك: (٤٢١/٢)، رقم: ٣٥١٦، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط البخاري ولم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: علىٰ شرط مسلم.
(٢) سورة الحج.
(٣) روح البيان: (٣٢/٦).

أي أخي: اعلم أنَّ هذا هو الحجُّ: المؤتمرُ الأكبرُ الذي يضمُّ شتَات المسلمين من كلِّ فجٍّ عميقٍ يجتمعون في صعيدٍ واحد، وفي أيَّام معلومات، يستهدون من الله تعالىٰ، ويطَهِّرون نفوسهم من أَدرانِ المادَّة والدُّنيا ومتاعها، ويستلهِمُون معاني القوَّة والاتِّحاد، والأُلفِ والتَّعاون والإخاءِ في سبيل الله تعالىٰ.

يشهدونَ منافع لهم دون غيرهِم، منافع عامَّة، منافع كثيرة في الدُّنيا والآخرة.

وإنَّ من يوفَّق لأداء فريضة الحجِّ يرىٰ نفسه أنَّ الحجَّ فيه منافع، وأيُّ منافع؟ فالدَّولة تنفق الأموال، وتُطلِق الألسِنةَ، وتحشُد الجُموع لحضور مؤتمرٍ لها، ولكن أيحضرُ النَّاس بقلوبهِم؟ معتقدينَ في ذلك رضاءً لربِّهم؟ كلَّا!!

ولكن في هذا المؤتمر العامِّ يحضرُ المسلمونَ ملبِّين دعوةَ الله، مجتمعينَ بقلوبهم، باذلينَ أموالَهم علىٰ فقرائهم متعاونينَ مُتساندِين متعارفينَ متحابِّين، يشعرونَ بالأُلفة، والمحبَّة، والإخاء لكلِّ مسلمٍ في مشارق الأرض ومغاربها(١).

واعلم أيُّها القارئ الكريم: أنَّ في الحجِّ عبادةٌ وفضائلُ لم تكن في غيره، جسديَّةً، وماليَّةً، وروحيَّةً.

أمَّا الجسديَّة؛ فكما قال أكملُ الرُّسل ﷺ: «جِهَادُ الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالمَرأَةِ الحَجُّ وَالعُمرَةُ»(٢)، وقال ﷺ: «وَفدُ الله ثَلاثَةٌ الغَازِي وَالحَاجُّ وَالمُعتَمِرُ»(٣).

(١) ينظر: تفسير الواضح: (١٧/٥٤).

(٢) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وصححه الهيثمي: (٣/٢٠٦)، وقال: رجاله رجال الصحيح، ورواهُ النسائي في الحج ـ فضل الحج: (٥/١١٤) بلفظ قريب، والبَيهَقِي: (٩/٢٣) في الحج ـ من قال بوجوب العمرة، قوله: إن كان قاله ليس تشكيكاً وإنما هي تبرئة للنفس، ينظر: المسند: (٩/٢١٢)، رقم: ٩٤١٣.

(٣) سنن النسائي: (٥/١١٣)، رقم: ٢٦٢٥، صحيح ابن حِبَّان: (٩/٤٤٧)، رقم: ٣٦٩٢، المستدرك: (١/٦٠٨)، رقم: ١٦١١، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

وأما الماليَّة: فَعَن عَبدِ الله بنِ بُرَيدَةَ عَن أَبِيهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «النَّفَقَةُ فِي الحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ الله بِسَبعِ مِائَةِ ضِعفٍ»(١).

وأمَّا الروحيَّة: كمَا وردَ في الخَبرِ: فَجعَلَ اللهُ الحجَّ رهبانيَّةَ هذهِ الأمَّة، وَسَأَلَ أهلُ المِلَلِ رسولَ الله عن الرَّهبانيَّة والسِّياحَة، فقال ﷺ: «أَبدَلَنَا اللهُ بِهَا الجِهَادَ وَالتَّكبِيرَ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ»(٢)، يعني: الحَجَّ.

وعَنِ السَّائِحِينَ، فَقَالَ ﷺ: «هُمُ الصَّائِمُونَ»(٣).

والحجُّ كلُّه عبادةٌ كالصَّلاةِ والصَّومِ، أمَّا الصَّلاة: فقد قال رسول الله ﷺ: «الطَّوَافُ بِالبَيتِ صَلاةٌ فَأَقِلُّوا(٤) مِن الكَلامِ»(٥)، وفي روايةٍ: «الطَّوَافُ بِالبَيتِ صَلاةٌ، إِلا أَنَّ الله أَحَلَّ فِيهِ المَنطِقَ، فَمَن نَطَقَ فِيهِ فَلا يَنطِق إِلا بِخَيرٍ»(٦).

---

(١) مسند أحمد: (١٦/٤٩٤)، رقم: ٢٢٨٩٦، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، سنن البَيهَقِي الكبرىٰ: (٤/٣٣٢)، رقم: ٨٤٣٢، مسند الرُّوياني: لأبي بكر محمد بن هارون الروياني الرازي الآملي الطبري: (ت٣٠٧هـ)، (١/٣٧)، رقم: ٦٥.

(٢) رواهُ أبو داود من حديث أبي أمامة، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والبَيهَقِي في "الشعب" من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) المستدرك: (٢/٣٦٥)، رقم: ٣٢٨٨ وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه علىٰ أنه مما أرسله أكثر أصحاب ابن عيينة ولم يذكروا أبا هريرة في إسناده، سنن البَيهَقِي الكبرىٰ: (٤/٣٠٥)، رقم: ٨٢٩٧.

(٤) أي فلا تكثروا فيه الكلام، وإن كان جائزا؛ لأن مماثلته بالصلاة يقتضي أن لا يتكلم فيه أصلاً كما لا يتكلم فيها، فحين أباح الله تعَالَىٰ فيه الكلام رحمة منه تعَالَىٰ علىٰ العبد؛ فلا أقل من أن يكثر فيه ذلك.

(٥) سنن النسائي: كتاب مناسك الحج ـ إباحة الكلام في الطواف: (٣/٢٢٢)، رقم: ٢٩٢٠، وهو حديث صحيح.

(٦) سنن الدارمي: كتاب المناسك ـ باب الكلام في الطواف، رقم: ١٨٤٧، صحيح ابن حِبَّان: (٩/١٤٣)، رقم: ٣٨٣٦، سنن البَيهَقِي الكبرىٰ: (٥/٨٧)، رقم: ٩٠٨٦، مصنف ابن أبي شيبة:=

أمَّا الصِّيام: فإنَّ إمساك الحاجِّ المُحرِمِ يتعدَّىٰ حتَّىٰ عن المخِيطِ والطِّيبِ، والنِّساء، وغيرِ ذلك.

أي أخي: اعلم أنَّ الحاجَّ مستجابَ الدَّعوة: كما قال أكملُ الرُّسل ﷺ: «الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفدُ الله دَعاهُم فأجابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعطاهُم»، رواهُ البزَّار[1]، وفي روايةٍ لابن ماجه: «الغَازِي فِي سَبِيلِ الله وَالحَاجُّ وَالمُعتَمِرُ وَفدُ الله دَعَاهُم فَأَجَابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعطَاهُم»[2].

"أي عَزِيزي": واعلم جيداً: أنَّ للحجِّ سِرّاً انفرد به دون الأركان الأربعة، وهو: أنَّ الذُّنوب تُغفَرُ في الأركان الأربعة، وهي الصَّغائر علىٰ العموم، إلا الحجَّ، فإنَّ الله يغفر للحاجِّ المقبولِ ذنوبَه الصَّغائر والكبائر؛ لقول الرَّسول الكريم ﷺ: «مَا مِن مُحرِمٍ يَضحَىٰ لله يَومَهُ يُلَبِّي حتَّىٰ تَغِيبَ الشَّمسُ إلا غَابَت بِذُنُوبِهِ فَعَادَ كَمَا وَلَدَتهُ أُمُّهُ»[3].

= (٣/١٣٧)، رقم: ١٢٨٠٨، المستدرك: (٢/٢٣٩)، رقم: ٣٠٥٥. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٣/٤٨٤): رواهُ البزار، ورجاله ثقات.

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب المناسك ـ بابُ فضلِ دعاءِ الحاج، رقم: ٢٨٩٣، قال البوصيري: هذا إسناد حسن. عمران مختلف فيه. رواهُ ابن حِبَّان في "صحيحه" عن الحسن بن سفيان، عن الحسن بن سهل، عن عمران بن عيينة، فذكره بإسناده ومتنه. ورواهُ البَيهَقِي من هذا الوجه فوقفه ولم يرفعه. وروىٰ النسائي في "الصغرىٰ" الشطر الأول من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ينظر: شروح سنن ابن ماجه: (٢/١٠٩٨).

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب المناسك ـ باب رفع الصوت بالتلبية، رقم: ٢٩٢٢، واللفظ له، ولفظه عند أحمد: "من أَضحَىٰ يَوماً مُحرِماً مُلَبِّياً حتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمسُ غَرَبَت بذنوبه كما وَلَدَتهُ أُمُّهُ"، قال حمزة أحمد الزين: إسناده ضعيف، لأجل عاصم بن عبيد الله، والحديث يشهد له ما رواهُ مسلم بلفظ آخر: "من أتىٰ هذا البَيتَ فلم يَرفُث ولم يَفسُق رَجَعَ كما وَلَدَتهُ أُمُّهُ" صحيح مسلم: (٢/٩٨٣)، رقم: ١٣٥٠ ومكرراته، ومع هذا فقد حسنه السيوطي بلفظه في الجامع الصغير: (٦/٦٩)، رقم:=

وعَن العَبَّاسِ بنِ مِردَاسٍ السُّلَمِيُّ أَنَّ أَبَاهُ أَخبَرَهُ عَن أَبِيهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالمَغفِرَةِ فَأُجِيبَ: «إِنِّي قَد غَفَرتُ لَهُم مَا خَلا الظَّالِمَ، فَإِنِّي آخُذُ لِلمَظلُومِ مِنهُ، قَالَ: أَي رَبِّ، إِن شِئتَ أَعطَيتَ المَظلُومَ مِن الجَنَّةِ، وَغَفَرتَ لِلظَّالِمِ فَلَم يُجَب عَشِيَّتَهُ، فَلَمَّا أَصبَحَ بِالمُزدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ، فَأُجِيبَ إِلَىٰ مَا سَأَلَ. قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ أَو قَالَ: تَبَسَّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ: بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي، إِنَّ هَذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنتَ تَضحَكُ فِيهَا، فَمَا الذي أَضحَكَكَ أَضحَكَ الله سِنَّكَ؟ قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ الله إِبلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الله ﷻ قَد استَجَابَ دُعَائِي، وَغَفَرَ لأُمَّتِي، أَخَذَ التُّرَابَ فَجَعَلَ يَحثُوهُ عَلَىٰ رَأسِهِ وَيَدعُو بِالوَيلِ وَالثُّبُورِ، فَأَضحَكَنِي مَا رَأَيتُ مِن جَزَعِهِ»(١).

إذن: لا غرابَةَ بعد هذه الخصائص والمزايا التي امتاز بها الحاج في أن يحرص المُسلم كلَّ الحِرص وتشتدُّ رَغبته ويَعظُم طلبُه ويجتهد في حضور هذه المشاهد وإدراكُ هذه الخصائص، ولو كان من أهل الأعذار الذين قد قضوا فرضَهم، وأكثَروا من التَّطوع بهذا النُّسُك الشَّريف ما لم يكن هناك أمور أولىٰ من نافلةِ الحجِّ كتجهيز

= ٨٤٦١ (فيض)، وعزاه لأحمد وابن ماجه وهو عند ابن ماجه: (٢/٩٧٦)، رقم: ٢٩٢٥، وكذلك عند البَيهَقِي: (٥/٤٣)، وأبي نُعيم في "الحلية": (٩/٢٢٩)، ولكن ضعفه البوصيري في "الزوائد"، وكذا ابن عدي في "الكامل": (٥/٢٣١)، وليس علىٰ السيوطي ملام في تحسينه لأنه نظر إلىٰ شواهده، ونحن أمامنا إسناد، وكلامنا علىٰ الإسناد، وأما المتن فيرقىٰ إلىٰ الحسن بلا جدال. ينظر: المسند: (١٢/٤٨)، رقم: ١٤٩٤٨.

(١) قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن رواته مقبولون، إبراهيم بن الحجاج الناجي السامي أبو إسحاق البصري ثقة له بعض الأوهام وهو أحسنهم حالاً، وحديثه يرقىٰ إلىٰ الصحيح، وعبد القاهر بن السري السلمي أبو رفاعة ـ أو بشر ـ البصري مقبول عندهم، وعبد الله بن الكنانة بن العباس بن مرواس قال البغوي لم يصح حديثه، وقال البوصيري والهيثمي والمنذري لم يجرحه أحد غير البخاري، والحديث عند ابن ماجه (٢/١٠٠٢)، رقم: ٣٠١٣ في المناسك ـ الدعاء، وذكر في الزوائد الخلاف فيه، والبَيهَقِي: (٥/١١٨) وذكر له شواهد كثيرة، كذا المنذري: (٣/٢٠٣) وأكثر من شواهد، وألمح إلىٰ أنه يرقىٰ بشواهده. ينظر: المسند: (١٢/٤٩١)، رقم: ١٦١٥٩.

غازٍ، وكنفقةِ من تلزم نفقته من الأقارب، أو إعانةُ مسكين، ومُدَانٍ، ومبتلَىٰ وغير ذلك، للحديث: «خَيرُ الإسلَامِ: إِطعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفشَاءُ السَّلامِ»[١]، وليس المرادُ تفضيل هاتين الخَصلَتين علىٰ سائر خصالِ الإسلام؛ من الشَّهادتين والصَّلاة وغيرهما، بل المراد أنَّ أفضل أهل الإسلام القائمين بخصالهِ المفروضة من الشَّهادتين والصَّلاة والصِّيام والحجِّ من قام بعد ذلك بإطعام الطَّعام وإفشاء السَّلام.

فإن قيل: فيكون التَّطوع بذلك أفضل من التَّطوع بالجهاد والحجِّ، قيل: فيه تفصيلٌ: فإن كان إطعام الطَّعام فرض عين، كنفقة من تلزم نفقته من الأقارب.. فلا ريب أنَّه أفضل من التَّطوع بالنَّفقة في الجهاد والحجِّ، نصَّ عليه أحمدُ، وكذا إن كان في عام "مَجَاعَةٍ" ونحوها، فهو أفضلُ من الحجِّ عند الإمامِ أحمدَ، وقد يُقال في الجهاد كذلك إذا لم يتَعَيَّن.

هذا الكلام كله في تفضيل بعض الأعمال علىٰ بعض لِذاتها، فأمَّا تفضيل بعض الأعمال علىٰ بعضٍ لزمانها، أو مكانها، فإنَّه قد يقترِن بالعمل المفضول من زمانٍ، أو مكانٍ ما يصير به فاضلاً[٢].

نقول للَّذين يتكلَّفون ويَتَشَكَّون من مشقَّة الطَّريق وأَتعابِ الحَجِّ؛ قِصَّتان: قال بعضهم: رأيتُ في الطَّواف كهلاً وقد أجهَدَته العبادةُ وبيده عصاً وهو يطوف مُعتمداً عليها، فقال لي: في كم تقطعون هذا الطَّريق؟ قلت: في شهرين، فقال: فهل تَحجُّون كلَّ عامٍ؟ فسكتَ، فسألته: وكم بينكم وبين هذا البيت؟ قال: مسيرةُ خمسِ سنينَ، فقلت: والله هذا هو الفضلُ المبينُ، والمحبَّة الصَّادقة فضحكَ، وأنشأ يقولُ[٣]:

---

(١) سبق تخريجه في (ص ١٢٩).
(٢) ينظر: فتح الباري: لابن رجب، (٣/٤٩).
(٣) ينظر: تفسير النسفي: (٣/٨٥).

زُر مَن هَوَيتَ وإن شَطَّت بِكَ الدَّارُ ❁ وحالَ مِن دونِهِ حُجُبٌ وأَستَارُ
لا يَمنَعَنَّكَ بُعدٌ عَن زِيَارتِهِ ❁ إنَّ المُحِبَّ لِمَن يَهواهُ زَوَّارُ

وقِصَّة عن شقيقٍ البَلخيِّ رضي الله عنه، قال: رأيتُ في طريق مكَّةَ مُقعَداً يَزحف على الأرض، فقلت له: من أين أَقبلت؟ قال: من سَمَرقَند، قلت: كم لكَ في الطَّريق فذكر أعواماً تزيدُ على العَشَرة، فرفعت طَرفي أنظر إليه مُتَعجِّباً، فقال: يا شقيقُ مَالَكَ تَنظُر إليَّ مُتعجّباً؟ فقلت: أتعجَّب من ضَعف مُهجَتك وبُعد سفرِك، فقال: يا شقيق: أمَّا بُعدُ سفَري فالشَّوق يقوِّيه، وأمَّا ضَعفُ مُهجَتي فمولاي يَحمِلُها، يا شقيقُ أتعجبُ من عبدٍ يحملُه المولى اللَّطيف، فمن وصلَ إليه بشارةُ الله بفضله وجودهِ هانَ عليه بذلُ وجودِه، وأنشأ يقول[1]:

أَزُورُكُم والهَوَى صَعبٌ مَسَالِكُهُ ❁ والشَّوقُ يَحمِلُ والآمَالُ تُسعِدُهُ
لَيسَ المُحِبُّ الذي يَخشَى مَهَالِكُهُ ❁ كَلَّا ولا شِدَّةُ الأسفَارِ تُبعِدُهُ

"أي أخي وعزيزي": مِن الأمور الأُخرى بدينِ الله عز وجل على غير ما ذكرنا في الأركان الخمسة، وهي: أداء حقوقِ العِباد الماليَّة، والثابتة في الذِّمَّة، والتي دخلت عليك من غير طريقٍ شرعي، والعدل في المبادلات الماليَّة، والمعاملات دون ظُلمٍ، ولا بَخسِ حقٍّ، ولا غِشٍّ، ولا تطفيفِ كَيلٍ، ولا نقصِ وزنٍ، ولا تدليسِ عَيبٍ، ولا قولِ كذبٍ، ولا خيانةِ أمانةٍ، ولا إخلافٍ في وعدٍ، ولا نقضِ عهدٍ، ولا رجوع عن عقدٍ بعد إبرامِهِ دونَ خيارٍ.

ومن الواجبات: إغاثةُ الملهوف، ونُصرةُ المظلوم، وإغاثةُ الضَّعيف، وصِلَةُ الرَّحم، وردُّ السَّلام، وحُسنُ اللَّقاء، ومعاملةُ النَّاس بخلُقٍ حَسنٍ، والنَّصيحةُ لعبادِ

(١) تفسير روح البيان: (٨/٢٣٨).

الله تعالىٰ وحبُّ الخيرِ لهم كما تحِبُّ لنفسِكَ.

ومن الواجبات: حُسنُ القيامِ بحقوقِ الزَّوجية الواجبةِ علىٰ الزَّوجين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٢٨﴾[1]، والملاطفَةُ في المعاشرة الزَّوجية، وحُسنُ الجوار، والبعدُ عمَّا يؤذِيهم.

ومن الواجبات الإسلاميَّة: تحسينُ الظَّنِّ بالمُسلمينَ ما لم يشاهَد منهم غير ذلك، والسَّتر علىٰ العُصاة المُستَتِرين، والنُّصح لهم مع الدُّعاء لهم بالعافيةِ من ذُنوبهم.

ومن الحقوقِ الواجبةِ علىٰ الإنسان: حقوقُ الحيواناتِ، فيجب علىٰ الإنسانِ الرِّفقُ بالحيوان، فلا يُجيعُهُ، ولا يوجعُهُ، ولا يُتعبُهُ، ولا يُزعجُهُ، ولا يُحمِّلُه فوق طاقته، ولا يؤذيهِ بنفسهِ، ولا في أولادِه، سواء في ذلك البهائمُ والطُّيور وغيرهما؛ لِمَا روىٰ الإمامُ أحمدُ وغيرهُ عَن أَبِي الدَّرداءِ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَو غُفِرَ لَكُم مَا تَأْتُونَ إِلَىٰ البَهَائِمِ لَغُفِرَ لَكُم كَثِيراً»[2]، أي: لأنَّكم قد تغفلون عن أداء حقوقِها.

ومن الفروض الإسلاميَّة: إبعادُ النَّفس عن المحرَّمات، وهي كثيرةٌ، فمنها: الرِّبا، والزِّنا، والخَمر، والمَيسِر، والغَصبُ، والظُّلم، وشهادة الزُّور، واليَمين الغَموس، وقولُ الزُّور، وانتهاكُ الأعراض بالقذف ونحوه، والسِّباب، والتَّعييرُ، والتَّفسيقُ، والتَّبديع، والتَّكفير من غير دليلٍ قطعيٍّ ثابتٍ شرعاً، وتَتَبُّع عورات النَّاس وزلَّاتهم وأخطائِهم وهَفَواتِهم؛ والسَّبُّ والشَّتم، واللَّعن، وكشفُ سترِ المُسلم، والغِيبة، والنَّميمة، وسوء الظَّن، والسُّخرية بعباد الله تعالىٰ واحتقارهم،

(١) سورة البقرة.

(٢) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وقال في "المجمع" (١٠/١٩١): إسناده جيد، وكذا في (١٠/٢١٧)، وانظر الترغيب (٣/٣١٣). ينظر المسند: (١٨/٥٦٥)، رقم: ٢٧٣٥٩.

والتَّكبُّر، والعُجُبُ، والرِّياء، والسُّمعةُ، والغُرورُ، وحبُّ الظُّهور والمفاخرة أو المُكاثرة بالمال، وحبُّ المال؛ فإنَّ ذلك يفسد دين صاحبه، وغير ذلك ممَّا ذكره العلَماء الأجلَّاء رضي الله عنهم ونفعنا الله من بركة علومهم وأنفاسِهم(١).

قال العارف بالله الشَّيخ عبد الله بن علَوي الحدَّاد رضي الله عنه في رسالته الجليلة(٢): وعليك بأداء الفرائض، واجتنابِ المحارم، والإكثار من النَّوافل، فإنَّك إن فعلت ذلك مخلِصاً لوجه الله الكريم.. حصلتَ علىٰ غاية القُرب من الله، وخُلِعَت عليك خِلعةُ المحبَّة التي تصيرُ عندَها جميع حركاتك وسكناتكَ للهِ وبالله، وهي خِلعة الوِلايةُ، بل خِلعة الخِلافة: وقد أشار إليها رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربِّه: أنَّ الله تعالىٰ قال: «مَن عَادَىٰ لِي وَلِيّاً فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحبَبتُهُ: كُنتُ سَمعَهُ الذي يَسمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتِي يَمشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدتُ عَن شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَن نَفسِ المُؤمِنِ، يَكرَهُ المَوتَ وَأَنَا أَكرَهُ مَسَاءَتَهُ»(٣).

فانظر رحمكَ اللهُ إلىٰ ما انطَوىٰ عليه هذا الحديث القُدسيُّ من الأسرارِ والمعارفِ، وتأمَّل ما أَومَأَ إليه من الرَّقائق واللَّطائف، وما وصل هذا العبد الموفَّق إلىٰ هذه المرتبة العظيمةِ التي صار فيها ما يحبُّه محبوباً لله، وما يكرهه مكروهاً عند الله إلا بأداء ما افترضه عليه، والإكثارِ من النَّوافل ابتغاء الزُّلفىٰ لدَيه، والسِّباقِ إن كانت لك همَّة في الوصول إلىٰ مراتبِ الكمال، ورغبتَ في بلوغِ درجاتِ الرِّجال، فقد وَضُحَ لك الطَّريق، وبدا لك شعاعُ التَّحقيق.

(١) انظر كتاب التقرب إلىٰ الله تعَالَىٰ، فضله، طريقه، مراتبه؛ للشيخ عبد الله سراج الدين رضي الله عنه.
(٢) وهي: "رسالة المعاونة والمظاهرة والموازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة".
(٣) صحيح البخاري: كتاب الرقاق ـ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

واعلم: أنَّ الله قد جعل بفضله ورحمتهِ في النَّوافل جُبراناً لِما يقع من الخَلَل في الفرائض، ولكن لا يُجبَر خَلَلُ الفريضة إلا بنفلٍ من نوعِها كالصَّلاة بالصَّلاة، والصِّيام بالصِّيام، والفرض هو الأصل، والنَّفل تابع له.

والذي يؤدِّي الفرائض ويجتنبُ المحارم ولا يتنفَّل أحسنُ حالاً ممَّن يتعاطىٰ النَّوافل، ويقع في إهمال بعض الفرائضِ، فإيَّاك أن تُعرضَ عن شيءٍ من الفرائضِ اشتغالاً بشيءٍ من النَّوافل.. فتأثَمَ بتركِ الفريضة، ولا يتقبَّل الله منكَ النَّافلة، ويقع في ذلك من يشتغل بتحصيلِ العلم الذي هو في حقه فضيلةٌ ـ أي عبادةٌ ـ ويترك الاشتغال بتحصيلِ ما هو عليه من العلم فريضةٌ في ظاهره أو باطنه، ومن يقعد عن المَكسب مع المقدرَة عليه اشتغالا بنوافل العبادات ويترك عيالهُ يتكفَّفون النَّاس، فَقِس علىٰ هاتَينِ الصُّورتين ما عداهما ممَّا في معناهما.

واعلم: أنَّك لا تصل إلىٰ القيام بامتثال ما فرض الله عليك من طاعته، واجتناب ما حرَّم الله عليك من معصيتِه، وإلىٰ العمل بما شرَعَ لك من النَّوافل التي تُقرِّبُك إليه زُلفىٰ إلا بالعلم، فعليك بطلَبِه، قال ـ ﷺ: «طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ علىٰ كل مُسلِمٍ».

وبالعلم تعرِفُ كون الواجب واجباً، والمندوبِ مندوباً، والمحرَّمِ محرَّماً، وتعرِف كيف تؤدِّي الواجب، وتفعل المندوب، وتترك المحرَّم، فإذاً.. لا بدَّ لك من العلم ولا غنىً لك عنه، وعليه وعلىٰ العمل به مدار سعادتك في الدُّنيا والآخرة،

واعلم: أنَّ مَن عبدَ الله بغيرِ علمٍ، فإنَّ الضَّرر العائدَ عليه بسببِ عبادتهِ أكثرَ من النَّفع الحاصلِ له بها، وكم مِن عابدٍ قد أتعبَ نفسه في العبادةِ، وهو مع ذلك مُصرٌّ علىٰ معصيةٍ يرىٰ أنَّها طاعة، أو أنَّها غير معصيةٍ.

والعلم الواجبُ على كلِّ مسلمٍ، هو أن يعلم وجوبَ جميع الفرائضِ التي فرضهنَّ الله عليه، وتحريمَ جميع المحرَّمات التي حرَّمهنَّ الله عليه.

أيُّها الأخ في الله، والغيورُ لدين الله، والشَّفيقُ على أمَّة خاتم النَّبيِّينَ ﷺ: حضارتُك وسعادةُ العالَم كلِّهِ بدين الله ﷻ بهذه الأحكام الإسلاميَّة العُليا: فبينَ اللَّفظ الظَّاهر، والقلبِ الصَّادق، ألا وهي: الشَّهادة.

وعملُ الإنسانِ لأمرِ خالقه، وقوَّةِ جسدهِ وحيويَّتهِ، وسلوكِه الذاتيِّ الأخلاقيِّ، الذي يُرَبِّيك بإملاءِ فراغكَ باليومِ واللَّيلة خمسَ مراتٍ بكلِّ طُهرٍ وطهارةٍ، واستقرارِ فِكر، وأنسٍ باللهِ، ومناجاةٍ لخالقِ الأرض والسَّماء الذي إليه مرجعُك والوقوفُ بين يديه، ألَا وهي الصلاة.

وجمعُ المال بعزَّةٍ وطهارةٍ، وهو المال الحلالُ، الذي لا تُزاحِمُ به أحداً، أو تأخذُ حقَّ أحدٍ، ولا تَغشَّ أحداً، وإنفاقه في سبيل الله ﷻ لا تَتَّبعُ بذلك منّاً ولا أذىً؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾[1]، لحياة المحتاج والمنكَسِر؛ لتكون العزَّة والمواساة بمال الله ﷻ إلى حياة أمَّةٍ كاملةٍ، وإلى جنَّةٍ ورضوانٍ ألا وهي الزَّكاة.

وإلى سمُوِّ الشَّخصيَّة التي تَرَبَّت على الصَّفاء، والتَّحمُّل، والصَّبر لترى حاجة الأمَّة، وجبر خواطر المُنكسِرين، والتَّحمُّل في الشَّدائد دونما اضطرابٍ ويأسٍ، ألا وهو الصِّيام.

والتَّنافس إلى معارج التَّطهير، ومدارج التَّهذيب، وعظيم الإخاء، والتَّحمل

(١) سورة البقرة.

للأمَّة الواحدة المرحومة كل ذلك في الحجِّ العظيم ؛ "ثُمَّ معارج الدِّين ، ومراتبُ التَّطهير ، ومنازل القُرب والإقبالِ ، في الحُبِّ والعرفان ؛ لتُبنَىٰ حضارة الإنسان ، أو إنسانُ الحضارة ، فتتكوَّن عند ذلك حياةُ البشرية كلِّها بمراتب ثلاث:

* **أولاً:** الاستقرار الفكري ، في كل زمان ، ومكان ، وحالٍ .

* **ثانياً:** الأُنس الدَّائم ، وهي: المسرَّة أو النَّشوة التي لا تفارق الإنسان في حياته وأنفاسه كلِّها ، فإذا أصابَهُ شرٌّ التجأَ وصَبَرَ وَسَكَنَ ، وإذا أصابهُ خيرٌ شَكَرَ وَحَمَدَ وترقَّىٰ واطمَئَنَّ ـ فيكون الإنسان إنساناً سَوِيّاً في فكرِهِ وسلوكهِ ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[1].

* **ثالثاً:** ثمَّ إدراكهُ بالرَّجعَةِ ، والشَّوق للقَاءِ ربِّه ﷻ والبقاء المُطلَق ، لكمالِ وجمالِ حياته ، في عالم الجنَّة والرِّضا والمُشاهدة ، ودون ذلك الإدراك ؛ فإنَّ الحياةَ عبثٌ ، والفكرَ مضطربٌ ، والدمارَ والانتحارَ قريبٌ ، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[2].

واعلم جيِّداً: أنَّ الله مَنَّ علىٰ هذا الإنسان الكريم ، وعلىٰ هذه الأُمَّة العظيمة:

* **أولاً:** بدين الله الكامل ، والخاتَم ، والمُرتَضىٰ .

* **ثانياً:** التَّجلي الأعظم علىٰ القلوب المتوجِّهة إلىٰ ذات الحقِّ ومحبَّته ، جلاليَّةً كانت أم جماليَّةً .

(١) سورة الحديد .
(٢) سورة المؤمنون .

❊ **ثالثاً:** الصِّلة والإيصال بحبيبهِ ومصطفاه، صِفَةً واتِّباعاً به ﷺ.

فالأُمَّة، أو أفراد الأُمَّة التي تَهذَّبَت وكُوِّنَت بالدِّين الأعظم، والتَّجلي الأكرم، والصِّفة المُحمَّديَّة العُظمىٰ، فماذا تصنع هذه الأمور العظام، بعالَمِ الحضارةِ، حضارةُ الإنسان، أم إنسان الحضارة، ثمَّ الجمالُ، والبهاءُ، والكمالُ، والبقاءُ في جنَّةِ الله، ومشاهدته، ورضوانهِ جلَّ جلاله، وعمَّ نواله. فتأمَّل جيِّداً، والحمد لله.



ختَامُـهُ مسْـكٌ

ذكَر القُرطُبِيُّ، في "تذكرتهِ" ما رُوي عن عبد الرَّحمن بن سَمُرَة، قال: خرجَ علينا رسول الله ﷺ ذات يومٍ ونحن في مسجد المدينة، فقال: إنِّي رَأَيتُ البَارِحَةَ عَجبَاً، رَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي جَاءَهُ مَلَكُ المَوتِ لِيَقبِضَ رُوحَهُ، فَجَاءَهُ بِرُّهُ بِوَالِدَيهِ فَرَدَّ عَنهُ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد بُسِطَ عَلَيهِ عَذَابُ القَبرِ، فَجَاءَهُ وُضُوؤُهُ فَاستَنقَذَهُ مِن ذَلِكَ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد احتَوَشَتهُ الشَّيَاطِينُ، فَجَاءَهُ ذِكرُ اللهِ فَخَلَّصَهُ مِن بَينِهِم، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد احْتَوَشَتهُ مَلائِكَةُ العَذَابِ، فَجَاءَتهُ صَلَاتُهُ فَاستَنقَذَتهُ مِن أَيدِيهِم، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي يَلهَثُ عَطَشَاً، كُلَّمَا وَرَدَ حَوضَاً مُنِعَ مِنهُ، فَجَاءَهُ صِيَامُهُ فَسَقَاهُ وَأَروَاهُ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي وَالنَّبِيُّونَ قُعُودٌ حِلَقَاً حِلَقَاً، كُلَّمَا دَنَا لِحَلقَةٍ طَرَدُوهُ، فَجَاءَهُ اغتِسَالُهُ مِنَ الجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، وَأَقعَدَهُ إِلىٰ جَنبِي، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي، مِن بَينِ يَدَيهِ ظُلمَةٌ، وَمِن خَلفِهِ ظُلمَةٌ، وَعَن يَمِينِهِ ظُلمَةٌ، وَعَن شِمَالِهِ ظُلمَةٌ، وَمِن فَوقِهِ ظُلمَةٌ، وَمِن تَحتِهِ ظُلمَةٌ، وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِيهَا فَجَاءَتهُ حَجَّتُهُ وَعُمرَتُهُ فَاستَخرَجَاهُ مِنَ الظُّلمَةِ، وَأَدخَلَاهُ فِي النُّورِ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي يُكَلِّمُ المُؤمِنِينَ فَلا يُكَلِّمُونَهُ، فَجَاءَتهُ صِلَةُ الرَّحِمِ، فَقَالَت: يَا مَعشَرَ المُؤمِنِينَ كَلِّمُوهُ، فَإِنَّهُ كَانَ وَاصِلاً لِلرَّحِمِ فَكَلَّمُوهُ وَصَافَحُوهُ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي يَتَّقِي وَهَجَ النَّارِ وَشَرَرَهَا بِيَدِهِ عَن وَجهِهِ، فَجَاءَتهُ صَدَقَتُهُ، فَصَارَت لَهُ سِتراً عَلَىٰ وَجهِهِ وَظِلاً عَلَىٰ رَأسِهِ، وَرَأيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد أَخَذَتهُ الزَّبَانِيَةُ مِن كُلِّ مَكَانٍ، فَجَاءَهُ أَمرُهُ بِالمَعرُوفِ وَنَهيُهُ عَنِ المُنكَرِ فَاستَنقَذَاهُ مِن أَيدِيهِم وَأَدخَلَاهُ مَعَ مَلائِكَةِ الرَّحمَةِ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي جَاثِيَاً عَلَىٰ رُكبَتَيهِ بَينَهُ وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ، فَجَاءَهُ حُسنُ خُلُقِهِ

فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدخَلَهُ عَلَىٰ اللهِ ﷻ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد هَوَت صَحِيفَتُهُ مِن قِبَلِ شِمَالِهِ فَجَاءَهُ خَوفُهُ مِنَ النَّارِ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَجَعَلَهَا فِي يَمِينِهِ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد خَفَّ مِيزَانُهُ، فَجَاءَتهُ أَفرَاطُهُ فَثَقَّلُوا مِيزَانَهُ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَائِمَاً عَلَىٰ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَجَاءَهُ وَجَلُهُ مِنَ اللهِ فَاستَنقَذَهُ مِن ذَلِكَ وَمَضَىٰ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي هَوَىٰ فِي النَّارِ، فَجَاءَتهُ دُمُوعُهُ التِي بَكَىٰ مِن خَشيَةِ اللهِ فِي الدُّنيَا فَاستَخرَجَتهُ مِنَ النَّارِ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَائِمَاً عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَرعَدُ كَمَا تَرعَدُ السَّعفَةُ، فَجَاءَهُ حُسنُ ظَنِّهِ بِاللهِ فَسَكَّنَ رَعدَتَهُ وَمَضَىٰ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَزحَفُ أَحيَانَاً وَيَحبُو أَحيَانَاً، فَجَاءَتهُ صَلاتُهُ عَلَيَّ فَأَخَذَت بِيَدِهِ فَأَقَامَتهُ وَمَضَىٰ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي انتَهَىٰ إِلىٰ أَبوَابِ الجَنَّةِ فَأُغلِقَت الأَبوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتهُ شَهَادَةُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَفُتِحَت لَهُ الأَبوَابُ وَأَدخَلَتهُ الجَنَّةَ(١).

دُعَاءٌ وَرَجَاءٌ

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ۝٤١﴾(٢).

(١) قال أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، في الوابل الصيّب من الكلم الطيّب (١/١١١): رواهُ الحافظ أبو موسى المديني في كتاب الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية وبنى كتابه عليه وجعله شرحاً له، وقال: هذا حديث حسن جداً، رواهُ عن سعيد بن المسيب: عمرو بن آزر، وعلي ابن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة. وقال القرطبي في "تذكرته"، (١/٢٤٣): هذا حديث عظيم، ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة.

(٢) سورة إبراهيم.

ربَّنا أنت الذي أنعمتَ وهديتَ وأكرمتَ، فزِدنا ولا تُنقِصنا، اختِم حياتَنا عليكَ، وأمِتنا علىٰ كمالِ الحُبِّ والإيمانِ، يا الله.

اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ برضاكَ مِن سَخطك، وبمعافاتك من عقُوبتك، وأعوذُ بكَ مِنكَ، وأَسألُك بأنتَ أَنتَ؛ لا أُحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أَثنَيتَ علىٰ نفسكَ، فَلَكَ الحَمدُ حتَّىٰ تَرضَىٰ، ولكَ الحَمدُ بَعد الرِّضا، ولكَ الحَمدُ دَوماً وأَبداً.

اللَّهمَّ إنا نسألك من خيرِ ما سألكَ منهُ عبدُك ونبيُّك محمَّدٌ ﷺ، ونعوذُ بك من شرِّ ما استعاذكَ منهُ عبدُك ونبيُّك محمَّدٌ ﷺ، أنت المُستعانُ، وعليكَ البَلاغ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله.

اللَّهمَّ اقسِم لنا من خشيتكِ ما تحولُ به بينَنَا وبينَ معاصيكَ، ومن طاعتكِ ما تُبلِّغُنا به جنَّتك، ومن اليقينِ ما تُهوِّنُ به علينا مصائبَ الدُّنيا، ومتِّعنا بأسماعِنا وأَبصارِنا وقُوَّاتِنا ما أَحيَيتَنا، واجعله الوارثَ منَّا، واجعل ثأرَنا علىٰ من ظَلَمنا، وانصرنا علىٰ مَن عَادَانا، ولا تجعل مُصِيبتَنَا في دينِنَا، ولا تجعل الدُّنيا أكبرَ هَمِّنا، ولا مَبلغَ عِلمنا، ولا تُسلِّط علينا مَن لا يَرحمُنا.

اللَّهمَّ اشغَل جَوارحنا بطاعتك، وقلوبَنَا بمعرفَتِك، وذِكرِكَ، وأُنسِكَ، واشغَلنَا طُولَ حَياتِنا فِي ليلِنا ونَهَارنَا بذلك، وأَلحِقنَا بالذين تقدَّموا مِن الصَّالِحين، وارزُقنا ما رزقتَهم وكن لنَا كَمَا كُنتَ لَهم، آمين.

اللَّهمَّ وفِّقنا لِلعلم والخَشية، والطَّاعة والأدبِ، والمعرفةِ، والمحبَّة، والافتقار، والدَّعوة، آمينَ آمينَ، يا الله.

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إبرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبرَاهِيمَ وَبَارِك عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكتَ عَلَى إبرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبرَاهِيمَ في العَالَمينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجيدٌ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

وهذا مساءُ يومِ الثَّلاثاء الخامس والعشرون من العام الهجري الثَّالث والثَّلاثين بعد الأربعمائة وألف، وفيه اكتمل هذا الكتاب "ميزان الاعتدال، لحفظ الدين والأحوال" بجزئه الثَّالث وذلك في منزلي الملتصِق بجامِع الرِّباط في منطقة "القلعة"، من مدينة سامراء، من بلد العراق ـ بلَدِ العِلمِ والصَّلاحِ والحَربِ والسَّلام.

تمَّ الجزءُ الثَّالث بتوفيق الله تعالى، وهو "العمَلُ بالمَبَرَّاتِ أو الطَّاعَات"، ويليه الجزء الرابع إن شاء الله تعالى وهو "العملُ بالمقرِّبَات".



مراتب الكمال بدين الله

الإسلام

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

سلسلة الحق والنور

الرسالة الحادية عشر

مراتب الكمال بدين الله الإسلام

الشيخ الشريف

عباس السيد فاضل الحسيني السامرائي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ

"وآشوقاه والخدمة"

"مراتب الكمال، بدين الله الإسلام، فهو السير بالدين والمحبة، إلى ذات المحبوب ـ جلَّ وعلا"

المقدمة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرّجيم.

بسم الله الرّحمن الرّحيم.

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين ـ صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آل بيت النَّبيِّ المكرمين، وأصحاب رسول الله الأتقياء الغرّ الميامين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ إلى أبد الآبدين.

أمَّا بَعْدُ: (فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّد ﷺ وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة). اللَّهمَّ؛ نسألك الاتباع، ونعوذ بك من الابتداع، آمين.

ـ ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾ (1).

ـ ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٣﴾ (2).

ـ ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣﴾ (3).

يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله، آمين.

ثمَّ أمّا بَعْدُ: فقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

(1) سورة البقرة.

(2) سورة آل عمران.

(3) سورة الشعراء.

ﭐلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾[1]، فقد أكرمنا الحق ـ جلَّ وعلا، بأمره ورضاه ـ بنبيّنا محمّد ﷺ، وبالإسلام الحنيف، وبالقرآن المجيد، وبهذا يكون هذا الطريق، هو أقرب الطرق إليه ـ سبحانه وتعالى، وهو: اتباع النَّبيِّ ﷺ، وكتاب الله المجيد، اللذين عليهما مبنى هذا الدين الحنيف، الذي حوَّل الله بهما البشرية؛ من ظلمات الجهالة والكفر، إلى نور الهدى والعلم، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، رواه الحاكم[2]. فهذا هو نور الله ـ جلَّ وعلا، الذي من سار به، كيف لا يصل إلى الله تعالى، وإلى سعادة البشرية جمعاء وحياتها!؟، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «أَبْشِرُوا أَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قالوا: نعم، قال: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

---

(١) سورة المائدة.

(٢) ((المستدرك على الصحيحين)): لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري الحاكم المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ): (١١٨/٣)، رقم: ٣١٩.

سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[1]، رواه ابن أبي شيبة "في مصنفه" وابن حِبّان في "صحيحه". "فأين من يمد لله يداً؟".

أيها القارئ الكريم: هذا كتابٌ جامعٌ لمراتب الدين الحنيف، بما في علم الكتاب والسنّة ـ من الواجبات والمستحبات والمحبوبات ـ تقربًا إلى ذات الحقِّ ـ جلَّ في علاه، من الإنابة والهدى لهذه الأمة المرحومة ـ من المبرات، والمقربات والمحبوبات؛ ويدور هذا الكتاب على ثنتي عشرة مرتبة ـ كلُّ مرتبة بابٌ من أبواب الشريعة الغراء ـ قولاً وفعلاً وحالاـ بتوفيق الله وَمَنِّه، وها هي التالية ذكراً:-

(١) ((مصنف ابن أبي شيبة)): لأبي بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي المعروف بابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ): (١٢٥/٦) رقم: ٣٠٠٠٦، ((صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان)): لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ): (٣٢٩/١)، رقم: ١٢٢، قال الألباني: صحيح، ينظر: ((السلسلة الصحيحة))، رقم: ٧٣١، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن على شرط مسلم.

المرتبة الأولى: الإيمان، والإسلام.

المرتبة الثانية: مراتب التقوى بدين الله الإسلام.

المرتبة الثالثة: مقام الإحسان العظيم.

المرتبة الرابعة: ما يدور عليه ديننا الحنيف.

المرتبة الخامسة: مقام المحبة ومراتبها.

المرتبة السادسة: أقسام العلم وتحقيقه.

المرتبة السابعة: الدعوة في سبيل الله، ومنازلها.

المرتبة الثامنة: الجهاد في سبيل الله، وأنواعه.

المرتبة التاسعة: العارف بالله تعالى.

المرتبة العاشرة: الوارث المحمدي، وشروط تأهله.

المرتبة الحادية عشرة: عظام التجليات بثلاث ساعات.

المرتبة الثانية عشرة: الدعاء، وشروط استجابته.

ثمَّ الخاتمة المباركة، وما فيها: من كمال ديننا، وواجبات المسلم عليه في حقوق العباد.

وحول هذه المراتب الجليلة، يكون ما في دفتي هذا الكتاب؛ الذي شمل مراتب الدين الإسلامي الحنيف ـ بمراتب السير إلى الله، والوصول إلى رضا المقصود ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

فأسأل الله اللطيف الواسع العليم أن ينفع به سائر المؤمنين والمؤمنات، المسلمين والمسلمات، وأن يجعله من الباقيات الصالحات ـ في الحسنات والدرجات ـ لي ولوالديّ، وللأهل والأحبة، آمينَ آمين. والحمد لله ربِّ العالمين.

المرتبة الأولى: الإيمان، الإسلام.

فأولها: الإيمان، وهو: قول باللسان، وعمل بالأركان، وتصديق بالجنان؛ فمن شهد وعمل، ولم يعتقد، فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل، واعتقد، فهو فاسق، ومن شهد وعمل، واعتقد، فهو مؤمن، ومن أخلَّ بالشهادة، فهو كافر.

والإيمان على خمسة أوجه: إيمان مطبوع، وإيمان معصوم، وإيمان مقبول، وإيمان موقوف، وإيمان مردود. فالإيمان المطبوع: هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم: هو إيمان الأنبياء ـ عليهم السّلام، والإيمان المقبول: هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف: هو إيمان المبتدعين، والإيمان المردود: هو إيمان المنافقين.

ومراتب الإيمان ثلاثة:-

١ ـ التوحيد، وهو: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان، كما قال ـ

جلَّ شأنه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ١٩﴾[1].

وقال - جلَّ مجده: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[2]، فهو تنزيه الحق - جلَّ وعلا، عن الحدوث والشبيه والنظير، فهو القدوس في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ وهو الأزليُّ الأبديُّ: الأولُ بلا بداية، والآخرُ بلا نهاية؛ كما قال - جلَّ ثناؤه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيس قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»، رواه مسلم وغيره[4].

---

(١) سورة محمد.

(٢) سورة الشورى.

(٣) سورة الحديد.

(٤) ((صحيح مسلم)): لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٦٨٢٧، ((سنن أبي داود)): لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ): كتاب الأدب ــ باب ما يقول عند النوم، رقم: ٥٠٥١=

٢ـ التجريد، وهو: الإخلاص في التوحيد، وهو قطع الأسباب عن الفؤاد، واتخاذ السبب ظاهراً شرعياً، والتعلق بالمسبب الذي هو الله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2]، وورد في الحديث قوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: «الإخلاص إيمان كلّه». والإخلاص لمن له البقء، وإليه المرجع والمآب، وهو رب الأرض والسموات ـ جلَّ في علاه ـ فهم قاصدون بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله تعالى، وطلب الزلفى إليه ـ جلَّ جلالُهُ، وعَمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

٣ ـ التفريد، وهو: الفرار من كل شيء إلى الله ـ جلَّ وعلا، كما قال ـ عزَّ ذكره: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ

=((سنن الترمذي)): لمحمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) كتاب الدعوات، رقم: ٣٤٠٠، ((سنن ابن ماجه)): لمحمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ): كتاب الدعاء ـ باب دعاء رسول الله ﷺ، رقم: ١٢٦٠.

(١) سورة الزمر.

(٢) سورة البينة.

﴿مُّبِينٌ ۝٥١﴾ [1]، سأل الصديق ـ أبو بكر ، رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم، من الفارين إلى الله؟ فقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «أنت من الفارين إلى الله». ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي: ارجعوا إلى الله، أو اهربوا من عذاب الله إلى ثوابه، بالإيمان والطاعة والمحبة، فيجب على العبد أن يفر من الجهل إلى العلم، ومن الهوى إلى الهدى، ومن الشك إلى اليقين، ومن الشيطان إلى الرحمن، ومن الغفلة إلى ذكر الله؛ ليستكمل الإيمان والدين، حتى يحصل له غاية المراد والمطلوب، من الله ـ جلَّ وعلا.

قال سيدنا عليٌّ المرتضى ، وكرم الله وجهه: ((إن ربي ﷻ هو الأول لم يبد مما، ولا ممازج مع ما، ولا حال وهما ولا شبح يتقصى، ولا محجوب فيحوى، ولا كان بعد أن لم يكن فيقال حادث، بل جلَّ أن يكيف المكيف للأشياء كيف كان، بل لم يزل ولا يزول لاختلاف الأزمان، ولا لتقلب شأن بعد

(١) سورة الذاريات

شأن، وكيف يوصف بالأشباح، وكيف ينعت بالألسن الفصاح، من لم يكن في الأشياء فيقال بائن، ولم يبن عنها فيقال كائن، بل هو بلا كيفية، وهو أقرب من حبل الوريد، وأبعد في الشبه من كل بعيد، لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة، ولا كرور لفظة ولا ازدلاف رقوة، ولا انبساط خطوة، في غسق ليل داج ولا إدلاج، لا يتغشى عليه القمر المنير، ولا انبساط الشمس ذات النور بضوئهما في الكرور، ولا إقبال ليل مقبل، ولا إدبار نهار مدبر، إلا وهو محيط بما يريد من تكوينه، فهو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، وكل نهاية ومدة، والأمد إلى الخلق مضروب، والحد إلى غيره منسوب، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السموات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات

البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات، سميع للأصوات المختلفة، بلا جوارح له مؤتلفة، مدبر بصير، عالم بالأمور، حيٌّ قيوم)) انتهى[1].

"أي سادة": هذا هو أساسُنا العظيم؛ ألا وهو مقام التوحيد، ثمَّ بناؤنا الحصين؛ ألا وهو الإسلام الحنيف:ـ

فثانيها: الإسلام، وهو: مرتبة من مراتب الدين الحنيف، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ

(١) ((حلية الأولياء)): لأبي نعيم احمد عبد الله الأصبهاني: (ت٤٣٠هـ)، (٧٣/١).

﴿وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[1].

"والإسلام"، هو: الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[2]، أي: كلّ ما آتاكم فخذوه، وما نهاكم عنه فاتركوه، واعلموا أن نبوة نبينا محمّد ﷺ، باقية بعد وفاته كبقائها حال حياته، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ وجميع الخلق مخاطبون بشريعته الناسخة لجميع الشرائع، ومعجزته باقية وهي القرآن، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾[3]، ومن رد أخباره الصادقة كمن رد كلام الله تعالى. آمنا بالله، وبكتاب الله، وبكل ما جاء به نبينا محمّد ﷺ،

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة الحشر.

(٣) سورة الإسراء.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[1]. قال أهل العلم: ويدل مفهومها على أن مَن لم يشاقق الرسول، ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله تعالى، واتباع رسوله، ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر من الذنوب أو الهم بها ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبات الطباع، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه، بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه، ويعصمه من السوء، كما قال تعالى عن يوسف ـ عليه السّلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾[2] أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء، وكذلك كلّ مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل، اللّهمَّ اجعلنا مخلصين لك في الأقوال والأفعال والأحوال، اللّهمَّ؛ أنت الذي أنعمت، أنت

(١) سورة النساء.

(٢) سورة يوسف .

الذي هديت؛ فزدنا ولا تنقصنا، اختم حياتنا عليك، وأمتنا على كمال الحبّ والإيمان، يا اللهُ، آمينَ آمينَ ـ يا ربَّ العالمين.

المرتبة الثانية: التقوى بدين الله الإسلام

التقوى: هي الإحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهي صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعلٍ أو ترك، وفي الطاعة يراد به الإخلاص، وفي المعصية يراد به الترك والحذر.

ومراتب التقوى ثلاثة: ـ

أولاً: تقوى الأوامر، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1]، وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[2]، التقوى، هي: الاقتداء بالنَّبيِّ محمّد ﷺ، قولاً وفعلاً، ومنها: الأركان الخمسة، في الإسلام الحنيف.

ثانياً: تقوى التعظيم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ

(١) سورة الأنفال.

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة الحج.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۝٣٠﴾[1]، وهذه"تقوى القلوب"، قال المفسرون: إذا اجتمع القلب مع التقوى، "فدلالة القبول"، لما ورد عن الحبيب المحبوب ﷺ: «إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ يُعْرَفُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ»[2]، رواه البيهقي والحاكم. وقال سيدنا علي المرتضى ﷺ، التقوى: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وكتب سيدنا عمر الفاروق إلى ابنه عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ في غيبة غابها: أمّا بَعْدُ: فإنَّ من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه،

---

(١) سورة الحج.

(٢) ((المستدرك)): (٣٤٦/٤)، رقم: ٧٨٦٣، و((شعب الإيمان)): لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ) (١٣٣/١٣)، رقم: ١٠٠٦٨.

فاجعل التقوى عمارة قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا خير لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خلق له.

ثالثاً: تقوى الآداب، كما قال ـ جلَّ مجده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾[1]، وهذه "امتحان تقوى القلوب"، وهذا قليل، لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ۝٢٤﴾[2]. قال الحسين ـ رضي الله تعالى عنه: ((من امتحن الله قلبه للتقوى؛ كان شعاره القرآن، ودثاره الإيمان، وسراجه التفكر، وطيبه التقوى، وطهارته التوبة، ونظافته الحلال، وزينته الورع، وعلمه الآخرة، وشغله بالله، ومقامه مع الله، وصومه إلى الممات، وإفطاره من الجنّة، وجمعه الحسنات، وكنزه الإخلاص، وصمته المراقبات، ونظره المشاهدات))[3].

---

(١) سورة الحجرات.

(٢) سورة ص.

(٣) ((روح البيان)): لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (ت ١١٢٧هـ): (٩/٦٦، ٦٧).

"أي سادة"، التقوى: أن يراك مولاك ـ جلَّ وعلا، بكلِّ ما أمرك، وأن لا يراك مولاك بأيِّ إثمٍ نهاك، وأن تراقبه بالفكر حضورًا، وبالقلب واللسان ذكرًا ـ وهو يشاهدك.

فمن كان تقياً، كان لله ولياً، ولا ولاية إلا بالتقوى، والذي يتقرب إلى الله ـ جلَّ وعلا، بالطاعة والأدب، يتقرب إليه بالرحمة والرضا، قال الحق تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

اللّهمَّ؛ آتِ نفوسنا هداها وتقواها وزكها، أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، آمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴿٢٠١﴾ ﴾.

(١) سورة يونس ــ عليه السلام.

المرتبة الثالثة: من مراتب ديننا الحنيف

ألا وهو: "مقام الإحسان العظيم"، وهو: إسلام ظاهر يُقيمه، وإيمان باطن؛ يُكمّله إحسان شهوديّ، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» متفق عليه(١)؛ وهو الحضور والذكر والإخلاص فيهما لله ربِّ العالمين.

قال الإمام النووي: ((هذا أصلٌ عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد الإسلام، وهو عمدة الصديقين، وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وتلخيص معناه: أن تعبد الله عبادة من يرى الله، ويراه الله، فإنه لا يستبقي شيئاً من الخضوع والإخلاص، وحفظ القلب والجوارح ومراعاة الآداب ما دام في عبادته))(٢).

---

(١) ((الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)) المعروف بـ ((صحيح البخاري)): لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، كتاب الإيمان ـ باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٥٠ ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٩٣.

(٢) ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)): لمحمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى المعروف بـ بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ): (٢٨٩/١).

قُلتُ: وهذا من عظيم القرب إلى ذات الحقِّ ـ جلَّ وعلا، ومن ذلك: "الحضور بالفكر، وذكر الله في القلب"، وهذا لأهل اليقين والمحبة.

فذكر الله تعالى بالقلب؛ "صدق"، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان؛ "إخلاص"، وذكر الله تعالى باللسان المجرد دون القلب؛ "قلقلة وريك"؛ وذكر أهل العلم والمعرفة بالله تعالى أمثلة على ذلك؛ فقالوا: إن الذكر لا يخلو من ثلاثة أشياء:-

ـ أمّا ذكر اللسان مع القلب؛ بقرع باب الملك، وهو "كفارة ودرجات". وأمّا ذكر القلب بإذن مخاطبة الملك، وهو "زلفى وقربات". وأمّا ذكر الروح فبمكالمة الملك ومحادثته، وهو "حضور ومشاهدة ومناجاة"، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[1].

ومن ذلك: أذكار السنة الطاهرة، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾[2]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى» قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: ((مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)) رواه مالك وأحمد والترمذي[3].

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة الأحزاب.

(٣) ((موطأ مالك)): لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ): كتاب القرآن ــ باب ما جاء في ذكر الله ــ تبارك وتعالى، رقم: ٧١٦، ((مسند أحمد)): لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) (١٨/٥٧٦)، رقم: ٢٧٣٧١، ورقم: ٢٧٣٩٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٧٧.

ـ ومن ذلك: تلاوة القرآن وتدبره، كما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»، رواه الترمذي[1]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ[2] مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ[3]، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ[4]، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ[5]» رواه مسلم[6]، وفي رواية أخرى: «يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب فضائل القرآن ـــ باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر، رقم: ٢٩١٠، قال الألباني: صحيح.

(٢) أي: الحاذق، من المهارة، وهي الحذق، جاز أن يراد به جودة الحفظ، أو جودة اللفظ، وأن يريد به كليهما، وأن يريد ما هو أعم منهما، وقال الطيبي: هو الكامل الحفظ الذي يتوقف في القراءة ولا يشق عليه.

(٣) جمع سافر، وهم الرسل إلى الناس برسالات الله تعالى، وقيل: السفرة الكتبة ذكره الطيبي ـــ رحمه الله، والسفرة جمع سافر ككتبة وكاتب، والسافر الرسول، والسفرة الرسل؛ لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل: السفرة الكتب، والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة.

(٤) هو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه، فله أجران: أجر بالقراءة، وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته.

(٥) وهذا تحريض على تحصيل القراءة، وليس معناه: أن الذي يتتعتع فيه له من الأجر أكثر من الماهر، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً من السفرة، وله أجور كثيرة حيث اندرج في سلك الملائكة المقربين، أو الأنبياء والمرسلين، أو الصحابة المقربين. ينظر: ((فتح الملهم)): (١٧٤/٥).

(٦) ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل القرآن ـــ باب فضل الماهر بالقرآن، والذي يتتعتع فيه، رقم: ١٨٥٩.

رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»، رواه الترمذي والحاكم[1]، وفي أخرى: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم[2]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب فضائل القرآن، رقم: ٢٩١٥، وقال: هذا حديث حسن، ((المستدرك)): (٧٣٨/١)، رقم: ٢٠٢٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) ((مسند أحمد)): (٤٠٤/١١)، رقم: ٦٧٩٩، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب استحباب الترتيل في القراءة، رقم: ١٤٦٤، ((سنن الترمذي)): كتاب فضائل القرآن، رقم: ٢٩١٤، قال الخطابي: جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة في الآخرة، فيقال للقاري: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن، استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة. ينظر: ((تحفة الأحوذي)): لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ): (١٨٧/٨).

نَسَبُهُ» رواه مسلم[1]، وفي رواية أخرى: «إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب فضل الاجتماع على تلاوة القــرآن وعلى الذكر، رقم: ٦٧٩٣ .

وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» رواه البخاري ومسلم[1]، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ۝٤﴾.

كذلك من خاصَّة الذكر، "جلسة نصف ساعة" ما ذكره شيخي وأستاذي وسندي في علوم الكتاب والسنة؛ العالم الربَّاني الدكتور عبد الله بن مولانا وشيخنا؛ حضرة الشيخ مصطفى كمال الدين الهرشمي ـ طيَّب الله روحهما وذكرهما وثراهما، في "معالم الطريق"، قائلاً: الغفلة عن الله تعالى مصيبة دهياء تصيب الإنسان في حياته الدنيوية المؤقتة وينساق شرورها معه إلى حياته الأخروية الدائمة. والوقوع فيها مع ذلك أسهل ما يكون إلا إذا انتبه الإنسان على نفسه،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الدعوات ــ باب فضل ذكر الله ﷻ رقم: ٦٤٠٨ ((صحيح مسلم)) كتاب الذكر والدعاء والتوبة ــ باب فضل مجالس الذكر، رقم ٢٦٨٩.

فانتبه إلى ربّه، وكرر هذا الانتباه عدة مرات في يومه إن لم يستطع إدامة الانتباه طوال أوقاته. ولعلك تعي من هذه الحقيقة منفعة الإنسان العظمى من توزيع الصلوات المكتوبة على الخمسة الأوقات. ولعلك تفهم أيضاً وجه استحسان السنن والتطوعات. فإن الصلاة تذكر بالله ﷻ، ومن يذكر الله يرتدع عن الفحشاء والمنكر.

ولما كانت الغفلة علة دهياء وآفة نكراء لزم الإنسان الحصيف أن يستزيد من أسباب الوقاء والشفاء. فلنصف في هذه النبذة مزيداً مما يمنع وينجع، وفي النبذة التالية ما هو أدفع وأنجع.

يومك ـ أيها الإنسان ـ نهار وليل، أربع وعشرون ساعة لا حول لك ولا طول في زيادة منها أو نقصان. وأنت تصنع بهذه الساعات كيف تشاء. فهلا جعلت نصف ساعة منها لربك: لك ثلاث وعشرون ساعة ونصف ساعة؛ ولربك نصف ساعة حسب. قسمة ضيزى، لكنها الحد الأدنى الذي

يقدر عليه كل إنسان. عيّن أي وقت تشاء من أوقات فراغك في ليل أو نهار: فاقعد أو اجلس طاهراً مستقبلاً القبلة واقرأ من حفظك كما في صلاة السر ((الفاتحة)) مرة واحدة، و((آية الكرسي)) مرة واحدة، و((سورة الإخلاص)) ثلاث مرات؛ فصلِّ على رسول الله ﷺ ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو تسعاً كما تشاء؛ فاغمض عينيك (حتى لا تشغلاك) واذكر الله ﷻ بفكرك في رأسك (دونما لفظ ولا كلام) كما تذكر ابنك أو أمك أو أباك؛ وابق ذاكراً ربك شاغلاً فكرك به وحده دون ما سواه إلى آخر الوقت المخصوص ـ النصف الساعة أو نحوه. ثم واظب على هذا الذكر الخفي مرة كل يوم تجد منافع الرحمة والخشوع وانشراح الصدر وقوة الإرادة. وتذكّر قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [1].

(١) سورة البقرة.

هذا للمسلمين كل المسلمين. وللناس كل الناس أن يذكروا الله على الوجه الذي وصفنا وإن لم يتلوا ما أسلفنا: عسى الله الغفور الرحيم أن يشرح صدورهم للإيمان بالحي القيوم الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وبملائكته وكتبه ورسله دون تفريق بين رسله ولا اغترار بسلطان هذه الدنيا التي يعلم كلنا أنها فانية.

أما السائرون في نهج الروح فهم لا يقتصرون في عملهم الروحاني على النصف ساعة ووردها. إن للسائر جلسة خاصة بالنهار بعد صلاة الفجر حتى شروق الشمس، وجلسة بالليل بين صلاتي المغرب والعشاء أو بعد العشاء حينما يفرغ. وإنه يذكر الله كثيراً مابين هذين الوقتين أثناء نهوضه بأعماله الدنيوية، فهو يسعى أن يكون ممن قال فيهم رب العالمين: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ

وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴿٣٧﴾[1] وإنه إذا شغله عائق عن جلسة عقد الجلسة في وقت آخر. وهو يقرأ في جلساته (مخفتاً كما في صلاة السر) الأذكار والأوراد التي يرشده إليها مرشده العالم مما في الكتاب المجيد والسنة المطهرة. ثم يضيف السائر إلى هذه الأعمال تلاوة القرآن العظيم، ومراجعة الحديث النبوي الكريم، ومطالعة الكتب في ثقافة الإسلام، ومصاحبة المؤمنين الصادقين السائرين لمرضاة رب العالمين. اهـ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

ومراتب الإحسان ثلاثة:-

أولاً: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» أي: العمل بالدين الكامل الصالح، مع الهمة والتحمل في سبيل الله تعالى.

---

(١) سورة النور.

ثانياً: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ» أي : الحضور بالفكر والقلب لله ﷻ، في ساعات الليل والنهار، وهي: "المراقبة" وهي: عدم الغفلة؛ في الحضور والذكر، والخضوع والخشوع لله ﷻ.

ثالثاً: «فَإِنَّهُ يَرَاكَ» فهو: تحقيق الذكر بالمذكور، ونسيان السوى، والتجلي من المولى ـ جلَّ وعلا، وهي "المشاهدة"، وهي: وجود الحقّ، مع فقد الخلْق، "أي بالقلب"؛ لتكون رعاية الحق تعالى، ومراقبته بعين عنايته، ورعايته، وحسن حمايته ـ جلَّ في علاه. وقد جمعت الآية الكريمة، هذه المراتب العلية، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ[1] ﴿٢٣﴾﴾[2].

---

(١) سورة هود.

(٢) وهذا من جوامع كلمه ﷺ: إذ هو شامل لمقام المشاهدة، ومقام المراقبة، ويتضح لك ذلك بأن تعــرف أن للعبد في عبادته ثلاثة مقامات: الأول: أن يفعلها على الوجه الذي تسقط مع وظيفة التكليف باســتيفاء الشرائط والأركان.

الثاني: أن يفعلها كذلك، وقد استغرق في بحار المكاشفة، حتى كأنه يرى الله تعالى، وهذا مقامه ﷺ، كما قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» لحصول الاستلذاذ بالطاعة، والراحة بالعبادة، وانســداد مســالك

ـ روى الإمام القشيري في "التحبير والتذكير، شرح أسماء الله الحسنى": أن أبا الحسين النوري بقى سبعة أيام قائماً لم يأكل ولم يشرب ولم ينم، وهو يقول: الله الله. فأُخبر الجنيد بذلك، فقال: انظروا أمحفوظةٌ عليه أوقاته أم لا؟، فقيل له: إنه يصلي الفرائض. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان سبيلا، ثم قال: قوموا نَزره فإما نستفيد منه أو نفيده، فدخل عليه فقال: يا أبا الحسن، ما الذي دهاك؟.

فقال: أقول: الله الله ... زيدوا عليَّ.

فقال الجنيد: انظر هل قولك الله بالله أم بقولك أنت؟ فإن كان بالله فلست القائل له، وإن كان قولك لنفسك فأنت مع نفسك؛ فما معنى الوله والحيرة؟ فقال: نِعْمَ المؤدب أنت،

الالتفات إلى الغير باستيلاء أنوار الكشف عليه، وهو ثمرة امتلاء زوايا القلب من المحبوب، واشتغال السر به، ونتيجته نسيان الأحوال من المعلوم، واضمحلال الرسوم.

الثالث: أن يفعلها وقد غلب عليه أن الله تعالى يشاهده، وهذا هو مقام المراقبة، فقوله: «فإن لم تكن تراه» نزول عن مقام المكاشفة إلى مقام المراقبة، أي: إن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية المعنوية فاعبده، وأنت بحيث أنه يراك، وكل من المقامات الثلاث إحسان إلا أن الإحسان الذي هو شرط في صحة العبادة إنما هو الأول؛ لأن الإحسان بالآخرين من صفة الخواص، ويتعذر من كثيرين. قاله أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) في ((إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)): (١/ ١٤٠).

وسَكنَ ولهُهُ[1]. قلت: كما قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمًّا، وَلا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» ثُمَّ قَالَ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ» رواه البخاري ومسلم واللفظ له[2].

وإنَّ صدقة السر على العموم أفضل من صدقة العلانية، كما قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ

(١) ((التحبير في التذكير، شرح أسماء الله الحسنى)): لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥ هـ): (ص٢٣، ٢٤).

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب المغازي ــ باب غزوة خيبر، رقم: ٦٣٨٤ ((صحيح مسلم)): كتاب الدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم: ٢٧٠٤، واللفظ له.

تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ"، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفق عليه[1].

اللّهمَّ؛ إني أسألك إيماناً دائماً، وقلباً خاشعاً، وعلماً نافعاً، ويقيناً صادقاً، وديناً قيماً، والعافية في كل بلية، وتمام العافية، ودوام العافية، والشكر على العافية، والغنى عن الناس، آمينَ آمين ـ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة ـــ باب الصدقة باليمين، رقم: ١٤٢٣، ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة ـــ باب فضل إخفاء الصدقة، رقم: ٢٣٧٧، قال عياض: اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد؛ لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال، قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها، ولهذا قال ﷺ: «لا تستطيع ذلك» وفيه أن الفضائل لا تدرك بالقياس وإنما هي إحسان من الله تعالى لمن شاء، واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً لما تقدم تقريره، وقال ابن دقيق العيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل؛ لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم. ينظر: ((فتح الباري)): لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): (٦/٥).

المرتبة الرابعة: ما يدور عليه ديننا الحنيف

"أيها السادة" دين الله الإسلام: يدور على ثلاثةٍ:-

الأولى: القصد، وهي: "النية"، فالمرء يصاب بنيته، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»، رواه البخاري ومسلم وأبو داود، وغيرهم[2]، "والنية": ثلث الدين، ومحلها القلب، "والنية" شرط لقبول العبادات، وعليها مدار الدين وأحكامه؛ في الواجبات، وفي المستحبات، وفي المباحات؛ وهو "إخلاص العمل بالدين لوجه الله ﷻ".

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب بدء الوحي ــ باب كيف كان بدء الوحي، رقم: ١، ((صــحيح مســلم)): كتاب الإمارة ــ باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمــال، رقــم: ١٩٠٧، ((سنن أبي داود)): كتاب الطلاق ــ باب فيما عني به الطلاق والنيات، رقم: ٢٢٠١.

قال العلّامة الكِرماني في شرح صحيح الإمام البخاري: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، هو جمع النية، وهو القصد إلى الفعل، وهذا التركيب مفيد للحصر اتفاقاً من المحققين؛ أي: لا عمل إلا بالنية، فقيل: لأن الأعمال جمعٌ محكي باللام مفيدٌ للاستغراق، وهو مستلزم للقصر؛ إذ معناه: كل عمل بالنية، فلا عمل إلا بالنية، وإلا فلا يصدق كل عمل إلا بالنية[1].

الثانية: الورع، وهو: اجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع في المحرمات، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»

(١) ((الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري)): لشمس الدين محمّد بن يوسف الكرماني، (ت٧٨٦هـ): (١٧٧ ، ١٧٨).

متفق عليه[1]، قال جماعة: هو ثلث الإسلام، وأن الإسلام يدور عليه وعلى حديث: "الأعمال بالنية"، وحديث: «من حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مالا يَعْنِيهِ» رواه مالك وأحمد والترمذي وابن ماجه[2]، وفي أخرى: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ» رواه أحمد وأبو داود والترمذي[3]، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: ((وهذا هو الورع، وبه يحصل كمال التقوى))[4]، كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه: «لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ــ باب فضل من استبرأ لدينه، رقم:٥٢، ((صحيح مسلم)): كتاب المساقاة ــ باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم: ٤٠٧٠.

(٢) ((موطأ مالك)): كتاب الجامع ــ باب ما جاء في حسن الخلق، ((مسند أحمد)): (٢٥٩/٣)، رقم: ١٧٣٧، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد، رقم: ٢٣١٧، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الفتن ــ باب كف اللسان في الفتنة، رقم: ٣٩٧٦.

(٣) ((مسند أحمد)): (٢٤٩/٣)، رقم: ١٧٢٣، ((مسند أبي داود الطيالسي)): لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت ٢٠٤هـ): (٤٩٩/٢)، رقم: ١٢٧٤، ((سنن الترمذي)): صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥١٨. قال الألباني: صحيح.

(٤) ((فتح الباري)): لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ): (٢٢٦/١).

أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ»[1].

وزاد الحافظ أبو داود السجستاني: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» رَوَاهُ الخَمْسَةُ إلا أبَا دَاوُدَ[2]، وورد عنه ـ عليه السّلام: «الورع الدين». وحقيقة الورع: إمساك العين عن التلذذ بالزهرات، وإمساك النفس عن الشهوات، وإمساك القلب عن الغفلات، وإمساك الروح عن الفترات، وإمساك السر عن الالتفات. قالوا: ملتفت لا يصل، ومتسلل لا يفلح.

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٤٥١، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد ــ باب الورع والتقوى، رقم: ٤٢١٥.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ــ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: ١٣، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب الدليل على أن من خصال الخير أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، رقم: ١٦٨، ١٦٩، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥ى١٥، ((سنن النسائي)): لأحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، كتاب الإيمان وشرائعه ــ باب علامة الإيمان، رقم: ٥٠١٦، ٥٠١٧.

الثالثة: الأدب، وهو: عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1]، قال العلّامة علاء الدين علي البغدادي، في "تفسيره": ولما كانت أخلاق رسول الله ﷺ كاملة حميدة، وأفعاله المرضية الجميلة وافرة؛ وصفها الله تعالى بأنها عظيمة. وحقيقة الخلق: قوة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة، والآداب المرضية، فيصير كالخِلْقَة في صاحبه، ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات، فيستعمل في حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب والمعاشرة بالمعروف مع الأقارب والأجانب، والتساهل في جميع الأمور، والتسامح بما يلزم من الحقوق، وترك التقاطع والتهاجر، واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر؛ فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الأخلاق، ومكارم الأفعال؛ ولقد

---

(١) سورة القلم.

كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ، ولهذا وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ» رواه أحمد والحاكم[1]، وفي أخرى: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي لِتَمَامِ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَتَمَامِ مَحَاسِنِ الأَفْعَالِ» رواه البغوي[2].

وقال أكمل الرسل ﷺ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدِّدَ، لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصَّوَّامِ الْقَوَّامِ بِآيَاتِ اللهِ، بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ[3]» رواه أحمد[4]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ

---

(١) ((مسند أحمد)): (٥١٣/١٤) رقم: ٥١٣، ((المستدرك)): (٦٧٠/٢)، رقم: ٤٢٢١، قال الذهبي: على شرط مسلم، وقال الألباني: صحيح.

(٢) ((شرح السنة)): لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، (٢٠٢/١٣)، رقم: ٣٦٢٢.

(٣) الضريبة: الطبيعة والسَّجيَّة ينظر: ((غريب الحديث)): لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ) (٧٠٢/١)، و((تاج العروس)): لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ): (ض ر ب)، (٢٤٨/٢).

(٤) ((مسند أحمد)): (٢٠٦/٦)، رقم: ٦٦٤٨.

أَخْلاقًا» رواه الترمذي[1]. قالوا: عليكم بالأدب، فإن الأدب باب الأَرب، وهو: مصاحبة الخلق في الشفقة، واجتناب المن في النفقة.

سُئل الحسن البصري ﷺ، عن أنفع الأدب؟، فقال: ((التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بحقوق الله تعالى على عبده، وقال: ملاك الدين الورع، وفساد الدين الطمع))[2].

اللّهمَّ؛ بحمدك وثنائك ومجدك، أصبحت وأمسيت غريباً في أرضك، أعبدك وأستعين بك؛ فاهدني سبل السّلام بالنور والبيان، وأخرجني من الظُّلمات إلى النّور، واهدني إلى صراطٍ مستقيم، يا موجود قبل كلِّ موجود، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وضاقت علينا أنفسنا، لا ملجأ منك إلا إليك وتب علينا لنتوب أنك أنت

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم: ٢٠١٨. قال الألباني: صحيح.

(٢) ((مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)): لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هــ): (٢/٢٥٦).

التواب الرّحيم، صلِّ على النَّبيِّ المصطفى الأمين، وعلى آله وأصحابه، ومن والاه ـ إلى يوم الدين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

المرتبة الخامسة: مقام المحبة ومراتبها

"أما المحبة"، فقد قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾[1]، فالمحبة، هي: ركن العبادة الأعظم، وهي: ميل دائم، بقلب هائم؛ ويظهر هذا الميل، أولاً: على الجوارح الظاهرة بالاتباع، "وهذا هو الأساس". وثانيها: على القلوب الصادقة؛ بالتصفية والافتقار. وثالثها: الصحو والتمكين، في شهود المحبوب. وبدايتها: "طاعة وخدمة"، ووسطها: "هيام وافتقار"، ونهايتها: "انشراح وبقه"؛ أي: كأنه يراه ـ جلَّ في علاه؛ في مقاميّ الأنس والعرفان.

ـ والمحبة: سر القبول والإقبال للمولى ﷻ، وهي جوهر الدين، وروح التقوى، ومنازل القرب إلى الله ـ جلَّ وعلا؛

(١) سورة المائدة.

فيكون القلب عندئذ، مشكاة نور من الفيوضات الإلهية ـ سمواً وهدى، وقلب الصالح إناء يعكس نور الحق فيه، "والمحبة"، أي: أن يكون القلب فيها من آنية الله، كما قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ: أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا»، رواه الطبراني[1]، وعن أبي موسى، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ، بخمسِ كلمات، فقال: «إِنَّ اللهَ ﷻ لا يَنَامُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» رواه مسلم[2]، قال الإمام النوويُّ في "شرح صحيح مسلم": والسُّبُحَات جمع سُبْحَة: وهيَ ما يفيض عن الذات الجميلة من لآلئ النور، ونوابض الحسن،

---

(١) ((مسند الشاميين)): لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت: ٣٦٠هـ): (١٩/٢)، رقم: ٨٤٠.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـ باب في قوله ـ عليه السلام: «إن الله لا ينام»، رقم: ٢٩٣.

وأشعَّة الجمال. قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم: «اللَّهُمَّ؛ ارْزُقْنِي حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ؛ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ؛ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ» رواه الترمذي[1].

ومراتب المحبة ثلاثة:-

أولاً: الحبّ الحقيقي، وهو: حب الذات العلية، وهو: الحبّ الحقيقي؛ أي: أنك تحب الله لذاته، وهذه حقيقة التوحيد، وأن تحب ما يحبه الله لله، فلا تحب إلا لله، ولا تبغض إلا لله، كما قال ـ جلَّ مجده: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ» رواه الإمام أحمد[3].

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٤٩١، وقال: حديث حسن.

(٢) سورة البقرة.

(٣) ((مسند أحمد)): (٤٨٨/٣٠)، رقم: ١٨٥٢٤، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده.

ثانياً: الحبّ القبولي، وهو: أن تحبّ وتطيع رسول الله ﷺ "لله"، وذلك "لحب الله فيه وأمره تعالى"، كما قال ـ جلّ ثناؤه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[1]، وهذا لكمال الإيمان، كما جاء في الصحيح: عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ» رواه البخاري[2]، "وهذا لكمال الإيمان". فتأمل.

ثالثاً: الحبّ الكمالي، وهو: أن تحبّ من أحبّ الله، "لله"، وليس مع الله؛ "وهذا لكمال الحبّ بالله تعالى"، كما قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وَأَسْأَلُكَ

(١) سورة آل عمران.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الأيمان والنذور ـــــ باب كيف كان يمين النبي ﷺ، رقم: ٦٦٣٢ .

حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا» رواه أحمد والترمذي[1].

ـ ومن ذلك: الإيمان بحب آل البيت الأطهار ـ رضوان الله عليهم والسّلام، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، وقال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾[3]، وقال ﷺ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» رواه مسلم[4]، فمن أراد الله به خيراً ألزمه وصية نبيه ﷺ في آل بيته ـ عليهم السّلام .

---

(١) ((مسند أحمد)): (٢٠١/١٦)، رقم: ٢٢٠٠٨، ((سنن الترمذي)): كتاب تفسير القرآن ـــ باب في تفسير ص، رقم: ٣٢٣٥، وقال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بن إسماعيل [أي: الإمام البخاري] عن هذا الحديث فقال: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. ثم ذكر أنه أصح من حديث الوليد بن مسلم.

(٢) سورة الشورى.

(٣) سورة الأحزاب.

(٤) ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل الصحابة ـــ باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ ، رقم: ٢٤٠٨.

ـ ومن ذلك: الإيمان بحب الصحابة الكرام ـ رضوان الله تعالى عليهم جميعاً، كما قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، وورد حديث: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»، وهذه الرواية مدلولها صحيح، دون النظر إلى سندها، وهي مؤيدة بحديث صحيح بمعناها؛ لما روى مسلم في صحيحه، قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا

---

(١) سورة الفتح.

يُوعَدُونَ» رواه مسلم[1]، فيجب ذكر محاسنهم، ومحبتهم، والثناء عليهم، وتبركوا بذكرهم، واعملوا على التخلق بأخلاقهم ـ رضي الله عنهم أجمعين.

ـ ومن ذلك: الإيمان بحب أولياء الله وأحبابه، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[2]، الولي من وادَّ الله، وآمن به واتقاه، فلا تحادُّ من وادَّ الله، جاء في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْب» رواه البخاري[3]، الله يغار لأوليائه، ينتقم لهم ممن يؤذيهم، ويكرمهم بصون محبتهم، فيحبك لمحبته عليهم، هم أخص المخاطبين بآية: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ۝٣١﴾[4]، عليكم بمحبتهم، والتقرب إليهم، تحصل لكم

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل ــ باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، رقم: ٢٥٣١.

(٢) سورة يونس.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقائق ــ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

(٤) سورة فصلت.

بهم من الله البركة، والمرء مع من أحب، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وقال ﷺ: «أولياءُ اللهِ الذينَ إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ» رواه البزار[1].

قال الشيخ أبو العبَّاس ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته؛ فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النبيّ ﷺ، والأنبياء قبله والمرسلين، وأصحابهم الصالحين وتصورتهم في قلبك؛ فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم، وبهم، إذا كنت تحبهم لله؛ فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصاً لله؛ فإن الله هو محبوبه، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله[2].

(١) قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/٨٠): رواه البزار عن شيخه علي بن حرب، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. قال الألباني: "صحيح" أنظر حديث رقم: ٢٩٨٧ في ((صحيح الجامع))، و ((السلسلة الصحيحة)): حديث رقم: ١٧٣٣.

(٢) ((مجموع الفتاوى)): تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨ هـ) (١٠/ ٦٠٨).

ـ قال أكمل الرسل ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ[١]، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا[٢]؟ قَالَ: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رواه مسلم[٣]، وفي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ» وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿أَلَآ إِنَّ

(١) معنى "أرصده": أقعده يرقبه، والمدرجة: بفتح الميم والراء، هي الطريق، سميت بذلك لأن الناس يـــدرجون عليها، أي: يمضون ويمشون.

(٢) أي: تقوم عليها، وتسعى في صلاحها عنده، وتنهض بسببها.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب ـــ باب في فضل الحب في الله، رقم: ٦٤٩٥.

أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ، رواه أبو داود[1]. قال الحافظ أبو نُعيم في "الحلية": وَمِنْ نُعُوتِهِمْ: أَنَّهُمُ الْمُوَرِّثُونَ جُلَّاسَهُمْ كَامِلَ الذِّكْرِ، وَالْمُفِيدُونَ خِلَّانَهُمْ بِشَامِلِ الْبِرِّ[2]؛ "وأولئك هم الأولياء حقا".

وفي روايةٍ أخرى: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلا انْتِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ رواه ابن حبان في "صحيحه[3]".

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الإجارة ـــ باب في الرهن، رقم: ٣٥٢٧، قال الألباني: صحيح.

(٢) ((حلية الأولياء)): (٥/١).

(٣) ((صحيح ابن حبان)): (٣٣٢/٢)، رقم: ٥٧٣، قال الألباني: صحيح.

قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، قال عكرمة: ((ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً، والحزن صبراً))[2]. قال الإمام جعفر الصادق ـ رضوان الله تعالى عليه: ((يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يردّه إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت))[3]. إلهي؛ غلّقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح للسائلين. إلهي؛ غارت النُّجوم، ونامت العيون، وأنت الحيّ القيّوم الذي ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[4]. إلهي؛ فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه، وأنت حبيب المجتهدين، وأنيس المستوحشين. إلهي؛ إن طردتني عن بابك فإلى باب من التجئ. إلهي، إن قطعتني عن جنابك فجناب من أرتجي. إلهي؛

(١) سورة الحديد.

(٢) ((شعب الإيمان)): (٣٩٧/١)، رقم: ٢٣٤.

(٣) ((حلية الأولياء)): (٦٠/١٠)، ((شعب الإيمان)): (٣٩٧/١)، رقم: ٢٣٣.

(٤) سورة البقرة.

إن عذبتني فإني مستحق للعذاب والنقم، وإن عفوتني فأنت أهل الجود والكرم. يا سيدي لك أخلص العارفون، وبفضلك نجا الصالحون، وبغفرانك أناب المقصّرون، يا جميل العفو، أذِقني برد عفوك وحلاوة معرفتك، وإن لم أكن لذلك أهلاً، فإنّك أهل التقوى وأهل المغفرة. صلِّ على الحبيب المحبوب، حبيب ربّ العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم الدين ـ بعدد كلِّ لمحة ونفس، وبعدد كلِّ معلومٍ لك، يا اللهُ، آمينَ آمينَ آمين.

المرتبة السادسة: العلم وتحقيقه:-

فالعلم، هو: إدراك، ولا إدراك من دون حياة، ولا حياة دون روح، فلا علم دونما روح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ۟ ﴿٢٨﴾﴾[1]، فالعلم: إسلام الوجه لله ـ تبارك وتعالى؛ "فهو عبادةٌ وخشية".

---

(١) سورة فاطر.

ومراتب دلالة العلم ثلاثة:-

الأولى: دلالة الكتاب والسنة، وبشريعة الله الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[1] أي: كل ما أمركم به فخذوه، وكل ما نهاكم عنه فاحذروه واجتنبوه، فلكل عبدٍ سائر بأحواله إلى الله، أمور ثلاثة: ـ

١ـ أوامر يمتثلها ٢ـ ونواهي يجتنبها ٣ـ وقدر يرضى به؛ وعلامة رضاه الله، الرضا بما قدر الله.

الثانية: ما يراد من دلالة الكتاب والسنة بأدلة الشريعة الغراء، وهذا ينقسم على قسمين:-

القسم الأول: "علم العامة"، وهو: المتألف من الأحكام التي لا يسع إنساناً بالغاً عاقلاً من الذكور والإناث إلا العلم بها ما دام فرداً من أفراد الأمة، وهو: "المعلوم من الدين بالضرورة" أو "علم الدين الضروري الواجب"، كما قال

---

(١) سورة الحشر.

تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴿٣٠﴾﴾[1]، وقال - جلَّ ثناؤه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[2].

القسم الثاني: "علم الخاصة"، وهو: المتكون من الأحكام والقواعد القانونية المفصلة التي يختص بمعرفتها الفقهاء والمجتهدون دون سائر الناس، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴿٨٣﴾﴾[3]، فإنَّ من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية، وهو "النّص"، ومنه ما يدرك بالاستنباط، وهو: علم المعاني المودعة في النصوص وهي: "الأحكام".

المرتبة الثالثة: وهي تحقيق العلم، وهي: حقائق العلوم، وهو: علم أهل المعرفة بالله؛ كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ

---

(١) سورة الروم.

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة النساء.

﴿بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴿٤٩﴾﴾[1]، وقال ـ جلَّ مجده: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[2]، وهي: إحكام الأحكام. والحكمة: سر النبوة، وفُسِّرَتْ بأنها: شيء يجعله الله في القلب ينور له به، قال مجاهد: ((هي القرآن والعلم والفقه))[3]. وقال الحسن: ((من أُعطي القرآن فكأنّما أُدرجت النبوّة بين جنبيه إلّا أنه لم يُوحَ إليه))[4].

فالحكمة، هي: العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها؛ من علم وعمل وحال بالله تعالى، قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ،

---

(١) سورة العنكبوت.

(٢) سورة البقرة.

(٣) ((تفسير الطبري)): لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت ٣١٠هـ)، (٥/٥٧٧).

(٤) ((تفسير البغوي)): للحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، (١/٣٧٤).

وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» متفق عليه[1].

قال القرطبي وغيره: ((ضرب النَّبيّ ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه. فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلّم فهو بمنزلة الأرض الطيبة، شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها. ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب العلم ــ باب فضل من علم وعلّم، رقم: ٧٩، ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل ــ باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، رقم: ٢٢٨٢.

يتفقه فيما جمع، لكنه أدّاه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا»[1]، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين، لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها))[2].

قلت: شرط العالم أن يعظ نفسه، ويبلغ أمانة دين الله الإسلام لأمة خاتم النبيين ورسل الله ـ صلوات ربّي عليه، وعليهم أجمعين إلى يوم التناد؛ فهو بين الإنابة والتبليغ سيراً برحمة الله إلى ذات رحمته ـ جلَّ في علاه.

اللَّهمَّ إنا نسألك إيمانًا دائمًا، ونسألك قلبًا خاشعًا، ونسألك علمًا نافعًا، ونسألك يقينًا صادقًا، ونسألك دينًا

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب العلم ــ باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم: ٢٦٥٨.

(٢) ينظر: ((فتح الباري)): لابن حجر (١/١٧٧).

قيمًا، ونسألك العافية فى كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسالك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس، آمينَ آمين ـ يا أرحم الراحمين.

المرتبة السابعة: الدعوة في سبيل الله، ومنازلها

فالدعوة: مشتقة من الدعاء وهو الطلب، وفي الشرع: قول يطلب من الإنسان إثبات حق على الغير، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴿١٠٨﴾﴾[1]، قل للناس يا نبي الله، هذه طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحقِّ والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، حجة واضحة، وعلم صحيح، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، أي: يقفوا أثري على ذلك، بحسب ما يعطي، لأنَّ دعوته عامة لكلِّ وجه بر، وعلى الأثر

(١) سورة يوسف.

دعوتهم على أنواعٍ منها؛ كدعوة العارفين ـ إلى المحبة والعرفان، ودعوة العلماء ـ إلى الشرع والاتباع؛ والجمع بينهما هو طريق أهل الله، والدعوة في سبيل الله، هي شعار الأنبياء. والدعوة مشتقة من الدعاء، وهو الطلب، وفي الشرع: قول يطلب من الإنسان إثبات حق على الغير، كما أسلفنا.

ومراتب الدعوة ثلاثة: ١ـ التبليغ ٢ ـ والتأليف ٣ ـ والتربية.

١ـ أما التبليغ: فهو الإيصال، وقيل: هو عرض وإيصال التعاليم والإرشادات السماوية الإسلامية، والمعارف الإلهية وإيصالها للناس، وتبشير الناس، برحمة الله، ونعيم الجنان، وتحذيرهم من مخالفة أوامر الله ﷻ من التوحيد والأحكام والأخلاق؛ كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ

يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴿٦٧﴾﴾ [1]، وقال ـ جلّت عظمته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [2]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، رواه أحمد وأبو داود [3]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رواه البخاري [4].

وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

---

(١) سورة المائدة.

(٢) سورة البقرة.

(٣) ((مسند أحمد)): (٢١٤/١٤)، رقم: ٨٥٣٣ ((سنن أبي داود)): كتاب العلم ــ باب كراهية منع العلم، رقم: ٣٦٥٨.

(٤) ((صحيح البخاري)): كتاب أحاديث الأنبياء ــ باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: ٣٤٦١، قال المظهري: أي بلغوا عني أحاديثي، ولو كانت قليلة. قال البيضاوي ــ رحمه الله: قال: "ولو آية" ولم يقل ولو حديثاً؛ لأن الأمر بتبليغ الحديث يفهم منه بطريق الأولوية، فإن الآيات مع انتشارها وكثرة حملتها تكفل الله تعالى بحفظها وصونها عن الضياع والتحريف. ينظر: ((إرشاد الساري)): (٤/١).

أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[1]، وهي النصيحة، والنصيحة: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد. كما قال أكمل الرسل ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» رَوَاهُ الخَمْسَةُ[2]. قوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: «لِلَّهِ» أي: بالإيمان به، والقيام بواجب شكره ﷻ، وحمل الناس على ذلك. «وَلِكِتَابِهِ» أي: بتعلمه والعمل به وإرشاد الناس إلى ذلك. «وَلِرَسُولِهِ» باتباعه ونصره في كل شيء. «ولائمة الْمُسْلِمِينَ» أي: ولاتهم باحترامهم وإطاعة أمرهم فيما يرضي الله ورسوله؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ٥٩﴾[3] «وَعَامَّتِهِمْ» أي:

(١) سورة النحل.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ــ بَاب قَوْلِ النبي ﷺ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" وَقَوْله تَعَالَى: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ٩١﴾. [سورة التوبة]، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ بَاب بَيَان أَنَّ الدِّين النَّصِيحَة، رقم: ٥٥، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب ــ باب في النصيحة، رقم: ٤٩٤٤، ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في النصيحة، رقم: ١٩٢٥، ((سنن النسائي)): كتاب البيعة ــ باب النصيحة للإمام، رقم: ٤٢٠٢.

(٣) سورة النساء.

بإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، فمن كان بهذه الصفات كان خليفة الله في أرضه، وقال أكمل الرسل ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاَثٌ لاَ يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» رواه الترمذي[1].

"أي سادة": سنة الله في عباده وأحبابه، أن يكون لكل داعية وصالح أعداءٌ وحسادٌ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[2]، وورد في الحديث: «إن كنت عابداً صادقاً في

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب العلم ــ باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم: ٢٦٥٨، قال ابن القيم: أي لا يبقى في القلب غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه منه؛ فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل. وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلال. فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً. ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه، بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة. ((مدارج السالكين)): (٢/٩٠).

(٢) سورة الفرقان.

خر جبل، لا يعلم بك إلا الله، لهيأ الله لك من المخادعين من يردك عن طريق الحق والصواب». وعند أهل العلم والعرفان: أيُّ داعيةٍ أو عارفٍ بالله ليس له أعداء فهو نقص بحاله، وإذا زاد عليه الحساد والأعداء فهي من كرامته، لصدقه، وعدم المداهنة لهم.

٢ـ والتأليف، هو: جعل الأشيله الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد سواء كان لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر أم لا، قال الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾[1]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣﴾[2] مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق، قال أكمل الرسل ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ» رواه مسلم وأبو داود

---

(١) سورة القلم.

(٢) سورة البينة.

والترمذي والنسائي[1]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلِمَهُ وَنَشَرَهُ» رواه ابن ماجه وابن خزيمة[2].

قال تاج الدين السُبكي في كتابه "جمع الجوامع": ((فإن العالم وإن امتد باعه، واشتد في ميادين الجدال رفاعه، واشتد ساعده، حتى خرق به كل سَد، سُدَّ بابه، واحكم امتناعه، فنفعه قاصر على مدة حياته، ما لم يصنف كتاباً يخلد بعده، أو يُورث علماً ينقله عنه تلميذ، إذا وجد الناس فقده، أو يهتدي به فئة مات عنها، وقد ألبسها به الرشاد برده، ولعمري إنَّ

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الوصية ــ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: ١٦٣١، ((سنن أبي داود)): كتاب الوصايا ــ باب ما جاء في الصدقة عن الميت، رقم: ٢٨٨٠، ((سنن الترمذي)): كتاب الأحكام ــ باب الوقف، رقم ١٣٧٦، ((سنن النسائي)): كتاب الوصايا ــ باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين، رقم: ٣٦٥١.

(٢) ((سنن ابن ماجه)): باب ثواب معلم الناس الخير، رقم: ٢٤٢، ((صحيح ابن خزيمة)): لمحمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي (ت٣١١هـ): (١٢١/٤)، رقم: ٢٤٩٠، وتمامه: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»، قال الألباني: حسن.

التصنيف لأرفعها مكاناً، لأنه أطولها أزماناً، وأدومها إذا مات أحياناً، ولذلك لا يخلو وقت يمر بنا خالياً من التصنيف، ولا يخلو إلا وقد تقلد عقد جواهره التأليف، ولا يخلو علينا الدهر ساعة فراغ إلا ونكل في القلم بالترتيب والترصيف))[1].

وقال الزركشي في "قواعده": ((من فروض الكفاية: تصنيف الكتب لمن منحه الله فهماً واطلاعاً، ولن تزال هذه الأمة، مع قصر أعمارها في ازدياد وتَرقٍ في المواهب. والعلم لا يحل كتمه، فلو ترك التصنيف لضيع العلم على الناس))[2] . ولله در من قال:-

يموتُ قومٌ فيُحي العلم ذكرهمُ   والجهلُ يلحق أمواتاً بأموات

وقالوا: اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلمُ مطلقٌ بالشاهد والغائب، وهو للغائب الكائن، مثله للقائم

(١) ((التعريف بآداب التأليف)): لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ): (١٩).

(٢) ((المنثور في القواعد)): لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ): (٣/٣٥).

الراهن[1]. يحمله أهل علم وحال تربوا في القال والحال فكانوا للأمة جنوداً وقادة رواسخ.

وقال مولانا حضرة الشيخ عبد الله الهرشمي ـ قدَّس الله روحه: ((أمَّا جهاد الدحض فذلك أن الإسلام كان ولا يزال معرَّضاً للطَّعن والتلبيس فيه والافتراء والعدوان عليه. هكذا يبغي عليه بدون الحقِّ أعداؤه. وعدوان الأقلام الكاذبة والعقول الدجالة أعتى وأشد فتكاً من الرماح والسيوف والقنابل والصواريخ. فكان ولا يزال حتماً على علماء الأمّة أصحاب الغيرة والحمية والهمة أن يذبوا عن الحياض ويصونوا جوهر الإسلام فيجاهدوا في سبيل الله بما آتاهم الله من قوى العلم وسلاح الأقلام))[2].

٣ ـ تربية الرجال: قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟

(١) ((التعريف بآداب التأليف)): (٢٧).

(٢) ((معالم الطريق)): (١٨٦،١٨٧).

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨﴾[1]،

ورد عن رسول الله ﷺ: «أدَّبني ربي فأحسنَ تأديبي» فهذا الحديث مدلوله صحيح، وهو يلزم بالتحقق بآداب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإن من زل عنها هوى، ومن فارقها ضل وغوى، وبها تعرج همم المقربين، وتزهر أسرار العارفين، ولا وجه يلتحق به العارف بربه إلا طريق الأدب المحمدي؛ وبهذا تتربى الرجال لنهضة الأمة؛ العلم: بملاحظة واستقراء، والعقل: بنتائجه واستنتاجه، والروح: بإلهامها وإشراقها من الله تعالى، ليكون الداعية الربّاني؛ إسلامي الاتباع، محمدي الأخلاق، ربّاني الأحوال بالله ﷻ، فيكون مثلاً ـ كالنووي وابن القيم وأمثالهما علماً، والغزالي وأمثاله حكمةً وفكرا، والسجاد والكيلاني وأمثالهما روحاً وسلوكا؛ ليسير القاصد إلى الله ﷻ، ديناً، وقلباً، وخدمةً لهذه الأمة المرحومة ـ أمة خاتم النبيين والمرسلين ـ صلوات الله عليه

(١) سورة النور.

وعليهم أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم الدين، قال أكمل الرسل ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا؛ وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا» رواه مسلم[1]، وقال ـ عليه السّلام: «أَلا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ» رواه الترمذي وابن ماجه[2].

قال النووي في "بستان العارفين": ((من كانت فيه نجابة في العلم، وحصَّل طَرَفًا منه، وظهرت فيه أمارات التبريز فيه؛ فينبغي له أن يجتهد في تتمته، ولا يضيع طلبه فيضع نفسه، ومن حصل له العلم، ينبغي له أن يسعى في نشره، مبتغيًا به رضا الله تعالى، ويشيعه في النّاس، لينتقل عنه، وينتفع به النّاس، وينتفع هو. وينبغي أن يرفق في نشره بمن يأخذه منه، ويسهل طرق أخذه؛ ليكون أبلغ في نصيحة العلم، "فإنَّ الدين النصيحة))[3]. فتأملوا.

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الطلاق ــ باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، رقم: ١٤٧٧.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد، رقم: ٢٣٢٢، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد ــ باب مثل الدنيا، رقم: ٤١١٢، قال الألباني: حسن.

(٣) ((بستان العارفين)): لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ): (٤٠).

اللّهمَّ؛ زدني علمًا وألحقني بالصالحين، واجعلني من ورثة جنة النعيم، واغفر لي وارحمني، ووالديَّ، ولمن دخل بيتي مؤمنًا، وللمؤمنين والمؤمنات، المسلمين والمسلمات ـ برحمتك يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أجود الجوادين، يا اللهُ، آمينَ آمينَ آمين.

المرتبة الثامنة: الجهاد في سبيل الله، وأنواعه

فالجهاد، هو: الدعوة إلى الدين الحق، أو خلو عن الراحة، وترك الرخصة، ومقامه عند الله عظيم، كما قال تعالى: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾[1] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ

(١) سورة النساء.

النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» رواه مسلم[1]. وقال ـ عليه السّلام: «ذُرْوَةُ سَنَامِ الإِسْلامِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» رواه أحمد[2]، وذلك لحماية الدين والأمة، والشوق إلى لقاء الله تعالى، والفوز بما أعده لعباده الصالحين، من الدعاة والمجاهدين، من الدرجات والنعيم المقيم.

"ومراتب الجهاد كثيرة":-

منها: جهاد العدو، لإعلاء كلمة الحق، وإخفاء راية الباطل من الكفرة والمنافقين، كما قال ـ جلَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾[3]، وقال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الإمارة ـــ باب فضل الجهاد والرباط، رقم: ١٨٨٨.

(٢) ((مسند أحمد)): (٣٧٥/٣٦)، رقم: ٢٢٠٥١.

(٣) سورة التوبة.

ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1].

ومنها: جهاد الشياطين وحزبهم ـ من أهل البدع والضلالات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴿٦﴾﴾[2]، وقال ـ عزَّ كماله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[4]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة فاطر.

(٣) سورة الجاثية.

(٤) سورة النساء.

أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» رواه مسلم[1].

ومنها: جهاد القلب، كما في الحديث الشريف؛ وهو بغضهم، وبغض حالهم، التي هي عقيدة الولاء والبراء؛ بدونها لا يصير الإنسان مؤمناً؛ فسمى النَّبيُّ ﷺ فعل القلب هذا جهاداً، كما سمى فعل اللسان جهاداً، إذاً من باب أولى يسمى فعل اليد جهاداً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـــ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم: ٥٠.

سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ [1]. فللأمانة، نقول: القضية: "قضية دين، وقضية قلوب، وقضية أمة". فتنبهوا.

ومنها: جهاد النفس، قال أهل العلم: النفس من الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوّة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه . وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أن النوم والموت من جنس واحد؛ لأن الموت هو الانقطاع الكلي، والنوم هو الانقطاع الناقص، فثبت أن القادر الحكيم ـ جلَّ وعلا، دَبْرَ تعلق جوهر النفس بالبدن على أضرب: ـ

إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن، ظاهره وباطنه، فهو اليقظة، وإن انقطع ضوؤها عن ظاهره دون باطنه، فهو النوم، أو بالكلية فهو الموت، وبينهما تقارب بقدرة القادر الحكيم، كما كان يقول أكمل الرسل ﷺ عند

(١) سورة العنكبوت.

الاستيقاظ: «الْحَمد لله الَّذِي أَحْيَانا بَعْدَمَا أماتنا وَإِلَيْهِ النشور» متفق عليه[1].

فسبحان الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، والذي باسمه الحي كانت الحياة، فإذا كنا مع الله، فحياتنا لا تنقطع بأُنسها وجمالها، وإذا ابتعد العبد عن الله، فانقطاعه سريع، وموته حزن وعذاب. ونسأله السلامة في ديننا ودنيانا وآخرتنا، آمين.

"أي سادة": إن النفس هي من أعدى الأعداء، فوجب الانتباه إلى مخاطرها وخفاياها، ولزم المسلم كبح جماحها وعدم الانصياع لها، وورد: «أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»[2]. ولله در القائل:-

تعرف النفس لا تأمن غوائلها   فالنفسُ أخبث من سبعين شيطانا

فمجاهدتك لنفسك يُعد الجهاد الأكبر، وورد: عن أكمل الرسل ﷺ أنه قال: «هبطتم من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الدعوات ــ باب ما يقول إذا نام، ٦٣١٢، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٢٧١١.

(٢) ذكره المناوي في ((كنوز الحقائق))؛ معزواً للبيهقي ــ يعني في "الزّهد" بإسناد ضعيف؛ كما قاله العجلوني في ((كشف الخفاء)): (١٥٩/١) قال: وله شاهد من حديث أنس ﷺ.

الأكبر، وهو: جهاد النفس»، فإذا انفصل أحدهما عن الآخر؛ كان صغيراً، وإذا اجتمعا؛ كانا كبيرين.

ـ وكن حذراً أن تفصل بين الجهاد والمحبة، فإنَّ الله جمع بينهما في قرآنه المجيد، فقال ـ جلَّ مجده: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1] وكذلك العمل "لوحدتنا وإخلاصنا"، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[2]، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟﴾ فثباتنا في الجهاد وبأنواعه ـ كجهاد

---

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة الأنفال.

العدو، وجهاد النفس، وجهاد الدعوة والإرشاد، والثبات في المحن والشدائد، والثبات على الحق، ودحض الباطل، والثبات مع تشكيل الأحوال في الله ﷻ؛ وهي الاستقامة على طريق الدين والمحبة والدعوة، وهي من مواهب الرحمن لعباده وأحبابه؛ وذلك من الثبات والرباط في سبيل الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أي: بدعائكم بالثبات والنصر لهذه الأمة المرحومة؛ واعلموا أن الدعاء مستجاب بعد الطاعات، والصبر في الشدائد التي تقع على هذه الأمة المرحومة، ومن هذه الأذكار: أذكار السُّنة، ولا سيّما ما كان يدعو أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم، في أوقات الشدائد والمحن، وكذلك تلاوة القرآن المجيد، وحضور الفكر في أوقاتك، وذكر الله في القلب؛ حتى لا تضيع الأوقات والأحوال التي هي من منازل الآخرة ـ ونسأله تعالى حسن الخواتم والرضا.

ولله در الإمام الشافعي ﷺ، إذ قال:-

وما تقلبت من نومي وفي سنتي   إلا وذكرك بين النفس والنفس

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾، أي: بكل ما يأمران به، بل يجب في الدين طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ كذلك يجب طاعة أولي الأمر منكم، والعلماء ورثة الأنبياء؛ وبذلك حياة الأمة.

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾، "أي سادة": لو عملتم بكل ما تقدم، ولكن حصل التنازع ولا تقام دولة أو تدوم، ولا تحفظ لكم قوتكم الظاهرة والباطنة، ولو حصل شيء يخشى أن يكون استدراجا، وكذلك الاعتراض بما لا علم لك به، وما يظهره الله لعبده، فهو بتوفيق الله عليه، والاعتراض في ذلك تنازع، قال مفتي الحنابلة في القرن الخامس الهجري ـ في بغداد، الإمام الربّانيّ الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ قدس الله روحه، في قصيدته ـ ومنها هذا البيت:-

ولا تعترض فيما جهلت من أمره   عليه فإن "الاعتراض تنازع"

"أي إخوتي": الكافرون بعضهم أولياء بعض، والمؤمنون الصالحون في تنازع وتحاسد، والأمة في شقاق وخلاف؛ وإن لم تفعلوا لوحدتنا وإخلاصنا، وعدم التنازع فيما بيننا؛ تحصل فتنة في الأرض وفساد كبير، وذلك يُضعف الإسلام، ويكسر شوكته، ويظهر الكفر والبدع، ويُعلي رايتهم، كما قال ـ جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ٧٣﴾[1]، اتخذ المسلمون بطانتهم من غيرهم، وولوا أعداء الدين لأجل مناصبهم، ومصالحهم الدنيوية الدنيئة الفانية. ولا حول ولا قوة إلا بالله، فخسروا وخابوا؛ فكان الذل والهوان.

"أي إخوتي": التنازع فشل وخسران، وضياع للأمة، وتضييع الأمانة، وخشية الخيانة؛ فكم نحن بحاجة اليوم إلى وحدتنا، وإخلاصنا، وخدمة أمتنا، وأرجو قائلاً: -

(١) سورة الأنفال.

قال أكمل الرسل ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» رواه مسلم[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾، فلو جُمع الأمر عليكم بتوفيق الله فيما ذكر، فعلينا بعد ذلك بالصبر، فإنَّ الاختبار مُنحة؛ فبعد كل مِحنة مُنحة، بعد ذلك لعباده وأحبابه الدعاة الصادقين، والمؤمنين الصالحين، "وعلامة رضاء الله، الرضا بما قدره الله"، سُئل سيدنا علي المرتضى ﷺ، وكرم الله وجهه، عن القضاء والقدر، فقال: ليلٌ مظلم، وبحرٌ عميق، وسرُّ الله الأعظم؛ فمن رضي به فله الرضا، ومن سخط فله السخط. قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾[2].

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب ــ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: ٢٥٨٦.

(٢) سورة يوسف.

"أي سادة": قد بشر الله تعالى الذين ينهون نفوسهم عن اتباع الهوى بالجنّة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[1] قال العلامة الآلوسي في "تفسيره": ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾، أي: مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى، يوم يتذكر الإنسان ما سعى ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي زجرها وكفها عن الهوى المردي، وهو الميل إلى الشهوات، وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخيرات، ولم يعتد بمتاع الدنيا وزهرتها، ولم يغتر بزخارفها وزينتها، علماً بوخامة عاقبتها؛ وعن ابن عباس ومقاتل: إنه الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب بين يديّ ربّه سبحانه فيخاف فيتركها. أهـ[2].

"أي سادة": أفضل الأعمال مخالفة هوى النفس، ولتهذيبها، وترويضها ـ بتوفيق الله ورحمته ـ جلَّ وعلا، منازل

(١) سورة النازعات.

(٢) ((تفسير روح المعاني)): شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، (٢٣٨/١٥).

في التزكية والتربية، أولاً: أنْ لا توافقها في أي أمرٍ ظاهراً كان أو باطناً مخالفاً للشريعة الغراء. ثانياً: أنْ لا تَنْشغِلَ بخِواطرها؛ لأن اللصَ لا يَدخُلُ بيتاً فارغاً، لقوله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»، رواه الإمام البخاري[1]، وفي أخرى، قال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» متفق عليه[2].

ثالثاً: وكن غيرَ راضٍ عن خَواطِرها السيئة، وَاحْرص على أن تَضْحَكَ على تلك الخواطر؛ لأنك إذا صغرت قيمته عندك، وهان كيده عليك، وإذا تم علمك بمضره وما يُلقي إليك من تلك الوسوسة أو الخواطر، مع معرفتك بقوته عليكَ، وضعفك عنه، فحينئذ أُعطيت القدرة على رد كيده، ولم يعط القوة على أن يُكرِهك على ما يُريد منك، بإذن الله

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الطلاق ــ باب الطلاق في الإغلاق والكره، والسكران والمجنون وأمرهما، والغلط والنسيان في الطلاق والشرك وغيره، رقم: ٢٥٦٩.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق ــ باب من هم بحسنة أو بسيئة، رقم: ٦٤٩١، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، رقم: ١٣١.

تعالى. كل هذا حتى لا تُشْغلَ بوسواسها عن تهذيبها، وتزكيتها، وتعيق ترقيك إلى الله ﷻ.

وإذا رأيت بعد ذلك التهذيب تكاسلاً عن الطاعة، أو ميلاً إلى المعصية فاعلم بأن الله يسمعك ويَراك، ويَعلم سِركَ ونَجواكَ: قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣﴾[1] ثم تذكر أن لك ملكين كريمين يكتبان لك حسناتك وسيئاتك: كما قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾[2] ثم انهض بهمةٍ تُفتح لك الأبواب بإذن الله الواحد الفتاح، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾[3]، والمعنى: سيمُدّكَ ﷻ؛ بالنصر والمعونة والتوفيق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾[4].

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة ق.

(٣) سورة العنكبوت.

(٤) سورة النحل.

واعلم: أن الموت غيبٌ ينتظر أمر الله عليك بأي لحظةٍ، ثم تنتقل إلى الخلود الأبدي، فما أنت صانعٌ؟ والله تعالى، يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[1].

واعلم: أن التقيَّ في جنّاتٍ ونهر، وأن المُقَصِّرَ والمُجْرم في عذابٍ وسُعر: كما قال ـ جَلّتْ قُدرَتُهُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤﴾[2].

فعليك أيها الأعز الصالح: أن تكبح جماح نفسِكَ الأمارة بالسوء، وان تكسّر سيوفها ورماحها وتصدَّ عن الجوارح والفكر والقلب رياحها، وتقهر حتى ينقطع خداعها وجراحها، وتطوّع كيما يستوي مسارها وغدوها ورواحها، ثم يهدي إليها استقرارها وأمانها وفلاحها وعندئذ فهي النفس المزكاة مريدة القلب في أمره والإِشارات، بتوفيق الله وفضله.

(١) سورة الرحمن.

(٢) سورة الأنفطار.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، فجهاد العدو، وجهاد النفس، وجهاد الدعوة والإرشاد، والثبات في المحن والشدائد، والثبات على الحق، ودحض الباطل، والثبات مع تشكيل الأحوال والمقامات في الله ﷻ؛ وهي الاستقامة على طريق الدين والمحبة والدعوة، وهي من مواهب الرحمن ـ جلَّ وعلا ـ لعباده وأحبابه؛ فإنَّ القضية: "قضية دين"، "وقضية قلوب"، "وقضية أمة"؛ وذلك من الثبات والرباط في سبيل الله ـ تبارك وتعالى.

اللّهُمَّ؛ بسطوة جبروت قهرك، وبسرعة إغاثة نصرك، وبعزَّتك لانتهاك حرمتك، وبحمايتك لمن احتمى بآياتك، نسألك يا الله يا سميع يا مجيب يا قريب يا منتقم يا قهار، يا شديد البطش، يا من لا يُعجزه قهر الجبابرة، ولا يعظم عليه هلاك المُتمرِّدة، من الملوك والأكاسرة، والأعداء الفاجرة، أن تجعل كيد من كادنا في نحره، ومكر من مكر بنا عائدًا إليه،

وحُفرة من حفر لنا واقعًا هو فيها، ومن نصب لنا شبكة الخداع، اجعله يا سيّدي مَسُوقًا إليها وحصيدًا فيها وأسيراً لديها. احتجبنا بنور الله، وبنور عرش الله، وبكل اسم لله من عدوّنا وعدوِّ الله، ومن شر كلِّ خَلْقِ الله، بمائَةَ أَلْفِ أَلْفِ "لا حول ولا قوة إلا بالله"، خَتمت على نفسي وديني وأهلي وإخواني بمحبة ربّي وجميع ما أعطاني ربّي بخاتم الله القدُّوس المنيع الذي ختم به أقطار السموات والأرض، {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}. وصلَّى اللهُ على سيِّدنا ومولانا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم. آمينَ آمينَ آمين. والحمد لله ربِّ العالمين.

المرتبة التاسعة: العارف بالله وتحقيقه

قال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾[1] أي: العيش مع الله، والفهم عن الله؛ وهي حياة العارف بالله.

والعارف بالله: من عرف ربّه واتقاه، حاضر الفكر، مستمر الذكر بالله، أُنسه وافتقاره في خدمة مولاه.

ـ ومنازل العارف ثلاثة: عارف في الله، وعارف لله، وعارف بالله، أما "العارف في الله"، فهو: صاحب معرفة، "والعارف لله"، هو: صاحب أحوال ومقامات بالله ـ جلَّ وعلا، "وعارف بالله"، وهو: المتحقق، والوارث المحمدي، وهو: صاحب "فناء وبقاء"؛ "فالفناء" هو: التجرد بما لا يليق، باستغراقك بعظمة الباري الجليل، "والبقاء": بقاؤك بما أمرك وأحبك ﷻ فتكون بين الإنابة والخدمة، والحضور

---

(١) سورة النحل.

والذكر ـ شوقاً وأنساً؛ فذهابك إلى الله تعالى، بتوفيق الله ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

فالأول: "علم العارف ورجاؤه"، والثاني: "حال العارف وقبوله"، والثالث: "تحقيق العارف، وتوفيقه وتأييده الربّانيّ"، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[1] والحكمة: سر النبوة؛ وهذا من الإرث النبوي، كما قال ـ جلَّ شأنه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿١٢٩﴾﴾[2]، وقال ـ جلَّ ذكره: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴿٣٢﴾﴾[3] فكتب الحقُّ ـ جلَّ وعلا، البقاءَ لما آتاه من الحكمة والشريعة وقوَّة التزكية في قلوب أتباعه الآخرين كأتباعه الأوَّلين، كما قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة فاطر.

وصحبه وسلّم: «أولياء الله الذين إذا رُؤوا، ذكر الله»، رواه البزَّار، قال الألباني: "صحيح"، كما في السلسلة الصحيحة[1].

والعارف بالله زاد التقوى، كما قال الأسياد: عليٌّ وابنُ مسعودٍ وأنس ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين: ((المتقون سادة، والفقهاء أو العلماء قادة، ومجالستهم زيادة))، رواه أبو داود والطبراني[2].

قال الإمام جعفر الصادق ـ عليه الرضوان والسّلام: ((لا يعرف الله حق معرفته من التفت منه إلى غيره، المعرفة هي طيران القلب في سرادق الأنس والألفة، جولاً في حجب الجلال والقدرة؛ وهذه حالة من صمتت أذناه عن البطالات،

---

(١) سبق تخريجه في ص ٥٨.

(٢) ((الزهد)): لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ): (١٥٩)، ((المعجم الكبير)): سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، (١٠٥/٩)، رقم: ٨٥٥٣.

وعميت عيناه عن النظر إلى الشهوات، وخرس لسانه عن التكلم بالترهات))[1].

وقال الإمام طيفور ـ قدّس الله روحه: ((ليس على تحقيق بالمعرفة، من رضي بالحال دون ولي الحال؛ فإن من عرف الله كلَّ لسانه، ودهش عقله، العارف إن تكلم بحاله هلك، وإن سكت احترق))[2].

وقال الإمام الواسطي ـ قدّس الله روحه: ((المعرفة على وجهين؛ معرفة الإيقان، ومعرفة الإيمان؛ فمعرفة الإيمان: شهادة اللسان بتوحيد الملك الديان، والإقرار بصدق ما في القرآن، وأما معرفة الإيقان، فهي: دوام مشاهدة الفرد الديان بالجنان))[3].

قلتُ، أي: حضورٌ بالفكر، وذكرٌ في القلب، وهيامٌ بالروح؛ وهكذا أحوال أهل الله، لله عَجَّلَ.

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): للإمام أحمد الرفاعي: (٢٢).

(٢) المصدر نفسه: (٢٢).

(٣) المصدر نفسه: (٢٢).

وقال ذنون المصري ـ قدّس الله روحه، المعرفة: هي على ثلاثة أوجه، أولها: معرفة التوحيد، وهي: لعامة المؤمنين، والثاني: معرفة الحجة والبيان، وهي: للعلماء والبلغاء والحكماء، والثالث: معرفة صفات الفردانية، وهي: لأهل ولاية الله تعالى وأصفيائه؛ الذين أظهر الله لهم ما لم يُظهر لمن دونهم، وأعطاهم من الكرامات ما لم يجز أن يوصف ذلك بين يدي من لا يكون أهلاً له، خصهم الله من بين الخلائق، واصطفاهم لنفسه، واختارهم له، فحياتهم رحمة، ومماتهم غبطة، فطوبى لهم[1]. ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾[2] اللّهمَّ؛ اجعلنا متحققين بحقائق الإيمان، وأوصلنا إلى درجات العرفان

(١) المصدر السابق: (٢٣).

(٢) سورة يونس.

والإحسان ـ بمنك ولطفك وكرمك ـ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله، آمين.

اللَّهمَّ؛ اشغل جوارحنا بطاعتك، وقلوبنا بمعرفتك، وذكرك، وأنسك، واشغلنا طول حياتنا في ليلنا ونهارنا بذلك، وألحقنا بالذين تقدموا من الصالحين، وارزقنا ما رزقتهم، وكن لنا كما كنت لهم، آمين.

صلِّ وسلَّم على حبيب رب العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وسيلتنا العظمى إلى الله، من روحي وما ملكت فداه، وعلى آله وأصحابه ومن والاه. والحمد لله ربّ العالمين.

المرتبة العاشرة: الوارث المحمدي، وشروط تأهله

أما الوارث المحمدي، فقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[1]. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ﴾ أي: بعدما اصطفيناك يا

(١) سورة فاطر.

أكمل الرسل ـ بالرسالة العامة، وأيدنا أمرك بإنزال القرآن المجيد المعجز، الموجز؛ المشتمل بجميع فوائد الكتب السماوية مع زيادات خلت عنها كل الكتب النازلة من الله تعالى ﴿أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ المنزل إليك، وأبقيناه بعدك بين القوم ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: علماء الأمة من الصحابة، ومن بعدهم من العلماء العاملين الأتقياء والعارفين بالله، أو الأمة بأسرهم أجمعين؛ فإن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: بالتقصير بالعلم به، أو مقصر في الأعمال لم يُوفِّها حقها مع كثرة الحسنات، لانشغاله ببعض المجاهدات الشاقة عن المقربات والمحبوبات، وهو "المؤمن المشمول بمغفرة الربّ ـ جلَّ وعلا"، ولا يظن أن الظالم لنفسه محروم منها، فمناط الاصطفاء والإيمان والإسلام وهو الانقياد في القول والاستسلام؛ وقدَّم في التفصيل ذكر الظالم لنفسه لدفع توهم حرمانه من الجنّة، وتعجيلاً لمسرَّته، لأنه من أهل العبادة والاصطفاء ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو

الذي يعطيها حقها في أغلب الأوقات، فيقتصد في الأعمال والأفعال والأقوال وجميع الأحوال، وهو"الولي الصالح" ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: مواظب على الطاعات، مشمر دائماً للأعمال الصالحات، وفواضل الصدقات، والإنفاق على طلب المرضاة، للفقراء والمهاجرين في سبيل الله، المنصرفين عن الدنيا وما فيها، وقد زادوا بالأعمال الصالحات بضم التعليم والإرشاد، وهم "الوارثون الربّانيّون" ـ "أهل المعرفة والمحبة والقربة"، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [1] ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وعلى مقتضى ما ثبت في كتابه ـ جلَّ وعلا ـ ونطق به لسان رسوله ﷺ؛ وهم الأخيار المحسنون من العارفين الوارثين، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

(١) سورة آل عمران.

﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ١٠٠﴾[1] وقال ـ جلَّ مجده: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١﴾[2]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «سَابِقُنَا سَابِقٌ وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ» رواه البيهقي[3]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «السَّابِقُ وَالْمُقْتَصِدُ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» رواه الحاكم[4]، قال البغوي: وروي عن أسامة بن زيد في هذه الآية، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ»[5] وكذا أخرج البيهقي عن أسامة، وأخرج مثل ذلك عن كعب وعطء؛ أن

---

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة الواقعة.

(٣) ((البعث والنشور)) للبيهقي: (٨٤)، وقال: ((فيه إرسال بين ميمون بن سياه، وبين عمر ﷺ. وروي من وجه آخر غير قوي، عن عمر موقوفا عليه)). وأخرجه أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) في ((مسند الفاروق)): (٢/٦٠٣).

(٤) ((المستدرك)): (٢/٤٦٢)، رقم: ٣٥٩٢، قال الحاكم: وقد اختلفت الروايات عن الأعمش في إسناد هذا الحديث فروي عن الثوري، عن الأعمش، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء ﷺ، وقيل عن شعبة، عن الأعمش، عن رجل من ثقيف، عن أبي الدرداء. وقيل عن الثوري أيضا، عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت، عن أبي الدرداء. ((وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلا)).

(٥) ((تفسير البغوي)): (٣/٦٩٤).

الأصناف الثلاثة في الجنة[1]، وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن ابن عباس في الآية، قال: ((هم أمة محمّد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله، وظالمهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيرا، وسابقهم يدخل الجنَّة بغير حساب))[2]، وأخرج البيهقي عن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ الآية، قال: ((أشهد على الله أن يدخلهم الجنَّة جميعاً))[3]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «يَبْعَثُ اللَّهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُمَيِّزُ الْعُلَمَاءَ فَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ، إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فيكُمْ لِأُعَذِّبَكُمْ، اذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[4].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الإيراث والتوريث والإعطاء والاصطفاء ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ من الله إياهم في أولاهم، والفوز

(١) ((البعث والنشور)): (٨٦/١).
(٢) ((تفسير الطبري)): (٤٦٥/٢٠).
(٣) ((البعث والنشور)): (٨٥/١).
(٤) ((المعجم الأوسط)) للطبراني: (٣٠٢/٤)، رقم: ٤٢٦٤.

العظيم، والنوال الكريم لهم في أخراهم. يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله.

قال القاضي محمّد ثناء الله الحنفي المظهري، في "تفسيره": سُئل أبو يوسف عن هذه الآية، فقال: كلهم مؤمنون، وأما صفة الكفار فبعد هذا، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ۝٣٦﴾[1] وأما الطبقات الثلاث فمن الذين اصطفى من عباده؛ لأنه قال: فَمِنهُم، وَمِنهُم، والكل راجع إلى الذين اصطفى من عباده، وهم أهل الإيمان، وعليه الجمهور[2]. فتأمل.

قال الإمام جعفر الصادق: فرَّق الله المؤمنين ثلاث فرق، وقال لهم: عبادنا وأضافهم إلى نفسه تفضيلاً منه وكرماً، وجعلهم كلهم أصفياء مع علمه بتفاوت معاملاتهم، ثم جمعهم في آخر الآية بدخول الجنَّة، فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ

---

(١) سورة فاطر.

(٢) ((تفسير المظهري)): للقاضي محمد ثناء الله العثماني المظهري (ت١١٢٥)، (٥٨/٨).

يَدۡخُلُونَهَا ۝٣٣﴾[1] ثم بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بمحض كرمه، وإن الظالم لا يؤثر في الأصفياء، ثم بين للمقتصدين؛ لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين؛ لأنه لا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنَّة بحرمة كلمة الإخلاص في الشهادة.

وقال أبو علي الترمذي: لكل واحد من هؤلاء الثلاثة نوع من السؤال مناسب لما فيه من الحال؛ أخبر عنها المصطفى بلسان المقال، فسؤال الظالم: أسألك الإيمان بك، والكفاف من رزقك، وسؤال المقتصد: أسألك الجنَّة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وسؤال السابق: أسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك.

فأحباب الله تعالى: خواصٌ، وهم: السابقون المقرَّبون، والعامةُ، هم: الأبرار أصحاب اليمين؛ "ومن الخواص:

---

(١) سورة فاطر.

الوارث المحمدي"، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ"، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، وإنما وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[1]. وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» رواه أبو داود والحاكم والطبراني[2]، والمجدد: كما عرفه المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ عن جماعة من العلماء، قالوا: ولا

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب العلم ــ الحث على طلب العلم، رقم: ٣٦٤٨، ((سنن الترمذي)): كتاب العلم ــ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم: ٢٦٨٢، ((سنن ابن ماجه)): باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم، رقم: ٢٢٣، قال الألباني: صحيح.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الملاحم ــ باب ما يذكر في قرن المائة، رقم: ٦٥٢٧، ((المستدرك)): (٤/٥٦٧)، رقم: ٨٥٩٢ ((المعجم الأوسط)): (٦/٣٢٣)، رقم: ٦٥٢٧، قال الألباني: صحيح.

يكون المجدد إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة[1]؛ قال محمد شمس الحق العظيم آبادي في "عون المعبود": والمراد بتجديد الدين للأمة: ((إحياء ما اندرس من العلم بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاها، ولا يعلم ذلك المجدد إلا بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله، والانتفاع بعلمه، إذ المجدد للدين لابد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، قاصداً للسنة، قامعاً للبدعة، وأن يعم علمه أهل زمانه، وإنما كان التجديد على رأس كل مائة سنة لانخرام العلماء فيه غالباً، واندراس السنن، وظهور البدع؛ فيحتاج إلى تجديد الدين فيأتي الله تعالى من الخلق بعوض من السلف إما واحداً أو متعدداً))[2]؛ فيتبين أهمية الوارث المحمدي وصحبته للترقي في مدارج القرب والإقبال، إلى مدارج الكمال، كما قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ

---

(١) ((فيض القدير)): لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ): (٣٦٥/٢).

(٢) ((عون المعبود)): لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ): (٢٦٣/١١).

كَثِيرٌ﴾ رواه البخاري ومسلم[1]. وتلقي دروس الآداب والفضائل عنه، واكتشاف العيوب الخفية والأمراض القلبية ـ فهو الذي يُعالجك بما عالجه الله تعالى.

وللوارث المربي شروط حتى يتأهل لإرشاد الناس وهي:-

أولاً: أن يكون عالماً بالفرائض العينية، كالأركان الخمسة في الإسلام، ولا سيّما فقه العبادة، من السنن والآداب؛ فهو عامل بالدين الكامل الصالح، مع الهمة والتحمل في سبيل الله تعالى؛ فيفعل المأمور، ويدع المحظور، ويرضى بالمقدور إلى أن يذهب إلى المولى الجليل ـ جلَّ في علاه.

ثانياً: أن يكون عالماً بحقائق العلوم، "وهو علم المعرفة الإلهية"؛ فينبغي أن يتحقق بعقيدة أهل السنة؛ توحيداً وتجريداً وتفريداً، عملاً وذوقاً، بعد أن عرفها علماً ودراية،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب أحاديث الأنبياء ــ باب قول الله تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾، رقم: ٣٤١١، ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ باب فضائل خديجة أم المؤمنين ــ رضي الله تعالى عنها، رقم ٢٤٣١.

فيشهد في قلبه وروحه صحتها، ويشهد أن الله تعالى واحد قدوس بذاته، قدوس في صفاته، قدوس في أفعاله، ويتعرف على أسماء الله تعالى ذوقاً وشهوداً، ويرجعها إلى الذات العلية؛ فهو ذات ﷻ، لا ماهية له، كما قال ـ جلَّ مجده: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[1] وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[2] .

ثالثاً: فلابد أن يكون قد زكى نفسه بالمجاهدة والأدب المحمدي، وعلى يد عارف بالله، ومرشد مربي، خبر مراتب النفس وأمراضها ووسواسها، وعرف مكر الشيطان ومداخله، وآفات كل مرحلة من مراحل السير إلى الله تعالى، وطرائق معالجة كل ذلك بما يلائم حالة كل شخص وأوضاعه، فيكرمك؛ بما أكرمه الله من التهذيب والترقي، قال مفتي الحنابلة في بغداد في القرن الخامس الهجري، الإمام

---

(١) سورة الحديد.

(٢) سورة الشورى.

الرباني؛ الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ قدّس الله روحه: ((من يعلمك بريائك وكلك رياء، إلا الذين عافاهم الله، فيعالجونك بما عالجهم الله)).

رابعاً: أن يكون الوارث المحمدي: قد أجيز من شيخه الكبير العارف الرباني بالتوجه الروحي بإذن الله تعالى، وبالإرشاد، أو بالنيابة العامة عنه، وهذا ما وفقنا الله إليه، ويكون هذا بخط المرشد الكبير وتوقيعه، ويخبر بعض خواصه في حياته أنه قد أجازه، فتكون الأيادي موصولة، ويكون أهلاً أن يأذن للناس بذكر الله في القلب الذي هو "الاسم الأعظم".

أما التوجه، فقوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[1] وقال أكمل الرسل ﷺ: «أولياءُ اللهِ الذينَ إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ»[2]. وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني

(١) سورة آل عمران.

(٢) سبق تخريجه ص (٥٨).

ـ قدّس الله روحه: ((كان الأوائل ـ رحمهم الله، يقطعون المشرق والمغرب على أقدامهم على أن يجدوا؛ عالماً عارفاً بالله متوجهاً))، أي: له قلبٌ يؤثر في القلوب ـ بتوفيق الله وحده.

ـ أما صفة الوارث المربي: وأنك إذا جالسته تشعر بنفحة إيمانية، ونشوة أنس بالله، لأنه لا يتكلم إلا لله، ولا ينطق إلا بخير، ولا يتحدث إلا بموعظة أو نصيحة، تستفيد من صحبته في الله، كما تستفيد من كلامه، وتنتفع من قربه، وتنتفع من بعده بحب الله ﷻ، وتستفيد ـ من نور قلبه بإذن الله تعالى، كما تستفيد من لفظه، وكما صح في الحديث، عن حنظلة ﷺ قال: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

عَافَسْنَا[1] الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ[2]، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ[3]، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ[4]

---

(١) المعافسة: المعالجة والمخالطة، يعني أنهم إذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ اشتغلوا بالأزواج والأولاد والضيعات، وتركوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا عليها بمحضر من رسول الله ﷺ وفقدوا ذلك الاستحضار. وظنّ حنظلة ﷺ أن هذا الفرق بين الحالتين شعبة من النفاق.

(٢) الضيعات: جمع ضَيْعة، بفتح الضاد، وهي العقار والأرض، وربما تستعار لمعاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة.

(٣) قال المناوي في ((التيسير بشرح الجامع الصغير)): معناه لو أنكم في معاشكم وأحوالكم كحالتكم عندي لأظلتكم الملائكة؛ لأن حالة كونكم عندي حالة مواجيد، وكان الذي يجدونه معه خلاف المعهود إذا رأوا المال والأهل، ومعه يرون سلطان الحق. (٢/٣٠٥، ٣٠٦).

(٤) أي: مصافحة معاينة وإلا فالملائكة يصافحون أهل الذكر، وذلك لأن حالتهم عنده حالة خشية من الله خص الطرق لأنها محل الغفلات؛ فإذا صافحتهم فيها ففي غيرها أولى، قال الكمال بن أبي شريف: وأشار بذلك إلى التفاوت باعتبار اعتراض الغفلات فنبه على أن الغفلة تختلسهم في غيبتهم عنه وتتحاماهم بحضرته. انتهى.

عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، رواه مسلم والترمذي[1]، وعن أنس ﷺ قال: ((لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ))، وَقَالَ: ((مَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا)) رواه الترمذي وابن ماجه[2]. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عَمَلُهُ» رواه أبو يعلى[3]، وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة ــ باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، رقم: ٢٧٥٠، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥١٤.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب المناقب، رقم: ٣٦١٨، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الجنائز ــ باب ذكر وفاته ﷺ، رقم: ١٦٣١، قال الألباني: صحيح.

(٣) ((مسند أبي يعلى)): لأبي يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧هـ)

(٣٢٦/٤)، رقم: ٢٤٣٧.

أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رواه أبو داود والترمذي[1]. "وهذا ليس من عملك فقط، بل بصلتهم لله، وبجاههم بالله، الذي يضاف إلى حالك"؛ وهذا من محض الفضل والكرم منه ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[2]، وقال ـ جلَّ مجده: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[3]، قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: بكل ما أمركم الله به ورسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهذا واجب شرعي على كل مسلم، وتارك الواجب في النار والعياذ بالله تعالى

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب ـ باب ما يؤمر أن يجالس، رقم: ٤٨٣٣، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد ـ باب ما جاء في أخذ المال في حقه، رقم: ٢٣٧٨، قال محمد بن عبد الله الخطيب التِّبريزي: (ت ٧٣٧ هـ)، في ((مشكاة المصابيح)): رواه احمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في ((شعب الإيمان))، وقال النووي: إسناده صحيح، (١٣٩٧/٣).

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة التوبة.

﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، والصادقون هم الصفوة من المؤمنين، الذي عناهم الله تعالى بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۝٢٣﴾[1] .

"أي سادة": كونوا معهم في صحبتهم ومحبتهم؛ إلى منازل التزود والتنافس، إلى مراتب التحقيق؛ من المعرفة، والمحبة، والقربة، إلى منهج الربّانييّن، وهو: الأخذ بحقائق العلوم، وتهذيب النفوس، ومقامات القلوب، وعلو الهمة؛ امتثالاً بحال النّبيّ الكريم وأخلاقه ودعوته العظمى ـ صلوات الله عليه وسلامه إلى أبد الآبدين ـ لمعارج القلوب إلى علام الغيوب، وخدمة لهذه الأمة المرحومة؛ فهو السير إلى الله بما يحبه الله، أي:" بقبول الله ورضاه".

(١) سورة الأحزاب.

وللأمانة نقول: نتبرأ من كلِّ من يخالف السُّنَّة الشريفة، ويجب السير على صراط الشرع الإسلامي الحنيف، وننبه ونحذر من كل بدعة تدخل في الاعتقاد والعمل، والذوق والسلوك؛ وما الطريق إلى الله ـ جلَّ وعلا، إلا العمل الخالص بالدين كلّه؛ الكامل الصالح، على قدم الهمة، والتحمل في سبيل الله ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

اللَّهمَّ؛ إني أسألك باسمك الأعظم، وبكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن لنا قائداً وهادياً، ولذنوبنا وعيوبنا ماحياً، ولقلوبنا ربيعاً، ولسيّئاتنا شافعاً، ولوجوهنا نضرةً ونوراً، ولعيوننا قرةً وسروراً، اللّهمَّ وأطلق به ألسنتنا، وأجزل به ثوابنا، وأحسن به مآبنا، واجعلنا نقوم به وبالّذي يرضيك عنّا، اللّهمَّ واجعله لغمومنا وهمومنا شفاء، ولحوائجنا قضاء، وفي القيامة رفعةً وسناء، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهمَّ؛ اشغل جوارحنا

بطاعتك، وقلوبنا بمعرفتك، وذكرك، وأنسك، واشغلنا طول حياتنا في ليلنا ونهارنا، وألحقنا بالذين تقدموا من الصالحين، وارزقنا ما رزقتهم وكن لنا كما كنت لهم، آمين.

صلِّ اللَّهمَّ على سيدنا محمّد صلاةً لا تعد ولا تحد، ولا يحصي ثوابها أحد، يا رازق النعاب في وكره، يا رازق العبد الشكور، ومن جحد، يا من صفاته: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [1]، وارضَ اللَّهمَّ عن آل بيت النَّبيِّ المكرمين، وأصحاب رسول الله الأتقياء الغر الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ـ من أهل الدين، والحال، والتربية والدعوة، آمينَ آمين. والحمد لله ربّ العالمين.

(١) سورة الإخلاص.

المرتبة الحادية عشرة: عظام التجليات بثلاث ساعات

"أي إخوتي": قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين كانت التقوى شعارهم، وطاعة الله دثارهم ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ أي: من خلال الجنات التي لا يوجد لها نظير، مما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على قلب بشر، كذلك فيها عيون جارية يشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيرا ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾ أي: ما أعطاهم ربهم من الخير والكرامة والألطاف ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ﴾ أي: قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا، ثم وصف إحسانهم ـ جلَّ وعلا؛ فقال: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ أي: كانوا ينامون قليلاً من الليل، ويصلون أكثره؛ فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة وقراءة وذكر ودعاء

(١) سورة الذاريات.

وتضرع؛ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما: كانوا أقل ليلة تمرّ بهم إلا صلّوا فيها شيئاً إمّا من أولها أو من أوسطها أو من آخرها ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ التي هي قبيل الفجر يستغفرون الله تعالى؛ فمدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله تعالى، استغفار المذنب لذنبه؛ وللاستغفار بالأسحار فضيلة وخصيصة ليست لغيره؛ كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [1]، ففي الصحيحين عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ،

---

(١) سورة آل عمران.

وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ولاَ إِلَهَ غَيْرُكَ»[1]، وفي رواية البخاري: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»[2] «تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ»، يقال: تعار الرجل إذا انتبه من نومه وله صوت.

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد ــ باب التهجد بالليل وقوله ــ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ رقم: ١١٢٠.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد ــ بَابُ فَضْلِ مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، رقم: ١١٥٤.

وفي أخرى لأبي داود وغيره: «لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»[1].

"أي سادة": ساعات التجلي العظيم ثلاث:-

الساعة الأولى: صلاة الليل العظيمة التي هي دأب الصالحين وأخلاقهم، وهي: أن ينام مبكراً بدون إثم، ولا في القلب على مسلم حقد، وينام على الذكر، ويرجو الله أن يوقظه بأحب الأوقات إليه ـ سبحانه وتعالى؛ "وهذه كالأساس للمتوجهين إلى الله في هذه الساعات المباركات".

وإن الشيطان يعقد على قافية أحدكم، [وهي: مؤخرة الرأس]؛ ثلاث عقد؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «يَعْقِدُ

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب ــ ما يقول الرجل إذا تعار من الليل، رقم: ٥٠٦١ و((سنن النسائي الكبرى)): (٢١٦/٦)، رقم: ١٠٧٠١، و ((صحيح ابن حبان)): (٣٤١/١٢)، رقم: ٥٥٣١ و((المستدرك)): (٧٢٤/١)، رقم: ٢٠٢٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذا هو نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ، فذكر اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صلى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ» رواه الخمسة إلا الترمذي[1].

قال الطيبي ـ رحمه الله تعالى: مثلت حال من لم يتكاسل ولم ينم عن وظائفه التي تسرع به إلى المقام الزلفى، وتنشيطه لاكتساب السعادة العظمى، فكلما همت النفس اللوامة بالفتور تداركها التوفيق بالخلاص من نفث الشيطان، وعقد النفس الأمارة بالسوء، فيصبح نشيط القلب مطمئن النفس

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد ــ باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصلّ بالليل، رقم: ١١٤٢ وفي كتاب بدء الخلق ــ باب صفة إبليس وجنوده، رقم: ٣٢٦٩ ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم: ١٨١٦ ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل ــ باب قيام الليل، رقم: ١٣٠٦ ((سنن النسائي)): كتاب قيام الليل وتطوع النهار ــ باب الترغيب في قيام الليل، رقم: ١٦٠٨.

طيبها، يظهر في سيماها أثر السجود: بحالة من أسره العدو، وشد على قفاه بريقة الأسر عقدة بعد عقدة استيثاقاً، وهو يتحرى الخلاص منه بلطائف حِيَله مرة بعد أخرى، حتى يتخلص منه بالكلية، ويذهب لسبيله بلا مانع ولا منازع، بخلاف من أطاع الشيطان حتى تمكن من النفس الأمارة بضرب العقد على قافية رأسه، فهل يستويان، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾[1][2].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ـ تَبارَكَ وَتَعَالَى ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يقول من يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له، من يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، من يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له» رواه الخمسة[3].

(١) سورة الملك.

(٢) ((فتح الملهم)): لشبير أحمد العثماني (ت١٣٦٩هـ): (١٤٢/٥).

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد ــ باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، رقم: ١١٤٥، وفي كتاب الدعوات ــ باب الدعاء نصف الليل، رقم: ٦٣٢١، وفي كتاب التوحيد ــ باب قول الله تعالى:=

هذا الحديث من أحاديث الصفات؛ وفيه مذهبان معروفان:-

أحدهما: وهو مذهب السلف وغيرهم؛ أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل، ويترك الكلام فيه، وفي أمثاله مع الإيمان به، وتنزيه الربّ ـ تبارك وتعالى ـ عن صفات الأجسام.

المذهب الثاني: وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم؛ أن الصعود والنزول من صفات الأجسام، والله تعالى يتقدس عن ذلك؛ فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والألطاف الإلهية، وقربها من عباده، والإقبال على الداعين لنفحات رحمة الله تعالى، وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله متوافرة، فهو مظنة لقبول الإجابة؛ كما قال أكمل الرسل

=﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴿١٥﴾ ﴾[سورة الفتح]، رقم: ٧٤٩٤، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم: ١٧٦٩، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب أي الليل أفضل، رقم: ١٣١٥، ((سنن النسائي الكبرى))، رقم: ٧٧٦٨.

ﷺ: «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً، لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» رواه مسلم[1]، وقال ـ عليه السّلام: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»، رواه الترمذي[2]، وقال ـ عليه السّلام: «أشراف أمتي، حملة القرآن، وأصحاب الليل»، رواه البيهقي[3].

ـ وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «من اسْتَيْقَظَ من اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جميعاً كُتِبَا من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» رواه أبو داود وابن ماجه[4].

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب في الليل ساعة مستجابة فيها الدعاء، رقم: ٧٥٧.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٥٧٩.

(٣) ((شعب الإيمان)): (٢٣٣/٤).

(٤) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب الحث على قيام الليل، رقم: ١٤٥١، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ــ باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، رقم: ١٣٣٥، وهو حديث صحيح. ينظر: ((شروح ابن ماجه)): (٥٣٤/١).

ـ وعن بِلالٍ ﷺ عَنِ النَّبِيَّ ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فإنه دَأبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عن الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عن الْجَسَدِ»، رواه الترمذي[1]. وهي أخلاق الصالحين، فتأمل.

ـ قال أكمل الرسل ﷺ: «إذا قام أحدكم من اللَّيْلِ، فَلْيَفْتَتِحْ صَلاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ» رواه مسلم[2] «خَفِيفَتَيْنِ» أي: لينشط لما بعدهما، وتنحل بهما كل عقد الشيطان؛ كما قال ﷺ: «فَحُلُّوا عُقَدَ الشَّيْطَانِ وَلَوْ بِرَكْعَتَيْنِ»، رواه ابن خزيمة[3].

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب في دعاء النبي ﷺ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، قال عبد السلام بن محمد بن عمر علوش: أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه"، رقم: ١١٣٥، وابن نصر (ص١٨)، وابن عدي (١/٢٢٠)، والترمذي في "الجامع" رقم: ٣٥٤٣، ٣٥٤٤، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٢/٥٠٢)، وله شواهد عن بلال وأبي الدرداء وسلمان وجابر، فهو حديث صحيح بمجموع شواهده. ينظر: ((المستدرك)): (١/٦١٣)، رقم: ١١٩٧.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: ١٨٠٤.

(٣) ((صحيح ابن خزيمة)): (٢/١٧٥)، رقم: ١١٣٢

ـ وكان ﷺ يقرأ بهما؛ بالفاتحة، والكافرين؛ الركعة الأولى، وفي الثانية؛ الفاتحة، والإخلاص.

ـ وفي الصحيح: «مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[1]، وفي أخرى: «من قرأهما بعد الْعشَاء الْآخِرَة أَجْزَأَتَاهُ عَن قيام اللَّيْل»، رواه ابن عدي في الكامل، وورد: «من صلَّى بهما ركعتين من قيام الليل صار متهجداً». وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ»[2]، وكذلك آية الكرسي، وهي: أعظم آية في الكتاب المجيد؛ لأنها خاصة بالله تعالى، وذكر أسمائه وصفاته العلية.

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب فضائل القرآن ــ باب فضل سورة البقرة، رقم: ٥٠٠٩، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، رقم: ٨٠٨.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ــ باب ما جاء في آخر سورة البقرة، رقم: ٢٨٨٢

ـ ثم صلاة الوتر منها: كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ» رواه الأربعة[1]، وقال ـ عليه السّلام: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا» متفق عليه[2]، وقال: «مَنْ خَافَ أَنْ لا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ» رواه مسلم[3]، لأنه يكون وتراً وتهجداً؛ فينبغي أن ينوي ذلك، ولأنه وقت تجلي الكريم. فتنبه.

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـــ باب استحباب الوتر، رقم: ١٤١٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة ـــ باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم، رقم: ٤٥٣، وقال: حديث حسن، ((سنن النسائي)): كتاب قيام الليل وتطوع النهار ـــ باب الأمر بالوتر، رقم: ١٦٧٥، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـــ باب ما جاء في الوتر، رقم: ١١٦٩.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الوتر ـــ باب ليجعل آخر صلاته وترا، رقم: ٩٩٨، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـــ باب صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة في آخر الليل، رقم: ١٧٥٢.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـــ باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، رقم: ١٧٦٣.

اللَّهمَّ؛ أنت الذي أنعمت، أنت الذي هديت؛ فزدنا ولا تنقصنا، اختم حياتنا عليك، وأمتنا على كمال الحبّ والإيمان.

ـ وقال ـ عليه السّلام: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْصَرِفَ، فَارْكَعْ رَكْعَةً تُوتِرُ لَكَ مَا صَلَّيْتَ»، رواه البخاري[1]. وفي أخرى: «الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ» رواه أبو داود[2].

ـ وكان ﷺ يضطجع بعد الوتر، ويذكر الموت وما بعده، إلى الآذان فيعتدل.

"الساعة الثانية من التجلي": ثم يقوم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيصلي قبلية الفجر؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ:

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب أبواب الوتر ـــ باب ما جاء في الوتر، رقم ٩٩٣.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـــ باب كم الوتر، رقم: ١٤٢٢، قال الألباني: صحيح.

«رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» رواه مسلم وغيره[1]، أي: سنته التي قبل فرضه؛ خير من الدنيا، فنعيمها من الجنة، خير من نعيم الدنيا لو ملكها الإنسان، أو ثوابها أكثر من ثواب الدنيا لو ملكها وتصدق بها، "وإذا كان هذا في سنة الفجر؛ فما بالك بفرضه!!!".

ـ ولأحمد، قال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «لا تَدَعُوا رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، وَإِنْ طَرَدَتْكُمُ الْخَيْلُ»[2]، وهذه مبالغة في المحافظة عليها؛ ولو في الشدة لكثرة ثوابهما.

ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. رواه

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم: ١٦٨٥.

(٢) ((مسند أحمد)): (١٥ / ١٤٤) رقم: ٩٢٥٣.

الخمسة إلا البخاري[1]، وللترمذي وأبي داود: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى يَمِينِهِ»[2]؛ وهو للقبلة، وليذكر الموت وما بعده، ثم يعتدل؛ ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم "سبعاً"، ويتلو البسملة "تسع عشرة مرة"، ثم يقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله، "مائة مرة"؛ وورد في حديث: أن من واظب عليها بين

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـــ باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم: ١٦٨٧، ((سنن النسائي)): كتاب الافتتاح ـــ باب القراءة في ركعتي الفجر بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم: ١٢٥٦، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـــ باب في تخفيفها (أي ركعتي الفجر) رقم: ١٢٥٦، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـــ باب ما جاء فِيمَا يقرأ في الركعتين قبل الفجر، رقم: ١١٤٨.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـــ باب الاضطجاع بعدها، رقم: ١٢٦١، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة ـــ باب ما جاء في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر، رقم: ٤٢٠، وقال: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـــ باب ما جاء في الضجعة بعد الوتر، وبعد ركعتي الفجر، رقم: ١١٩٩.

سنة الصبح وفرضه أتته الدنيا وهي راغمة. والمدار على النية، نسأل الله تعالى الإخلاص[1].

ـ ثم صلاة فرض الفجر؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾[2]، بأن صلاة الصبح تشهده ملائكة النهار، وملائكة الليل؛ لذا كان ﷺ: يطيل فيها القراءة للشهادتين، ولانتظار النائم فإنه وقت نوم، ثم يليه الظهر في التطويل، فالعشاء، فالعصر، فالمغرب، فتأمل.

"التجلي الثالث في الساعة الثالثة منه": وهو أذكار ما بعد صلاة الفجر إلى صلاة الضحى، وصلاة الضحى فيه: كما قال أكمل الرسل ﷺ: «من قَعَدَ في مُصَلاهُ حين يَنْصَرِفُ من صَلاةِ الصُّبْحِ حتى يُسَبِّحَ رَكْعَتَيْ الضُّحَى، لا يقول إلا خَيْراً، غُفِرَ له خَطَايَاهُ، وَإِنْ كانت أَكْثَرَ من زَبَدِ الْبَحْرِ» رواه

(١) انظر: ((التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول)): للشيخ منصور على ناصف (٢٠٩/١).
(٢) سورة الإسراء.

أبو داود والبيهقي[1].

ـ وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَـنْ صَـلَّى الغَـدَاةَ فِـي جَماعَـةٍ ثُـمَّ قَعَـدَ يَـذْكُرُ اللهَ حَتـى تَطلُـعُ الشَّمسُ ثُمَّ صلَّى رَكْعَتينَ كَانت لَهُ كأجرِ حجَّةٍ وعُمـرةٍ» قـال ﷺ: «تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ». رواه الترمذي، وحسَّنهُ[2]؛ ولهـذا الحـديث شواهد ذكرها أهل الحديث منها: حديث أبي أمامـة ﷺ قـال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة الغداة في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام فصلى ركعـتين انقلـب بأجر حجة وعمرة»، أخرجه الطبرانـي، قـال الهيثمـي: إسـناده جيد[3]، ومنها: حديث أبي أمامة وعتبة بن عبد مرفوعـاً: «مَـنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ في جَمَاعَةٍ، ثُمَّ ثَبَـتَ في الْمَسْـجِدِ يُسَـبِّحُ اللَّهَ سُبْحَةَ الضُّحَى، كان له كَأَجْرِ حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ تَامًّا لَهُ حَجَّتُهُ

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب صلاة الضحى، رقم: ١٢٨٧، ((سنن البيهقي الكبرى)): (٤٩/٣)، رقم: ٤٦٨٦.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الجمعة ــ باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، رقم: ٥٨٦، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) ((مجمع الزوائد)): (١٠٤/١٠).

وَعُمْرَتُهُ»، أخرجه الطبراني(١).

ويسمى "إحياء ما بين الطلوعين والغروبين"؛ أما الطلوعان: فطلوع الفجر الصادق، وطلوع الشمس. والغروبان: غروب الشمس، وغروب الشفق الأحمر ـ وهما وقتان مبالغ بهما عند السلف والخلف: كما قال أكمل الرسل ﷺ: «لئن أقعد بين الطلوعين والغروبين وأذْكُر الله أحبَّ إليَّ مِنْ أنْ أقَاتِلَ حَتى أُقْتَلَ في سَبيلِ اللهِ».

ـ وفي روايةٍ أخرى: «لئن أذكر الله تعالى مع قومٍ بعد صلاةِ الفجرِ إلى طلوع الشمس أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، ولئن اذكر الله تعالى مع قومٍ بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليَّ من الدنيا وما فيها». رواه البيهقي(٢).

ـ وقال رسول الله ﷺ «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِن أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ،

---

(١) ((المعجم الكبير)): (١٩٢/١٧)، رقم: ٣١٧.

(٢) ((شعب الإيمان)): (٤٠٩/١)، رقم: ٥٥٩.

وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» رواه مسلم(١).

ـ وروى الإمام أحمد عن عبد اللَّهِ بن بُرَيْدَةَ ، قال: سمعت أبي بُرَيْدَةَ يقول: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «في الإِنْسَانِ سِتُّونَ وثلثمائة مَفْصِلٍ فَعَلَيْهِ أن يَتَصَدَّقَ عن كل مَفْصِلٍ منها صَدَقَةً» قالوا: فَمَنِ الذي يُطِيقُ ذلك يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «النُّخَاعَةُ في الْمَسْجِدِ تَدْفِنُهَا أَوِ الشيء تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ، فان لم تَقْدِرْ، فَرَكْعَتَا الضُّحَى تُجْزِئُ عَنْكَ»(٢) "فأي كرمٍ هذا" ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾(٣).

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتين، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث على المحافظة عليها، رقم: ١٦٦٨.

(٢) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وهو عند أبي داود: (٣٦١/٥)، رقم ٥٢٤٢ في الأدب ــ باب إماطة الأذى، وابن حبان ٢٠٧، رقم: ٨١١ ، وابن خزيمة (٢٢٩/٢)، رقم: ١٢٢٦. ينظر: ((المسند)): (٤٩٣/١٦)، رقم: ٢٢٨٩٤.

(٣) سورة الأحقاف.

وصلاة الضحى: أقلُّها ركعتان إلى ثَمانِ ركعاتٍ، وقيل أكثرها إثنتا عشرة ركعة، وأكملها ثمان، وأوسطها أربع ركعات أو ست، ووقتها إذا حَلَّت الصلاة النافلة بعد شروق الشمس وارتفعت إلى الزوال، ثم كل وقت يستمر إلى الوقت الثاني، إلا بعد طلوع الشمس إلى الزوال، فلا وقت إلا وقت الضحى. فتأمل.

اللَّهم؛ اجعلنا ممَّن ركبت على جوارحهم من المراقبة غلاظ القيود، وأقمت على سرائرهم من المشاهدة دقائق الشُّهود، فهجم عليهم أُنس الرقيب، مع القيام والقعود، فنكسوا رؤوسهم مع الخجل وجباههم للسُّجود، وفرشوا لفرط ذلّهم على بابك نواعم الخدود، فأعطيتهم برحمتك غاية المقصود، صلِّ وسلِّم على الحبيب المحبوب، وعلى آله وأصحابه وأحبابه إلى اليوم الموعود. آمين. والحمد لله ربّ العالمين.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

المرتبة الثانية عشرة: الدعاء، وشروط استجابته

فالدعاء: هو الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال ودعوته إذا سألته وإذا استعنته، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1] فالله تعالى الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وهو قريبٌ من داعيه بالإجابة.

ـ"والدعاء": هو العبادة والاستغاثة، وهو الإيمان الدال على الخضوع والتضرع إلى الله تعالى، ومن الرجاء فيه، وصدق الظن فيه، وانتظار الخير على يقين من جهته وفضله ـ جلَّ وعلا. وبهذا المعنى فهو: خُلُقٌ من أخلاق القرآن المجيد، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم، وجانب من هدى

(١) سورة البقرة.

الرسول الكريم ﷺ وهو من أهم مقامات العبودية بين يدي المولى ـ جلَّ في علاه. ومما يدل على عظيم مكانته؛ أن الله تعالى قال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۝٧٧﴾[1]، أي: ما يصنع بكم، وما يبالي بكم، لولا طاعتكم وعبادتكم إيّاه، ودعاؤكم دعاء العبادة ودعاء المسألة، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»، رواه الترمذي[2]، وفي روايةٍ للإمام أحمد: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»[3]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»، رواه أحمد[4]. وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لم يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ»، رواه الترمذي[5]، وفي رواية أخرى: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ،

(١) سورة الفرقان.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٧١، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(٣) ((مسند أحمد)): (٣٠/٢٩٨)، رقم: ١٨٣٥٠، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) ((مسند أحمد)): (٨/٤٠٨)، رقم: ٨٧٣٣، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٥) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ـــ باب في دعاء النبي ﷺ، رقم: ٣٥٤٨.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً من قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ»، رواه أبو داود والترمذي[1]، وفي أخرى: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»، رواه أبو داود والترمذي[2]، (الصفر، أي: الخالي)، وفي أخرى: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ ما لم يَدْعُ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ، ما لم يَسْتَعْجِلْ»، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما الاسْتِعْجَالُ؟ قال: «يَقُولُ: قد دَعَوْتُ، وقد دَعَوْتُ، فلم أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلك، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ» متفق عليه[3]، قوله: «فَيَسْتَحْسِرُ» أي: يستنكف عن السؤال، وأصله من حسر الطرف إذا كلَّ

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب الدعاء، رقم: ١٤٩٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ، رقم: ٣٤٧٩، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الدعاء ــ باب اسم الله الأعظم، رقم: ٣٨٥٥.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب الدعاء، رقم: ١٤٨٨، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب في دعاء النبي ﷺ، رقم: ٣٥٥٦، وقال: حسن غريب.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الدعوات ــ باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم: ٦٣٤٠، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي، رقم: ٦٨٧١.

وضعف، فالعبرة بالمناجاة، هي العبادة، والاستجابة ضمنًا، والمراد بقدر الحكيم ـ جلَّ وعلا، الذي يحب أن يسمع صوت أحبابه، وقال أكمل الرسل ﷺ: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ»[1] قوله: «وَلِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ» أي: لا تكن في دعائك متردداً، بل اعزم وجد في المسألة. وفي أخرى: «سمع النَّبيُّ ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يصلِّ على النَّبيِّ ﷺ فقال النَّبيُّ ﷺ: «عجل هذا»، ثم دعاه وقال له أو لغيره: «إذا صلّى أحدكم فَلْيَبْدَأْ بتحْميدِ ربه وَالثَّنَاءِ عليه، ثُمَّ ليُصَلِّ على النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ لْيَدْعُ بعد بِمَا شَاءَ»، رواه أحمد والترمذي وغيرهما[2]، وقد صح: «ما من مسلم يدعو

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد ــ باب في المشيئة والإرادة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الإنسان] رقم: ٧٤٧٧.

(٢) ((مسند احمد)): (١٧٧/١٧)، رقم: ٢٣٨٢١ ، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب ما جاء في "جوامع الدعوات"، رقم: ٣٤٧٩، وقــال: حديث حسن صحيح =

بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم؛ إلا أعطاه الله تبارك وتعالى إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدّخر له، وإمّا أنْ يكفّ عنه السوء مثلها» قالوا: إِذاً نُكْثِرُ. قال: «الله أَكْثَرُ »[1].

"أي سادة": أمّا استجابة الدعاء فلها شروط، منها: الإيقان بالإجابة، ومنها: تزكية النفس بأكل الحلال، كما قال رسول الله ﷺ: «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يقول: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ

= قال العسقلاني في ((الدراية في تخريج أحاديث الهداية)) (١/١٥٧): أخرجه أصحاب السنن الثلاثة، وصححه الترمذي، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم في ((المستدرك)) (١/٣٥٤): هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وقال أيضاً في ((المستدرك)) (١/٤٠١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا تعرف له علة، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرطهما؛ قال حمزة أحمد الزين: ووافقه الذهبي.

(١) ((مسند أحمد)): (١٠/٥٩)، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، والحديث عند الترمذي بنحوه في (٥/٥٦٦)، رقم: ٣٥٧٣، في الدعوات، وقال: حسن صحيح غريب عن عبادة بن الصامت، كما صححه الحاكم في "المستدرك" (١/٤٩٣)، ووافقه الذهبي.

حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ». رواه مسلم[1].

فينبغي أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى الكريمة العظمى، وصفاته العليا، ويدعو بالأدعية المأثورة عن السلف الصالح. وللدعاء أمكنة فيها مظنة للاستجابة، منها: عند رؤية الكعبة، وفي المساجد الثلاثة، وبين الجلالتين من سورة الأنعام، وفي الطواف، وعند الملتزم، وفي البيت، وعند زمزم، وشرب مائها، وعلى الصفا والمروة، وفي السعي، وخلف المقام، وفي عرفات، ومزدلفة، ومِنى، وعند الجمرات، ودبر الصلوات، وعند إقامة الصلاة، وساعة الجمعة، وفي الثلث الأخير من كلّ ليلة، والتقاء الصفوف، ونزول الغيث، والفطر، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۝٣٨﴾[2]

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة ــ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم: ١٠١٥.

(٢) سورة آل عمران.

وقال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾[1].

"أي إخوتي": إن الله ﷻ: أمر عباده بالدعاء لما فيه من كثرة الخير في الدنيا والآخرة؛ فينبغي الإكثار منه، روى الإمام أحمد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَأْثَمٌ، وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»[2]. «اللَّهُ أَكْثَرُ» أي: أكثر إجابة.

﴿تَضَرُّعٗا﴾ أي: أن ندعوه ـ جلَّ وعلا، خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له، كما قال ـ جلَّ وعلا: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ٤٣﴾[3]، أي: أنهم لو تسببوا بالدعاء والضراعة معًا، عند نزول البلاء ـ لرفع الله عنهم البلاء، كما قال رسول

(١) سورة الأعراف.

(٢) سبق تخريجه في (ص ١٤٣).

(٣) سورة الأنعام.

الله ﷺ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا فَقُلْتُ: لا يَا رَبُّ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا فَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ»، رواه البيهقي وأبو نعيم[1].

﴿وَخُفْيَةً﴾ يعني: سراً في أنفسكم وهو ضد العلانية؛ والأدب في الدعاء أن يكون خفياً، لهذه الآية قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، وأما الله تعالى فإذا ذكر عبداً صالحاً رضي فعله، فقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾[2] [3]. هل الأفضل إظهار العبادات، أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أن إخفاء الطاعات والعبادات أفضل من إظهارها لهذه الآية، ولكونها أبعد عن الرياء، صوناً لعمله عن البطلان، وذهب بعضهم؛ إلى أن إظهارها أفضل ليقتدي به الغير فيعمل مثل عمله، كما قال رسول الله ﷺ: «يقُولُ اللهُ

(١) ((شعب الإيمان)): (٤٣/١٣)، ((حلية الأولياء)): (١٣٣/٨).

(٢) سورة مريم.

(٣) ينظر: ((تفسير البغوي)): (٢٣٧/٣).

تعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بي، وأَنا معه إذا ذَكَرَني، فإِنْ ذَكَرَني في نفْسِهِ ذكرتُهُ في نَفْسي، وإِنْ ذَكَرَني في مَلأٍ ذَكرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ منهمْ» متفق عليه[1]، فانظر: لذكر الله عبده في ملأ، على ذكره إيّاه في نفسه.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، قال أكمل الرسل ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ» رواه أبو داود[2]. قال ابن جريج: الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء. وقيل: مجاوزة الحد في كل شيء خالف أمر الله، ونهيه؛ فقد اعتدى. وقيل أن يدعو ما فيه إثم أو قطيعة رحم، أو يقول: دعوت فلم يستجب لي، أو يدعو الله بأسماء لم يرد الشرع بها، أو يدعو فوق مقداره

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد ــ باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة آل عمران]، رقم: ٧٤٠٥ ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم: ٢٦٧٥.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الطهارة ــ باب الإسراف في الماء، رقم: ٩٦، قال الألباني: صحيح.

وحاله، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ»، رواه أبو داود[1]. وفي أخرى: «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ، وَبِحَسْبِكَ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» وَقَرَأَ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾[2][3].

وقال ﷺ: «مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا»

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب الدعاء، رقم: ١٤٨٠.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) ((مسند أحمد)): (٧٩/٣)، رقم: ١٤٨٣.

رواه الحاكم[1]، وأخرج ابنُ السُّني والدَيلمي عن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أنه ﷺ، قال لها: «إِذَا أَخَذْتِ مَضْجَعَكِ فَقُولِي: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي، سُبْحَانَ اللَّهِ الْأَعْلَى، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، مَا شَاءَ اللَّهُ قَضَى، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ مِنَ اللَّهِ مَلْجَأٌ، وَلَا وَرَاءَ اللَّهِ مُلْتَجَأٌ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾[2]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾[3].

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَقُولُهَا عِنْدَ مَنَامِهِ، ثُمَّ يَنَامُ وَسَطَ الشَّيَاطِينِ وَالْهَوَامِّ فَتَضُرُّهُ»[4].

الله الله، اللَّهمَّ؛ أطلق ألسنتنا بذكرك، وقيد قلوبنا عما سواك، وروح أرواحنا بنسيم قربك، واملأ أسرارنا

---

(١) «المستدرك»: (١/٦٨٩)، رقم: ١٨٧٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) سورة هود.

(٣) سورة الأسراء.

(٤) «عمل اليوم والليلة»: لابن السني، (٦٦٧).

بمحبتك، واطو ضمائرنا بنية الخير للعباد، وألف أنفسنا بعلمك، واملأ صدورنا بتعظيمك، وحيز كليتنا إلى جانبك، وحسن أسرارنا معك، واجعلنا ممن يأخذ ما صفا ويدع الكدر، ويعرف قدر العافية ويشكر عليها، ويرضى بك كفيلاً لتكون له وكيلا، ووفقنا لتعظيم عظمتك، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم ـ تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام. لا إِله إِلا أنت سبحانك، لا إِله إِلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

اللّهمَّ؛ ارزقنا طول الصحبة، ودوام الخدمة، وحفظ الحرمة، ولزوم المراقبة، وأنس الطاعة، وحلاوة المناجاة، ولذة المغفرة، وصدق الجنان، وحقيقة التوكل، وصفاء الود، ووفاء

العهد، واعتقاد الوصل، وتجنب الزلل، وبلوغ الأمل، وحسن الخاتمة بصالح العمل،صلِّ على محمد خير البشر وسلّم.

اللّهمَّ؛ رفعت السماء بغير عمدٍ آيةً نراها، وبُعدها رهيب عن البصر ومقداره، ولكن قلت: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾[1].

فيا ربِّ بكَ رأيناها، اللّهم؛ فاحفظنا ظاهراً وباطناً، وافتح على بصائرنا يا مولانا يا الله؛ اللّهم رفعتها بدون عمدٍ ولا جسورٍ ولا شقوق، وأنت القادر على وسعتها، فقلت ـ جلَّ في علاك: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾[2]. فوسع علينا ظاهراً وباطناً في الدنيا والآخرة؛ يا واسع يا عليم يا الله، اللّهم؛ أضأت المصابيح فيها، فجعلتها زينةً لعبادك؛ وهي تراب وأحجار وصخور، فيا ربِّ؛ زين قلوبنا بأُنسك

(١) سورة ق.

(٢) سورة الذاريات.

ومعرفتك، واتمم لنا نورنا، واغفر لنا إنك على كل شيء قدير، آمين. صلِّ على النبي محمد الأمين.

اللّهم؛ بسطت الأرض على ماء جمد، مددتها للحياة، بعكس الأفلاك، فقلت:﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾[1].

فاللَّهمَّ؛ ابسط علينا ظاهراً وباطناً ـ يا باسط يا عليم، من سحائب خزائن رحماتك، وودك، ولطفك؛ يا أرحم الراحمين، يا ودود، يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله. صلِّ على النبي الأمي.

اللّهمَّ؛ نصبت الجبال الرواسي فيها، موازنةً لها، وحياةً لعبيدك ومخلوقاتك، بقدرتك ورحمتك؛ فثبتنا اللّهم على دينك، ومحبتك، وخدمة أمة نبيك ﷺ، وبسر: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ۝٢٧﴾[2] فثبتنا في الدنيا والآخرة، وبما يرضيك عنا، فقد جئناك مفتقرين محبين بك إليك يا ربّنا، اللَّهمَّ؛ أنت الذي أنعمت،

(١) سورة الذاريات.

(٢) سورة إبراهيم.

أنت الذي هديت، فزدنا ولا تنقصنا، اختم حياتنا عليك، وأمتنا على كمال الحبّ والإيمان. اللّهمَّ؛ خلقت الخلائق من الذرة إلى العرش فلم تنسَ أحد، فيا ربّنا أدم علينا ذكرك، وأنسك، ومعرفتك، والخدمة لأمة حبيبك ومصطفاك. اللَّهمَّ؛ اشف داءنا، وعظيم بلائنا، وتفريج همومنا وكروبنا، وكسر أعداءنا من الأنس والجن يا إلهنا ويا مولانا، وإن عظم البلاء، وامتنع السبب، وكثر العدد، فأنت أنت مسبب الأسباب، وبيدك الأمر، وأنت على كل شيءٍ قدير؛ استجب لنا، وارحمنا يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أجود الجوادين، يا الله، آمينَ آمينَ . صلِّ على حبيب ربِّ العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه، ومن والاه ـ وسلم تسليماً كثيراً ـ إلى يوم الدين.

اللّهمَّ؛ بسطوة جبروت قهرك، وبسرعة إغاثة نصرك، وبعزَّتك لانتهاك حرمتك، وبحمايتك لمن احتمى بآياتك، نسألك يا الله يا سميع يا مجيب يا قريب يا منتقم يا قهار، يا

شديد البطش، يا من لا يُعجزه قهر الجبابرة، ولا يعظم عليه هلاك المُتمرِّدة، من الملوك والأكاسرة، والأعداء الفاجرة، أن تجعل كيد من كادنا في نحره، ومكر من مكر بنا عائداً إليه، وحُفرة من حفر لنا واقعاً هو فيها، ومن نصب لنا شبكة الخداع، اجعله يا سيّدي مَسُوقاً إليها وحصيداً فيها وأسيراً لديها. احتجبنا بنور الله، وبنور عرش الله، وبكل اسم لله من عدوّنا وعدوِّ الله، ومن شر كلِّ خَلْقِ الله، بمائَةَ أَلْفِ أَلْفِ "لا حول ولا قوة إلا بالله"، خَتمت على نفسي وديني وأهلي وإخواني بمحبة ربّي وجميع ما أعطاني ربّي بخاتم الله القدُّوس المنيع الذي ختم به أقطار السموات والأرض، {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}. وصلَّى اللهُ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.

اللّهمَّ؛ انصر من نصر الدين، واخذل من خذلنا وخذل المسلمين، اللّهم ربنا وربهم، ناصيتنا وناصيتهم بيدك، اقتلهم واهزمهم يا الله، آمينَ آمين.

اللّهمَّ؛ اغفر لنا، وارحمنا ووالدينا، وجميع المؤمنين والمؤمنات، المسلمين والمسلمات الأحيله منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا الله ـ تبارك وتعالى ربنا وتقدس.

اللّهمَّ صلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾.

((خِتَامُهُ مِسْكٌ))

ختام رسالة الكمال، بدين الله الإسلام

"أي سادة": ومن الدين الكامل والواجب: أداء حقوق العباد المالية، والثابت في الذمة، والتي دخلت عليك من غير طريق شرعي، والمعاملات دون ظلم، ولا بخس حقٍ، ولا غش، ولا تطفيف كيل، ولا نقص وزنٍ، ولا تدليس عين، ولا قول كذب، ولا خيانة أمانة، ولا إخلاف في وعد، ولا نقص عهد، ولا رجوع عن عقد بعد إبرامه دون خيار.

ومن الواجبات: إغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وإغاثة الضعيف، وصلة الرحم، وردُّ السلام، وحسن اللقاء، ومعاملة الناس بخُلق حَسن، والنصيحة لعباد الله تعالى، وحبُّ الخير لهم كما تحب لنفسك.

ومن الواجبات: حسن القيام بحقوق الزوجية الواجبة على الزوجين، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾[1]، والملاطفة في المعاشرة الزوجية، وحسن الجوار، والبعد عمّا يؤذيهم.

ومن الواجبات الشرعية الإسلامية: تحسين الظن بالمسلمين، ما لم يشاهَد منهم غير ذلك، والستر على العُصاة المستترين، والنصح لهم، مع الدعاء لهم بالعافية والتوبة إلى الله تعالى من ذنوبهم.

ومن الحقوق الواجبة على الإنسان: حقوق الحيوانات، فيجب على الإنسان الرفق بالحيوان، فلا يجيعه، ولا يوجعه، ولا يتعبه، ولا يزعجه، ولا يحمّله فوق طاقته، ولا يؤذيه بنفسه، ولا في أولاده ـ سواء في ذلك البهائم والطيور وغيرهما: لما

---

(١) سورة البقرة.

روى الإمام أحمد وغيره: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رضي الله تعالى عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَوْ غُفِرَ لَكُمْ مَا تَأْتُونَ إِلَى الْبَهَائِمِ لَغُفِرَ لَكُمْ كَثِيرًا»[1]، أي: لأنكم قد تغفلون عن أداء حقوقها، فتنبهوا.

ومن الفروض الإسلامية: إبعاد النفس عن المحرمات، وهي كثيرةٌ فمنها الرياء، والزنا، والخمر، والميسر، والغضب، والظلم، وشهادة الزور، واليمين الغموس، وقول الزور، وانتهاك الأعراض بالقذف ونحوه، والسباب، والتعيير، والتفسيق، والتبديع، والتكفير من غير دليل قطعي ثابت شرعًا، وتتبع عورات النّاس وزلاتهم وأخطائهم وهفواتهم، والسب والشتم، واللعن، وكشف ستر المسلم، والغيبة، والنميمة، وسوء الظن، والسخرية بعباد الله تعالى ـ

(١) ((مسند أحمد)): (٤٧٩/٤٥)، رقم: ٢٧٤٨٦، ذكره الألباني في ((السلسلة الصحيحة)).

واحتقارهم، والتكبر، والعجب، والرياء، والسمعة، والغرور، وحب الظهور والمفاخرة أو المكاثرة بالمال، وحب المال ـ فإنَّ ذلك يفسد دين صاحبه، وكسر القلوب، وترويع المسلم في نفسه وأهله. وغير ذلك مما ذكره أهل العلم والصلاح.

"أي إخوتي": روى الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرى": أنَّ أنسًا ـ رضي الله تعالى عنه، كلم الحجاج، فقال له: لولا خدمتك لرسول الله ﷺ وكتاب أمير المؤمنين كان لي ولك شأنٌ، فقال: هيهات إني لمّا غلظت أرنبتي وأنكر رسول الله ﷺ صوتي، علمني كلمات لن يضرني معها عتوٌ جبار، ولا عنود، مع تيسير الحوائج، ولقاء المؤمنين بالمحبة، فقال الحجاج: لو علمتنيهنَّ، قال: لست لذلك بأهل ـ فسيَّرَ إليه الحجاج مع ابنيه مائتي ألف درهم، قال لهما: الطفا بالشيخ، عسى أن تظفرا بالكلمات، فلم يظفرا، فلمّا كان قبل أن يموت بثلاثٍ

قال: دونك هذه الكلمات فلا تضعها في غير موضعها، وهي: «الله أكبر، الله أكبر، بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كلِّ شيءٍ أعطانيه ربي، بسم الله خير الأسماء، بسم الله ربّ الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت، اللهُ ربي ولا أشرك به أحدًا، أسألك اللَّهمَّ؛ خيرك من خيرك الذي لا يعطيه غيرك ـ عزَّ جارك وجلَّ ثناؤك ولا إله إلا أنت. اللّهمَّ اجعلني في عياذك وجوارك من كلِّ سوء ومن الشيطان الرّجيم، اللّهمَّ؛ إني أستجير بك من كلِّ شيءٍ خلقت، وأحترز بك منهم، وأقدم بين يدي بسم الله الرّحمن الرّحيم، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، من أمامي ومن

خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي ومن تحتي»[1]. وفي روايةٍ عظيمة أخرى، للتاج السبكي في "طبقاته الكبرى": عن عبد الله بن عمر يقول: دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بهذا الدعاء فكفي، وهو: «اللَّهمَّ؛ إني أعوذ بنور قدسك، وبركة طهارتك، وعظم جلالتك؛ من كلِّ طارقٍ إلا طارقًا يطرق بخير، اللّهمَّ؛ أنت غياثي، فبك أغوث، وأنت عياذي فبك أعوذ، وأنت ملاذي فبك ألوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له مقاليد الفراعنة، أجرني من خزيك وعقوبتك في ليلي ونهاري ونومي وقراري، لا إله إلاّ أنت، تعظيمًا لوجهك وتكريمًا لسبحاتك، فاصرف عني شرَّ عبادك، واجعلني في حفظ عنايتك، وسرادقات حفظك، وأعد عليَّ بخير منك يا أرحم الراحمين»[2]، ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ

(١) ((الخصائص الكبرى)): لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): (٢/٢٩٨).
(٢) ((أبواب الفرج)): لمحمد بن علوي المالكي: (٣٣).

ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، آمينَ آمينَ آمين. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

وهذا صباح يوم الجمعة التاسع والعشرون من شهر شوال من العام الهجري السادس والثلاثين بعد الأربعمائة وألف، وفيه اكتمل بتوفيق الله ﷻ، هذا الكتاب "مراتب الكمال، بدين الله الإسلام" في منزلي الملتصق

بجامع الرباط في منطقة "القلعة"، من مدينة سامراء، من بلد العراق ـ بلد العلم والصلاح والحرب والسلام.

خادم الدين والأمة

عباس السيد فاضل الحسني

وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ
تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ
تَدۡرُسُونَ

اللّٰه

القصد المجرَّد في معرفةِ الاسمِ المفردِ

مكتبة مدبولى

العنوان: ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة
تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ ـ **فاكس:** ٥٧٥٢٨٥٤
الكتاب: الله القصد المجرد
الكاتب: تخريج وتعليق / محمود توفيق الحكيم
رقم الإيداع: ١٤٦٩٦ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى: 3 - 352 - 208 - 977
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى: ٢٠٠٢
غلاف الفنان: محمد لطفى

عربية للطباعة والنشر

العنوان: ٧ & ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون: ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٣٥١٠٤٣ ـ فاكس: ٣٢٩١٤٩٧

الله

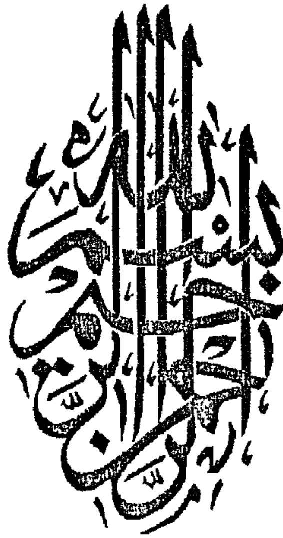
القصد المجرَّد فى مَعرفةِ الاسمِ المفْرد

لابن عطاء الله السكندرى

تخريج وتعليق / محمود توفيق الحكيم

٢٠٠٢

مكتبة مدبولى



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فما أحوج الإنسان المسلم إلى مَنْ يأخذ بيده إلى طريق الهداية والعلم، بعد أن جرفته ـ في هذا الزمان ـ المادية الطاغية، الصماء العمياء، ونأت به بعيداً، فأصبح شارداً في متناول الذئب الشيطان.. والذئب لا يأكل من الغنم إلا الشاردة ...

ولكن الله ـ تبارك وتعالى ـ قيض العلماء، وهم ورثة

الأنبياء؛ ليأخذوا بيد الشاردة ويضموها إلى قافلة التوحيد مرة أخرى . .

ومن بين هؤلاء العالم الجليل، والعارف بالله : ابن عطاء الله السكندري، فكتب رسالة وإن كانت صغيرة في حجمها إلا أنها كبيرة في معناها، عظيمة في فحواها، قلما يجد القارئ نظيراً لها في المكتبة الإسلامية، وسماها : (**القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد**) وهو الله ـ عز وجل، ثم إنه قسمها إلى قسمين :

القسم الأول: في معرفة اشتقاق اسم الذات « الله » وأقسامه، وذكر تفصيل حروفه، وتعلق أقسامه، ومقتضى أحكامه . . . ومن بين ما حواه معنى كلمة الإخلاص التي هي كلمة التوحيد : « **لا إله إلا الله** » بأسلوب شيق يبعث في القارئ شغف المتابعة، بما يقدمه من أدلة وبراهين من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ليخلص إلى أن كلمة : « **لا إله إلا الله** » هي الكلمة التي قامت بها السموات والأرض، وفطر الله عليها

جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي البطاقة التي لا يدخل أحد الجنة إلا بها، والحبل المتين الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وهي العمود الحامل للفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه: **لا إله إلا الله** دخل الجنة.

ومن بين ما حواه أيضاً أسماء الله الحسنى، واسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

وأما القسم الثاني من رسالته: ففي معرفة فضل اسم الذات «**الله**»، وشرف قدره، وشرح معاني أسراره، واختصاص فوائده، وذكره تبارك وتعالى، ثم يبين فضائل الذكر وكيفيته وأقسامه ومقاماته، وأصناف الناس فيه.. فجاءت رسالته ـ بحق ـ شافية كافية نافذة إلى سويداء القلب.

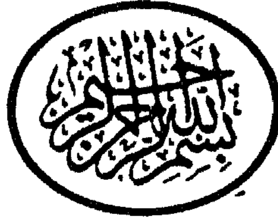
نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يجعلها في ميزان حسناته، وأن يجازي كل من ساهم في طبعها ونشرها وإظهارها إلى النور أحسن الجزاء، وأن يفيد بها المسلمين جميعاً، إنه سميع مجيب.

٩ ربيع آخر سنة ١٤٢٢هـ

٣٠ يونيه سنة ٢٠٠١م

محمود توفيق الحكيم

To: www.al-mostafa.com



وبه نستعين

الحمد لله الذي نوَّر قلوب أوليائه بأنوار هدايته. وصفى أسرارهم لتجلي صفة جلاله وجماله وكمال عظمته. وأخلصهم للعكوف على بساط أنسه بالقرب من حضرته. وخلصهم وخصصهم لمناجاته ومحادثته ومكالمته ومخاطبته. وأنبأهم وعرفهم بحقائق سر أسماء ربوبيته. فتجلى لهم بأسمائه وصفاته ففاضت عليهم بالإشراق أنوار شمس معرفته. وقبض عن نفوسهم كل تلوينها وأمد على قلوبهم ضياء تمكين خصوصيته. ففهمهم وألهمهم ونبههم لحسن آداب مجالسته. ثم كشف لهم عن جمال كمال بهاء وجهه الكريم فاستغرقهم من عنايته. وأظهر لهم من غرائب صنعه وإتقان فعله وبدائع حكمته. ما شهدوا به من عجائب ملكه

وملكوته وجبروته، فغابوا وفنوا به عنهم عند معاينته ومشاهدته. ثم ثبتهم وأبقاهم به وآنسهم بلطف رحمته وأدناهم بكرمه. وقربهم بلطفه، وعاملهم بفضله، وسقاهم من شراب محبته. وأودعهم أسراره ووهبهم ذخائره وجعل أس ذلك وأصله في معرفة اسم إلهيته وستر فيه سره عمن شاء فحجب أشكال صور معروفة وعدد جملته، فبداية فهمه في أول ألفه ونهاية علمه في معنى آخر هاء هويته فطوبى لمن رفعت له حجب ظُلَم معنى ظاهره عن نور معنى باطنه حتى جنى سر ثمرته. وانتشق طيب عبيره وذاق طعمه ولذيذ حلاوته. وعلم منه وشاهد به ما في الوجود من عوالم ظاهره ومعالم باطنه علويه وسفليه على كيفية ذاته وحقيقة ماهيته. وتم له تصرف في ملك مملكته بأمر «كن» فى الوجود بوجود الأشياء على حسب مقتضى إرادته. فلله الحمد بكماله كما يبنغي ويجب لجلاله على ما أسبغ في الظاهر والباطن من تمام نعمته.

ونشهد لله بإخلاص توحيده وتحقيق وحدانيته: لا إله إلا هو الواحد في ذاته العظيم في صفاته والعزيز في فردانيته. ونشهد لنبيه ورسوله بكمال نبوته وعموم رسالته وتخصيص عبوديته. محمد صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وعترته. وذريته وأهل بيته، ورضي الله عن جميع أصحابه وتابعيهم أبداً بإحسان من أمته وأهل ملته.

وبعد:

فإن إكسير الزيادة. وكيمياء السعادة. وقاعدة كل قدم وحال ومقام. وأس أصول دعائم الإحسان والإيمان والإسلام. هو معرفة التوحيد المجرد عن إضافة التقييد. المحفوظ عن تصميم التقليد الموصوف بعلم الأسماء والصفات. والمتنزه عن حدوث طرق الآفات، الجامع لذكر معاني اسم الإلهية. المشتملة على جملة لطائف الأسرار المعنوية. والذخائر النفيسة المصونة. والجواهر الثمينة المكنونة. وهو أصل المعارف الدينية. ومحل العوارف اليقينية؛ لأن شرف العلوم

على قدر شرف المعلوم. وشرف العالم على قدر شرف علمه. ولا شيء أشرف من الحق وطلبه. ولا شيء أشرف في الدنيا من معرفة الله وقربه. ولا شيء أشرف في الجنة من النظر إلى وجهه. وكل علم موقوف على معلومه وشرفه بشرفه. وعلم التوحيد موقوف على معرفة الواحد وصفة وحدانيته. ومعرفة الله هي الغاية القصوى. واللباب الأصفى. ومشرب عذب لكل عبد وارد. ولا يصل للتنعم بشربها إلا واحد بعد واحد. وهي المطلوبة لذاتها وعين الزيادة. وبها تنال أعظم الأحوال وأتم الإفادة. وإن بداية السالك طلب المعرفة. ونهاية غايته توحيد الذات والصفة. لأن معرفة الله غاية الغايات. وتوحيده أجل وأكمل النهايات. والعلم به يفيد ذات الذاكر بيانا وتحقيقا. والعمل بمقتضاه يزيد في صفات السائر برهانا وتوفيقا. ومن أخذ من العلوم والحكم أشرفها وأرفعها. من المعاني صفوها وألطفها وأنفعها. وفهم حكم باطنية أمرها. وعلم حكم علانيتها وسرها. فقد تجوهر باطن قلبه. وتمهد

ظاهر أدبه. وتسمى في الحقيقة إنسانا. وشاهد الحق حقا عيانا. وصار الخير بالذات. في الأوصاف والصفات وعرف الله إيمانا ويقيناً. وصنعته بيانا وتبيينا[١] وقد أودع فيها من اللطائف الغريبة والنكت والعلوم والمعارف العجيبة. ما يكتفي بقدره. ويستغنى بذكره. من غرائب العلم. وعجائب الحكم. وفرائد الطرف. وفوائد التحف. وسماها رسالة (**القصد المجرد. في معرفة الاسم المفرد**) وهو الله جل ذكره وعز قدره. وحصر مجموعها في قسمين. ضابطين لها محكمين. وأتى على كل قسم منهما بشاهد أدلة صحيح منقول البيان. ومعقول صحيح البرهان. من الكتاب والسنة وقول العلماء الألمعية. ومن اقتفى أثرهم من الفضلاء والصوفية. فاعلم ذلك والله الموفق للصواب. الحافظ من الأوصاب[٢]!

(١) بياض بالأصل لم نتمكن من الوقوف عليه.

(٢) الأوصاب: جمع وصب، وهو المرض والوجع وشدة التعب الدائم.

القسم الأول
في معرفة اشتقاقه وأقسامه
وذكر تفصيل حروفه وتعلق أقسامه ومقتضى أحكامه

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

[البقرة الآية: ٢٥٥، وآل عمران: ٢]

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾ [النساء]

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [النمل]

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨) ﴾ [طه]

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام]

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]

فتنبه أيدك الله تعالى في هذه الآيات وفي أمثالها كيف ابتدأ فيها بذكر اسم الله. ونفى ما سواه. وإثباته إياه. فكل اسم من أسمائه إن أظهره فهو صفة هذا الاسم ونعته. وإن أظهره بالهاء فهو عائد عليه وهو منه وإليه، فإنه لا يتم ذكره إلا بإظهار الهاء، وسيأتي ذكر ذلك والكلام على حروفه مبينا ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]

أراد فيهما معرفته بالألوهية. وعبادته. وذكره. وفعله. وحكمه. وأمره.

وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ»(١) وفي رواية أخرى «حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(٢).

وقال ـ عليه السلام ـ لمعاذ بن جبل: «يَا مُعَاذُ مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» فَقَالَ: يَارَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُونَ؟ قَالَ: (إِذًا يَتَّكِلُوا)(٣).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم، عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له.

(٤) أخرجه الترمذي، عن عبد الله بن عمرو، وحسنه الشيخ الألباني ولفظه: «خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له...» الحديث بطوله، وأخرجه الطبراني عن علي، رضي الله عنه، مرفوعا بلفظ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون يوم عرفة...» وبقيته مثله، وإسناده لا بأس به في الشواهد.

وقال ـ عليه السلام ـ لأبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ لَقِيتَهُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» الحديث(١).

فتأمل وفقك الله تعالى كيف اشترط الله ورسوله العلم في التوحيد. والعبادة في المعرفة(٢). قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [سورة محمد: ١٩]

وقال عليه السلام: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣) وفي رواية «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ» والشهادة هي العلم. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾[سورة يوسف: ٨١] وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]

(١) أخرجه مسلم، ولفظه: «يا أبا هريرة! اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لقيت...» وبقيته مثله.

(٢) السياق يقتضي: المعرفة في العبادة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، ومسلم، عن عثمان، رضي الله عنه.

ومعناه ليعرفون . وقال عليه السلام لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فَرَائِضَ»(١) .

فبين وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم بالتوحيد(٢) وجميع الرسل عليهم السلام قد اجتمعوا على دعواهم الخلق إلى التوحيد . كما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ يُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ [الأنبياء] وقال عليه السلام : «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي» الحديث . ولا خلاف بين الرسل في التوحيد . وإنما اختلفت شرائعهم ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

(١) أخرجه الجماعة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٢) الحديث الذى أشار إليه المصنف جاء فيه: «... فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم ...» الحديث، فقد بين وجوب العلم بالتوحيد على وجوب العلم بالفرائض، إذ لا يقبل الله من العبد شيئاً من الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة إلا إذا أقر بشهادة التوحيد أولاً.

وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة: ٤٨] ولا إله إلا الله هي لاستنقاذ الذات المحدثة من العذاب الأدنى في الحال. ومن العذاب الأكبر في عاقبة المآل. وعلى النطق بها بني الإسلام. وعلى قواعدها والعمل بمقتضاها بني الإيمان. وعلى فهم عقائدها والجمع بينها بني الإحسان. ومن شهود شرفها يترقى إلى مبادئ الإيقان. فقولها إسلام. وعملها إيمان. وفهمها إحسان. وتحققها إيقان. وظاهرها عنوان الإسعاد: فظاهرها عالم الملك بداية للشهادة. وباطنها فهم المراد بها في عالم الملكوت وبسط للمعرفة. وحقيقتها كشف معاني أسرارها في عالم الجبروت نهاية للشهادة. فهي في الدنيا عقد الجنان. على مقتضى الإيمان. وفي الآخرة الكشف والعيان. على مقتضى الإيقان، وهي عصمة في الدنيا للدماء والأموال. وعصمة في الآخرة عند عاقبة المآل. فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. عصم ماله ودمه إلا بحقها، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة. ويجمعها سر معاني

التوحيد . ومعرفة التفريد . وفهم التجريد . وهي الدالة على قول النبي ﷺ : «**أُوتِيتُ جَوامعَ الْكَلم**» فمن طلب الله بنفسه دون اقتداء لم يصح توحيده وارتدى . ومن طلب بالله ورسوله وهو العلم صح توحيده واهتدى . ومن عرف الله من جهة الإيمان أطاعه . ومن عرفه من جهة اليقين آثره . ومن عرفه من جهة التوحيد عظمه . ومن لم تفده المعرفة علما بالله وبصفاته ومزيدا في حقيقة توحيده . فهو محجوب . والمحجوب مفقود فإيمان العلماء عن علم يقين. وقال رسول الله ﷺ : «**الْيَقِينُ هُوَ الإِيمَانُ كُلُّهُ**» والنقل والرواية في علم الإيمان أنفع وأقوى من التقليد . والكشف والدراية أنفع وأقوى في علم التوحيد . فإن لا إله إلا الله محمد رسول الله لازمة للخلق اعتقاداً بها قلبًا . والاعتراف بها نطقا . والوفاء بها علما . فإذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب العبد الدنيا والآخرة . فتارة له وتارة عليه . وإذا دخل الإيمان باطن القلب أبغض العبد الدنيا وأحب الآخرة وهجر هواه . وإذا باشر الإيمان سويداء

القلب أعرض عما سوى الله. والتوحيد هو العلم. والعمل أصل الإيمان. والإيمان هو التصديق. وكل تصديق بالقلب فهو علم، فإذا ثبت سمي يقينا. فإذا قوى سمي توحيدا. فإذا رسخ سمي معرفة. فمثل من عرف عقائد باطن الإسلام كمن وجد كَنزًا، ومثل من عرف عقائد باطن الإيمان كمن وجد معدنا، ومثل من عرف فوائد سر الإحسان كمن وجد الكيمياء، فكوكب سماء ملكوت السعادة الإسلام. ودريها الإيمان. وقمرها الإحسان. وشمسها الإيقان. ولا إله إلا الله دائرة بين النفي السالب، والإثبات الموجب. فالنفي السالب لجميع صفات الحدوث والنقص والعدم. والإثبات الموجب لجميع صفات التنزيه والكمال والقدم. فمن نظر إلى وجود الحق بعين القدم ونظر إلى ما سواه بعين الحدوث والعدم. فقد شاهد أزليته. وقال ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله. ومن نظر إليه بعين البقاء. ولخلقه بعين الفناء. فقد شاهد سر أزليته. وقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده. ومن نظر إليه بعين

العلم والقدرة وللخلق بعين الجهل والعجز وقصور المنة. فقد شاهد فعله وإحاطته. وقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه. وأصل المشاهدة ينقسم إلى ثلاثة أقسام: مشاهدة فعلٍ بفعل. ومشاهدة صفة بصفة. ومشاهدة ذات بذات. فمن نظر إلى الحق بالحق تجلت له الأسماء والصفات. وسريانها في المكونات. والعلم في المعلومات. ومن نظر إلى الأشياء بالعلم ظهرت له الصنعة في المصنوعات والأفعال في المفعولات. ومن نظر بالله لا به انقطعت الإضافة وتلاشت المحدثات. وفنيت العبارات والإشارات. قال الشاعر:

أُلاَحظُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ وَأَدْعُوهُ سِرًّا بَاطِنًا فَيُجِيبُ
مَلأَتُ بِهِ قَلْبِي وَسَمْعِي وَنَاظِرِي وَكُلِّي وَأَجْزَائِي فَأَيْنَ يَغِيبُ

واعلم أن التوحيد هو إثبات القدم. وإفراد المحدث ونفي العدم. ومعرفة التفريد هو إفراد الاسم. وفهم التجريد هو التنزيه بالعلم. وأصل لا إله إلاالله هو إثبات اسم الألوهية. وإخلاص إفراده ونفي ما سواه من الإلهية. وتنزيهه عن أضداده

وأنداده. وبفهم معناه وسره يصح الإسلام. وشهادته يتم الإيمان. وقاعدته يكمل الإحسان. ومحبكم يبين لكم إن شاء الله تعالى معاني هذا الاسم المفرد وصفاته. وأسرار حروفه وعددها. وجملة تعداد حسابها. يحصل لمن علمه وأدركه بشواهد مبينة جهد فهم ذوقه. وحال سلوكه. فاعلم أيدك الله تعالى بمواد المزيد. وفهمك معاني أسرار التوحيد. بفضلة من فضله.

أن هذا الاسم. المفرد. المعظم. المقدم. المجرد. أعني الله عز ذكره. هو اسم الذات العلية. الموصوفة بصفة الألوهية المعروفة بنعوت الربوبية. المتصف بصفة الأحدية. المنفرد بوحدة الوحدانية. المنعوت بصمدانية الصمدية. المنزه عن جنس الكيفية. وأنواع المثلية. المقدس عن أن يحيط بمعرفة كنه إدراكه عقول البشرية. فهو: الله.

اسم الإله. الواحد. القديم. الحي. القيوم. العلي. العظيم. الباقي. السرمد. الكبير. المتعال. الموجود. المطلق الوجود. الأزلي الذي لم يزل أولاً وآخراً. وظاهراً وباطناً. ولا

يزال . المستحق بالوجود الحقيقي . الواجب الوجود . وكل موجود سواه مستمد منه الوجود . فهو من حيث ذاته هالك فان . ومن حيث موجده ثابت موجود . وهو أعظم الأسماء . لأنه دال على الذات العلية . الجامعة لكل كما صفات الألوهية . وكمال الذات هو كمال الوجود ودوامه أزلاً وأبداً . باق سرمداً . واستحال عليه العدم . كما وجب له الوجود والقدم . قال الشاعر:

جَلالُكَ يَا قُدُّوسُ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ
كَذَاكَ صِفَاتُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهَا عَدٌّ
تَعَالَيْتَ عَنْ شِبْهِ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا
وَمِنْ وَصْفِ عَلْيَاكَ الطَّهَارَةُ وَالْمَجْدُ
قَضَاؤُكَ مَحْتُومٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ
ومَاشِئْتَ مِنْ شَيْءٍ فَلَيْسَ لَهُ رَدٌّ
لَكَ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَكُلٌّ مُعَبَّدٌ
كَفَاهُ اعْتِزَازًا أَنْ يُقَالَ هُوَ الْعَبْدُ

وقد اختلف العلماء في هذا الاسم المفرد. هل هو مشتق أم لا؟ والكلام فيه من ثلاثة أوجه:

أحدها: من طريق اللغة.

الثاني: من طريق الحكمة.

الثالث: من طريق المعرفة.

فأما الوجه الأول: من طريق اللغة فعلى قولين. قائل باشتقاقه وإطلاقه. وقائل بالتوقف عنه ومنعه. فالمتوقف المانع قال: لا يجوز اشتقاقه من معنى بوجه أصلا فإن الله تعالى قال: ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** (٦٥) ﴾ [مريم] وفيه ثلاثة معان.

الأول: هل تعلم أحدا تسمى الله غير الله ؟! أو اسما غير ما سمى به نفسه.

الثاني: هل تعلم أحدا يستحق كمال الأسماء والصفات ما يستحقه الله ويتصف به حقيقة؟!

الثالث: هل تعلم اسما هو أعظم من هذا الاسم المفرد.

أو له اشتقاق من شيء كما يشتق لأسماء الخلق؟! فهو لا يشبهه شيء. وإنما هو دال على ذات الإله الذي قامت به الصفات. بمثابة اسم العلم الدال على المسمى من غير اشتقاق له من شيء. وهو اسم تفرد به الله سبحانه وتعالى واختصه لنفسه. ووصف به ذاته. وقدمه على جميع أسمائه وأضاف أسماءه كلها إليه. وكل ما يأتي بعده من الأسماء نعت له. وصفة لوصفه. ومتعلقة به. وتوصف سائر الأسماء بأنها أسماء الله تعالى وتعرف في الأغلب بالإضافة إليه. يقال إنها من أسماء الله تعالى. ولا يقال من أسماء الصبور. أو الغفور. أو الجبار. وكذا الإسلام لا يتم إلا بذكر هذا الاسم، ولا يقبل اسم عوض منه، ولا ذكر بدل عنه. بأن يقال لا إله إلاالغفار أو الرحيم. أو الجبار. وإنما يقال لا إله إلا الله. وبذلك نطق القرآن والحديث. لأنه أدل على كنه المعاني الإلهية واختص بها. وهو بها أشهر. وأتم وأظهر. فاستغنى عن التعريف بغيره من

الأسماء. وعرف غيره بالإضافة إليه. وجعله للنطق والذكر والتعلق. دون الاتصاف به والتخلق. قال الشاعر:

يَاذَا الَّذِى قَدْ دَنَا بالْبَحْثِ وَالطَّلَب
عَنْ سِر مَعْنًى سَمَا عَنْ رُتْبَةِ النَّسَب
اقْبَلْ نَصِيحَةَ مَنْ قَدْ قَالَ معْتَرفًا
لاَ تَجْعَلَنَّ إلى التَّشْبِيه مِنْ سَبَبِ
لاْسمِ الإِلهِ الَّذِي قَدْ جَلَّ مُنْفَرِدًا
عَنِ اشْتِقَاقٍ وَعَنْ إِسْمٍ لِذِى أَرَبِ
قَدِ ارْتَضَاهُ لَهُ إِسْمًا وَنَزَّهَهُ
بِالذِّكْرِ عَنْ خَلَفٍ فِى سَائِرِ الْكُتُبِ
وَاخْتَصَّهُ بِاسْمِه فِى ذَاتِه فَأَتَى
مِنْ بَيْنِهَا سَائِرُ الأَسْمَاءِ بِالْعَجَبِ
مِنْهَا الثَّنَاءُ الَّذِى قَدْ عَمَّ مُشْتَمِلاً
شُكْرًا عَلَى نِعَمٍ وَالذِّكْرُ فِى الْخُطَبِ

فَأعْلنْ بِهِ أَيَداً وَاحْذَرْهُ عَنْ خَلَف
إنْ كُنْ ذَا هِمَمٍ أَوْ كُنْتَ ذَا أَدَبِ

والقائل بإطلاق اشتقاقه قال هو مشتق من خمسة أشياء: من الوله. ومن النجا. ومن الحجب. ومن العلق. ومن البقاء. فأما اشتقاقه من معنى الوله فأصله إله. والإله هو الذي يؤله له. ويقصد في طلب الحوائج. ويفزع إليه في النوائب. ويرجى فضله ويخاف عدله. كما قال الشاعر:

وَكَلْتُ إِلَيْكُمْ فِى بَلاَيَا تَنُوبُنِى
فَأَلْفَيْتُكُمْ عَوْناً كَرِيمًا مُمَجَّدَاً

وقيل: من معنى إله. زيدت فيه اللام للتفخيم. فقيل الإله. ثم حذفوا الهمزة المتخللة بين اللامين. وأدغموا اللام الأولى التي للتفخيم في اللام الثانية التي للتعظيم. فعظمت فقيل ﴿ الله ﴾ واسم الله من الألوهية. هو اسم يوجب الوله. إما لشدة طرب العبد وسروره. وإما لفرط شدة حزنه وخوفه

وذعره. فيكون بين وقتين. وقت قبض. ووقت بسط. ففي حالة القبض يوجب له هيبة. يصحب طرفها دهشة. وفي حالة البسط يوجب له قرْبة. يصحب طرفها فرحة. فمن عرف ربه فزع إليه ودعاه. ووله له وأعرض عمن سواه. وآثر رضاه على هواه. قال الشعر:

لِلّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ النُّزَّهْ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مَنْ تَأَلُّهُ

وأما اشتقاقه من معنى الحجب. فأصله لاه. ومعناه احتجب عن الخلق. وحجب أبصارهم عن رؤيته في الدنيا وفي ذلك. قال الشاعر:

لاَهَتْ فَمَا عُرِفَتْ يَوْمًا بِجَارِحَةٍ
يَالَيْتَهَا ظَهَرَتْ حتى رَأَيْنَاهَا

فمن عرف ربه راقبه. وحاسب نفسه. وعلم أنه يراه من حيث لا يراه. فهو يستحيي منه.

وأما اشتقاقه من معنى العلو والرفعة. فأصله أيضا لاه. يقال لاهت الشمس إذا علت وتوسطت قبة السماء في علو مركزها واستوت حالة وقوفها. كما قيل:

لاَهَ الإِلْهُ وَفِي أَعْلَى العُـلاَ حَـقًّـا   حَسْبِي بِهِ فِعْلِي إِلَيْـهِ يَرْقَى(١)

وأما الكلام على الوجه الثاني من طريق الحكمة. فقيل فيه: إنما تفرد الحق سبحانه بهذا الاسم المفرد. أعني ﴿ الله ﴾ ومنع الغير أن يتسمى به. وقبض الخلق عن الإدعاء فيه. والتخلق به. والاتصاف بوصفه. لأجل عظمة الألوهية وكبريائها. قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [سورة النمل] وقال: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[النمل: ٦١]، ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) ﴾ [سورة النمل] وقال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) ﴾ [سورة الأنبياء] وقال عز من قائل: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾[سورة المؤمنون: ١١٦، ١١٧] وفي الحديث الصحيح (قال الله تعالى: «الْكِبْرِيَاءُ

(١) هذا البيت كما في الأصل وهو كما ترى قد لعبت به أيدي التحريف والنسخ.

رِدَائِي وَالْعَظَمَـــةُ إِزَارِي، فَـــمَنْ نَازَعَنِي فِي أَحَـــدِهِمَـــا قَصَمْتُهُ»(١) اي اهلكته وأدخلته النار. واسم الألوهية عبارة عن وجوه القلوب متوجهة بالجمع والإخلاص إليه. ووجوه الأجسام وأعضاؤها. مقبلة بصدق الخشوع في العبادة عليه. فإنه الواجب الوجود المطلق. الحقيقي الحق. وكل ما سواه هالك. فان . باطل. كما قال عليه السلام: أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ(٢)

وأما الكلام على الوجه الثالث من طريق المعرفة. فقيل: إن الحق سبحانه اختار هذا الاسم أعني ﴿ الله ﴾ لثلاثة أشياء:

أحدها: لذاته. فهو خاص به لا يشاركه فيه أحد غيره. لا بالمجاز ولا بالحقيقة. لما فيه من الأسرار والحكم والمعاني. ومن الاختصاص والتعظيم.

(١) اخرجه احمد، وابو داود، وابن ماجه، وابن النجار، عن ابن عباس واخرجه الحاكم، عن ابي هريرة، واللفظ له.

(٢) اخرجه البخاري ومسلم، عن ابي هريرة، رضي الله عنه.

الثـاني: أنه جامع للمعاني اللطيفة. والصفات الشريفة. فإن غيره من الأسماء فيه معنى واحد. أو معنيان يختص به. كالخالق والفاطر. والمخترع. والمحدث. والمبدىء. والمبتدع. وما ماثل ذلك كله بمعنى واحد. وإن كان لا يخلو كل اسم من خصوصية ما يمتاز بها. ومثل الرازق. والمنعم. والمحسن. والمتفضل والمعطي. والجواد. والكريم. كل ذلك أيضاً الغالب عليه معنى واحد. وسائر الأسماء والصفات قد يتعدد لفظها. ويتفق معناها وقد لا يتعدد. ويختص بمعنى واحد. واسم الله معناه لايحصى ولا يعد. ولا يحصر ولا يحد. وكل الأسماء راجعة له. مضافة منسوبة إليه. ومشيرة بخواصها في الحقيقة عليه. وتعرف به جميع الأسماء والصفات. ولا يضاف هو إلى شيء سوى الذات.

الثـالث: اختصاصه بأسرار ليست في غيره من الأسماء. وفضله وعظمه. وأسماؤه. وصفاته كلها فاضلة عظيمة. إلا أن هذا الاسم له تخصيص زائد تام كامل على سائرها. كما

أن التوراة والإنجيل والزبور والصحف والفرقان . الكل كلامه عز وجل ولكنه اختص منها القرآن وفضله على سائرها . فكذلك هذا الاسم من بين أسمائه : وخصوصيته وفضله وشرفه . فمن خواصه أنه في ذاته اسم كامل في حروفه تام في معناه خاص بأسراره مفرد بصفته فكان أولاً ﴿ الله ﴾ فحذف منه الألف فبقى ﴿ لله ﴾ ثم حذفت منه اللام الأولى فبقى « له » ثم حذفت اللام الثانية فبقى « هو » فكان كل حرف منه تام المعنى . كامل الخصوصية . لم يتغير منه معنى . ولا اختلف بتفريق حروفه منه فائدة ولا نقصت منه حكمة . ولكل لفظة منه معان عجيبة . مستقلة بذاتها غريبة . وسيأتي الكلام على معنى هذه الألفاظ وعلى حروفها آخر هذا القسم إن شاء الله تعالى مبينا . وغيره من الأسماء كلها ليس كذلك أمرها . فإنه إذا حذف شئ من حروفها . أو فرق بعضها من بعض اختلفت معانيها . واعتلت أساميها . وفسدت أحكام حكمها . ونقصت فائدتها . فلهذا كان هذا الاسم جامعا شاملاً . تاما

كاملا. على الجملة والتفصيل. ولم يؤثر تفصيل حروفه. ولاتفريقها. ولا إفرادها في شيء من جملة معانيه ولا أخلت بشيء من أسراره. ولا نقصت تجزئته شيئاً من كله.

واعلم أن الأسماء الحسنى هي ألف اسم منها ثلثمائة في التوراة وثلثمائة في الإنجيل. وثلثمائة في الزبور. وواحد في صحف إبراهيم. وتسعة وتسعون في الفرقان. قد جمعت معاني تلك الأسماء كلها. وأدخلت في التسعة والتسعين اسما التي في القرآن واحتوت عليها. واشتملت على فضائلها وأسرارها وثوابها وأن الأسماء كلها التي في جميع الكتب أولها:

الله

ولهذا كان لهذا الاسم أكثر جريان وتذكرة على ألسن الناس في جميع الأمور. من كل ما يحاول من الأشياء. لا في الأقوال ولا في الأفعال. ولا في الأسباب كلها. فبدأ فيها

ببسم الله. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ [سورة هود: ٤١] وقال: ﴿ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ④ ﴾ [سورة المائدة] وقال: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأنعام: ١١٨] وقال: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [سورة الأنعام: ١٢١] وقال: ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ㉓ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الكهف: ٢٢، ٢٣] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة المائدة: ١١، وسورة الأحزاب: ٩] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ㊶ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤١] وقال: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥] وكل ذلك حضًا على ذكر هذا الاسم. وسيأتي الكلام على ذكره في القسم الثاني من هذه الرسالة مبينا مفصلا إن شاء الله تعالى.

ثم إنه أول الأسماء الحسنى. وجعل افتتاح كل سورة من القرآن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وفي ذلك معنى لطيف

لكونه أول الأسماء. والرحمة أول الأشياء. كما ورد في الحديث الصحيح ﴿إنَّ اللّٰهَ قَالَ أَنَا اللّٰهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا الرَّحْمن الرَّحِيمُ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي﴾ وبين الإماسان رضي الله عنهما مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي أن ه الاسم اسم الله تعالى ليس فيها كاملا، وإنما فيها بعض الاسم وهو ﴿لله﴾ بلام الملك. وفرق بين الاسم وبين لام الملك. فإنه لا يصح عنده اسم الألوهية إلا بكماله. وكماله لا يكون إلا بالألف. وهو أصل الاسم لكونه أول الأشياء في العدد. وفي اسم الأحدية وأول الحروف ولما فيه من الأسرار كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في موضعه.

واسم الألوهية عبارة عما في وجوه قلوب الخلق. ووجوه أبدانهم متوجهة إليه بالعبادة. وهو الإله المعبود. المستحق للعبادة ظاهرا وباطنا. بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة] فنصفها ألوهية ونصفها عبودية. وورد الشافعي أن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من أم القرآن ومن لم يسم فيها

نقصت صلاته ولم تتم، وفي إعادتها عنده قولان. وأن من دعا بهذا الاسم فقد دعا بجميع الألف اسم التي في جميع الكتب المنزلة. ويجوز للعبد السالك أن يتخلق بسائر الأسماء والصفات غير هذا الاسم المنفرد فإنه للتعلق لا للاتصاف والتخلق. قال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٩] وقرئ بثلاث روايات ﴿تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَتُعَلَّمُونَ﴾ ﴿وَتُعَلِّمُونَ﴾ بجميع ثلاث معان. علمه. وتعلمه وتعليمه. والعلم نور في ذاته. فإذا عمل به صار نورانيا في ذاته ولغيره. والعلم عقيم فإذا عمل به أنتج. ومعنى ربانيين(١) متخلقين كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ» وقال عليه السلام: «إِنَّ لِلّٰهِ مِائَةَ خُلُقٍ فَمَنْ تَخَلَّقَ بِوَاحِدٍ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

والتخلق بالأسماء جائز. وتصير أوصافا للسالك في حال

(١) قال ابن عباس فى معنى قوله تعالى: ﴿كونوا ربانيين﴾ اى حكماء علماء حلماء، وقال الحسن: فقهاء، أهل عبادة وأهل تقوى. (ابن كثير).

سلوكه ورياضته على وجه التخلق والتشبه. لاهي هي عينها وذاتها. ولكن العبد يتصف بصفة سيده. كالغفور. والصبور. والستار. والرحيم. والجواد. والفاضل. والكريم. والجليل. والرءوف. والعادل. والحليم. وما أشبه هذه الأسماء. إلا أن خاصية الألوهية في كمال الصفات. وتنزيه الذات عن التغييرات ليست إلا لله وحده، ولا مشابهة بين القديم والمحدث إذا تخلق بأخلاقه فإن صفات الحق تعالى قديم أزلية منزهة. لا تصير للعبد حقيقة لأن الإله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾[الشورى] ولا يشبهه شئ. والمماثلة منفية عن الله تعالى. وإنما يحصل له ما يناسب تلك الأوصاف ويشاركها من حيث الاسم في عموم الصفات. دون خواص المعاني. ولا انتقال لعين الصفات. ولا مماثلة مطلقة من كل وجه. ولاتامة على التحقيق. ولا مناسبة كمناسبة الجسم لمكانه وحيزه. والجوهر لجوهره ومحله. وإنما الإشارة إليه بالجواز على وجه الاتساع في اللغة في المجاز والحقيقة وغير

ذلك. فوقع المجاز في التشبيهات. وكمال حظه من جهة التنزيه على الشدة والغضب والشهوات. والترقي من حظوظ هوى النفس وانسلاخه من عوائد الصفات المذمومة إلى أوصاف التنزيهات. كما تنسلخ الحية من جلدها حتى لا تعود إليه. ولا يبقى في القلب متسع لغير الله تعالى. فرق بين هو هو وكأنه بكاف التشبيه. وإنما كان سعادة العبد وخصوصيته في التخلق بأخلاق الله تعالى. والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته بقدر ما يتصور في حقه أن يتصف بمحاسنها. إلى أن يكون العبد ربانيا. أي قريبا من الرب جل وعلا. ويصير رفيقا إلى الملأ الأعلى. المنزه المطهر المزكي. من الملائكة. فإنهم على بساط من القرب. فشبهه بصفاتهم ينال القرب بقربهم. بقدر ما ينال من أوصافهم المرضية. المقربة لهم إلى الله تعالى. والمراد قرب الدرجات والمقامات. لا قرب الجهات والمسافات. ومهما اقتدى بالملائكة وتشبه بأخلاقهم كان أبعد عن البهيمة وأحوالهم، وأقرب إلى الملائكة وأوصافهم. والملك قريب من الله. والقريب من القريب

قريب. وكلما كانت علوم العبد ومعارفه أكثر وأوسع كان أقرب إلى الله تعالى وأرفع، وعلى قدر ما يكشف له عن إدراك حقائق المعلومات على ما هي به وعليه. وتتضح له تفاصيل صفات العلوم من جهتها كشفا تاما، وإيضاحا يقينا ثبتت تعلقات معلوماته بعلمه. وبقيت ودامت وصحت. وتبين كمالا للنفس في حياتها وبعد مماتها، وفي استيلاء العلم على المعلوم نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية. لإحاطته عليها بعلومها. فلا يلحقه بعد ذلك زوال ولا انقلاب ولا تغير ولا نقص. وحينئذ يكون قد تمكن قربه من الله تعالى. وزادت معرفته. ونارت بصيرته. ورسخ توحيده وذلك من حيث أن الله تعالى دائم باق. ولا يلحقه زوال. ولا نقص ولا تغير. ولا تقبل صفاته شيئاً من التغيرات. مما يلحق المحدثات فإن قرب الحق جل وعلا بالعلم والقدرة لعامة المسلمين. وقربه باللطف والنصرة لخاصة المؤمنين. وقربه بالأنس والشهود للأولياء والعارفين. وحقيقة القرب من الله تعالى فَقْد حس الأشياء من القلب بصدق الضمير إلى الله سبحانه وتعالى.

وأقرب ما يصل العبد به إلى الله تعالى كمالات النفس برياضة العلم إلى الأخلاق الحميدة، وتنزيهها بالآداب السنية المفيدة. بالرياضات العقلية الحسنة السريرة. وهي ثلاثة أشياء:

أولها: زيادة المعرفة بالعلم والتقوى.

الثانية: الحرية من رق الشهوة والهوى.

الثالثة: تزكية النفس بالتخلق بأخلاق المولى. فإن أشرف المعرفة معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته. وأشرف الحرية الخروج عن رؤية النفس ودعواها بالكلية. وأشرف تزكية النفس الاتصاف بكل خلق وأدب حسن عقلا وشرعا. فيكون المتصف بهذه الأوصاف مخصوصا بالدرجة العليا والمقام الأسني متصفا بصفات الكمال الملكي. متنزها عن صفة النقص البهيمي. منسلخا عن مذموم ظلمة أوصافه البشرية. مقدسا عن غلبة الشهوة والهوى والشره الطبيعي. فعند ذلك تحصل له نسبة القرب بينه وبين نسبة الملائكة بالوصف العقلي النوراني. ويبعد عن جنس وصف الحيوان البهيمي. وتقع

المناسبة بالشبه والمساواة والمشاركة في الصفات لفظا. لا كمالا حقيقة. لأن النقص موجود في المحدث. والكمال حقيقة فيمن لا نظير له في ذاته. ولا في صفاته. وإن كانت النسبة والمشاركة والمشابهة في الصفات لا توجب المماثلة في حقيقة الذات. لأن المشاركة في كلُ وصف لا توجب المماثلة في كل وجه. لأن الضدين يتماثلان وبينهما غاية البعد، إذ السواد يشارك البياض في العرضية واللونية والإدراكية. وليس المثل كالممثل به. ولا المشبه كالمشبه به. وبيان القديم من المحدث أعلى من التباين بين السواد والبياض.

وقد روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن[1]. وبذلك وصفه الله سبحانه كما في كتابه بأنه رءوف. رحيم. وعدل. وهاد وجواد. وكريم . وعفو. وغفور. وستار. وحليم. فأكمل الله له جميع الأخلاق الكريمة بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

(١) أخرجه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٤) ﴾ [سورة القلم] وقال ﷺ : «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١) وفي رواية أخرى من حفظها دخل الجنة .

والناس في إحصائها على ثلاثة أصناف. صنف أحصاها تصديقا واعتقادا ورواية ومقالا، وصنف أحصاها حفظًا وعدا ودراية وسلوكا وحالا، وصنف أحصاها ذكراً وحفظًا وعلمًا ومحافظة ومعرفة وتخلقًا وكشفًا وشهوداً وتعظيمًا وإجلالاً .

وكل طائفة من هذه الأصناف الثلاثة قد وعدهم الشرع بدخول الجنة، ولكن جنة كل صنف منهم على حسب علو منازلهم. ورتب أحوالهم وتمكين معرفتهم. وقوة يقينهم، وعلى قدر ما كشف لهم من فهم أسرار الأسماء والصفات تخلقوا بها. وتحققوا فيها. وشاهدوا من تجلى صفات الذات. فإن الإحصاء الذي ورد فيه الترغيب هو مطلق يحتمل التخصيص والتعميم.

---

(١) أخرجه الشيخان، والترمذي، وابن ماجه، عن أبي هريرة، ولفظه: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا..» وبقيته مثله.

وفيه إشارة إلى قول النبي ﷺ **«إنَّ في الْجَنَّة لمائَة دَرَجَة وَإنَّ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ أَعَدَّهُنَّ اللهُ تَعَالَى لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ»**(١).

وفيه دليل أيضا على أن من أعطى اسما من أسماء الله تعالى حقه كما يجب جاز درجة، ومن أحصى الجميع جاز الدرجات كلها. فمن أقر بفضلها وقرأها فهو المسلم، وله الإفادة، ومن عرفها ودراها فهو المؤمن وله الزيادة، ومن علم معانيها وعمل بمقتضاها واتصف بها فهو العارف وله المشاهدة. فمن عرف هذا الاسم أقيم بشواهد الهيبة والجلال، وخص بمزيد القربة والكرامة والإفضال. ومن انكشف له سر معنى حكمته وانفصلت عنه رعونة البشرية. ولاحت له هيبة جلال عز الربوبية. وتحقق له محض ذلة العبودية. فإن حقيقة اسم الإلهية إدلال الإلهية. والألوهية صفتها العظمة والكبرياء

(١) أخرجه الإمام أحمد، والبخاري، وابن حبان، والبيهقي في الأسماء، عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

والعزة والعلو وإطلاق القدرة والاستغناء. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سورة الرعد: ١٦] وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ وهو الاسم الأعظم. فإنه روي في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه سئل عن اسم الله الأعظم. فقال: ﴿اسمه اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(١) وهو الاسم المقدس المنزه المكرم. اسم ذاته. والمنعوت بصفاته. المخصوص بالتقديم على الأسماء والتشريف والتعظيم. وقد تنزل الأسماء منزلة الصفات. وتنزل الصفات منزلة الأسماء. اتساعا في الألفاظ، وتجمعها كلها صفة الألوهية.

واعلم أن مجموع صفات الله تعالى في إدراك عقولنا وفي مفهوم علومنا على ثلاثة أضرب:

منها سمعية لا يجوز إطلاقها، ولا إثباتها إلا بعد ورود

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، عن أسماء بنت يزيد، ولفظه: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران: ﴿آلم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

الإذن بإطلاقها ولا يجوز لأحد. ولا يجوز أن يسمى الله سبحانه باسم غير ما سمي به نفسه. أو أذن به. أو سماه به رسول الله ﷺ. واجتمعت عليه الأمة. ولا يجوز أن يسمى بما لم يجز في صفته. مثل عاقل. وفقيه. ولبيب. وسخي. وشبه ذلك. وكره مالك الدعاء بياسيدي. أو ياحنان. أو أن يسمى خليل. أو حبيب. أو صفي. أو جميل. أو مليح. ولا يجوز أن يطلق عليه أو يضاف إليه وإلى أسمائه الحسنى ما ذكره عز وجل في كتابه. كقوله: ﴿ خَادِعُهُمْ - وَمَكَرَ اللَّهُ - اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ - وَيُضِلُّ اللَّهُ ﴾ وإنما ذكر ذلك تعالى على المقابلة والمكافأة والمجازاة لهم على فعلهم بإعادة أوصافهم إليهم. وهي من أوصاف الأفعال والجزاء. ومن الأسماء التي نفاها الله تعالى عن نفسه. ونزه ذاته العلية وصفاته القدسية عن الاتصاف بها.

ومنها صفات ذاتية. كان موصوفا بها في الأزل، وهو موصوف بها فيما لا يزال. ويستحيل أضداد ذلك. كحي.

وعالم. ومريد. وقادر. وسميع. وبصير. ومتكلم. وأسمائه الذاتية من الأسماء الحسنى.

ومنها صفات فعلية. تسمى بها الباري سبحانه. لصدور الأفعال منه. فإن المحدث يتعلق بكلامه تعالى. بقوله كن. وكن هي الأمر بالتكوين. والقدرة توجد الفعل وتوقعه وتظهره. والعلم محيط به. ويرتبه ويكشفه. والإرادة تخصصه وتبدعه وتتقنه. والسمع والبصر والكلام يقتضيان كمال المتصف بها. ولا تتعلق قدرة المحدث ولا إرادته، ولا إحاطة علمه بالقديم. ولا تتعلق قدرة الله تعالى وإرادته بذاته ولا بصفاته القديمة. وإنما تتعلق بإيجاد المحدث وتخصيصه. والحق سبحانه يعلم ذاته وصفاته. ويبصر نفسه. ويسمع كلامه.

وقد قسم العلماء معاني الأسماء الحسنى على أربعة أقسام:

الأول من أسمائه: هو ما يدل على الذات الكريمة الجليلة المنزهة القديمة العظيمة. وذلك كل ما دلت التسمية به على

وجود ذاته وهو راجع إلى نفسه. كشيء. وموجود. وذات. وإله. وقديم. وباق. ودائم. وأزلي. وقيوم. وواحد. وفرد. ووتر. وصمد. وأول. وآخر. وظاهر. وباطن. وحميد. وحق. وما هو من هذه الأسماء فهو اسم الذات العلّية. ويقال إنه هو الاسم وهو المسمى.

****

القسم الثانى من أسمائه: وهو راجع إلى صفة ذاته القديمة. وهو ما لا يقال إنه هو ولا إنه غيره. ولا الاسم هو المسمى. وذلك كل ما دلت التسمية به على صفة ذات نفسه. وهي تنقسم على أربعة أقسام(١):

منها صفات تختص بنفس ذات الباري سبحانه وتعالى كالحياة. والعلم. والقدرة. والإرادة. والسمع. والبصر. والكلام.

ومنها صفات تختص بالإرادة. كالرحمن. والرحيم.

---

(١) القسم الرابع لم يحرره المصنف.

والغفور. والعفو. والحليم. والودود. واللطيف. والصبور. والكريم. والرؤف. والجواد. والشكور.

ومنها صفات تختص بالقدرة. كالقوي. والغالب. والقاهر. وذي القوة المتين. والقادر. وما هو من هذه الأسماء.

****

القسم الثالث من هذه الأسماء: وهو راجع إلى صفة أفعاله. وهو ما يقال إنه غيره والاسم فيها غير المسمى، وذلك كل ما دلت التسمية به على صفة فعل من الأفعال. كباريء. ومصور. وخالق. ووهاب. ومحيي. ومميت. ورازق. وباسط. وقابض. ورافع. وخافض. ومعز. ومذل. وحكم. وعدل. ومحسن. ومفضل. وفتاح. وباعث. ورقيب. ووارث ومجيب. وكاف. ومقيت. ومعافي. وشاف. ومعطي. ومانع. ووكيل. وواسع. ومقسط. وجامع. وضار. ونافع. ومبديء. ومعيد. وهادي. ورشيد. ومقدم. ومؤخر.

وتواب. وبار. ومنتقم. ومعين. وولي. ومبين. وما هو من هذه الأسماء.

القسم الرابع من أسمائه: وهو راجع إلى صفة التنزيه. ويقال أنه هو هو والاسم والمسمى فيها واحد. كأسماء الذات. وذلك كل ما دلت التسمية به على نفي النقائص كلها عنه جل وعز. كعزيز وجبار. ومتكبر. وكبير. ومولي. ومتعال. وذي الجلال والإكرام. وجليل. وعظيم. وعلي. ومؤمن. ومهيمن. وغني وقدوس. وسلام. وما هو من هذه الأسماء.

وهذا الاسم المفرد جل ذكره. وهو جامع لجميع الأشياء كلها وهي كلها شارحة له ومشيرة إليه. ومعبرة عنه. والعالم كله علويه وسفليه. بما فيه من عجائبه وغرائبه صادر عنه. وهو على قسمين. عالم أمر. وعالم خلق. وعالم الأمر. وهو الحاكم على عالم الخلق. إذا كان يلي اسم الألوهية في المرتبة العليا. وكل ما عبر عنه باسم الألوهية فهو والأسماء كلها لا

تغاير فيها من حيث أنها أسماء، وإنما التغاير في مقتضياتها. وفي المفهوم من ذلك حسب قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] وإن تعددت الأسماء فالمقصود منها واحد. وهو الله. وكل الأسماء هي صفته ونعته. وهو أولها وأصلها. والأسماء كلها سرت في العالم سريان الأرواح في الأجسام، وحلت منه محل الأمر من الخلق، ولزمته لزوم الأعراض للجواهر. فإنه ما من موجود دق أو جل. علا أو سفل. كثف أو لطف. كثر أو قل. إلا وأسماء الله جل وعز ذكره محيطة به عينا ومعنى. ومقتضى اسم الألوهية جامع لجميعها. كالأسماء المحيطة بالعوالم المنقسمة إلى أمر وخلق، وكان لها مقام الروح من الجسد.

ومن لطف الله تعالى أن أظهر من علمه وقدرته بهذا الاسم ما احتملته عقول خلقه. ليصل حبله بحبلهم، وبفضله

فطرتهم التي فطرهم على معرفته. فأشهدهم مشاهدتهم. فشهدوا بها على أنفسهم حين ألست(١). ثم أشهدهم الآن مشاهدتهم حال وجودهم بأن أظهر لهم من أسمائه اسمه الأعظم:

الله

وعرفهم به من أجله، وخفف ذكره على ألسنتهم. وأجراه دائما وسهله عليهم. وأظهره لهم ظهورا بينا في ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فمن شدة ظهوره خفي حتى لم يوصف. ومن كثرة ذكره نسي حتى لم يعرف. فبه تستقيم الأمور. وبذكره يسهل العسير. وتقضي الحوائج وسائر الآراب.

(١) ألست: الألس: الخداع والخيانة والغش والسرق، والألس: ذهاب العقل وتذهيله، والمصنف رحمه الله، يشير إلى العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

ويبتدأ به مناولة جميع الأسباب. وهو الذي لم يسعه سماء ولا أرض. ولا عرش. ولا كرسي. سوى مشيئته. ومن شاء من قلوب من سبقت لهم منه الحسنى. وبقدر ما أودع الله تعالى منه في قلوب عباده المخلصين المختصين المشرفين بإضافة عبوديتهم إليه، وبكبر قدره. ويكشف لهم منه سره. تعالت أسماؤه. وجلت صفاته. وعظمت ذاته. قال الشاعر:

هُوَ الْحَيُّ وَالْقَيُّومُ جَلَّ جَلاَلُهُ
فَعَظِيمُ عُظْمِ الْكِبْرِيَاءِ رِدَاهُ
أَغْنَى وَأَقْنَى وَاسْتَنَارَ بِنُورِهِ
كُلُّ الْكِيَانِ فَجَوُّهُ فَسَمَاهُ
فَالأَرْضُ مُشْرِقَةٌ بِنُورِ جَمَالِه
وَالْفَضْلُ مُنْفَطِرٌ بِهَدْيِ هُدَاهُ
أَللهُ أَللهُ الْعَظِيمُ مُمِدُّنَا
بِقُوَى يُبَلِّغُنَا الْعُلُومَ اللهُ

واعلم أن جميع صفات الله تعالى هي صفة الألوهية ونعت لها، ولا يقال فيها إنها هو. ولا هو هي. ولا غيره. لأن الله تعالى واحد قائم بذاته. مستغن عن غيره بصفاته. وصفاته مطلقة قديمة قائمة به. غير متناهية بحسب قدم ذاته. وعدم تناهيه. وهو واجب الوجود بنفسه. وواجب له الاستغناء واستحال عليه الاحتياج. لم تزل صفاته موجودة معلومة قائمة به. ولا يجوز وجوده سبحانه. وعدم شيء من صفاته. ولا وجود صفاته. وعدم ذاته. ولامباينته لشيء منها ولا مغايرته عنها على وجه من الوجوه. لوكان هو هي لكانت الذات هي الصفات. والصفات هي الذات. ومن المحال أن تكون الصفة دالة على غير الموصوف. أو تعري إحداهما عن الأخرى. لأن الصفة هي المعنى والموصوف هو الذات وموصوف بلا صفة محال. وصفة بلا موصوف أيضا محال. ولو كانت أيضا هي هو للزم أن تكون الصفة هي الموصوف كما ذكر. ودل أيضا على إثبات الصفة ونفي الذات عن

صفاتها. أو خلو الصفات عن ذاتها. أو تجرد إحداهما من الأخرى. ومن شرط الذات لزوم الصفات. ومن شرط الصفات لزوم الذات. فإن الصفات لا تقوم بذواتها، ولا بأنفسها، ولا تستغني عن الموصوف، كما أن الذات لا تفارق صفاتها. ولابد من قيام إحداهما بالأخرى ضرورة واجبة. وحقيقة لازمة. لا تنفك عنها كتعلق الشرط بالمشروط. وفي بطلان أحدهما وعدمه بطلان الآخر ونفيه. وفي إثبات أحدهما ووجوده إثبات الآخر ووجوده، لأنه لا يتصور وجود حياة إلا في حي. ولا وجود علم إلا في عالم. ولا وجود إرادة إلا في مريد. وكذلك القدرة والسمع والبصر والكلام وسائر الصفات لا تعقل إلا في موصوف، ولو كانت هي غيره لكان لا يخلو إما أن تكون زائدة على الذات أو لا. فإن كانت زائدة عليها فلا يخلو. أما أن تكون قائمة بذاتها أو بغيرها. فإن كانت قائمة بذاتها فإما أن تكون قديمة أو محدثة. فلو كانت الصفة زائدة على الذات لكانت محلا للحوادث.

ووجب لها ما يجب للحوادث من لزوم التغيرات، وإن كانت لا زائدة. فإما أن تكون نفس الذات وعينها. أو غير الذات. فمحال أن تكون نفس الذات وعينها، لما يلزمها من أن تكون هي هو. وإن كانت غير الذات. فإما أن تكون قائمة بذاتها. أو قائمة بغير. فمحال أن تكون قائمة بذاتها. وذلك لتعلق القديم بالقديم. مع المباينة والمغايرة. وليس ذلك من شرط التوحيد. ولو كانت أيضا محدثة لم تخل من ثلاثة أحوال: إما أن تكون حدثت في ذات القديم. أو في غيره. أو في ذاته. فلو حدثت في ذات القديم لكان متغيراً لحدوثها عن صفات كان عليها، ولقامت به تغيرات من صفات إلى صفات، ودلت الدلالة على الحدث. لأن ذلك من صفات الأجسام المحدثات. ولو حدثت أيضا هذه الصفات في غيره لوجب أن يتصف الموصوف بصفة في غيره. ولو إتصف الموصوف بما في غيره من الصفات لوقعت المساواة بين سائر الموصوفين من قديم ومحدث. ولاستحالة أن يوجد في العالم

مختلف الصفات، لأنه كان يكون كل جسم حيا. وعالما. ومريداً. وقادراً. وبما قام بغيره من سائر الصفات. ويتصل ذلك بأن يكون ما وجد بالمحدث من الصفات هي صفات القديم. وكذلك ما وجد بالقديم من الصفات تكون صفاتٌ المحدث. موجوبا له ما يوجب له من الأحكام. فاستحال أن تكون صفات الله تعالى موجودة لا في ذاته لأن الصفات لا تقوم بذوات أنفسها ولا تستغنى عن الموصوف. لأنه لا يتصور في ضرورة العقل وجود صفات إلا في موصوف. فكما وجب للصفة القديمة القدم في الأزل، كذلك وجب لها البقاء فيما لم يزل. لاستحالة التغيير على الموصوف القديم. واستغنائه بصفات الكمال والتنزيه والإجلال. فإن صفاته سبحانه ليست غيره ففصلها منه. ولا هي هو فأفردها بالذكر عنه دون نسبتها له. وهي لاهي هو. ولا هي غيره. والفرق بين صفة القديم وبين صفة المحدث أن صفة المحدث تقدم من ذاتها عند وجود ضدها بتغيرها. كعدم الحركة عند وجود

السكون. ومثله ضده في جميع الصفات. والقديم لا يجوز عدمه. ولا عدم شيء من صفاته. ولا يجوز عليه التغيير. وهو متنزه عن الأضداد والأنداد. وعن صفات المحدث.

وكذلك الفرق بين الوجود المطلق. والوجود المقيد. فالمقيد لا يخلو من الصفات العرضية، كالحركة والسكون. والموت والحياة. والجهات والحدود. والاجتماع والافتراق. والتغير بالأضداد. وما لا يخلو من الحوادث ولم يسبقها فهو حادث مثلها، وكل الحوادث لابد لها من محدث يحدثها. وهو ليس كمثلها ولا يشبهها. فلو كان مثلها وشبهها لوجب له ما يجب لها، ولجاز عليه ما يجوز عليها واحتاج إلى محدث، ويتسلسل وما يتسلسل لا يتحصل. والموجود المطلق هو المنزه عن التغييرات العرضية السلبية الموصوفة بالصفات الثبوتية الدائمة الأزلية. ولو جاز عدمه لبطل قدمه. وصفاته سبحانه صفات الكمال والعز والاستغناء والجلال الذي لا يليق إلا به ولا يمكن الحمل فيها. وأنه الواحد الذي لا

يقبل التجزئة. ولا التأليف. ولا التركيب. وأنه القديم الأزلي، الدائم الذي لا أمد لمداه، ولا غاية لمنتهاه. الغني المطلق الذي لا يتوقف غناه على غيره. كما لا يتوقف وجوده على غيره، فلا يحتاج في ذاته ولا في كماله ولا في صفاته ولا في استغنائه ولا في فعله إلى أحد سواه. فصح عند العقلاء بالبرهان العقلي، وثبت عند العلماء بالبيان النقلي أن صفات الله تعالى قديمة أزلية منزهة قائمة بذاته القديمة العلية، المختصة بمطلق الوجود، المنزهة عن صفات الانحصار والقيود، المقدسة عن جنس الكيفيات والجهات والحدود. وهو المنفرد بالأحدية، المنعوت بالصمدية الذي لا يتبعض وجود أحديته في الوهم. ولا يتحيز في الفكر ولا يتكيف بالعقل. ولا يتخيل في الذهن. ولا يتمثل في النفس الموصوف في ذاته وصفاته. بصفة الاستغناء والكمال، والقدرة والتعظيم والجلال. تنزه عن كل شيء محدث مقيد. ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص]

قال الشاعر:

تَبَارَكْتَ يَامَنْ لا يُحَاطُ بِوَصْفِه
فَمَا قَدْرُ قَوْلِي وَاللِّسَانُ كَلِيلُ
بِحَقٍّ لَقَدْ نُزِّهْتَ قِدْمًا فَمَنْ لَنَا
بِإِدْرَاكِ وَصْفٍ وَالْمَرَامُ طَوِيلُ
وَلَوْ كَانَتِ السَّبْعُ الْبِحَارُ مُمِدَّةً
لِوَصْفِكَ لَمْ يُوجَدْ لِذَاكَ سَبِيلُ
فَأَنْتَ كَمَا نَزَّهْتَ نَفْسَكَ وَالَّذي
يَفُوهُ بِهِ فِيكَ الأَنَامُ قَلِيلُ

واعلم أن جميع أسمائه وصفاته لا يدخله الترتيب بقبل ولا بعد، ولا بأول ولا بآخر، ولا يتوقف بحد ولا زمان، ولا يوصف بالتعقيب ولا بالتقديم ولا بالتأخير. فقوته كنه قدرته. وقدرته دوام بقائه. ومشيئته إرادته. ونظره سعة علمه. وعلمه مدى نظره، وكلامه مطلق لا على الترتيب.

فيعلم بنظره، وينظر بعلمه، خزائنه في كلامه. وقدرته في مشيئته. يخلق بيده إذا شاء، وبكلمته إذا شاء، وبإرادته متى شاء، وبمعاني صفاته كيف شاء، ولا يضطر إلى الكلام، ولا كلامه إليه. فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وصارت الأوائل والأواخر لديه كشيء واحد، وليس هي هو. ولا هي غيره. وقوله هو أمره، وأمره هو كلامه، وكلامه نور وهدى وشفاء ورحمة وفرقان وقرآن. وهو صفة له قديمة. والأمر غير الخلق. وقوله الحق. وله الملك. والأمر. والخلق جميع المخلوقات. وأمره هو قوله كن. وبكن كانت جميع المكونات من المخلوقات. وبأمره كن كانت جميع المحدثات كلها. وصدرت منه. ووجدت عنه. وقوله: ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [سورة الروم: ٤] أي قبل الخلق. ومن بعد الخلق كان أمره. والأشياء كلها إنما ظهرت عن كلامه، والكلام هو الأمر، وهو صفة ذاتية قديمة. وصفاته كلها آحاد كاملات تامات، غير محدودة، ولا مؤقتة، ولا مرتبة كالأوقات المرتبة. إذ

الترتيب في النعوت من وصف الخلق والأدوات. والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء في كل الصفات، صفاته قديمة بقدمه. وكائنة موجودة بعيانه. وليست هي ذات جهات فيتوجه بها إلى جهة دون جهة، ويدرك بصفة دون صفة، ولا ذاته ذات ذوات فيقبل على مكان دون مكان، ولا يضطره الترتيب إلى المخلوقات، ولا يتفكر في الأمور بأفكار محدثات فيشغله شأن عن شأن، ولا تدخل عليه الأعراض فيتغير عن مكان، ولا يخلق بآلة فيستعين بسواه، ولا تعجزه قدرة فيحتاج إلى مباشرة يديه، لا يدركه الجهل لعلمه، ولا الفقر لغناه، ولا الذل لقدرته، ولا الضعف لقوته، ولا الفناء لبقائه، ولا التعب لصلاح قدرته، ولا الملل لفعله، ولا الكسل لصنعه، ولا البدء لمشيئته، ولا التغير لصفاته، ولا العرض لذاته، ولا النقص لكماله سبحانه جلت قدرته. قال الشاعر:

سُبْحَانَ مَنْ جَلَّتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ

لِكَمَالِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلاَلِهِ

يُعْطِي وَيَمْنَعُ وَالْمَحَامِدُ كُلُّهَا
فِي مَنْعِهِ وَعَطَائِهِ وَفِعَالِهِ
وَالْعَبْدُ مَحْجُوبُ التَّصَرُّفِ جُمْلَةً
مَعْبُودُهُ أَوْلَى بِهِ وَبِمَالِهِ
لاَ يَسْتَفِيدُ وَلاَ يُفِيدُ لِنَفْسِهِ
أَحَدٌ لِنَقْصِ حَيَاتِهِ وَمِثَالِهِ

فالحق سبحانه إذا تكلم أظهر، وإذا شاء قدر، ومتى أحب ظهر، وبأي قدرة شاء استقر. هو عزيز في قربه، وقريب في علوه. حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال. وكشف العلم بالإرادة، وأظهر الإرادة بالقدرة، وأبرز القدرة بالحركات، وأخفى الصنع في الصنعة، وأظهر الصنعة بالأدوات. وهو باطن في غيبه وظاهر بحكمته. وقدرته غيب في إرادته. وإرادته حكمته. وحكمته شاهدة لمحكوماته. وهي مجاري قدرته. ومنعه سر في صنعته. وهو علانية مشيئته. ليس له شبه في كل صنعة. ولا له مثل في كل ماهية.

وفي هذا الاسم المفرد المتصف بالألوهية أربعة أحرف: ألف ولام ولام وهاء. كما قيل:

أَحْرُفٌ أَرْبَعٌ بِهَا هَامَ قَلْبِى
وَتَلاَشَتْ بِهَا هُمُومِى وَفِكْرِى
أَلِفٌ قَدْ تَأَلَّفَ الْخَلْقِ بِالصُّنْـ
ـعِ وَلاَمٌ عَلَى الْمَلاَمَةِ تَجْرِى
ثُمَّ لاَمٌ زِيَادَةٌ فِي الْمَعَانِي
ثُمَّ هَاءُ بِهَا أَهِيمُ وَأَدْرِى

ولكل حرف من هذه الأحرف معنى يختص به، كما أن لكل اسم من أسمائه تعالى معنى يختص به. فالألف مشتق من الألفة والتأليف. ألف به جميع خلقه على توحيده ومعرفته بأنه إلههم وموجدهم وخالقهم ورازقهم. قال الله العظيم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة الزخرف: ٨٧]. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾

[سورة لقمان: ٢٥، والزمر: ٣٨] فإنه تعالى كان ولا شيء معه كما هو الآن على ما عليه. كان ولا شيء قبله. ولا شيء بعده. فكأنه كما قال: ﴿ **كُنْتُ كنزًا لَمْ أُعْرَفْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْرَفَ، فَخَلَقْتُ خَلْقًا فَعَرَّفْتُهُمْ بِي، فَعَرَفُونِي** ﴾ وألف بين قلوب عباده على محبته وعبادته وطاعته في الإيمان والتوحيد. قال الله تعالى: ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)** ﴾ [سورة الأنفال] وألف كلمتهم على الاعتراف بعبوديته. والإقرار بوحدانيته وربوبيته. قال الله تعالى: ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣)** ﴾ [سورة مريم]

قال الشاعر:

تَبَارَكَ مَنْ فَخْرِي بِأَنِّي لَهُ عَبْدُ
وَسُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَلاَ مُلْكَ إِلاَّ مُلْكُهُ عَزَّ وَجْهُهُ
هُوَ الْقَبْلُ فِي سُلْطَانِهِ وَهُوَ الْبَعْدُ

وألف قلوب عباده بالفضل والإحسان والعطاء، وجعله رزقا مقسوما لهم. تارة قبضا. وتارة بسطا. قال الله العظيم: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) ﴾ [سورة الذاريات] والألف أيضاً هي استفتاح لحروف المعجم. التي هي دلالته على معرفة للمعاني ومفهومها. وهي كسوة لها. وصورة تدل عليها غير حالة فيها، ووضعت المعاني ولم توضع المعاني للحروف. لأن معناها في غيرها. والمعاني معناها في مفهومها مقام الأرواح. والأحرف مقام الأشباح. فجعلها الله صورا وأصدافا. فالحروف لسان فعل الإنسان، لأنها فعل في مفعوله. ومعانيها علوم في معلوم.

واعلم أن الألف هو أشرف حروف المعجم خطراً. وأعظمها أمراً. وأرفعها قدراً. وهو آدم الحروف. والهمزة منه حواء. والمذكر من الكلام ولد. والمؤنث بنت. والثمانية والعشرون حرفا متولدة من الألف. كجميع بني آدم من آدم،

to: www.al-mostafa.com

والحروف كلها من الألف. والأصل الألف قائم منتصب مستو معتدل. ونقطة أصله إشارة لإثبات أولية الوجود، الذي هو ضد العدم. وهو المصطلح عليه عند أرباب أصول الدين بالجوهر الفرد الذي هو عبارة عن إثبات موجود. فلما أرادت أن تسمى باسم الألف بعد تسميتها بصفة الوحدة. امتدت للتجلي والظهور. ونزلت نزول الأعلى إلى الأدنى. لتعرف وجود ذاتها بنفسها. فصارت ألفا. وسميت بذلك لتوقف عوالم الحروف فعرف بالألف. فإنه روي أنه أول ما خلق الله تعالى نقطة فنظر إليها بالهيبة فتضعضعت وسالت فسيلها ألفا. وجعلها مبتدا كتابه. واستفتاح حروفه. فكان أولا استفتاح الحروف به لصدورها عنه. وظهورها به. فكانت النقطة كنزا لم تعرف، فتجلت ونزلت لتعرف بهم. ويعرفون بها. وينسبون إليها، كما أن آدم عليه السلام خلق استفتاحا لذريته وأولهم. وعرفوا به، ونسبوا إليه فكانت الحروف أسراراً أودعها الله تعالى وبثها في آدم حين خلقه. ولم يبثها في أحد

من الملائكة فجرت الأحرف على لسان آدم بفنون اللغات وأنواع الكلمات، ولها ظاهر وباطن، وحد ومطلع . فظاهرها أسماؤها وصورها، وباطنها معانيها وأسرارها، وحدها تفصيلها وأحكامها، ومطلعها شهودها وكشفها. فكل تركيب وتولية هو من الألف لتناول الحروف من فوائد أسرار المعاني على حسب نفخه روح جوامع الكلم وعجائب الحكم وغرائب العلم. وصورة الألف هو السر الذي تميز به آدم عليه السلام، وتخصص بسببه من تعليم الحق له جميع الأسماء كلها.

واعلم أنه من كشف له عن معرفة سر الألف وتحقق به فقد خص بمعرفة سر توحيد الوحدانية، وترقي إلى مقام معرفة سر وحدة الأحدية، ومن كشف له عن معرفة سر اللام المنسوب إلى الألف وتحقق فيه فقد خص بمعرفة سر الرسالة النبوية. وما أحاط بمعرفة أسرار جملة الحروف على الحقيقة والكمال بعد آدم سِوى نبينا محمد ﷺ وعلى آدم وعلى ما بينهما من

جميع النبيين والمرسلين. ولذلك خص بإعطاء جميع حروف المعجم، وما حوته من جميع المعاني والعلوم والحكم. فقال: «**أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**» وقد يتحف الله سبحانه وتعالى من شاء من عباده ويخصه، ويكشف معنى سر حرف واحد أو حرفين أو أكثر على قدر تخصيصه وقسمته في الأزل فيتصرف بذلك في كل ما يريد من أمور دينه أو دنياه. وتفعل له الأشياء على حسب تمكنه وإحاطة علمه وسعة معرفته. وتكون له خاصية يمتاز بها. وفي حقه كرامة أكرمه الله بها. فإن لكل حرف من الحروف سر عجيب، وعلم غزير نافع مصيب، تكشف به مغلقات الخطوب، وتبلغ به جميع المراد والمطلوب. وتكشف به ملكات بديعة، وتصرف به أمور شريفة يعرفها الحكماء العقلاء، ويعرفها العلماء النبلاء. والألف في العدد واحد، والواحد استفتاح لجميع العدد وأوله. وفيه إشارة إلى عمود التوحيد الذي به قوام كل عالم في الوجود، فكما كان الله سبحانه وتعالى هو واجب الوجود. الأول الموجود ولا شيء قبله في الوجود، وسبقت أحديته

جميع ما سواه. كذلك الألف سبق واحد الأعداد وما بعده وليس شئ قبله. فإن ابتداء الألف نقطة واحدة منفردة. وهي عبارة عن مركز قطب دائرة وجود عوالم الحروف. كذلك نقطة وجود وحدة الموجود الذي صدر عنه وجود العالم بأسره، وبها تستقيم دائرة العدل على القوام؛ وهي أيضاً عبارة عن إثبات الوجود الذي هو ضد العدم، ويعبر عنها بالجوهر الفرد الذي لا يجوز عليه الانقسام ولا حصر العدد، وهـ محل قابلية للتهيئ كالهيولي لجميع حروف صور الأشكال المحسوسة. ووضع الدلالة على إدراك تصوير معاني المعقولة. وهي أيضاً إشارة لاسم وحدة التوحيد الذي لا يجوز فيه اشتراك مع عقد التقليد. ولهذا كان الإنسان الآدمي ألف القوام قائماً معتدلا منتصبا. حسن القد والقامة على الاستقامة، مخصوصا بالتشريف والتكريم، ممدوحا مثني عليه بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[سورة التين] وقد شرف وفضل على أكثر المخلوقات حسبما ذكر الله

في كتابه المبين قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ۝٧٠ ﴾[سورة الإسراء] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾[سورة البينة] فمن أشرف المخلوقات وأفضل الموجودات وأكرم المحدثات فمن تشريفه وإكرامه وتفضيله وإعظامه أن جعل الله تعالى مجمع البحرين بحراً سفلياً ظلمة الشهوات الحيوانية، وبحراً علوياً نور العقل النوراني وركبه في عالمين: عالم الأمر الروحاني، وعالم الخلق الجثماني، وجمع له في الركعة الواحدة من عمل جميع عبادة الملأ الأعلى من الملائكة أهل السبع سموات سبع أنواع من عبادات. و جعل ثوابهم عليها عائدة إلى الآدمي بتضعيف زيادة، فمنهم قائمون أبداً، ومنهم راكعون أبداً، ومنهم ساجدون أبداً، ومنهم جلوس أبداً، ومنهم مهللون أبداً، ومنهم مسبحون أبداً، ومنهم حامدون أبداً، فهم لله عابدون دائماً أبداً لا يفترون. قد خلقوا مطهرين منزهين علويين

روحانيين، نور بلا ظلمة، وعقل بلا شهوة، ولطف بلا كثافة، ودوام بلا فترة، ونشاط بلا سآمة، وطاعة بلا مخالفة، وعبادة بلا حظ، وإخلاص بلا عوض، وخدمة بلا علاقة، وجمع بلا تفرقة، وجعل هذا البشر برزخاً قائماً مستوى الخليقة بين عالمي النور والظلمة، فأيهما كان الغالب عليه نسب في الحقيقة إليه. فسبحان من ألف بين الضدين وجمع إليه صفات العالمين في هذا الآدمي الكريم، وجعل محل عقله ومعارفه وتوحيده ومحبته وأسراره قلبه السليم. فهو الصراط المستقيم، والبرزخ المعتدل القويم. بالألف ألفه ووصله وجمعه وفرقه وفصله وقطعه. ألف كتابه بنقطة، وخلق خلقه من نقطة، ويميتهم بقبضة، ويحييهم بنفخة. قال الشاعر:

إنَّ الأُلَيْفَ لَهُ فَضْلٌ وتَقْدِمَةٌ
عَلَى الْحُرُوفِ فَلاَ تَبْغِي به بَدَلاَ
فِيهِ الْعُلُومُ خَفَتْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفةٍ
قَدْ جَلَّ مُنْفَرِدًا بِالْحقِّ وَاعْتَدَلاَ

هُوَ قَائِمٌ أَبَدًا ، هُوَ وَاحِدٌ عَدَدًا

شَكْلُ الأُلَيْفِ حَوَى التَّفْصِيلَ وَالْجُمَلاَ

حَرْفٌ وَمَعْنَى هُمَا بِالسِّرِّ قَدْ جَمَعَا

أَصْلاً وَفَرْعًا بِمَا بِالْوَصْلِ قَدْ وَصَلاَ

فَاعْرِفْ سَرَائِرَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا أَرَبٍ

وَاحْفَظْ دَقَائِقَهُ تَعْلُو بِهِ نُزُلاَ

وَمِثْلُهُ مَنْ حَوَى طَبْعًا وَمَعْرِفَةً

رُوحًا وَجِسْماً لَهُ وَصْفٌ سَمَا فَعَلاَ

كَالْعَقْلِ مِنْ مَلَكٍ وَالطَّبْعِ مِنْ نَعَمٍ

يَا حُسْنَ مَنْ عَلِمَا ، يَابِئْسَ مَنْ جَهِلاَ

واللام الأول إشارة إلى لام الملك . هو بعد حذف الألف عن كمال الاسم المفرد صار « لله » قال الله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾

[سورة البقرة: ٢٨٤] الآية: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[سورة المؤمنون: ٨٤:٨٦] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً (١٣١)﴾ [سورة النساء] وقال: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [سورة يونس: ٥٥] وقال: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ وفي هذه الآيات وأمثالها إشارة وإنباء إلى لام الملك. وهو أيضاً لام لوح العقل والفهم لمن شرح الله صدره، وخص قلبه وسره، ونور معرفته بنور اليقين في تحقيق مشاهدته، وهو أيضاً لام لوح النبوة والرسالة لاتساع الصدر وشرحه. وتنويره بمعرفة أسرار الوحي. وحمل أعباء حكم التنزيل وأحكامه.

واللام الثاني هو إشارة إلى لام الملك وذلك بعد حذف

اللام الأولى صار «له» قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ⑥ ﴾ [سورة الزمر] وقال الله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [سورة الزخرف: ٨٥] وقال: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ④⓪ ﴾ [سورة المائدة] وقال تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨] وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة التوبة: ١١٦] وقال: ﴿ لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ④④ ﴾ [سورة الزمر: ٤٤] وقال: ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٣]، وفي هذه الآيات وأمثالها إشارة وإنباء إلى لام الملك. فهو الملك، والمالك، وله ملك السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من العوالم كلها علويها وسفليها. قال الشاعر:

سِرُّ الأُلَيْفِ سَرَى فِي اللاَّمِ مُتَّحِداً
فَافْحَصْ عَلَيْهِ وَلا تَنْظُرْ إِلَى الصُّوَرِ
سِرُّ الْمعَارِفِ فِي اللاَّمَيْنِ مُجْتَمِعًا
كَالشَّمْسِ طَالِعَةً وَالْفَجْرِ فِي سَحَرِ
وَاللاَّمُ تُخْبِرُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي طَرَفٍ
مِنَ الأُلَيْفِ بِلاَ رَيْبٍ وَلاَنُكْرِ
فَاطْلُبْ وَجِيزَةَ مَا فِي اللامِ مِنْ حِكَمٍ
وَافْهَمْ مَعَانِيَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا نَظَرِ
تَجِدْ حَقِيقَةَ مَا قَدْ كَانَ مُسْتَتِراً
كَنْزاً عَظِيماً خَفَى عَنْ سَائِرِ الْبَشَرِ

والهاء هي هاء الإشارة إلى مطلق وجود الحق وإثبات وحدانيته وإحاطته بجميع الأشياء كلها علما وإرادة وقدرة وملكا وملكا. وهي من هاء هيبة البهاء. وعظمة الألوهية.

وذلك بعد حذف الألف واللامين بقي « لا » قال الله تعالى:
﴿ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) ﴾ [سورة الرعد]
وقال: ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [سورة الأنعام: ١٩، وسورة النمل:
٥١] و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة: الإخلاص] وقال: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ
وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾ [سورة الحديد]
وقال: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ (٢٢) ﴾ [سورة الحشر] وقال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ [سورة الحشر: ٢٣] الآية وقال: ﴿ هُوَ اللَّهُ
الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ [سورة الحشر: ٢٤] الآية وفي هذه
الآيات وأمثالها إشارة وإنباء إلى هاء الوترية. وإفراد الألوهية.
وإلى اسم مضمرَ يبينه ما بعده عند أهل الظاهر. لاحتياجه
إلى صلة تعقبه. ليكون الكلام الذي أفاده عندهم. وأما عند
أهل التحقيق فالمضمر لا يظهر لأنه أعرف المعارف. لاستقرار
العلم به في القلب على الحقيقة على ما هو به حقاً من
صفاته. فإن ذكر « هو » عندهم لم يسبق منه إلى فهمهم غير

ذكر الحق فيكتفون به عن كل بيان يتلوه. وذلك لتمكن معرفتهم. وسعة علمهم. وقوة إدراك فهمهم. واستكمالهم في حقائق القرب. واختصاصهم بصفاء ضمائر القلب. واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم. واستغراقهم بإفراد الاسم المفرد في أذكارهم. فإن هجاء «هو» إذا مكنت الضمة من الهاء حرفان. هاء وواو. فالهاء تخرج من أقصى الحلق. وهي من حروفه. والواو تخرج من الشفة. فهو مجموع من بين ابتداء أول المخارج وانتهاء آخرها. وفي ذلك إشارة إلى إثبات وجود موجود معلوم. الذي هو ضد النفي المعدوم. وتنبيه إلى ابتداء كل حادث منه وانتهائه إليه. وليس له هو ابتداء. والهاء هي من حروف الحلق التي لا تنطبق عليها اللهوات، ولا تنضم عليها الشفتان.

وهو أيضاً أول الأسماء الحسنى وآخرها، وبه كمال المائة اسم فإنه مضمر مستتر في نفس الهاء المكتوبة أعني «الله». فإن بالهاء يتم ذكر الله. فأول الاسم المفرد ألف وآخره الهاء،

وبه كمال ومفهوم بيانه وتمامه، وبه يستفتح الدعاء والذكر وهو أول الأسماء الحسنى وآخرها. فأولها ياألله. وآخرها يا هو(١). فهذا الاسم هو الأول وهو الآخر، بدأ به وختم به.

وقد ذكره سبحانه وتعالى في جملة آيات من كتابه فقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ وقال: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الآية: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ

---

(١) لم يثبت بالكتاب أو بالسنة الصحيحة، أو المأثور عن الصحابة رضى الله عنهم، أن «هو» من أسماء الله الحسنى فضلاً عن أن يكون أولها أو آخرها، ولا تمام المائة كما ذكر المصنف. وإنما لفظة «هو» عرفها أهل اللغة أنها ضمير للمفرد المذكر الغائب (منفصل)، وإذا قصد به الذات فإنه يأتى لتأكيد وجود الله عز وجل، ويتحتم وجود اسم للذات بعده، كقولك: هو الله، هو ربى، هو الرحمن، هو الأحد، هو الصمد، وهكذا، وآيات القرآن الكريم تؤكد هذا المعنى،.وقد نزل القرآن عربيًا مبينًا ليخاطب فى تحد بالغ أهل العربية.

الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الحشر].

هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ بَاطِنٌ هُوَ ظَاهِرُ
هُوَ وَاحِدٌ هُوَ مَالِكٌ هُوَ عَالِمٌ هُوَ قَادِرُ
هُوَ خَالِقٌ هُوَ رَازِقٌ هُوَ عَادِلٌ هُوَ آمِرُ
هُوَ حَاكِمٌ هُوَ صَادِقٌ هُوَ مُخْبِرٌ هُوَ ذَاكِرُ
هُوَ مُحْسِنٌ هُوَ مُتَفَضِّلٌ هُوَ رَاحِمٌ هُوَ غَافِرُ

وذكر عن بعض الأئمة من العارفين أنه كان لا يدعو إلا به ولا يسأل الله شيئاً إلا به. فيقول يا هو ياهو. يا من لا يعلم ما هو إلا هو. أسألك كذا وكذا.

وروى أن أبا القاسم الجنيد رحمه الله تعالى قال لبعض خواص أصحابه: إن اسم الله الأعظم هو «هو» لأن الله تعالى أظهره أولا في اسمه الله. وأخفاه آخراً في هاء اسمه الله. فهو هو. فمن شدة ظهوره استتر وخفى حتى لم يعرف. ومن كثرة ذكره ظهر ونسي ولم يوصف.

ولقد ذكر بعض العلماء بالله المحققين في معرفة هذا الاسم المفرد: أن من ذكر الله سبحانه ولم يحقق إظهار الهاء منه بتمكين حركة ضبطها فليس بذاكر لله. ولا ذكر الله قط. وجعل إظهار الهاء شرطا واجبا لازما في ذكر الله في حالة الذكر والتكبير في الصلاة في الأذان والتلاوة، وكان بعض الشيوخ ممن يقتدي به في علم الشريعة وفي علم الحقيقة ظاهراً وباطناً يقول لأصحابه: من أصابته منكم شدة أو صدمته محنة فليقل: «الله الحي القيوم» فإنه الاسم الأعظم(١).

وروي أن أهل التوحيدأربعة أصناف في ذكر توحيدهم الواحد.

الصنف الأول: «لا إله إلا الله» بين النفي والإثبات. نفي الأوهام عن الأفهام، وإثبات الواحد عن الضد والند.

(١) راجع التعليق (١) صفحة (٤٦).

والصنف الثاني: قالوا: «الله» اقتصروا على ذكر الاسم المفرد من غير نفي إثبات في إثبات. ورأوا أن الإثبات بعد النفي وحشة وجفاء.

الصنف الثالث: قالوا: «هو هو» حق بحق إثبات الإثبات، وهو الذكر الدائم الخفي عن اللسان، وهو ذكر القلب.

الصنف الرابع: خرسوا فلم ينطقوا، وفنوا به عنهم، وغابوا على ذكر التوحيد بمشاهدة المذكور الواحد، فكان ذكر توحيدهم عيانا لا لسانا.

وذكر أن أهل المعرفة في هذا الاسم على أربعة أصناف أيضاً: فعارف قال: الله، وعارف قال: هو. وعارف قال: أنا(١)، وعارف بهت. قال الشاعر:

(١) قلت: هذا الصنف هم غلاة المتصوفة الحلولية.

صَحَّ الْوُجُودُ لَهُ شَرْعًا وَمَعْرِفَةً

إِنَّ التَّحَيُّرَ فِي دَعْوَى تَطَلُّبِهِ

فَاللهُ مُوجِدُنَا مَوْجُودُنَا أَبَدًا

وَالْعَبْدُ مُفْتَقِرٌ فِي حَقِّ مَطْلَبِهِ

فَاذْكُرْ سِوَاهُ بِهِ تَذْكُرْهُ مَعْرِفَةً

فَاللهُ أَجْلَى وُجُودًا وَالْوُجُودُ بِهِ

وَالْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَبَدًا

إِلاَّ انْصِرَامٌ وَتَشْبِيهٌ لِمُشْتَبِهِ

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الْمَذْكُورِ تَذْكُرُهُ

أَهْلُ الْمَذَاهِبِ كُلٌّ عِنْدَ مَذْهَبِهِ

فَالصَّمْتُ ذِكْرٌ لَهُ فَاذْكُرْ كَذَاكَ وَذَا

ذِكْرٌ لَدَيْهِ، فَإِنَّ الذِّكْرَ بِالشَّبَهِ

وروى أبو عيسى الترمذي بسنده إلى أنس بن مالك. قال قال رسول الله ﷺ «سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ آيةُ الْكُرْسِيِّ»(١).

وذلك أن الحكمة في أنها سيدة آي القرآن وهي جزء منه وآية واحدة من آياته لأربعة أشياء.

أحدها: لأجل ما انفردت به من اختصاصها بذكر ذات الله العظيمة، وما حوته من الصفات واشتملت عليه من جميع الهاءات المضمرات العائدات على الذات خاصة، وما تضمنته من تحقيق التوحيد، والهاءات المشيرات إلى تخصيص الذات دون غيرها من الآيات المذكور فيها القصص والأمثال

(١) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن - باب ما جاء في سورة البقرة، وآية الكرسي برقم (٣٠٨٢) عن أبي هريرة، وفيه حكم بن جبير ضعفه شعبة، وأحمد، وابن معين، وأبو حاتم وغيرهم. وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٦٠) من هذه الطريق، ولفظه: «سورة البقرة فيها آية سيد - أي القرآن - لا تقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج منه: آية الكرسي»، وصححه ووافقه الذهبي، وقد وَهَمَا في هذا التصحيح. قال ابن حجر في التقريب: حكيم بن جبير ضعيف، رمي بالتشيع.

والاستخبار والخبر والوعد والوعيد والنعت والترغيب والنهي والأمر. فكانت كل آية في القرآن تابعة لها. لأن كل ما سوى الذات تابع لها، وما تفرق من ذكر جميع الصفات الذاتية جمعته في آيتها الواحدة في أحد عشر هاء مضمرات. دون الأسماء الخمسة المظهرات. ولا شيء أعظم من ذكر الذات. لأنها جامعة للصفات. فهو أعظم مذكور ومدخور، وأشرف معروف ومنظور.

الثانية: أنها اختصت بستر اسم الذات فيها. وفي مضمرات هاءاتها. وهو جامع لأصول أسماء الذات وكمال الصفات. وفي الهاء نكتة عجيبة وأسرار غريبة. وقد روي أنه من داوم على ذكر «هو» غشيته أنواره. وظهرت له أسراره.

الثالثة: أنها سميت بآية الكرسي وعرفت به. والكرسي وسع السموات والأرض وفضل عليها، وإن كان الكل خلقه جل وعلا. وفي ذلك من تفاوت في الخلقة، وإظهار القدرة، ولكن يختص بفضله ورحمته من يشاء من خلقه. وكذلك

فضل آية الكرسي على جميع آي القرآن. وخصصها باسم ذاته. وإن كان القرآن كله كلامه وصفة من صفاته، وفيه أسماؤه كلها. فيختص بنفسه ما يشاء من كلامه ومن أسمائه.

الرابعة: أن النبي، ﷺ، سماها باسم السيادة وأطلق بذلك الاسم عليها. وخصصها به دون غيرها من الآيات. ولفظ السيادة أبلغ في أسماء المدح. وأتم في إكمال التخصيص. وأنه في غاية زيادة الفضل. ألا ترى قوله: ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**» ثم أظهر فضل تواضعه وكمال سيادته وشرفه بإظهار منة الله تعالى شكراً فقال: «**وَلاَ فَخْرَ**»(١) فوجب له الزيادة المطلقة. والفضل التام. بذلك الاعتبار لأن شرف الذكر بشرف المذكور. وشرف العلم بشرف المعلوم. وفي ذلك قال الشاعر:

(١) أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، عن أبي سعيد، وهو حديث صحيح.

اللّٰهُ أَكْبَرُ لاَ مِثْلٌ وَلاَ شَبَهٌ
هُوَ الْكَبِيرُ وَهذَا الْوَصْفُ حَقٌّ لَهُ
وَزَادَ إِسْمٌ قَد اسْتَظْهَرْتَ مَظْهَرُهُ
فَانْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ ثُمَّ انْظُرْ تَذَلُّلَهُ

واعلم أن «هو» لفظة ذكر لجميع الحيوان العاقل وغير العاقل، والناطق وغير الناطق، وذكر لجميع الجمادات من الحجر والشجر والنبات والهواء وسائر الموجودات. كبيان من نطق باللسان وتحريك الجوارح من الإنسان، وكالذكر الدائم للقلب الذي لا يكل منه بضرباته وخفقانه، ولا يفتر عنه، وكذلك النائم بتردد أنفاسه في حالة نومه، وكذلك المريض حين يئن بكربه وألمه، وكالأسد في زئيره، والذئب فى عوائه والفرس في صهيله، والحمار في نهيقه، والريح بهبوبه، والطير بلغته، والنبات باضطرابه وحركته، والجماد بسكونه، والماء برعده وزجرته. كل يسبح خالقه ويشير لموجده بالهاء

المضمرة بضرورة حاله، وبإشارة مقاله «هو هو» قال الله:
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾[سورة الإسراء] والتسبيح هو التنزيه، وهو الذكر المضمر الذي لا يفقه منه إلا الإشارة بإثبات وجود الواجد للموجودات الواحد القادر المنزه عن صفات المحدثات. سبحانه وتعالى. قال الشاعر:

جَلَّ الْعَظِيمُ وَمَا فِي الْكَوْنِ مِنْ أَثَرٍ
إِلاَّ لَهُ ذَاكِرٌ مِنْ كَثْرَةِ الْعِبَرِ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ ذِكْرٌ يَحِقُّ لَهُ
أَعْنِي الْجَمَادَ مَعَ الْحَيَوَانِ وَالشَّجَرِ
كُلٌّ لَهُ لُغَةٌ كُلٌّ يُسَبِّحُهُ
كُلٌّ يُنَزِّهُهُ عَنْ عَالَمِ الْغِيَرِ

هُوَ الْمُحِيطُ الَّذِي عِلْمًا أَحَاطَ بِهِمْ
وَلاَ يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْفِكَرِ

وروي أن أبا بكر الشبلي رحمه الله تعالى قال: لقيت جارية حبشية مولهة وهي تجري وتسرع في مسيرها. فقلت لها: يا أمة الله رفقا عليك والطفي بنفسك. فقالت: «هو هو» فقلت لها: من أين أقبلت؟ فقالت: من «هو» فقلت لها: وأين تريدين؟ فقالت: إلى «هو» فقلت: ما تريدين من «هو»؟ قالت: «هو» فقلت لها: ما اسمك قالت: «هو»، فقلت لها: كم ذكر «هو»؟ قالت: لا يفتر لساني عن ذكر «هو» حتى ألقى «هو»، ثم قالت:

وَحُرْمَةِ الْوُدِّ مَالِي عَنْكُمُ عِوَضُ
وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ بَعْدَكُمْ غَرَضُ
وَمِنْ جُنُونِي بِكُمْ قَالُواْ بِهَا مَرَضٌ
فَقُلْتُ: لاَ زَالَ عَنِّي ذلكَ الْمَرَضُ

قال الشبلي: فقلت لها: ياأمة الله ما تعنين بقولك: «هو» الله تريدين؟. قال: فلما سمعت بذكر الله شهقت شهقة فاضت منها نفسها. رحمة الله عليها. قال: فأردت أن آخذ في تجهيزها ودفنها فنوديت: ياشبلي! من هام بحبنا، وتاه في طلبنا، وتوله بذكرنا. ومات باسمنا اتركه لنا. فديته علينا. قال الشبلي: فالتفت أنظر من المنادي والمتكلم فسترت عني، وحجبت عنها فلم أدر أرفعت أم دفنت. عفا الله عنها.

قال الشاعر:

وَمَا الْحُبُّ إلاَّ أَنْ تَمُوتَ مُوَلَّهًا
وَتَضْحَى أَصَمَّ الأُذْنِ عَمَّا بِهِ تَفْنَى
تُشِيرُ إِشَارَاتٍ بِكُلِّ كَلامِهَا
إِلَيْهِمْ وَقَدْ هَامُوا بغُرَّتِها الْحَسْنَا

فتأمل - وفقك الله - هذا الاسم المفرد وجمعه لجميع المعاني بجملة حروفه وتفصيلها. هو الاسم الأعظم. وهو اسم

الألوهية الذي تدبرت به جميع المخلوقات، وبسطت به الأرض ورفعت به السموات. وزخرفت لمفرده جنة النعيم. وسعرت لجاحده نار الجحيم. فإن كل ملك من الملوك إنما له ملك وليس له ملك، وإنما يرث ويورث ملكا خاصا إذا عدم الوارث والمرورث، وهذا الإسم المفرد هو اسم الذات، وفيه الجمع بين الملك والملك وهاء الإحاطة بالكل. فلماذا كان كليا؟ قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة النور: ٣٥] أي موجدها ومظهرها ومنورها بعد عدمها. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة مريم] وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

[سورة المائدة]

إن في كل لفظة من هذه الألفاظ المفصلة من هذا الاسم المفرد أسرارًا عجيبة، ومعاني وحِكَمًا، وفوائد وعلومًا ومعارف غريبة، وفي الاسم التام الكامل أعني :

الله

أغرب وأعجب، فابحث وافهم تجد - إن شاء الله تعالى -:

يَا طَالِبَ السِّرِّ في الأَسْمَاءِ مُجْتَهِداً
أُطْلُبْ هُدِيتَ إِلَى مَقْصُودِكَ الْحَسَنِ
وَابْحَثْ عَلَيْهِ تَرَى فِي شَكْلِ أَحْرُفِهِ
مَعْنًى عَجِيبًا بِهِ مِنْ أَوْضَحِ السُّنَنِ
سَمَا الْكَمَالُ بِهِ فِي أُفْقٍ مَعْلُوَةٍ
بِطُولِ طَوْلٍ يُجَافِي أَرْفَعَ الغُبْنِ
أَصْلٌ جَلِيلٌ سَرَى فِي كُلِّ مَعْرِفَةٍ
وَاسْمَعْ مَعَانِي لَهُ بِالْفَمِّ والأُذُنِ
فَهِيَ الدِّيَانَةُ فِي التَّوْحِيدِ جَوْهَرُهُ
بِاسْمٍ عَظِيمٍ فَذَا لِلعَارِفِ الْفَطِنِ

هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي عَزَّ الْوُجُود بِهِ
عُلْوًا وَسُفْلاً سَعَى لَوْلاَهُ لَمْ يَكُنْ
سِرُّ الأُلَيْف سَرَى فِي الْهَاءِ مُسْتَتِرًا
وَفَهْمُهُ مِنَنٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمِنَنِ
فِي حَرْفِ أَوَّلِهِ عُظْمَى جَوَاهِرِهِ
فِي حَرْفِ آخِرِهِ رُوحٌ بِلاَ بَدَنِ
حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ فَأَدْرِكْ مَعَانِيَهَا
تَحْظَى بِحِكْمَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ
هُوَ الأُلَيْفُ الَّذِي اللاَمَانِ تَعْقُبُهُ
مِنْ قَبْلِ هَاءٍ لَهَا حُكْمٌ عَلَى الزَّمَنِ
فَاللّٰهُ أَعْنِيهِ اسْمُ الذَّاتِ مُنْفَرِدًا
فَاعْرِفْ حَقِيقَتَهُ يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنِ

وَانْطِقْ بِهِ أَبَدًا إنْ كُنْتَ ذَا هِمَمٍ
وَاعْلَمْ بِهِ أَدَبًا تُكْفَى مِنَ الْمُؤَنِ
وَارْفَعْ بِهِ حُجُبًا وَاشْفِ بِهِ عِلَلاً
وَاكْشِفْ بِهِ كُرَبًا عَنْ كُلِّ مُمْتَحَنِ
وَأَخْرِجْ بِهِ لُؤْلُؤًا مِنْ بَحْرِ مَعْرِفَةٍ
وَاعْلُو بِهِ دَرَجًا تَرْقَى إِلَى الْوَطَنِ
وابْذُلْ لَهُ نَفَسًا فِي كُلِّ مَوْهِبَةٍ
وَاحْفَظْ سَرَائِرَهُ مِنْ كُلِّ مُفْتَتَنِ
مَنْ لَمْ يَنَلْهُ فَقَدْ خَابَتْ مَدَارِكُهُ
دُنْيَا وَأُخْرَى مَعًا مِنْ حَسْرَةِ الْغَبَنِ
وَمَنْ تَفَهَّمَهُ نَارَتْ شَوَاهِدُهُ
كَالصُّبْحِ تُشْرِقُ بِالآيَاتِ وَالسُّنَنِ
إِنَّ الْجَوَاهِرَ لاَ تَغْلُو لِطَالِبِهَا
وَلَوْ تَطَالَبَ فِيهَا بَالِغَ الثَّمَنِ

فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ لا يَرْقَى لِرُتْبَتِه
تَأْبَى الْمَعَانِي بِهِ فِي جَوْهَرِ الْحَسَنِ
لاَزِلْتَ فِي حِفْظِ رَبٍّ صَائِنٍ لَكُمُ
مَا فَادَتِ الرِّيح والأَمْوَاج وَالسُّفُن

وسيأتي - إن شاء الله تعالى - بقية ما أدركنا فهمه بعقولنا وما سمعنا وقيدنا واستفدنا من شيوخنا تغمدهم الله برحمته ورضوانه، ونفعهم بالقسم الثاني من علم هذا الاسم المفرد ومعرفة معانيه. فليتأمله السالك ويجعله من أعظم معانيه. لأن فيه معانٍ حسنة لطيفة، وفوائد وأسراراً وحكما شريفة، يقع الانتفاع - إن شاء الله - بها. فمن أنعم عليه بفتح أبوابها. فاطلب تجد. وافهم تفد. بحول الله تعالى.

كمل القسم الأول والحمد لله على جميع نعمه. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم أنبيائه، يتلوه - إن شاء الله تعالى - القسم الثاني بفوائده وحكمه. والله المعين على ذلك. ولا قوة إلا بالله.

****

القسم الثاني

في معرفة فضله وشرف قدره وشرح معاني أسراره، واختصاص فوائده وذكره بحول الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) ﴾ [سورة: الأحزاب] وقال عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

[سورة آل عمران: ١٩١]

قال رسول الله ﷺ: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ قَالُوا يَارَسُولَ الله وَمَا الْمُفْرَدُونَ قَالَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ»(١)، وقال - عليه السلام - عن الله تعالى: «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ومسلم، عن أبي هريرة، وأوله: «سيروا. هذا جمدان..» وبقيته مثله.

المفردون: هم المولعون بالذكر المداومون عليه، لا يبالن ما قيل فيهم ولا ما فعل بهم.

مَسْئَلَتي أُعْطيه أَفْضَلَ مَا أُعْطي السَّائلينَ» وقال ـ عليه السلام ـ: «أَشَدُّ الأَعْمَال ثَلاَثَة: إِنْصَافُ الرَّجُلِ مِنْ نَفْسِه، وَمُوَاسَاةُ الأَخْ في الْمَال، وَذِكْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ» وقال عليه السلام: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله» وقال الحسن: قلت أي الأعمال أفضل يارسول الله؟ قال: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانَكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ الله».

فانظر وفقك الله كيف جعل ذكر هذا الاسم:

الله

اسم الله أفضل العبادات؛ لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقداراً ووقتًا وزمانًا، ولم يجعل لذكر هذا الاسم مقداراً ولا وقتًا ولا زماناً، وحض على الإكثار من ذكره، فقال: ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيراً ﴿٤١﴾ ﴾[الأحزاب] وقال: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً

(٣٥) ﴾ [الأحزاب] وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) ﴾ [سورة الأنفال: ٤٥، وسورة الجمعة: ١٠] وقال: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٠]

وقال رسول الله ﷺ «الذَّاكِرونَ اللّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ هُمُ السَّابِقُونَ وَالْفَائِزُونَ» وروى أن في التوراة مكتوبا «اسْتَوَى الْجَبَّارُ بِعِزَّتِهِ فَوْقَ مَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ عِزِّهِ فَاضْطَرَبَ الْمَاءُ لِهَيْبَتِهِ، وَنَادَى الْجَلِيلُ جَلَّ جَلاَلُهُ أَنَا اللّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا مَنْ ذَكَرَنِي ذَكَرْتُهُ وَمَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ».

ومنها أيضاً: «قَالَ: يَا مُوسَى! أَنَا اللّهُ الْقَدِيمُ الأَزَلِيُّ خَالِقُ مَكَّةَ، مُفْقِرُ الزُّنَاة، تَارِكُ تَارِكِي الصَّلاَةِ عُرَاةً، مُغْلِي الأَسْعَارِ، وَالأَهْوَاءُ مَمْلُوءَةٌ وَمُرَخِّصُهَا، وَالأَهْوَاءُ فَارِغَةٌ ذلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ».

واعلم أن هذا الاسم قد تقدم الكلام عليه أولا في قسمه

بنور ما سمع من علمه، وما فتح الله به من إلهامه وفهمه، وإنما الحكمة في تذكار ذكره، والحث على كثرة الذكر به دون غيره، وذلك لمحبة الله له، وتعظيمه عنده وعلو مقداره، وتخصيص فضله وإظهار شرفه على سائر أذكاره ليقع التفكر في معاني أسراره، التي تشرق على القلوب والأبدان شموس أنواره وترسخ معرفة ذاكره ويشتد له حبه، وتكمل خصوصيته ويزداد به قربه. فإن من علامة محبة المحبوب كثرة ذكره، ومن علامة المزيد كثرة شكره، ومن علامة التوفيق اجتناب نهيه وامتثال أمره، ومن علامة الرضا الاستعمال في الأوقات الفاضلة بصالحات بره وغلبة خيره على شره، وفي ذلك قال الشاعر:

كَرِّرْ عَلَيَّ الذِّكْرَ مِنْ أَسْمَائِهِ

وَاجْلُوا الْقُلُوبَ بِنُورِهِ وَسَنَائِهِ

وَدِرِ الْكُؤُسَ عَلَى النُّفُوسِ فَإِنَّهَا

تَصْبُو إِلَى الْمَشْرُوبِ مِنْ صَهْبَائِهِ

إِسْمٌ بِهِ الْكَوْنُ اسْتَفَادَ ضِيَاءَهُ

فِي أَرْضِهِ وفَضَائِهِ وَسَمَائِهِ

حَارَتْ عُقُولُ الْقَوْمِ عِنْدَ صِفَاتِهِ

نَارَتْ قُلُوبُ الْخَلْقِ عِنْدَ ضِيَائِهِ

وَإِذَا تَجَلَّى لِلْقُلُوبِ جَلالُهُ

شَعُرَتْ بِسِرِّ سَنَائِهِ وَبَهَائِهِ

قَرَّتْ قُلُوبُ الْمُتَّقِينَ بِقُرْبِهِ

وَعَلَتْ عَلَى عَلْيَائِهِ وَعَلائِهِ

عَزَّ اسْمُهُ لِلْعَارِفِينَ مُكَرَّرًا

مَعْرُوفَةَ الْمَعْرُوفِ مِنْ آلائِهِ

ومن تخصيص هذا الاسم المفرد بالذكر أنه ما من لفظة بالذكر من ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلا وفيها تخصيص وإشارة ومعنى وفوائد عجيبة، وأسرار وحكم وعلوم ومعارف جليلة

غريبة ، فها هنا ﴿ قُلْ ﴾ إشار إلى الأمر ﴿ هُوَ ﴾ إشارة إلى الإثبات لوجوده ﴿ اللَّهُ ﴾ إشارة لاسم ذات الألوهية ﴿ أَحَدٌ ﴾ إشارة لإفراد الأحدية ﴿ اللَّهُ ﴾ إشارة لذكر الاسم المفرد للتوحيد ﴿ الصَّمَدُ ﴾ إشارة لتنزيه الذات عن نفس البشرية ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ إشارة إلى كمال التنزيه عمن سواه ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ إشارة إلى إثبات الأزلية والقدم. ونفي السبقية والحدوث والعدم، وهي إشارة إلى عدم الضد والشبيه والنظير، والكفو والند .

وسمي هذا الاسم بالاسم المفرد لتكرار ذكره وإفراده بين الاسم الآخر واسم الصمد . فاختص الحق سبحانه هذا الاسم الثاني وإفرده، وكرر ذكره ليذكر. كما خص الاسم باسم ذات الألوهية، وبمعناها ظهر، وذكر في الوجود واشتهر. فقال: ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) ﴾[الأنعام] وقال ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي معبود ومذكور ومحمود ومشكور وجميع الخلق تحت أمره ونهيه مقهور، يعلم خائنة

الأعين وما تخفي الصدور، ولا يخفي عليه شيء فيها من جميع الأمور.

وكذا الله أكبر: فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن ذكر الله تعالى لنفسه وتوحيده وتعظيمه وتمجيده أكبر وأعظم من ذكر خلقه الضعفاء الفقراء وتوحيدهم له، لأنه هو الغني الحميد.

الثاني: أن ذكر هذا الاسم أعظم من ذكر غيره من أسمائه.

الثالث: أن ذكر الله تعالى لعبده في الأزل قبل كونه أعظم وأكبر إذا ذكره العبد في الحال، وأسبق وأقدم وأتم وأسنى وأرفع وأشرف وأكرم. قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[سورة العنكبوت: ٤٥].

الرابع: أن ذكر الله تعالى في الصلاة أفضل وأكبر من ذكره في غير الصلاة» ومشاهدة المذكور في الصلاة أعظم وأكمل وأكبر من الصلاة.

الخامس: أن ذكر الله لكم بهذه النعم العظيمة، والمنن الجسيمة، وندبه إليكم بدعوته إياكم لطاعته أكبر من ذكركم له بالذكر عليها إذ لا تطيقون شكر نعمته، ولهذا قال نبينا ﷺ: «**لا أُحْصَى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(١) معناه لا أطيق وكان أعلمهم وأشرفهم وأرفعهم قدرا وأفضلهم، فأظهر عجزه مع كمال علمه ومعرفته ﷺ .

ثم إن ما بعد توحيده شيء أعظم من الصلاة، ولهذا كانت ثاني قاعدة من قواعد الإسلام بقوله عليه السلام: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ**»(٢) الحديث. وجعلت تكبيرة افتتاحها الله أكبر، ولم تجعل لغيره من الأسماء كلها، ولا يجوز غير ذلك لقول النبي ﷺ: «**تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ**» وكذلك ذكر هذا الاسم في الأذان. وفي

(١) أخرجه مسلم، وأصحاب السنن الأربعة، عن عائشة، رضي الله عنها.
(٢) أخرجه أحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي، عن ابن عمر، رضي الله عنهما.

كل تكبيرة للصلاة. فذكر هذا الاسم أفضل من جميع العبادات، وأقرب للمناجاة لا للصلاة ولا غيرها من أنواع الطاعات. وقد ورد في الحديث عن الله عز وجل أنه قال: «**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**» وقال: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي وَحْدَهُ ذَكَرْتُهُ وَحْدِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٌ مِنْهُ**»(١) قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢] ودليل تفضيله على الصلاة من نفس الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥] وإنها كذلك وهي معظم الذكر، ولكن ذكر الله أكبر منها(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر (٢٦٧٥).

(٢) قال ابن عباس، رضي الله عنه، في تفسير هذه الآية: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ يقول: ولذكر الله لعباده أكبر إذا ذكروه من ذكرهم إياه، وهو قول مجاهد، وغير واحد من السلف. وقد تعطي الآية معنى آخر: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهي عن الفحشاء والمنكر، وهي في ذات الوقت مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله تعالى، أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر، فليس ذكر الله أكبر من الصلاة لأنها اشتملت عليه.

ومن كل عبادة. لقوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ولما روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكْرُ اللهِ»(١) ولقوله عليه السلام في حديث معاذ بن جبل: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ» ومعنى ذكر الله سبحانه لعبده أن من ذكره بالتوحيد ذكره بالجنة والمزيد. قال الله سبحانه: ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[سورة المائدة: ٨٥]. ومن ذكره باسمه المفرد أعنى (الله) ودعاه بإخلاص أجابه. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦] الآية. ومن ذكره بالشكر ذكره بالمزيد. قال الله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم: ٧] وما من عبد ذكره

---

(١) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، عن أبي هريرة، وهو صحيح.

بذكر إلا ذكره بما يقابله عوضا له. فإن ذكره العارف بمعرفته ذكره بكشف الحجاب لمشاهدته، وإن ذكره المؤمن بإيمانه ذكره برحمته ورضوانه، وإن ذكره التائب بتوبته ذكره بقبولها ومغفرته، وإن ذكره العاصي باعتراف زلته ذكره بستره وأناته، وإن ذكره الفاجر بفجوره وغفلته ذكره بعذابه ولعنته، وإن ذكره الكافر بكفره وجرأته ذكره بعذابه وعقوبته. ومن هَلَّلَهُ أجله، ومن سبحه أصلحه، ومن حمده أيده، ومن استغفره غفر له، ومن رجع إليه أقبل عليه، فإن أحوال العبد كلها أربعة أحوال: منها أن يكون في طاعة فيذكره برؤية المنة في توفيقه لها. ومنها أن يكون في معصية فيذكره بالستر والتوبة. ومنها أن يكون في نعمة فيذكره بالشكر. ومنها أن يكون في شدة فيذكره بالصبر.

وفي ذكر الله تعالى خمس خصال: رضي الله تعالى، ورقة القلب، وزيادة الخير، وحرز من الشيطان، ومنع من ركوب المعاصي. فما ذكره الذاكرون إلا بذكره لهم، وما عرفه

العارفون إلا بتعريفه إياهم، وما وحده الموحدون إلا بعلمه لهم، وما أطاعه المطيعون إلا بتوفيقه لهم، وما أحبَّه المحبون إلا بتخصيص محبته لهم، وما خالفه المخالفون إلا بخذلانه لهم، فكل نعمة منه عطاء، وكل محنة منه قضاء، وما أخفته السابقة أظهرته اللاحقة، وفي ذلك قال الشاعر:

يَا فَاضِلاً لَمْ يَزَلْ مَاذَا أَقُولُ بِهِ
وَفَضْلُ ذِكْرِكَ بِالأَعْلَامِ اذْكَارُ(١)
بِذِكْرِكَ الْعَبْدُ خُذْلِي وَاهْدِنِي رَشَدِي
فَهَدْيُكُمْ بِطَرِيقِ الرُّشْدِ أَنْوَارُ
وَأَهْدِلِي عَمَلاً تَرْضَاهُ يَاأَمَلِي
وَاطْلِقْ لِسَانِي بِذِكْرِ الْحَقِّ إِجْهَارُ

واعلم أن كلمة التوحيد شيء بين النفي والإثبات. أولها «لا إله» وذلك نفي وتبرئة وجحد وكفر وإنكار، وآخرها «إلا

(١) هذه الأبيات كما هي بالأصل والظاهر أن بها بعض تشويه من النساخ.

الله » وذلك هو إنشاء وإثبات وإيمان وتوحيد ومعرفة وإسلام وشهادة وأنوار. فـ « لا » تنفي الألوهية عما لا يستحقها ولا يجب له. و« إلا الله » إثبات الألوهية لمن يستحقها ويجب له حقيقة. وقد جمع معنى ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦] ولا إله إلا الله هو للعامة طهارة لأفهامهم من شبه خبالات أوهامهم. إثبات الوحدانية، ونفي الأثنينية. وهي للخاصة قوة في أديانهم(١)، وزيادة في نور آمالهم بإثبات الذات والصفات. وتنزيهها عن تغير صفات الأحداث وطرو الآفات، وهو لخاصة الخاصة تنزيها عن ذكره ورؤية المنة والفضل بالشكر على شكرهم.

والناس في التوحيد وذكره ثلاثة أصناف: صنف منهم عموما لأهل البداية، وهو التوحيد باللسان نطقا ومقالا واعتقاداً وإخلاصا بأنوار شهادة التوحيد « لا إله إلا الله محمد

(١) الصواب أن يقال: دينهم.

رسول الله» وهو الإسلام. وصنف خصوص وسط، وهو توحيد القلب تصريفا وصرفا واعتقاداً وإخلاصا وهو الإيمان. وصنف خصوص الخصوص وهو توحيد العقل عياناً أو يقينا ومشاهدة وهو الإحسان.

وللذكر ثلاثة مقامات: ذكر باللسان. وهو ذكر عامة الخلق. وذكر بالقلب، وهو ذكر خواص المؤمنين. وذكر بالروح، وهو لخاصة الخاصة، وهو ذكر العارفين بفنائهم عن ذكرهم وشهودهم إلى ذاكرهم. ومنته عليهم.

ولذاكر هذا الاسم المفرد أعني «الله» حالات: حالة الوله والفناء. وحالة الحياة والبقاء. وحالة النعم والرضا.

فأما الحالة الأولى من الوله والفنا، وهو الذي يقتصر على ذكره ولا خاصة في بدايته دون غيره من الأسماء، ويجعله نجيا، ويحقق ذكر الهاء فيه حين يذكره فمن داوم على ذلك محا ظاهره وأمحق باطنه. فكان في ظاهره كالمجنون والموله الممحق عقله عنه لا يقبل عليه أحد ويفر الخلق منه ولا يسكن إليه، لأجل ثبوت الوله الذي كسى ظاهره. وسر الاسم

الذي هو ذاكره. فإن ذكر صفة الألوهية لا يقدر أحد أن يتصف بشيء منها، ولا يستقيم ثباتا أن يتلقاه نفسا يصدر عنها، فصار ذاكره بين الخلق كما قال تعالى: ﴿ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ وكان في باطنه كالميت الفاني لسكون ذاته وصفاته، وسكونه عن مألوفاته وعاداته، وخضوع جوارحه وهمود فؤاده وخشوعه. كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝ ﴾[سورة المزمل] وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ﴾ [سورة الحج]

وأما الحالة الثانية من الحياة والبقاء: فإنه إذا تحقق ذاكر هذا الاسم فيه وثبت عليه وألفه امتحت منه رسومه وأوصافه، ونفخ فيه روح الرضا بعد موت اختياراته وإراداته، وفنى عن حظوظ عاداته وشهواته، وخرج عن مذموم صفاته، وانتقل من حالة الوله والفناء إلى حالة الحياة والبقاء، وكانت له هيبة وسطوة في الموجودات وخافه وعظمه وذل له وتبرك به كل شيء من المحدثات .

وأما الحالة الثالثة من حالة النعيم والرضا: فإن ذاكر هذا الاسم إذا عظم أمر الله ، وأشفق على خلق الله، ولم يتغالى بالادعاء في دين الله، وانبسط من نفسه بالله لله. واتسع بسعة رحمة الله ولم تؤثر فيه مخلوقات الله، ولم يبق لأحد ولا لشيء عليه سبيل بإذن الله انتقل من حالة الحياة والبقاء إلى حالة النعيم والرضا، وعاش عيشة منعمة دائمة كريمة هنيئة مرضية، لا كدر فيها ولا غير، سليمة مستقيمة، وتمكن في حاله، وأمن فاطمأن، وثبت وكان بين الخلق كغيث المطر حيثما حل أخصب وأنبت واقتات جميع الأشياء منه. وحصل له التنعم والرضا بالله. ورضى الله عنه. قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [سورة المؤمنون] وروى أن فقيراً في مجلس الشبلي رضي الله عنه صاح: «الله». فقال له الشبلي: ياهذا! إن كنت صادقاً فقد اشتهرت. وإن كنت كاذباً فقد هلكت. وصاح رجل عند أبي القاسم الجنيد رحمه الله. فقال له الجنيد: يا أخي! إن

كان من ذكرته شاهدا لك وأنت حاضر معه فقد هتكت الستر والاحترام، والغيرة من شيم أوصاف المحب المستهام. وإن كنت ذكرته وأنت غائب عنه فذكر الغيبة غيبة، والغيبة حرام. وحكى عن أبي الحسن الثوري رحمه الله أنه بقى في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو يقول: الله الله. وأخبر أبو القاسم الجنيد بحاله فقال: أمحفوظ عليه أوقاته؟ قيل له: إنه يصلي الصلاة لوقتها، فقال: الحمد لله الذي حفظه ولم يجعل للشيطان عليه سبيلا. ثم قال لأصحابه: قوموا بنا حتى نزوره، فإما نفيد أو نستفيد منه. قيل: فلما دخل عليه الجنيد قال: يا أبا الحسن! هو قولك الله الله بالله أم بنفسك، فإن كنت القائل بالله فلست القائل له. فإنه المتكلم على لسان عبده، الذاكر نفسه بنفسه، وإن كنت القائل بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله. قال له الثوري: نعم المؤدب أنت ياأستاذ! فسكن ولهه:

وَلِهْتُ بِكُمْ ذِكْرًا وَحَقًّا لِصَبِّكُمْ
يُصِيبُ بِذِكْرَاكُمْ وَيَفْنَى بِكُمْ عِشْقَا

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شَوْقًا إِلَى الْحُبِّ غَالِبًا
عَلَى الْعَقْلِ مِنْ وَجْدٍ لَعَمْرِي لَقَدْ يَشْقَى
وَمَا الذِّكْرُ إِلاَّ أَنْ يَغِيبَ بِذِكْرِهِ
عَنِ الذِّكْرِ فِي الْمَذْكُورِ مِنْ وَلَهٍ يَلْقَى
وَمَن كَانَ ذَا عَقْلٍ فَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ
وَمَنْ غَابَ عَنْ ذِكْرٍ فَحَقٌّ لَهُ يَرْقَى

واعلم أن الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بمداومة حضور القلب وإخلاص ذكر اللسان مع رؤيته منه، السيد يجري إطلاق الذكر على لسان العبد.

وقيل: الذكر هو الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على استيلاء الخوف وشدة المحبة وهيجان الشوق وقلة الغلبة. وحقيقة الذكر إفراد المذكور بغيبة الذاكر عن ذكره، وفنائه في المشاهدة والحضور لم يغيب مشاهدته في مشاهدته. فيشهد حقا بحق. فيكون الله هو الذاكر

والمذكور. فمن حيث جريان الذكر على لسان العبد كان ذاكرا له. ومن حيث تيسيره له وتسهيله على لسانه هو ذاكرا لعبده فما به ذكره. ومن حيث بعث الخاطر ابتدأ منه كان ذاكرا لنفسه على لسان عبده كما روى في الحديث الصحيح أنه قال تعالى: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذى يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ، ولَسَانَهُ الَّذى يَنْطِقُ به(١) الحديث وفي رواية أخرى: «كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وبَصَرًا ولِسَانًا وَيَدًا وَمُؤَيِّدًا» الحديث.

والذكر تختلف أنواعه وتتعدد، والمذكور واحد لا يتعدد ولا يتحدد. وأهل الذكر هم أحباب الحق من حيث اللوازم،

(١) أخرجه البخاري، عن أبي هريرة، والمعنى إذا تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق فيه محبة لغير ما يحبه الله، ولا كراهة لغير ما يكرهه الله، ومن كان كذلك لم تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله، ولم تتحرك إلا بما يريده منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطن بطن به، فهذا هو المراد بقوله: «كنت سمعه ... إلخ»، ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسوله بريئان منه. (جامع العلوم والحكم).

وهو على ثلاثة أقسام: ذكر جلي، وذكر خفي، وذكر حقيقي. فالذكر الجلي لأهل البداية وهو ذكر اللسان يصرف الشكر والثناء والحمد بتعظيم النعم والآلاء ورعي العهد، وحسنته بعشرة إلى سبعين. والذكر الباطن الخفي لأهل الولاية وهو ذكر سر القلب بالخلاص من الفترة، والبقاء مع المشاهدة بلزوم مشاهدة الحضرة، وحسنته بسبعين إلى سبعمائة. والذكر الكامل الحقيقي لأهل النهاية، وهو ذكر الروح بشهود الحق إلى العبد. والتلخص من شهود ذكره ببقائه بالرسم والحكم، وحسنته بسبعمائة إلى ما لا نهاية له بالتضعيف، لأن المشاهدة فناء لا لذة فيها، والروح له ذكر الذات. والقلب له ذكر الصفات، واللسان له ذكر العادة للتعرضات. فإذا صح ذكر الروح مكث القلب عن ذكره ذلك. وذكر هيبة الذات، وفيه إشارة إلى التحقيق بالفناء وإشعار بالقرب، وإذا صح ذكر القلب سكت اللسان وفتر عن ذكره، وذلك ذكر الآلاء ونعمها أثر الصفات، وفيه إشارة إلى استدعاء وجود بقية دون فناء وإشعار تضعيف القبول. فإذا غفل القلب عن الذكر أقبل

اللسان على الذكر عادة وتعرضا. ولكل واحدة من هذه الأذكار آفة. فآفة ذكر الروح إطلاع سر القلب عليه، وآفة ذكر القلب إطلاع النفس عليه، وآفة ذكر النفس التعرض للعلات، وآفة ذكر اللسان الغفلة والفتور، وفي ذلك قال الشاعر:

هُوَ اللهُ فَاذْكُرْهُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ
فَلاَ يَنبَغِي التَّسْبِيحُ إِلاَّ لِمَجْدِهِ
عَظِيمٌ لَهُ حَقُّ الْمَحَامِدِ كُلِّهَا
فَمَاذَا عَسَى تَقْضِيهِ أَذْكَارُ عَبْدِهِ
لَوِ الْبَحْرُ أَضْحَى وَالْبِحَارُ تَمُدُّهُ
مِدَادًا وَمُحْصِي الْبَحرِ عَادَ كَمَدِّهِ
وَأَجْهَرَتِ الأَشْجَارُ تَكْتُبُ حَمْدَهُ
لإِنْفَادِ مَا تَحْمَدُهُ مِنْ دُونِ عَدِّهِ
لَزَادَ تَسَمَّى بِالْحَمِيدِ وَخَلْقُهُ
تُسَبِّحُ مَادَامَ الْوُجُودُ لِمَجْدِهِ

ثم الناس في الذكر على ثلاثة أقسام: عامة مفادون، وخاصة مجتهدون، وخاصة الخاصة مهتدون. فذكر العامة بداية للتطهير، وذكر الخاصة وسط للتقدير، وذكر خاصة الخاصة نهاية للتبصير. فذكر العامة بين نفي وإثبات، وذكر الخاصة إثبات في إثبات، وذكر خاصة الخاصة حق بحق إثبات الإثبات، من غير رؤية واسعة ولا التفات. فذكر الخائفين على وعيده. وذكر الراجين على وعده. وذكر الموحدين بتوحيده. وذكر المحبين على مشاهدته، وذكر العارفين ذكره له لا بهم ولا لهم. فالعارف يذكر الله تشريفا وتعظيما، والعالم يذكر الله تنزيهاً وتمجيدا، والعابد يذكر الله خائفا وراجيا، والمحب يذكر الله ولها، والموحد يذكر الله هيبة وإجلالا، والعامة تذكر الله عادة جارية. والعبد مقهور وللذكر مذكور. والمكلف غير معذور.

وكيفية الذكر على ثلاثة أحوال: ذكر البداية للحياة واليقظة، وذكر التوسط للتنزيه والطهارة، وذكر النهاية

To: www.al-mostafa.com

للوصلة والمعرفة. فذكر الحياة واليقظة بعد التلبس بشروطه الإكثار من ذكر «ياحي ياقيوم لا إله إلا أنت». وذكر التطهير والتنزيه بعد التلبس بشروطه الإكثار من «حسبي الله الحي القيوم».

وللذكر ثلاث مراتب: منها ذكر الغفلة، وجزاؤه الطرد واللعن، وذكر الحضور قرب وزيادة وفضل، وذكر الاستغراق محبة ومشاهدة ووصل، كما قيل:

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ إِلاَّ هَمَّ يُقْلِقُنِى
فِكْرِى وَذِكْرِى وَسِرِّى عِنْدَ ذِكْرَاكَا
حَتَّى كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَهْتِفُ بِى
إِيَّاكَ وَيْحَكَ وَالتِّذْكَارَ إِيَّاكَا
إِجْعَلْ شُهُودَكَ فِى لُقْيَاكَ تَذْكِرَةً
فَالْحَقُّ تِذْكَارُهُ إِيَّاكَ لُقْيَاكَا

أَمَا تَرَى الْحَقَّ قَدْ لاَحَتْ شَوَاهِدُهُ
وَوَاصَلَ الْكُلَّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَا
فَامْنُنْ بِذِكْرٍ صَفًا عَنْ كُلِّ مُشْتَبِهٍ
وَارْحَمْ عُبَيْداً عَسَى بِالْقَلْبِ يَرْعَاكَا

واعلم أن الذكر لا يخلو من ثلاثة أشياء: إما ذكر اللسان بقرع باب الملك، وهو كفارة ودرجات. وإما ذكر القلب بإذن مخاطبة الملك، وهو زلفا وقربات. وإما ذكر الروح بمكالمة الملك ومحادثته، وهو حضور ومشاهدة. فالذكر باللسان والقلب غافل هو ذكر العادة العاري عن الزيادة. والذكر باللسان والقلب خاطر هو ذكر العبادة المخصوص بالإفادة. والذكر بكل اللسان وملء القلب هو الكشف والمشاهدة. ولا يعلم قدره إلا الله تعالى.

وروى أَنَّ مَنْ أَكْثَرَ فِي بِدَايَتِهِ مِنْ قِرَاءَةِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ وَقَوِيَ تَوْحِيدُهُ.

وروى البزار عن أنس بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مائَةَ أَلْف مَرَّة فَقَد اشْتَرَى بِهَا نَفْسَهُ مِنَ اللّه تَعَالَى، وَنَادَى مُنَاد مِنْ قَبَلِ اللّه تَعَالَى فِي سَمواته وفِي أَرْضه: أَلا إِنَّ فُلاَناً عَتيقُ اللّهِ، فَمَنْ لَهُ قِبَلَهُ تَبِعَةٌ فَلْيَأْخُذْ مِنَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ».

وروى «أَنَّهُ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتغْفَارِ عَمَّرَ اللّهُ قَلْبَهُ وَكَثَّرَ رِزْقَهُ وَغَفَرَ ذَنْبَهُ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ فَرَجًا وَمَخْرَجًا وَيُؤْتِيه الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عُقُوبَةٌ وَعُقُوبَةُ الْعَارِفِ الْغَفْلَةُ عَنِ الْحُضُورِ فِي الذِّكْرِ».

وفي الحديث الصحيح عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ مَصْقَلَةٌ، وَمَصْقَلَةُ الْقَلْبِ الذِّكْرُ، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» وجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر وباب الفكر. فإن أرفع المجالس وأشرفها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، والتوكل عمل القلب. والتوحيد قوله. وباب الذكر

الفكر، وباب الفكر اليقظة، وباب اليقظة الزهد، وباب الزهد القناعة، وباب القناعة طلب الآخرة، وباب الآخرة التقوى وباب التقوى الدنيا، وباب الدنيا الهوى، وباب الهوى الحرص، وباب الحرص الأمل، والأمل هو الداء العضال الذي لا يبرأ. وأصل الأمل حب الدنيا، وباب حب الدنيا الغفلة، والغفلة هي غلاف على باطن القلب يتولد، والتوحيد هو الإكسير الذي لا يضر مع اسمه شيء، كما قيل: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»(١) وأعظم التوحيد ولبه وقلبه وجوهره توحيد هذا الاسم المفرد وإفراده ومعرفته.

وذكر أن بعض العارفين المحققين سئل عن اسم الله الأعظم

(١) عن عثمان بن عفان ،رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول فى صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شئ»، أخرجه الترمذى وصححه، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وابن أبى شيبة، وأبو داود، وفى روايته: «لم تصبه فجاءة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجاءة بلاء حتى يمسى».

فقال: هو أن تقول: «الله». وأنت لا تكون هناك. فإن من قال الله من الخلق قاله بحظ. وما تدرك الحقائق بالحظوظ. ومن قال الله بالحروف فإنه لم يقل الله ولا ذكره حقيقة، لأنه خارج عن الحظوظ والحروف والأفهام والمحسوس والرسوم والخيالات والأوهام، لكن ربنا بفضله رضى منا بذلك، وأثابنا عليه، لأنه لا سبيل إلى ذكره وتوحيده من حيث لا حال ولا مقال إلا بها في استطاعة البشر من قوله بإدراكه. وأصل التخصيص والعناية من العارفين والعلماء أهل التمكين لا يرضى ذكره منهم بذلك كما قال: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) ﴾[الصافات] ومن أحسن أن يقول:

*****

لِفَنَا وَجُودِهِمُ بِذَاتِ وُجُودِهِ
مُتَنَزِّهٌ عَنْ جَوْهَرِ الأَعْرَاضِ
لاَ شَيْءٍ يُشْبِهُهُ فَأَيْنَ وَكَيْفَ مَا
فَمَتَى سُؤَالٌ عَنْ حُدُودٍ مَاضِي
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَكُونَ وُجُودُهُ
فَوْقَ الظُّهُورِ وَغَايَةَ الإِغْمَاضِ

وفي الحقيقة ما ذكر الله إلا الله. ولا عرفه سواه. ولا وَحَّده حقًا إلا إياه. أما ذكره لنفسه فقوله: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فذكره جل وعلا لنفسه أكبر وأعظم وأكمل وأتم من ذكر غيره له. وأما معرفته به فقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ فهو العارف بكمال ذاته. وعظيم صفاته. وغيره من جميع مخلوقاته عاجزون عن أن يحيطوا ببعض مخلوقاته. فكيف بصفة من صفاته. وأما توحيده له فقوله: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ الآية فهو العالم بتوحيده على الحقيقة والكمال.

وما وحده غيره من خلقه إلا بعد ما وحد نفسه. وأفاض من نور توحيده شيئًا على ملائكته. وأولى العالم بقدر ما يحمله كل صنف منهم. وما سبق لهم من قسمة قسمها في أزلية علمه. فوجوده بنور توحيده. لا بذات نفس توحيده. وكل عارف عاجز عن معرفته. والمعرفة موجودة فيه. لأنها ضرورية وهي غاية المعرفة، فإن مثل المعرفة الضرورية كالسراج في الشمس وانبساط شعاعها عليه. ولهذا أكمل التوحيد رسوخه في العقل وأقواه سببًا في الحجة، وأثبته تبيانا في الذهن، وأحقه تمكينا في اليقين، وأوضحه ظهورا في المحجة. والصفة اتحاداً بالقلب ما أخذه الموجد بشاهد من شواهد ضرورات نفسه. وتحققه بنظر سالم ونقد صحيح من أدرك عقله من غير تقليد ولا تشكيك. ولا ظن ولا ترديد. فإن التقليد في التوحيد بعيد المزيد. ولا ينفع ولا يفيد. والتقليد هو التزام قول الغير من غير معرفة برهان ولا بيان دليل، ولا يرضي به إلا كل غَبِيٍّ الفهم غليظ الطبع بليد الفكر جاهل ذليل. منعزل محجوب. مهمل مسلوب. عصمنا الله وإياكم

من حجاب هذه الصفة. وجعلنا من أهل العلم والفهم والتحقيق والمعرفة بمنه.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - أنه قال: «الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ وَقَلْبٌ أَسْوَدُ مَنْكُوسٌ فَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ وَقَلْبٌ تَصَفَّحَ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَالُ الإِيمَانِ فِيهِ الْبَقْلَةُ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقَرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ فَأَيُّ الْمَادَّتَيْنِ غَلَبَتْ حُكِمَ لَهُ بِهَا»(١) وفي رواية ذهبت به.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٣ ص١٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافرين، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القيح والدم، فأي المادتين غلب على الأخرى غلب عليه.

وقال علي - كرم الله وجهه ورضي عنه -: القلب الأجرد هو انجراده بالزهد في الدنيا وتجريده من الهوى. وسراجه الذي يزهو فيه هو نور اليقين يبصر به اليقين. وقال بعضهم القلب الأجرد هو انجراده بالتوحيد عن التشكيك والترديد والتقليد وتجريده عما سوى الله. والقلب المنكوس هو من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم. ونكسه عكس رؤية نور ضرورة علم التوحيد برؤية ظلمة الفكر والإشراك. وفي هذه قال بعض العارفين: أشد الظلم ظلمة العلم، وأعظم الجهل جهل التقليد. والقلب الأغلف هو المحجوب بظلمة ظلام جهل التقليد. عن رؤية شمس النبوة والتوحيد.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ﴾ [سورة الزخرف] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [سورة لقمان: ٢١] والقلب

المصفح هو المتردد بين هوى النفس ومراءاته بعلمه. مع وجود أمانه وتصريفه. والرياء شرك، والشرك محبط للعمل. وأعظم الرياء من رايا بالإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤)﴾ [سورة البقرة] الآية وقال تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [سورة التوبة: ٥٤] الآية وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ [سورة الماعون]. وبالجملة أيما كان القلب فهو الموجب لا السالب.

وقيل: مثل القلب في قوة نوره وتوحيده وضيائه مثل المصباح في القنديل هو القلب. والماء مكان العقل منه. والزيت موضع العلم به وهو روح المصباح. وبكثرة العلم يكون روح اليقين. وأيدهم بروح منه. والفتيلة مكان الإيمان منه. وهو أصله وقوامه الذي يغمر بها. فعلى قدر صفاء القنديل الذي هو القلب المخلص يظهر لون الماء الذي هو العقل

المؤيد . وعلى قدر صفاء الزيت ورقته واتساعه الذي هو العلم يضيء نور النور الذي هو مكان الإيمان، وعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين. وهو مثل الإيمان في قوته بالزهد والخوف والخشية. وبضياء النار تضيء النفس، وهو مثل العلم في مواد التقوى والورع والمعرفة وعدم الهوى وشهوة الطبع. فصار العلم مكانا للتوحيد، فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان، والتوكل عمل القلب، والتوحيد قول القلب. وأرفع المجالس وأشرفها الجلوس مع الفكر في ميدان التوحيد. فكلما اتسع القلب بالعلم زهد في الدنيا وعُدِم منه الهوى والحرص والأمل وازداد إيمانه وتم توحيده.

وقيل: مثل القلب كالعرش، والصدر كالكرسي، وإذا اتسع الصدر بعلم الإيمان وانشرح بنور اليقين صار كرسياً وسع علمه ظاهر عالم الملك وباطن عالم الملكوت في ذاته وفي غيره. وصار سيلا متحيزاً في معارفه، سالكا معتبراً متخلقاً بأخلاق الملأ الأعلى في أصرافه كما روى عن الله تعالى أنه

قال: «**لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ يَتقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أَحِبُهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ**»(١) الحديث وإذا امتلأ القلب بالتوحيد كان عرشياً. وتنزهت عن أوصاف البشرية ذاته. وشرفت في الملأ الأعلى صفاته. وعلت وسمت في الملأ الأسفل معرفته، واكتملت بنور اسم الذات بصيرته، وعظمت ما عظم العرش على المخلوقات منزلته. وتخلق بأخلاق الله. وتصير الأسماء الحسنى وصفه وصفته(٢). وصار محققاً مستبصراً فانيا في شهود المذكور عن ذكره. مردداً رحمته للخلق. داعياً إلى الحق بالحق. كما روى عن الله تعالى أنه قال: «**لا يَسَعُنِي عَرْشِي وَلا كُرْسيً وَلا سَمَايَ وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي**» معنى يسعه توحيداً وإيماناً وعلماً ومعرفة وإيقاناً

---

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ،رضى الله عنه.

(٢) أسماء الله الحسنى وصفاته العليا لا يمكن ان تصرف على إطلاقها إلا لله عز وجل. إذ كيف يكون العبد المخلوق قدوسا ورحمانا وقهارا وقيوما؟! وإنما يمكن ان تقول فلان رحيم ورءوف بأهل بيته، وتقول: فلان حى، لكن حياته بين عدمين وهكذا.

ومحبة وإخلاصاً فضلا من الله وتخصيصًا لا يسعه مساحة ولا خيالاً ولا حلولاً ولا حساً ولا حكمًا.

وتنزيه الحق سبحانه على ثلاثة أقسام: تنزيه العامة، وتنزيه الخاصة، وتنزيه خاصة الخاصة.

فتنزيه العامة: تنزيه الحق عن النقائص، وهو تنزيه النفس عن الشرك والضد والند وإفراد الألوهية بالتوحيد للإله الواحد.

وتنزيه الخاصة: تنزيه عن حصر ما لا يتناهى من المحامد، لأن محامد القديم لا تتناهى، وحصر ما لا يتناهى محال. وهو تنزيه القلب عن الغفلة والفترة بلزوم الذكر والخشية. ورؤية الفضل والمنة.

وتنزيه خاصة الخاصة: تنزيه عن رؤية أنفسهم في التنزيه بنفي تأثير فيه وجود البشرية. وتنزيه عن دعوى صدور رؤية الفعلية، وهو تنزيه العقل عن تنزيهه.

ومعرفة الحق سبحانه على ثلاثة أوجه:

معرفة الوحدانية من طريق الخبر على لسان التوحيد بدليل الكمال والقدم.

ومعرفة القدرة من طريق الاجتهاد على بساط الصفا في ميدان الإحسان بدليل الفضل والنعم.

ومعرفة المحبة من طريق الكشف على شهود الحضور في ميدان التجلي بدليل الجود والكرم.

واختلف العلماء المعبرون في معرفة الله تعالى على ثلاثة أصناف، فصنف منهم قالوا: ما في الوجود من لم يعرف الله وصرفوا. وصنف منهم قالوا: ما في الوجود من عرف الله تعالى وصرفوا، وصنف قالوا: ما عرف الله إلا الله عز وجل وصرفوا. فأما من أثبت المعرفة بالله لجميع العالم وصرفهم في ذلك فهي من طريق الأسماء والصفات، فإن أول الواجبات في معرفة الديانات معرفة المعلوم على ما هو به من صفات ذاته

وأفعاله، ويستدل على الصانع بصنعته وعلى الفعل بفاعله إذ بضرورة العقل يعلم وجود الفاعل لاستحالة وجود فعل من غير فاعل. وقد قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ وحديث معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ» الحديث فأثبت الله تعالى ورسوله عليه السلام لهم معرفته. ونفي الشك عنهم بوجوده. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

وهذه الآيات عموم في سؤال الخلق عن خالقهم. فثبت بطريق العقل والنقل أنه ما في الوجود من ينكر وجود الصانع الفاعل المختار، ولا من يجهل اسمه جل ذكره.

وأما من نفى المعرفة بالله عن جميع العالم وصرفهم في ذلك فهي من طريق عدم الإحاطة بمعرفة حقيقة ذاته وصفاته على ما هو به من كنه ماهيته، إذ بضرورة العقل يعلم عدم إحاطة معرفة المحدث المقيد بكمال وجود المطلق القديم الأحد، لأنه من إحاطة المفعول بفاعله، وهو محال عقلا. وقوله تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقوله: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ معناه ما عرفوه حق معرفته. قال ﷺ: «**لَوْ عَرَفْتُمُ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَمَشَيْتُمْ عَلَى الْبِحَارِ وَلَزَالَتْ بِدُعَائِكُمِ الْجِبَالُ**» وقال عليه السلام: «**لَوْ عَرَفْتُمُ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَعُلِّمْتُمُ الْعِلْمَ الَّذِي لَيْس بَعْدَهُ جَهْلٌ، وَمَا بَلَغَ ذلِكَ أَحَدٌ**» قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: «**ولا أنا**». قالوا ما كنا نرى الرسل عليهم السلام تقصر عن ذلك. والله أعز شأنا وأعظم سلطانا أن ينال أحد أمره كله. وهذه المعرفة محال في حق الخلق، واجبة في حق الله تعالى، لأنه جل وعلا علم

بنفسه وبصفاته وبمعلوماته على ما هو به على الإطلاق من غير تقييد ولا إحاطة لأحد سواه. وأما إثبات ما عرف الله إلا الله وصرفهم في ذلك: فهو من طريق تحقيق الإحاطة بعلمه المطلق. فإنه خالق الموجودات، ومحدث المحدثات، ومدبر أمورهم وعالم قدرهم ومقدارهم، ومفنيهم وموجدهم، ومبديهم ومعيدهم قال الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال: ﴿ **ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ [غافر: ٦٢] وقال: ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** ﴾[فاطر: ٣] . وقال: ﴿ **أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿ **وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ [الجن: ٢٨] وقال: ﴿ **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ وقال: ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [السجدة: ٥] وقال: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ**

كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] وقال رسول الله ﷺ: «لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(١) وقال: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وكان عليه السلام أفضل الخلق. وإمام العالم، وقطب الوجود، وروح الموجودات، ولكن أعطى الربوبية حقها، وذلك لكمال معرفته، ونهاية علمه وشرف قدره ﷺ صلاة ترضيه وتزيده شرفاً وعزا وتخصيصاً وقربا. ومقامات دانية تدنيه.

فثبت بطريق العقل والنقل أن ما عرف الله تعالى على الحقيقة أحد من خلقه، ولا عرفه معرفة تجب له سواه جل وعلا. قال الشاعر:

نَطَقَتْ بِلاَ نُطْقٍ هُوَ النُّطْقُ انَّهُ
لَكَ النُّطْقُ لَفْظًا أَوْ يَبِينُ عَلَى النُّطْقِ

(١) أخرجه مسلم وأصحاب السنن الأربعة، عن عائشة.

تَرائَيْتُ كَيْ تَخْفَى وَقَدْ كُنْتَ خَافِيًا
وَأَلْمَمْتَ لِي بَرْقًا فَأَنْطَقْتَ بِالْبَرْقِ
فَمَنْ لِي بِالنُّطْقِ الْحَقِيقِيِّ إِنَّنِي
فَقِيرٌ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْحَقِّ لِلْحَقِّ
جَهِلْتُ فَلَمْ أَعْلَمْ أَشَرْتُ فَلَمْ أُفِدْ
وَصِرْتُ لَهُ عَبْدًا فَمَنْ لِي بِالْعِتْقِ
فَنِيتُ بِهِ عَنِّي وَكُنْتُ بِهِ خَفِي
فَإِنْ شَاءَ أَفْنَانِي وَإِنْ شَاءَ لِي يَبْقِي
وَمَا أَحَدٌ يَدْرِي سِوَى اللهِ نَفْسَهُ
وَكُلٌّ لَهُ بِالْجَهْلِ يَنْطِقُ بِالصِّدْقِ

واعلم أن الناس في ذكر توحيدهم على ثلاثة أقسام: عموما لأهل البداية الذكر باللسان نطقا ومقالا وإقرارا بالشهادة وهو الإسلام. وخصوصا لأهل التوسط الذكر بالقلب

تصديقا واعتقادا وصدقا وإخلاصا، وهو الإيمان، وخصوص الخصوص لأهل النهاية. الذكر بالعقل عيانا يقينا مشاهدة بضرورة الطبع. وهو الإحسان. والتفاوت في مراتب معرفة الخلق وتوحيدهم موجود على قدر رتبة الخصوص والعموم في معرفة توحيد الجملة والتفصيل من معرفة الأسماء والصفات خاصة لا معرفة الذات، لأن أصل المعرفة معرفة حق ومعرفة حقيقة. فمعرفة الحقيقة هي معرفة الذات ولا سبيل إليها لامتناع الضدية. فإن العجز عن درك الإدراك إدراك. والبحث عن ذات الذات إشراك. قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه: فسبحان من لم يجعل سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

وأما معرفة حق فهي معرفة الأسماء والصفات، وهي مفتوح للخلق بابها وفيها وقع التفاوت بين أهل المعرفة. فمنهم من نظر إلى أفعاله من حيث أنها أفعاله وصنعته، وذلك حد معرفة عقله وإدراك عقله لا يتعداه.

ومنهم من نظر إلى قدرة القادر، ولاحظ صفاته. ورأى حكمته. ولم تحجبه الأفعال عن الصفة. وذلك حد معرفته وإدراك عقله لا يتعداه.

ومنهم من نظر إلى الصانع لا إلى الصنعة، ولم تحجبه الصفات عن عظمة الذات. وذلك غاية الإدراك. ونهاية العقول. ولا تتعداه وإليه انتهت المعرفة في الاستدلال العموم بالصنعة على صانعها بداية قال تعالى: ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [يونس: ١٠١] وقال: ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ [الغاشية: ١٧] وقال: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ** ﴾ [البقرة: ١٦٤] وقال: ﴿ **وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١] واستدلال الخصوص بالصانع على صنعته نهاية. قال تعالى: ﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾

[فصلت: ٥٣] وقال: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ وقال: ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [إبراهيم: ١٠].

والناس في المشاهدة على ثلاثة أقسام. بداية للعامة. ووسط للخاصة. ونهاية لخاصة الخاصة، فالعموم شاهدوا جمال حسن صورة حسن أُسِّ المعنى في الجسم الكثيف المركب الأدنى. والخصوص شاهدوا جمال حسن صورة حسن أس المعنى اللطيف المفيد في هياكل الفنا، وخصوص الخصوص شاهدوا جمال إجلال حسن الجمال الأسني المنزه المطلق في الوجود، الصادر عن سر الأسماء الحسنى. وكل مشاهد إنما يشهد بقدر ما رفع له من الحجاب. وأشهده إياه من قسمة كانت له في أم الكتاب. فمن مشاهد يشهد مخلوقاً مفيدا خلقا بخلق. ومشاهد يشهد تحقيقا مطلقا حقا بحق . فشتان ما بين ناظر معتبر وناظر (١) وفي ذلك قال القائل:

(١) هكذا بياض بالأصل.

وَيَبْدُو بِأَوْصَافِ الْجَمَالِ فَلاَ يُرَى
بِرُؤْيَتِهِ شَيْئًا قَبِيحًا وَلاَ رَدِى
فَلَمَّا تَجَلَّى لِى عَلَى كُلِّ شَاهِدٍ
وَأَشْهَدَنِى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
تَجَنَّبْتُ تَقِييدَ الْجَمَالِ تَرَفُّعًا
وَطَالَعْتُ أَسْرَارَ الْجَمَالِ الْمُبَدَّدِ
فَفِى كُلِّ مَشْهُودٍ لِقَلْبِىَ شَاهِدٌ
وَفِى كُلِّ مَسْمُوعٍ لَهُ لَحْنُ مَعْبَدِ
وَصَارَ سَمَاعِى مُطْلَقًا مِنْهُ بَدْؤُهُ
وَحَاشَى لِمِثْلِى مِنْ سَمَاعٍ مُقَيَّدِ
أَرَاهَا بِأَوْصَافِ الْجَمَالِ جَمِيعِهَا
كَمِحْنَةِ مَهْجُورٍ وَمِحْنَةِ مُسْنَدِ

فتنبه رحمك الله لهذه اللطائف الحسنة. والمعارف الفاضلة الجليلة البديعة المستحسنة. وتفهم عند تذكرها في معاني أسرارها ترى عجبا. وتستفد أدبا. وادع لكاتبها ومؤلفها أن ينفعهما الله بعوارفها ومعارفها. ونسأله أن ينور بصائرنا بنور توحيده ومعرفته. وأن يمد عقولنا بمواد توفيقه وهدايته. وأن يحرس عقائدنا بالتمسك بكتابه وسنته. فإنه المرشد للطريق. والهادي إلى طلب التحقيق. والموفق المعين. الساقي بكأس من معين. من عيون المعارف. وأنواع اللطائف. من شاء من العباد. ومن سماه بالمراد. بمنه وفضله وطوله. وهو حسبي ووليي. في شرح صدري وتنوير قلبي. والأمر لله. ولا قوة إلا بالله.

كملت رسالة القصد المجرد. في معرفة الاسم المفرد. أعني الله جل ذكره. وعز قدره. بشرح معاني أسراره. واختصاص فوائد أذكاره. وكيفية التعرض لإشراق أنواره. والحمد لله. والشكر له. على جميع نعمه أولاً وآخراً. والصلاة والسلام

على سيدنا محمد وعلى آله ظاهراً وباطنا. والرضى عن خلفائه وأصحابه وأزواجه وذريته والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. من جميع أمته. وأهل ملته.







عربية للطباعة والنشر
7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043